

دار الكتب السلطانية

كتاب

صحيح الإسكندرية

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد بن القلقشندي

الجزء الثالث عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع

بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

سنة ١٣٣٧ هـ

م ١٩١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

المقالة السادسة

فيما يُكْتَبُ في [الوصايا الدينية^(١)] والمسامحات، والإطلاقات السلطانية
والطرخانيات، وتحويل السنين والتذاكر؛ وفيها أربعة أبواب

الباب الأول

في الوصايا الدينية، وفيه فصلان

الفصل الأول

فيما تقدماء الكُتَاب من ذلك

اعلم أنه كان تقدماء الكُتَاب بذلك عنايةً عظيمةً بحسب ما كان للولوك من الإقبال
على معالم الدين، ومن أكثرهم عنايةً بذلك أهل الغرب؛ لم يزالوا يكتبون بمثل ذلك
إلى نواحي ممالكهم، ويُقرأ على منابرهم؛ ولهم في ذلك الباع الطويل والهمة الوافرة.
وهذه نسخة من ذلك كتب بها أبو زيد الداراري: أحد كُتَاب الأندلس عن
أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين المنصور^(٢): أحد خلفاء بني أمية بالأندلس، وهي:

(١) الزيادة من ج ١ ص ٢٦ من هذا المطبوع.

(٢) ليس في خلفاء بني أمية بالأندلس من اسمه المنصور، وإنما المنصور هو ابن أبي عامر كان تغلب على
عشام بن الحكم الأموي واستبقه بالأمر وتغلب من بعده أبوه المنصور ثم أخوه المنصور عبد الرحمن الملقب بالناصر
لدين الله، ثم انقرضت دولتهم وعادت الدولة إلى بني أمية. فقلع هشام هذا ويبيع إليه محمد الملقب بالمهدي.
انظر "نسخ الطيب" ج ١ و"العرب" ج ٤ و"صبح الأعشى" ج ٥ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ من هذا المطبوع.

الحمد لله الذي جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصليين تنفرت عنهما مصالح الدنيا والدين ، وأمر بالمعروف والإحسان إرشاداً إلى الحق المبين ، والصلاة على سيدنا محمد الكريم المبتعث بالشرعية التي طهرت القلوب من الأدران وأستخدمت بواطن القلوب وظواهر الأبدان طوراً بالشدة وتارة باللين ، القائل (ولا عدول عن قوله عليه السلام) « من أتقى الشبهات استبرأ لدينه » تنبيها على ترك الشك لليقين ، وعلى آله الكرام أعلام الإسلام الملتقيين راية الأهداء في إظهار السنن وإيضاح السنن باليمين ؛ الذين مكّنتهم الله تعالى في الأرض فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر : وفاءً بالواجب لذلك التمكن .

والرضا عن الأئمة المظهرين للدين المتين ، البالغين بالبلاد والعباد نشرًا للعادل وإتماماً للفضل إلى أقصى غاية التمهيد والتأمين ، رضى الله عنهم أجمعين ! وعن تابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ! .

وإنّا كتبناه لكم - كتب الله لكم أتباعاً إلى ما ينهى من المصالح إليكم ، وأستماعاً إلى ما يئتى من المواعظ عليكم - من حضرة إشبيلية - كلاًها الله - .

والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والأستعانة به والتوكل عليه ، وأن تعلموا أنا لم نقم هذا المقام الذي حفظ الله به نظام الحق من انتشاره ، وأمدنا بعونه الجميل على إحياء الدين وإفاضة أنواره ، إلا لنتوفى كل نظر يعود على الأمة باستقامة أئمرها وأولآها ، ونهيب بها إلى أسمى رتب السعادة وأعلاها ، ونوقظ بصائرنا بنافع الذكري من كراها . فعليها لها بحكم ما تقلدناه من إمامتها ، وتحملنا من أمانتها ، أن نخوّلها بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونرشدنا إلى المناهج الواضحة والسبل البينة ، ونضغى على خاصتها وعامتها ظل الدعة والأمنة ؛ وإذا كنا نوفيها تمهيد دنياها ،

ونعتني بحماية أفضاها وأذناها ، فالدين أهم وأولى ، والتهمم باحياء شرائعه وإقامة شعائره أحق أن يقدم وأحرى . وعلينا أن نأخذ بحسب ما أمر به ونُدع ، ونبتع السنن المشروعة ونذر البدع . ولما أن لا ندخر عنها نصيحة ، ولا نُعَبِّها إرادة من الأدواء مُرِيحِه . ولنا [عليها] أن تُطِيع وتُسمع ، وقد علم الله أننا لم نتحمل أمانة الإسلام ، لنستكثر من الدنيا وزُحُرفِها ، ولم نتصد لهذا المقام ، لنستأثر بنعيمها وترَفِها ، وإنما كان قصدنا قبل وبعد إقامة الكفاة في أوثر قراها وأوطأ كنفِها ، وبحسب هذه النية التي طابقتها العمل ، ولم يتعدّها الأمل ، نيلت من الخيرات نهايات ، كانت الخواطر تستبعد منالها ، وتيسرت إرادات ، كانت الأمة منذ زمان لم ترمثلها ، وساعدت العناية الربانية فلم تُؤن مقصوداً جميلاً ، ولا مناً جزيلاً .

وإلى هذا - أدام الله كرامتكم - فإننا لم نزل مع طول المباشرة للأحوال كلها، وتردد المشاهدة لعقد الأمور وحآنها، نقف وقوف المتأمل على جزئيات الأمور ووكلياتها ، ولا يغيب عن تصفحنا وتعرفنا شيء من مصالح الجهات وكيفياتها ، ولم نمتر بمائل إلا تولينا إقامته ، وأعدنا إليه اعتماد الله وأستقامته ، ولا آتينا إلى صواب قول أو عمل إلا شدنا مبناه ، وأظهرنا لفظه ومعناه .

والآن حين استوفى إشرافنا على البلاد قاطبه ، ولزمنا بحكم القيام لله في خلقه بحقه أن نتعهد الكفاة دائية ونائية وشاهدة وغائبه ، ورجونا أن نتخلص من القسم الأول في قوله عليه السلام : «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به» بأعمال على الرفق دائية ، وعلى الحق مواظبه - صرفنا أئنة الاعتناء بجموع المصالح فرأينا الدين ينظم تبددها ، ويستوعب تعددها ، لا تشد مصالحة عن قوانينه ، ولا تسال بركة إلا مع تحصيله وتحسينه ، والله تعالى يعيننا وإياكم على إقامة حدوده ، وإدامة

عُهوده . وأول ما يتناول به الأمر كافة المسلمين الصلاة لأوقاتها ، والأداء لها على
أكل صفاتها ، وشهودها إظهاراً لشرائع الإيمان في جماعاتها ، فقد قال عليه السلام :
« أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ الصَّلَاةُ ، فَمَنْ حَفِظَهَا وَحَافِظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا
فَهَوِّمَ سِوَاهَا أُضْيِعَ » . وقال عمر رضى الله عنه : « وَلَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ
الصَّلَاةَ » فهي الركن الأعظم من أركان الإيمان ، والأسس الأوثق لأعمال الإنسان ،
والمواظبة على حضورها في المساجد ، وإيثار الصلاة الجماعة من المزية على صلاة
الواحد ، أمر لا يضيِّعه المُفْلِحُونَ ، ولا يحافظُ عليه إلا المؤمنون . قال ابن مسعود
رضى الله عنه : « لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومَ النَّفَاقِ ، وَلَقَدْ كَانَ
الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ » وشهود الصبح والعشاء
الآخرة شاهد بتحصيل الإيمان ، وقد جاء : « إِنَّ شُهُودَ الصُّبْحِ فِي جَمَاعَةٍ يَعْدِلُ
قِيَامَ لَيْلَةٍ » وحسبكم بهذا الرجحان . والواجب أن يُعتنى بهذه القاعدة الكبرى من
قواعد الدين ، ويُؤخذ بها في كافة الأمصار الصغير والكبير من المسلمين ، ويُحفظ
في التزامها قوله عليه السلام : « مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ لَسَبْعٍ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ
سِنِينَ » . وبحسب ذلكم رأينا أن نلزم جار كل مسجد ، وأمير كل سوق وشيخ
كل زقاق ومعلم كل جهة الانتداب لهذا السعى الكريم ، واليدار لما فيه من الأجر
العظيم ، وأن يحض كل من في جهته أو سوقه أو حومة مسجده أو موضع صنعته
أو تجارته أو تعليمه على الصلاة وحضورها ، والأعتناء بأحكام طهورها ، وأن لا يتخلف
عن الجماعة إلا لعذر بين ، أو أمر يكون معه الشهود غير ممكن . وعليهم أن يلتزموا
هذه الوظيفة أتم الأتم ، ويقوموا بها مؤتجرين أحسن قيام ، ويسمروا عن ساعد
كل جد وأعتزام ، ويتعرفوا كل من تحتوى عليه المنازل من بلغ حد التكليف من
الرجال ، ويتعهدوهم الحين بعد الحين والحال إثر الحال ، ويطلبوهم بالذكر بملازمة

هذا العمل الذي قدّمه الله على سائر الأعمال . ويحذر المسلم أن يواقع بياضعة المكتوبة أمرا إمرأ ، ويترك من فرائض الإسلام ما يقتل متعمداً تركه حداً أو كُفراً . وعلى معلمي كتاب الله أن يأخذوا الصبيان بتعلم الصلاة والطهارة والإدابة لإقامتها والموالاتة وحفظ ما أقام به وأقل ذلك سورة فاتحة الكتاب . وعلى كل إنسان في خاصته أن يأخذ صغار بنيته وبناتهم وسائر أهله ومن إلى نظره بذلك ويأمرهم به ، قال الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ . وقال عليه الصلاة والسلام : « كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رعيته » .

ثم آملوا أن الصلاة بما أمرها الله به من وظائفها الشريفة ، وخصائصها المنيفة ، تنظم من أعمال البرِّ ضروريا لا تُحصر ، وتخصم من موقعة ما يُسنا ويُنكر ، وتُحطى من الخيرات العميمة الجسيمة بالقسم الأوفى الأوفر ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ . ونحن لا نوسع ناركها بحالٍ عُدرا ، ولا نُؤخره عقابا وزجرا ، ولا نزال نجبه على إقامتها قسرا ، وإذا استمرّ التعهُّد لها مع الأحيان ، وعمل الناس بما جددناه من إجراء التذكير بها بين القرابة والصحابة والخيران ، وتواصوا بالمحافظة عليها حسب الإمكان ، لم تزل بيوتُ أذن الله تعالى أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه معمورةً بتلاوة القرآن ، ولم تنفك إلا للإقامة عن الأذان .

ومما يزيد هذه الوظيفة تأكيدا ، ويوقِّ قواعدها تسبيدا ، درس كتاب الصلاة والطهارة حتى يستكوه وعيا وحفظا ، ويُؤدوا مضمَّته لفظا فلفظا ، ففي ذلك من الإشراف على أحكام العبادتين ما تبيّن مزيتته وفضله ، ولا يسع المؤمن بحال جهله ، ثم إذا أحكوه انتقلوا إلى درس كتاب الجهاد ، وعمرُوا الآناء بتعرف ما أعدَّ الله للمجاهدين من الخير المستفاد ، فالجهاد في سبيل الله فرض على الأعيان ، وقد تأكد

تعيته لهذه البلاد المجاورة لعبدة الأصنام والصُّلبان، ونرجو أن يُخز الله ما وعد به من الفتح القريب لأهل الإيمان، وليطلبوا الناس بعرض ما يتدارسون تهيئةً لمحفوظاتهم، واسترادَةً لقسمهم من الأجر وحُظوظهم .

ومن مقدمات الجهاد، وأقوى أسباب الاعتداد، تعلم الرماية التي ورد الحَضُّ عليها، وندب الشرح إليها، قال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ «ألا إن القوة الرمي» قالها ثلاثاً: فأظفروا الناس بتعلمهم، ولتربوهم طبقاتٍ على قدر إجادتهم وتقدمهم، قال عليه السلام: «مَنْ تَرَكَ الرَّمِيَّ بَعْدَ مَا عَلِمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا أَوْ قَالَ كَفَرَهَا» . وقال عليه السلام: «مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَلَغَ الْعُدُوَّ أَوْ لَمْ يَبْلُغْ كَانَ لَهُ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ» .

وليعلموا أنهم يُطابون في وقت الحاجة بما يُثمره هذا التأكد من بدارهم، ويترتب عليه من أثمارهم، وليحرصوا على أن يُلقى عددهم وافرًا في حالتهم إيرادهم وإصدارهم .

ومما فيه مصلحة كريمة الأثر، واضحة الجُول والغرر، يكون ذكرها جَمِلاً، وأجرها جزِيلاً، نعهد الضعفاء والفقراء، وإسمائهم من الكثير كثيراً ومن القليل قليلاً بحسب الإصابة والرخاء، ووضع الصدقات في أهل التعفف الذين لا يسألون الناس الخافاً أوّل ما يجيء حين العطاء، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوْفِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فَزِدُّهُ الثَّمَرَةَ وَالتَّمْرَانَ وَإِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غَنِيَّ يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ» فتفقّدوا هذا الصنف فهو أوّل بالإيثار، وأحقُّ أهل الإقتار، والمؤمنون إخوة ويُعنى الجار بالجار، ويُعنى الغنيُّ الفقير فذلك من مكارم الآثار .

والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفةٌ تعيَّنت إقامتها على المسلمين جميعاً فمن رأى منكراً فليُنهِه إليكم وعليكم تغييره وتَعْفِيَةُ أثره على ما يوجبُه الدين ويقتضيه ، وليأخذوا الحق من كل من تعيَّن عليه سواء في ذلك القوي والضعيف ، والمشروف والشريف . وكلُّ من ارتكب منكراً كائناً من كان ، عزَّ قدره أو هان ، فليبالغ في عقابه ، وينكَل على قدر ما ارتكب من المنكر وأتى به ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « إِمَّا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » وقال لأسامة في الحديث نفسه « أَلَسَّعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدَّ اللَّهُ » وقد حدَّ عمر رضي الله عنه ولده ، وحدَّ عثمان رضي الله عنه أخاه .

فلتكن هذه الوظيفة منكم بمرأى ومسمع ، ولتسلُّكوا في إقامتها على الخامل والنبية أَوْضَحَ مَهْيَعٍ ، ووفِّوا المعروف حَقَّه من الإظهار ، وتلقوا المنكر بأتمَّ وجوه الإنكار ، ثم عليكم أجمعين بالتواصي بالخير والتعاون على البرِّ والتقوى ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ . وقال عليه السلام : « لَا تَبَاغُضُوا وَلَا تَحْسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » .

وبالجملة فعلى المؤمن أن يستنفذ وسعه في الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف من بعده ، ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ؛ ولم ينشأ ما نشأ من الأهوال ، ولا طراً في هذه الأمة ما طراً من الاختلال ، إلا بمفارقة الاقتداء الذي هو للدين رأس المال ، ورضي الله عن عمر حيث قال : « فُرِضَتِ الْفِرَائِضُ وَسُنَّتِ السُّنَنُ وَتُرِكْتُمْ عَلَى الْوَاضِحَةِ إِلَّا أَنْ تَضِلُّوا بِالنَّاسِ يَمِينًا وَشِمَالًا » .

ومن أشدَّ المنكرات بغير نكير وجوب تغيير الخمر التي هي أَسُّ الإثم والفجور ، وأثم الخبائث والشُرور ، وأس كلِّ خبيثة ورأس كلِّ محظور ، فليشتدَّ أتمَّ الاستداد

في أمرها ، ويبحث غاية البحث عن مكان عصرها ، ويتفقد الأماكن المهمة
 يتبعها ، ويتسبب بكل وجه وكل طريق إلى قطعها . وليبادر حيث كانت إلى إراقة
 دنانها ، وليبالغ إلى أقصى غايات الاجتهاد في شأنها ، وإن الله لعن الخمر وعاصرها
 ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه ، فليتيق الله مدين شربها فإنها رجس من عمل
 الشيطان ، وليحذر ما في قوله عليه السلام : « لا يشرب المؤمن الخمر حين يشربها
 وهو مؤمن » : من إخراجها عن أهل الإيمان ؛ وشرب الخمر لحاج في الطبع ، فلا خير
 فيها مع الاعتناء المبني على الشرع ، ولو نهى الناس عن فت البعر لفتوه حرصا غالبا على
 ما تقدم فيه من الزجر والمنع ؛ فمن عثر عليه بهد من شارب لها أو عاصر ، مستسرها
 أو مجاهر ، فليضرب الضرب المبرح ، ويسجن السجن الطويل ، وليبق إلى أن تصح
 توبته صحة لا تختمل التأويل ؛ ثم إن عاد فالحسام المصمم يحسم داءه إذا أعضل ،
 ويصد به سواه عما استحل من هذا الحرام وأستسهل .

ومن أشد ما حذر منه ، وأكده النهي عنه ، كتب الفلاسفة لعن الله واضعها !
 فإنهم بنوها على الكفر والتعطيل ، وأخلوها من البرهان والدليل ، وعدلوا بها ضلالا
 وإضلالا عن سواء السبيل ، وجعلوها نكاة لعقائدهم ومقاصدهم الخيالة ركونا إلى
 الباطل وتمسكا بالمستحيل . وقد كان سيدنا الإمام المنصور رضى الله عنه قد جد فيها
 بالتحريق والتمزيق ، وسد بامضاء عزمه المسدد ورأيه المؤيد وجوه طلابها بكل
 طريق ، فحسبنا أن تقتدى في ذلك بأثره الجميل ، وتأخذ في إحراقها حيث وجدت
 وإهانة كاتبها وطالبيها وقاربيها ومقربيها ، ولا يعدل عن السيف في عقاب من أتجها
 وأستوهبها وإن السيف في حقه لقليل ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « تركت
 فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه » وبحسب العاقل كتاب
 الله وسنة الرسول .

ويتعلق بهذا المنهى عنه ما استرسل فيه مرادة أهل الأهواء ، والمتنكبون فيما تلبسوا به من الأدران عن سنن الأهداء ، أولئك قوم اعتقدوا إباحة المحظورات كلها ، وعدوا ببيها ماتهم السخيفة ، وتحيلاتهم الضعيفة ، كل وأهى العقيد منحلها ، وأدعوا أنهم من الملة وأعمالهم تقضى بأنهم ليسوا من أهلها ، فليبحث عن ذلك الصنف الأول وهذا الثان ، فذهبنا أن نظهر دين الله مما لصق به من الأدران ؛ وأن نعيده إلى ما كان عليه قبل والله المستعان .

ومن الوظائف التي يجب أن تعتنوا بها غاية الأعتناء ، وأن تقدموا النظر فيها على سائر الأشياء ، أمر أسواق المسلمين فقد اتصل بنا ما تطرق للتجارات من مساحات تعنى عليها الخدع ، ولا يثرها إلا الحرص والطمع ، ولا توافي الشرع ولا يطابقها الورع ، حتى شاب أكثر المعاملات الفساد ، ولا يجري على القانون الشرعي في كثير من المبيعات الإنعقاد ، وتصدى المتحيلون فيها لحيل يقصدونها ، وأنواع لاجتلاب السحت يرضونها ، وربما ورد التاجر من القطر الشاسع ، وحسن الظن بالمشتري منه أو البائع ، فيبلغ في خدعته ، والإضرار به في ساعته ، أسوأ المبالغ ، ويرتكب من محرم الخلالة ما ليس بالسائغ ، وسمع من ذلك أن من لا يتيق الله تعالى يلايس الربا في تجارته ، ويبنى عليه جميع إدارته ، وحفظ المكاسب من الخباياث أوجب الواجبات ، والحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات ، ويحق الله الربا ويربي الصدقات ، فلتنلوا الأمانة المعروفين بالديانة ، المشهورين بالأمانة ، تفقد هذه الأسواق ، وليخص كل أمين من تشتمل عليه سوقه من التجار ، وليعرف المختار منهم من غير المختار ، ومن لا يصلح للتجارة في سوق المسلمين يقام منها على أسوأ حال ، ومن عثر منهم على ربا في معاملته عاجلتموه بأشد العقاب وأسوأ النكال ، فخلصوا المتاجر من الشوائب ، ومرضوهم بأن يسيروا في بيعهم وشراءهم وأقتضائهم على

أجل المذاهب ، وأن يُحَدِّرُوا الغِشَّ فقد قال عليه السلام : «مَنْ غَشَّنا فَلَيْسَ مِنَّا»
والإِنتِفَاءُ من الإيمان من أعظم المصائب ، وإذا اعتبرت في المبايعات الوجوه
الشرعية وحُظت الأحكام زكى الله عمل التاجر ، وبورك له فيما يُدير من المتاجر .
ثم لتوصوا كل من تقدّمونه لشغل من الأشغال أن يبدأ بصلاح نفسه قبل سواها ،
وأن يلتزم الأعمال التي يُؤثرها الله تعالى ويرضاها ، وحدّروهم كلّ الحذر أن تقفوا لهم
على ما يشين ، أو تسمعوا لهم قبيحا يُخني أو يبين ، فمن سمعتم عنه أدنى سبب من هذا
فعاجلوه بالعقاب الشديد ، والنكال المبيد ، إن شاء الله تعالى والسلام .

قلت : وعلى هذه المعاني والأمور المأمور بها في هذا الكتاب قد كانت الخلفاء
تكتب بها في المكتبات على أنحاء متفرقة على ما تقدّم في مقاصد المكتبات من
المقالة الرابعة ، وكانوا يؤلون على الصلاة والمساجد من يقوم بأمرها على ما تقدّم ،
وإن أكثر هذه الأمور الآن مضمّنة في توابع أصحاب الحسبة على ما تقدّم ذكره
في الكلام على الولايات في المقالة الخامسة وبالله التوفيق .

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة السادسة

(فيما يكتب من ذلك في زماننا)

وهو قليل : لقلة الاعتناء بأمر الدين والأكتفاء في ذلك بالتفويض إلى متولّي
الحسبة ، إلا أنه رُبما كُتب في ذلك في الأمور المهمة عند تعدّي الطور في أمر
من الأمور الدينية ، والخروج فيه عن الحدّ .

ثم هو على ضربين :

الضرب الأول

(ما يُكْتَبُ عن الأبواب السلطانية)

وهذه نسخة توقيع شريف من هذا النوع كُتِبَ به في الأيام أن لا يباع
على أهل الذمة رقيقٌ حين كثر شراء أهل الذمة من اليهود والنصارى العبيد والحواري
(١)
وتهويدهم وتصيرهم .

(١) لم يذكر نسخة التوقيع بل كتب بهامش غير نسخة مانصه "بياض مقدار ورقة".

الضرب الثاني

(مما يُكتب في الأوامر والنواهي الدينية - ما يُكتب

عن نواب السلطنة بالمالك)

وهذه نسخة توقيع كريم بمنع أهل صيدا وبيروت وأعمالها من اعتقاد الرافضة
والشيعة وردعهم ، والرُّجوع إلى السنّة والجماعة ، واعتقاد مذهب أهل الحق ، ومنع
أكابرهم من العقود الفاسدة والأنكحة الباطلة ، والتعرض إلى أحد من الصحابة
رضوان الله عليهم أجمعين ؛ وأن لا يدعوا سلوك [طريق] أهل السنة الواضحة ،
ويمشوا في شرك أهل الشك والضلال ، وأن كل من تظاهر بشيء من يدعهم قوبل
بأشد عذاب وأتم نكال ، وليحمد نيران يدعهم المذممة ، وليأدر إلى حسم فسادهم
بكل همّة ، وتصريفهم عن ^(١) اعتبره ، وتطهير بواطنهم من ردالة اعتقادهم
الباطل إلى أن يعانوا جميعهم بالترضى عن العشرة . وليحفظ أنسابهم بالعقود
الصحيحة ، وليدأوموا على اعتقاد الحق والعمل بالسنّة الصريحة . في خامس عشرين ^(٢)
جمادى الآخرة سنة أربع وستين وسبعائة ، وهي :

الحمد لله الذى شرع الحدود والأحكام ، وجدع بالحق لأنوف العوام الأغمام
الطغام ، وجمع الصلاح والنجاح والفلاح فى الأخذ بسنة خير الخلق وسيد الأنام ،
وقع الزائعين عمّا عليه أهل السنة من الحق فى كل تقضى وإبرام .

نحمده على نعمه الحسام ، ومننه التى تومض بروقها ونشام ، وآلائه التى لا تُسأم
ولا تُسأم ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ليس لمن تمسك

(١) بياض فى الأصل ولعله « عن التهوك فى مهالك أهوائهم إلى مانص عليه الشرع واعتبره » .

(٢) كذا فى الأصل بائناث النون ونقل الصبان عن ابن هشام تلحين الكتاب فيه .

بِعُرْوَتِهَا الْوُثْقَى أَنْفِصَالٌ وَلَا أَنْفِصَامٌ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى الْمَلِكِ الْعَلَّامِ، وَالْهَادِي إِلَى الْحَقِّ بِوَأَضْحِ الْإِرْشَادِ وَالْإِعْلَامِ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ، وَهُدَاةُ الْخَلْقِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ؛ خُصُوصًا أَبَا بَكْرَ الصِّدِّيقَ الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ بِمَا وَقَّرَ فِي صَدْرِهِ لَا بِبَزِيَّةِ صَلَاةٍ وَلَا بِبَزِيدِ صِيَامٍ، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ الَّذِي كَانَ لَهُ فِي إِقَامَةِ الْحَقِّ أَعْظَمُ مَقَامٍ، وَمَنْ أَهْلَ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ آتِقَاءً وَأَنْتِقَامٍ، وَعُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ الَّذِي جَمَعَ الْقُرْآنَ فَخَصَّلَ لَشَمْلِ سُورِهِ وَأَيَاتِهِ بِمَا فَعَلَ أَحْسَنُ التَّنْظِيمِ، وَأَنْفَقَ مَالَهُ مُحْتَسِبًا لِلَّهِ تَعَالَى فَحَازَ مِنَ الثَّوَابِ رَتْبَةً لَا تُرَامُ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي كَانَ صَهْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبْنَ عَمِّهِ وَوَارَثَ عِلْمَهُ اللَّهَامَ، وَالْمُجَادِلَ عَنِ دِينِهِ بِالْعِلْمِ وَالْمُجَاهِدَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْحُسَامِ، وَالْبَاقِينَ مِنَ الْعَشْرَةِ الْكِرَامِ، صَلَاةً تُسْتَمَدُّ بِرَكَاتِهَا وَتُسْتَدَامُ، وَيَتَمُّوْ فُضْلُهَا بِغَيْرِ أَنْقِضَاءٍ وَلَا أَنْصِرَامٍ .

وَبَعْدَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَرَعِهِ الَّذِي آرْتِضَاهُ، وَدِينِهِ الَّذِي قَضَاهُ، وَحُكْمَهُ الَّذِي أُبْرَمَهُ وَأَمْضَاهُ؛ فَبَلَّغَ الرِّسَالَهَ، وَأَوْضَحَ الدَّلَالَهَ، وَأَفْصَحَ الْمَقَالَهَ؛ وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ طَوَائِفَ الْأَعْدَاءِ، وَأَمَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى قَبُولِ قَوْلِهِ وَتَصْدِيقِهِ مِنْ سَبَقَتْ لَهُ الْعِنَايَةُ مِنَ الْأَوْدَاءِ؛ وَنَصَرَهُ عَلَى مُخَالَفِيهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْحَاسِدِينَ حَتَّى مَاتَ كُلُّ مَنْهُمْ بِمَا فِي نَفْسِهِ مِنَ الدَّاءِ؛ وَبَيَّنَّ الطَّرِيقَ، وَبَرَهَنَ عَلَى التَّحْقِيقِ، فَأَعْلَنَ النَّذَارَةَ وَالْبِشَارَةَ، وَمَهَّدَ قَوَاعِدَ الدِّينِ تَارَةً بِالنَّصِّ وَتَارَةً بِالْإِشَارَةِ؛ وَتَمَّ الدِّينُ بِأَحْكَامِ أَحْكَامِهِ، وَشُدِّدَتْ قَوَاعِدُهُ بِإِعْلَانِهِ؛ وَعَمَّتِ الدَّعْوَةُ وَتَمَّتْ، وَفَشَّتِ الْهُدَايَةُ وَتَمَّتْ؛ وَدَخَلَ النَّاسُ فِي الدِّينِ أَرْسَالًا، وَبَلَّغَتْ نَفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ آمَالًا، وَأَصْبَحَتْ الْخَيْرَاتُ وَالْبَرَكَاتُ تَتَوَاتَرُ وَتَتَوَالَى، وَنَحَمَدُ نَارَ الشَّرْكِ وَطَفَفَتْ مَصَابِيحُ الضَّلَالَةِ وَوَحَّدَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

فلما تكامل ما أراد الله تعالى إظهاره في زمانه، وتم ماشاء إبرازه في إبانته، وأعلنت الهداية، ومُحيت الغواية، وقام عمود الدين، ودحضت حجة الملحدين، وأستوسق أمر الإسلام، وأستتب، وتبت يدا مناويته وتب - أختار الله تعالى لتبنيه صلى الله عليه وسلم جواره وقربه، فقضى تحبه ولقي ربه، فقام خلفاؤه بعده بأثاره يقتدون، وبهديه وإرشاده يهتدون، ولأحكامه يتبعون، ولأوامره يستمعون، ولإماني ما جاء به يعون، وإلى قضاياه يرجعون، لا يغيرون ولا يبدلون، ولا يتعرضون ولا يتأولون، فقضى على ذلك الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديون، لم يتبع أحد منهم في زمانهم عقيدة فاسده، ولم يظهر أحد مقالة عن سواء السبيل حائده، ثم تفرقت الآراء، وتعددت الأهواء، وأختلفت العقائد، وتباينت المقاصد، ووهت القواعد، وتصادمت الشواهد، وتفرقت الناس إلى مقتز بالحق وجاحد، وظهرت البدع في المقالات، وضل كثير في كثير من الحالات، وتهاقت غالبهم في الضلالات، وقال كل قوم مقالة تضمنت أنواعا من الجهالات، وكان من أضعفهم عقلا، وأضعفهم نقلا، وأوهنهم حجة، وأبعدهم من الرشد محجة، طائفة الراضية والشيعة، لأرتكابهم أمورا شنيعة، وإظهارهم كل مقالة فظيعة، وخرقهم الإجماع، وجمعهم قبيح الابتداع، فتنبدوا فرقا، وسلكوا من فواحش الاعتقادات طرقا، وتنوع ناسهم، وتعددت أجناسهم، وتجرعوا على تبديل قواعد الدين، وأقدموا على نبذ أقوال الأئمة المرشدين، وقالوا ما لم يسبقوا إليه، وأعظموا الفرية فيما حملوا كلام الله ورسوله عليه السلام عليه، وبأوا بإثم كبير وزور عظيم، وعرجوا عن سواء السبيل نخرجوا عن الصراط المستقيم، وفأهرا بما لم يقه به قبلهم عاقل، وأنتحلوا مذاهب لا يساعدهم عليها نقل ناقل، وتحيلوا أشياء فاسدة حالهم فيما تحيلها أسوأ من حال باقل، وتمسكوا بأثار

موضوعه، وحكاياتٍ إلى غير التّقات مرفوعه؛ يُنقل عن أحدهم ما ينقله عن مجهول غير معروف، أو عن هو بالكذب والتدليس مشهور وموصوف؛ فأذاهم ذلك إلى القول بأشياء - منها ما يوجب الكفر الصّراح، ويبيح القتل الذي لاجرح على فاعله ولا جناح - ومنها ما يقتضى الفسق إجماعاً، ويقطع من المتّصف به عن العدالة أطعاً - ومنها ما يوجب عظيم الزّجر والنّكال - ومنها ما يُفرض بقائه إلى الويل والوبال. لعب الشيطان بعقولهم فأغواهم، وصمّمهم إلى حزبه وآوهم، ووعدهم غرورا ومنّاهم، وتمنّوا مغالبة أهل الحق فلم يبلغوا مناهم؛ مرّقوا من الدين، وخرقوا إجماع المسلمين، وأستحلّوا المحّرم، وآرتكبوا العظائم، وآكتسبوا الجرائم؛ وعدّلوا عن سواء السبيل، وتبوّءوا من غضب الله شرّاً مقيلاً. مذهبيهم أضعف المذاهب، وعقيدتهم مخالفة للحقّ الغالب؛ وآرأوهم فاسده، وقرأئهم جامده، والتّقول والعقول بتكذيب دعاويهم شاهده؛ لا يرجعون في مقاتلهم إلى أدلّة سليمة، ولا يعرجون في استدلالهم على طريق مستقيمة؛ يعارضون النصوص القاطعة، ويضطلون القواعد لمجرد المنازعة والمدافعة، ويفسّرون كلام الله تعالى بخلاف مراده منه، ويتجرّون على تأويله بما لم يرده الله ولم يرده عنه؛ فهم أعظم الأمة جهالة، وأشدهم غواية وضلالة؛ ليس لهم فيما يدعونه مستند صحيح، ولا فيما ينقلونه نقل صريح.

فلذلك كانوا أقلّ رتبةً في المناظره، وأسوأ الأمة حالاً في الدنيا والآخرة؛ وأحقّر قدرًا من الاحتجاج عليهم، وأقلّ وضعا من توجيه البحث إليهم؛ أكابرهم مخطلون، وأصاغرهم مثلهم ومعظمهم مخبّطون؛ بل كلّهم ليس لأحد [منهم] حظّ في الجدل، ولا قدم في صحة الاستدلال؛ ولو طُلب أحد منهم بصحة دعواه لم يجد عليها دليلاً؛ ولو حُقّق عليه بحث لم يلق إلى الخلاص سبيلاً؛ غاية متكلّمهم أن يروى عن منكر من الرجال مجهول، ونهاية متعلّمهم أن يُورد حديثاً هو عند العلماء موضوع أو معلول؛ يطعنون

في أئمة الإسلام، ويسبون أصحاب النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، ويدعون
 أنهم شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو بريء منهم، منزه
 عما يصدر عنهم، فقد رُفِعَ عند الله والناس، ومحلُّه أعلى بالنص والقياس، ويجرم
 أن يُنسب إليه الرضا بهذه العقائد، أو التقرير لهذه المفاسد، فإن طريقته هي المنفى،
 وسيرته هي العُليا، فالأخذ بالحق إليه يُسول، والصواب معه حيث يفعل أو يقول،
 ولا يصحُّ نقلُ شيء من هذا عنه، ولا يحلُّ نسبةُ شيء إليه منه، ومنصبه أجلُّ من
 ذلك، ومكانه أعزُّ مما هُناك، غير أن هؤلاء يعرض لأحدهم في دينه شُبُهه، يقلد
 فيها مثله في الضلالة وشبُهه، ويتردد في نفسه من التعمُّ برهته لا يجد الخلاصه منها
 وجهه، ولا يوجه قلبه إلى طلب النجاة منها وجهه، ولا يقع نظر بصيرته على طريق
 الصواب ولا يحقق كنهه، فيرتكب خطرا يُوجب توبيخه في القيامة وجهه، وتسوُّد
 في الموقف ناصية منه وجهه، ويعتمد لتحصيره في الضلال عقله وفهمه وفقهه،
 قد صرَّفوا إلى الطعن في العساء، ومخالفة رب الأرض والسماء، همهم وهمهم،
 واقتروا على الله كذبا فدَمَّهم وأباح دمَّهم، وقال لسان حال أمرهم أراق دمَّهم أراق
 دمَّهم، وهان دمَّهم فما ندَمَّهم .

وقد بلغنا أن جماعة من أهل بيروت وضواحيها، وصيدا ونواحيها، وأعمالها
 المضافة إليها، وجهاتها المحسوبة عليها، ومن أراغ كل من الجهتين ضياعها، وأصقاعها
 وبقاعها، قد انتحلوا هذا المذهب الباطل وأظهروه، وعملوا به وقزروه، وبثوه
 في العامة ونشروه، واتخذوه ديناً يعتقدونه، وشرعاً يعتمدونه، وسلكوا منهاجه،
 وخاضوا لحاجه، وأصلوه وفرعوه، وتدينوا به وشرعوه، وحصلوه وفصلوه، وبلغوه
 إلى نفوس أتباعهم ووصلوه، وعظَّموا أحكامه، وقدموا حكمه، وتمموا تجيله
 وإعظامه، فهم بإطاله عاملون، وبمقتضاه يتعاملون، ولأعلام عليه حاملون، وللفساد

قائلون، وبغير السداد قائلون، وبحرم حرامه عائذون، وبجحى حمايته لائذون، وبكعبة ضلاله طائفون، وبسدة شدته عاكفون. وإنهم يسبون خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، ويستحلون دم أهل السنة من المسلمين، ويستبيحون نكاح المتعة ويرتكبونه، ويأكلون مال مخالفيهم ويتهبونه، ويجمعون بين الأختين في النكاح، ويتدينون بالكفر الصراح، إلى غير ذلك من فروع هذا الأصل الخبيث، والمذهب الذى ساوى في البطلان مذهب التثليث - فأكرنا ذلك غاية الإنكار، وأكبرنا وقوعه أشد إكبار، وغضبنا لله تعالى أن يكون في هذه الدولة للكفر إذاعه، وللعصية إشادة وإشاعة، وللطاعة إخافة وإضاعة، وللإيمان أزجى بضاعة، وأردنا أن نجهز طائفة من عسكر الإسلام، وفرقة من جند الإمام، تستأصل شأفة هذه العصبة الملعونة، وتطهر الأرض من رجس هذه المفسدة، ثم رأينا أن نقدم الإنذار، ونسبق إليهم بالإعذار، فكتبنا هذا الكتاب، ووجهنا هذا الخطاب، ليقرا على كافةهم، ويبلغ إلى خاصتهم وعامتهم، يعلمهم أن هذه الأمور التى فعلوها، والمذاهب التى اتحلوها، تبيح دماءهم وأموالهم، وتمتضى تعميمهم بالعذاب واستئصالهم، فإن من استحل ما حرم الله تعالى وعرف كونه من الدين ضرورة فقد كفر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَأَفَ﴾ عطفًا على ما حكم بتحريره، وأطلق النص فتعين حمله على تعميمه، وقد آنقذ على ذلك الإجماع، وأنقطعت عن مخالفته الأطلاع، ومخالفة الإجماع حرام بقول من لم يزل سميعا بصيرا ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. ونكاح المتعة منسوخ، وعقده في نفس الأمر منسوخ، ومن ارتكبه بعد عامه بتحريره واشتباره، فقد خرج عن الدين برده الحق وإنكاره، وفاعله ان لم يتب فهو مقتول، وعذره فيما يأتيه من ذلك غير مقبول. وسب الصحابة رضوان الله عليهم

مخالف لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعظيمهم ، ومنايذ لتصريحه
 باحترامهم وتبجيلهم ، ومخالفته عليه السلام فيما شرعه من الأحكام ، موجبة للكفر
 عند كل قائل وإمام ، ومُرتكب ذلك على العقوبة سائر ، وإلى الجحيم صائر . ومن
 قذف عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها بعد ما برأها الله تعالى فقد خالف كتابه العظيم ،
 وأسحق من الله النكال البليغ والعذاب الأليم ، وعلى ذلك قامت واضحات الدلائل ،
 وبه أخذ الأواخر والأوائل ، وهو المنهج القويم ، والصرط المستقيم ، وماعدا ذلك
 فهو مردود ، ومن الملة غير معدود ، وحادث في الدين ، وباعث من المُلحدين ،
 وقد قال الصادق في كل مقالته ، والموضح في كل دلالته ، « كلُّ مُحَدِّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلُّ بَدْعَةٍ
 ضَلَالَةٌ » . فتوبوا إلى الله جميعا ، وعودوا إلى الجماعة سريعا ، وفارقوا مذهب أهل
 الضلالة ، وجانبوا عصبية الجهالة ، واسمعوا مقالة الناصح لكم في دينكم وعوا ، وعن
 النبي ارجعوا ، وإلى الرِّشادِ ارجعوا ، وإلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات
 والأرضِ ااتباع السنة بادروا وسارعوا . ومن كان عنده امرأةٌ بنكاح متعة فلا يقربها ،
 ويحذر من غشيانها وليتجنبها . ومن نكح أختين في عقدين فليفارق الثانية منهما فإن
 عقدها هو الباطل ، وإن كانتا في عقد واحد فليخرجهما معا عن حبالته ولا يماطل ،
 فإن عذاب الله شديد ، ونكال المجرم في الحميم كل يوم يزيد ، ودار غضب الله تُنادى
 بأعدائه هل من مزيد ، فلا طاقة لكم بعذابه ، ولا قدرة على أليم عقابه ، ولا مفر
 للظالم منه ولا خلاص ، ولا ملجأ ولا مناص . فريح الله تعالى أمراً نظراً لنفسه ،
 واستعداً لرمسه ، ومهداً لمصرعه ، ووطاً لمضجعه ، قبل فوات القوت ، وهجوم
 الموت ، وانقطاع الصوت ، واعتقال اللسان ، وانتقال الإنسان ؛ قبل أن تُبدل
 التوبة ولا تُقبِل ، وتُدري الدموع وتُسبَل ، وتنقضي الآجال وينقطع الأمل ،
 ويمتنع العمل ، وترهق من العبد نفسه ، ويضمه رمسه ، ويرد على ربه وهو عليه

غَضَبَانِ، وَإِنَّ سُخْطَهُ عَلَيْهِ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ قَدْ بَانَ، وَلَا يَنْفَعُهُ حَيْثُذِ النَّدَمِ، وَلَا تُقَالُ عَثْرَتُهُ إِذَا زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ، وَقَدْ أَعْدَرَ مِنْ أُنْدَرٍ، وَأَنْصَفَ مِنْ حَدَّرٍ، فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَيَغْلِبُونَ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مَنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ، أَلْهَمْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ رُشْدَنَا، وَوَفَّقَ إِلَى مَرَاضِيهِ قُصْدَنَا، وَجَمَعَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى الطَّاعَةِ، وَأَعَانَنَا جَمِيعًا عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



وهذه نسخة مرسوم كتب به عن نائب المملكة الطرابلسية إلى نائب حصن الأكراد، بإبطال ما أُحْدِثَ بالحصن : من الخمارة، والفواحش، وإلزام أهل الذمة بما أُجْرِيَ عليهم أحكامه من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضی الله عنه - في أواخر جمادى الأولى سنة خمس وستين وسبعائة، وهو :

المرسومُ بالأمرِ العالی - لازل قصده الشريفُ المناورةَ على تغيير المنكر، وشدَّ أزر المنكر، مشمراً في إراحة القلوب بإزاحة مواطن الفواحش : من سَفَاحٍ ومُخَدَّرٍ ومیسرٍ ومُسکرٍ - أن يتقدم الجنبُ الكريمُ باستمرار ما وفقنا الله تعالى له ورسمنا به، وأعطيناه دستوراً يجده من عمل به يوم حسابه : من إبطال الخمارة، وهدم مبانيها بحيث لا يبقى للنفس الأمانة عليها أماره، وإخفاء معالمها التي توطنها الشيطانُ فقطن، وإزالة ما بها من الفواحش التي ما ظهر منها أقل مما بطن، وإخلاء تلك البلاد من هذا الفساد الموجب لكثرة المحن والاختلاف وإراقة ما بها من الخمر، التي هي رأس الإثم والشُرور، وإحراق كل مُخَدَّرٍ مذموم في الشرع مُخَدَّرٍ، وإذهاب اسم الخانة بالكلية بحيث لا يتلفظ به مسلمٌ ولا كافرٌ، ولا يُطمع نفسه في الترتيب عليها من هو على نخزيه وبقية مظافر . وقد غيرنا هذا المنكر بيد أطل الله بفضله في الخير بأعماها، وغنمنا إزالة هذه المفسدة فأحرزنا برها وأصطناعها، خوفاً من وعيد

قوله تعالى: ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ورجاء أن نكون من المراد بقوله تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وعملاً بقوله عليه السلام: « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ » . وعلمنا بأن أمير الرعية إذا لم يزل المنكر من بينهم فكيف يفلح في يومه وحال السؤال عنهم في غده .

وقد صار حصن الأكراد بهذه الحسنة في الحصن المتبع ، وأهله المتمسكون بالعروة الوثقى في مريع خصيب مريع ، وضواحيه مطهرة من خبث السفاح ونجاسة الخمر ، ونواحيه كثيرة الشرور قليلة الشرور ، قد أعلى الله تعالى به كلمته ، وأجاب لصغيره وكبيره في هذا الأمر دعوته ، وما ذلك إلا بتوفيق من أهلكنا لذلك ، وألهمنا رشدنا وطهرنا من هذه المفسدات تلك المسالك ، وله الحمد على ما وفق إليه ، وأعان عبده في ولايته عليه ، فإن المنكر إذا فشا ولم ينكر آن نحراب الديار ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ اللَّهَ لَيَغَارُ » ، فعند ذلك تمنع السماء درها ، وتمسك الأرض بذرها ، ويحرف الضرع ، ويبيس الزرع ، وتعطش الأجداد ، وتهلك البلاد .

فليست الحناب الكريم يده في إزالة ما بقي من منكر ، متفقدا لجليسه وحقيره بالفحص الشديد وما على ذلك يحمد بكل لسان ويُسكّر ، مترقبا من يدخل البلد ذلك ليقابله بالضرب بالسياط ، أخذًا في تتبع حلاله بالحزم والتحرى والاحتياط ، إلى أن تصل بنا أخباره ، ويعلّو لدينا في سياسته ونهضته مناره ، ونحمد عندنا لإيأته وآثاره ، وهو بحمد الله كما نعهد شديد على كل مُفسد ومعاند ، سيدي الآثار والآثار والمقاصد .

وأما أهل الذمة فما رُفع عنهم السيف إلا باعطاء الجزية والتزام الأحكام ، وأخذ عهود أكيدة عليهم من أهل النقص والإبرام .

فلتقدم الجنبُ الكريمُ بِلِزَامِهِمْ بما أَلَزَمَهُمْ بهِ الفَارُوقُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ، وَلِيَلْجِئَهُمْ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمْ إِلَى مَا أَلْهَاهُمْ إِلَيْهِ : مِنْ إِظْهَارِ الدَّلَّةِ وَالصَّغَارِ ، وَتَغْيِيرِ النَّعْلِ وَشَدِّ الزُّنَّارِ، وَتَعْرِيفِ الْمَرْأَةِ بِصَبْغِ الْإِزَارِ، وَلِيَمْنَعُوا مِنْ إِظْهَارِ الْمُنْكَرِ وَالنَّجْمِ وَالنَّاقُوسِ وَلِيُجْعَلَ الْخَلَاتِمُ أَوْ الْحَدِيدُ فِي رِقَابِهِمْ عِنْدَ التَّجَرُّدِ فِي الْحَمَامِ، وَلِيَلْزَمُوا بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي وَرَدَ بِهَا الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ مِنْ مُدَّةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ لَمْ يَلْتَمِمْ مِنْهُمْ بِذَلِكَ وَأَمْتَنَعَ، وَأَعْلَنَ بِكُفْرِهِ وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ وَرَفَعَ، فَهَلْهَ حَكْمٌ إِلَّا السَّيْفُ، وَغُتْمٌ أَمْوَالِهِ وَسَبْيٌ ذُرَارِيَّتِهِ وَمَا فِي ذَلِكَ عَلَى مِثْلِهِ حَيْفٌ، فَهَاتَانِ مَفْسَدَتَانِ أَمْرُنَا بِالزَّمَامِهِمَا فِرَارًا مِنْ سُخْطِ اللهِ تَعَالَى وَحِدَارًا، إِحْدَاهُمَا إِبْطَالُ الْحَانَةِ وَالثَّانِيَةُ إِخْفَاءُ كَلِمَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى .

فلتقدم الجنبُ المشارُ إليه باستمرار ما رَسَمْنَا بِهِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ ، وَالنُّورُ الَّذِي يَتَّبِعُهُ الْمُؤْمِنُ وَيُحْكِيهِ ، وَنَرْجُو مِنْ كَرَمِ اللهِ تَعَالَى اسْتِمْرَارَ هَذِهِ الْحَسَنَةِ مَدَى الْأَزْمَانِ، وَأَسْتِمَارَ شَجَرِهَا الْمَائِدِ الْأَغْصَانِ ، وَإِبْطَالَ هَذَا الْحُزْنِ الْمَسْمُومِ ظَلَمًا بِالْفَرَحِ، وَإِعْمَالَ السَّيْفِ فِي عُنُقِ مَنْ آرْتَضَاهُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُسْلِمِينَ فَانْتَهَكَ سِرَّهُ وَأَفْتَضَحَ .

وَلِيَقْمَعَ أَهْلَ الشَّرْكِ وَالضَّلَالِ ، بِمَا يَلْزِمُ الصَّغَارَ عَلَيْهِمْ وَالْإِذْلَالَ ، إِلَى أَنْ لَا يُرْفَعَ لَهُمْ رَاسٌ ، وَلَا يُسَيِّدُوا كَيْدًا إِلَّا عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ ، وَلِيَسْتَجْلِبَ الْجَنْبُ الْكَرِيمُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ الشَّرِيفَةَ وَلِنَا الدَّعَاءَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْفُقَرَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْمَسَاكِينَ ، وَلِيُطَبِّبَ قُلُوبَهُمْ بِاسْتِمْرَارِ مَا أَرْزَلْنَاهُ ، وَمَحْوُنَا آثَارَهُ وَأَبْطَلْنَاهُ ، وَقَصْدُنَا بِإِبْطَالِهِ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ ، مَسَاحَةً مِنَ الْحَكْمِ الْعَدْلِ يَوْمَ الْعَرَضِ ؛ وَمَنْ أَعَادَ مَا أَبْطَلْنَاهُ أَوْ أَعَانَ عَلَى إِعَادَتِهِ ، أَوْ أَمَرَ بِتَشْيِيدِهِ وَبِنَاءِ حِجَارَتِهِ ، أَوْ رَتَّبَ مَرْتَبًا عَلَى خِذْرِ بَغْيٍ وَمَوَّهَ وَدَّسَ بِالْأَفْرَاحِ ، أَوْ أَطْلَقَ أَنْ يُبَاعَ مُشْرَكًا أَوْ سَوَّلَ لَهُ شَيْطَانُهُ أَنَّهُ مِنَ الْأَرْبَاحِ ، فَإِنَّ اللهُ تَعَالَى يُحَاكِمُهُ وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ؛ وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

الباب الثاني

فيما يكتب في المسامحات والإطلاقات، وفيه فصلان

الفصل الأول

فيما يكتب في المسامحات

والمسامحات جمع مسامحة، وهي [الجُودُ والموافقةُ على ما أُريد منه] . والمزاد
المسامحةُ بما جرت به عادةُ الدواوين السلطانية : من المقررات واللوازم السلطانية،
وهي على ضربين :

الضرب الأول

(ما يُكتب من الأبواب السلطانية)

وقد جرت العادة أن السلطان إذا سمح بترك شيء من ذلك كتب به مرسومٌ
شريف وشملته العلامة الشريفة، وهو على مرتبتين :

المرتبة الأولى - المسامحات العظام .

وقد جرت العادة أن تُكتب في قطع الثلث مفتوحةً بـ «الحمد لله» .

وصورتها أن يُكتب في أعلى الدرَج بوسَطِهِ الأسمُ الشريف كما في مراسيم
الولايات، ثم يكتب من أول عرض الورق إلى آخره «مرسومٌ شريفٌ أن يُسمح
بالجهة الفلانية وإبطال المكوس بها، أو أن يسامح بالباقي بالجهة الفلانية، أو أن
يسامح أهل الناحية الفلانية بكذا وكذا، ابتغاءً لوجه الله تعالى، ورجاءً لنواله الجسيم

(١) بياض في الأصل والتصحيح من المصباح .

على ما شرح فيه» ثم يترك وصلانٍ بياضاً غير وصل الطُرة، ويكتب في أول الوصل الثالث البسمة، ثم الخطبة بالحمد لله إلى آخرها، ثم يقال: وبعد، ويؤتى بمقدمة المسامحة: من شكر النعمة، والتوفيق بحققها ومقابلتها بالإحسان إلى الخلق، وعمل مصالح الرعية وعمارَةِ البلاد، وما ينخرط في هذا السلك، ثم يقال: ولذلك لما كان كذا وكذا اقتضت آراؤنا الشريفة أن يُسأَحَ بكذا، ثم يُقال: فرُسم بالأمر الشريف أن يكون الأمر على كذا وكذا، ثم يقال: فلتستقر هذه المسامحة ويؤتى فيها بما يناسب، ثم يقال: وسبيل كل واقف على هذا المرسوم الشريف العمل بمضمونه أو بمقتضاه، ويُحتم بالدعاء بما يناسب.



وهذه نسخة مرسوم بمسامحة بواقٍ دمشقي وأعمالها، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله تعالى، وهي:

الحمد لله الرؤوف بخلقهِ، المتجاوز لعباده عما قصرُوا فيه من حَقِّهِ، المُسامح لبريِّته بما أهملوه من شكر ما بسط لهم من رِزْقِهِ، جاعلِ دولتنا القاهرة مطمع كرم، تُجتلى أنوار البرِّ في البرايا من أفضهِ، ومنشأ ديم، تُجتلب أنوار الرِّفق بالرايا من برِّهِ، ومضمار جود يحتوى على المعروف من جميع جهاته ويشتمل على الإحسان من سائر طرقهِ، فلا يرتتهى إليه الآمال إلا ولكرنا إليه منية سبقة، ولا أجزيتوجه إليه وجه الأمانى إلا تلقته نعمنا بمتهلل وجه الإحسان طلقهِ، ولا معروف تُجذب منه أرجاء الرجاء إلا واستهلت عليه الأوزنا من صوب ربنا المألوف لآلى ودِّقهِ.

نحمده على نعمه التي عمّت الرعايا بتوالي الإحسان إليهم، وأنامتهم في مهاد الأمن بما وضعت عنهم مسامحتنا من إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، وأنالتم مالم

تَطْمَحْ آمَانَهُمْ إِلَيْهِ : من رَفَعَ الطَّلَبَ عن بواقِ أموالِ أَخْرَوْهَا وراءَ ظُهُورِهِمْ وَكَانَتْ كالأَعْمَالِ المَقْدَمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِمْ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تَبَعْتُ عَلِيَّ نَشْرَ رَحْمَتِهِ ، التي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ في عِبَادِهِ ، وَتَحُثُّ عَلِيَّ بِثِّقَةِ نِعْمَتِهِ ، التي تَعْمَرَتْ كُلَّ حَيٍّ عَلِيَّ اجْتِمَاعَهُ وَسَمَّعَتْ إِلَى كُلِّ حَيٍّ عَلِيَّ انْفِرَادِهِ ، وَتَحُضُّ عَلِيَّ مَا أَلْهَمْنَا مِنْ رَأْيَةٍ بَيْنَ تَابِلِهِ بِتَوْحِيدِهِ وَشِدَّةِ عَلِيٍّ مِنْ جَاهِرِهِ بِعِبَادِهِ .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أَسَكَّتْ أَلْسِنَةَ الشَّرِكِ وَأَخْرَسَهَا ، وَعَفَّى مَعَالِمَ العُدُونِ وَطَمَسَهَا ، وَأَثَلِ قَوَاعِدَ الدِّينِ عَلِيَّ أَرْكَانِ المَهْدِيِّ وَأَسَسَهَا ، وَأَوْضَحَ سُبُلِ الخَيْرَاتِ لِسَالِكِيهَا فَإِذَا سَعِدْتَ بِالمَلُوكِ رَعَايَاهَا فَإِنَّمَا أَسْعَدْتَ المَلُوكَ بِذَلِكَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ أَنْفُسَهَا . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ شَفَعُوا العَدْلَ بِالإِحْسَانِ ، وَجَمَعُوا بَيْنَ مُلْكِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بِإِحْيَاءِ السُّنَنِ الحِسانِ ، وَزَرَعُوا الجِهَادَ بِالإِيمَانِ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَأَتَمَّرَ بِالتَّوْحِيدِ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ ، صَلَاةً جَامِعَةً أَشْتَاتَ المُرَادِ ، سَامِعَةً نَدَاءَ أَرْبَابِهَا يَوْمَ الأَشْهَادِ ، قَامِعَةً أَرْبَابَ الشُّكِّ فِيهَا وَالإِلْحَادِ ؛ وَسَلَمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّا لِمَا آتَانَا اللهُ مِنْ مُلْكِ الإِسْلَامِ ، وَخَصَّصَنَا بِهِ مِنَ الحُكْمِ العَامِّ ، فِي أُمَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، وَأَيَّدَنَا بِهِ مِنَ النِّصْرِ عَلَيَّ أَعْدَاءِ دِينِهِ ، وَأَمَدَّنَا بِهِ مِنْ تَأْيِيدِ تَأْيِيدِهِ وَدَوَامِ تَمَكِّيْنِهِ ، وَجَعَلَ دَوْلَتَنَا مَرَكَزًا مَدَارَ مُلْكِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ عَلَيْهِ ، وَفَلَكًا مَالُ أُمُورِ الأُمَّةِ المَحْمُودِيَّةِ فِي سَائِرِ المَمَالِكِ عَلَيَّ اخْتِلافِهَا إِلَيْهِ ، وَرَزَقْنَا مِنَ النِّصْرِ عَلَيَّ أَعْدَاءَهُ مَا أَعَزَّ المُسْلِمِينَ وَأَدَاهُمُ ، وَأَذَلَّ المُشْرِكِينَ وَأَذَاهُمْ ، وَكَفَّفَ بِالرُّعْبِ أَطْمَاعَهُمْ ، وَأَعْمَى بِمَا شَاهَدُوهُ أَبْصَارَهُمْ وَأَصَمَّ بِمَا سَمِعُوهُ أَسْمَاعَهُمْ ،

وحَصَرَهُم بِالْمَهَابَةِ فِي بِلَادِهِمْ ، وَأَيَّاسَهُمْ بِالْخَافَةِ مِنْ نَفْسِهِمْ قَبْلَ طَارِفِهِمْ وَتِلَادِهِمْ - لَمْ
نَزَلْ نَرْغَبُ فِي حَسَنَاتِ تُحَلَّى بِهَا أَيَّامُنَا ، وَقُرْبَاتِ تَجْرِي بِهَا أَقْلَامُنَا ، وَمَكْرَمَاتِ تَكْمَلُ
بِهَا عَوَارِفُنَا وَإِنْعَامُنَا ، وَمَا تَرِيحُلِدُّ بِهَا فِي الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ذِكْرُنَا ، وَمَوَاهِبَ تُجْمَلُ
بِهَا بَيْنَ سِيرِ الْعَصُورِ الذَّاهِبَةِ سِيرَتُنَا الشَّرِيفَةَ وَعَضْرُنَا ، وَمَصَالِحَ يُصْرَفُ بِهَا إِلَى مَصَالِحِ
الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ نَظَرْنَا الْجَمِيلِ وَفِكْرُنَا ، نُهُوضًا بِطَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا أَلْقَى مَقَالِيدَهُ إِلَيْنَا ، وَأَدَاءً
لشُكْرِهِ فِيمَا أْتَمَّ بِهِ نِعْمَةَ الْعَمِيمَةِ عَلَيْنَا ، وَكَتْسَابًا لثَوَابِهِ فِيمَا تُقَدِّمُهُ مِنْ ذَخَائِرِ الطَّاعَاتِ
بَيْنَ يَدَيْنَا ، وَنَظَرًا فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ بِخِفَّةِ ظُهُورِ سَاكِنِيهَا ، وَإِطَابَةً لِقُلُوبِ الْعِبَادِ مِنْ
تَبَعَاتِ الْبَوَاقِي الَّتِي كَانَتْ تَمْنَعُهُمْ مِنْ عِمَارَةِ أَرْضِيهِمْ وَتُنْفِرُهُمْ مِنَ التَّوَطُّنِ فِيهَا ، وَرَغْبَةً
فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ، وَتَحْرِيًّا لِلْإِصَابَةِ وَجِهَ الْمَصْلَحَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ .

وَلِذَلِكَ لَمَّا آتَوْنَا بِنَا [أَنَّ] بَاقِيَ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ مِنَ الْبَوَاقِي الَّتِي يُتَبَعُ أَلْسِنَةُ
الْأَقْلَامِ ، إِحْصَاؤُهَا ، وَيُثْقَلُ كَوَاهِلُ الْأَفْهَامِ ، تَعْدَادُ وَجُوهِهَا وَاسْتِقْصَاؤُهَا ، مِمَّا
لَا يُسْمَحُ بِمِثْلِهِ فِي سَالِفِ الدُّهُورِ ، وَلَا يَسْتَحُو بِهِ إِلَّا مَنْ يَرِغِبُ مِثْلُنَا فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ
أَجُورٍ لَا تُخْرِجُهُ عَنْ مَصَالِحِ الْجُمْهُورِ - اقْتَضَتْ آرَائُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نُعْفِيَ مِنْهَا ذِمًّا
كَانَتْ فِي أَغْلَالِ إِسَارِهَا ، وَأَثْقَالِ انْكَسَارِهَا ، وَرَوْعَةِ اقْتِضَائِهَا ، وَلَوْعَةِ التَّرَدُّدِ بَيْنَ
إِنظَارِ الْمَطَالِبَةِ وَإِمضَائِهَا ؛ وَأَنْ نُعْتِقَ مِنْهَا نَفُوسًا كَانَتْ فِي سِيَاقِ مَسَاقِيهَا ، وَحِبَالِ
إِزْهَاقِهَا وَإِرْهَاقِهَا ، لِتَتَوَفَّرَ الْهَمَمُ عَلَى عِمَارَةِ الْبِلَادِ ، بِالْأَمْنِ عَلَى الطَّارِفِ وَالتَّلَادِ ،
وَتُجْمَعِ الْخَوَاطِرُ عَلَى حُسْنِ الْخَلْفِ ، بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاحَةِ عَمَّا عَلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ
سَلَفٌ ، بِذِمِّ بَرِيَّةٍ مِنْ تِلْكَ الْأَنْفُسِ ، عَرِيَّةٍ عَنْ عَثْرَاتِ تِلْكَ الْبَوَاقِي الَّتِي مَا كَانَ
يُقَالُ لَهَا تُقَالُ .

فُرِسِمَ بالأمر الشريف - زاده الله تعالى علّوا وتشريفنا، وأمضاه بما يعم الآمال
رفقا بالرعايا وتخفيفا، وأجراه من العدل والإحسان بما يعم البلاد، ويمجرب العباد،
فإن الأرض يُحييها العدلُ ويعمرها الاقتصادُ على الاقتصاد - أن يسامح
فليستقرّ حكم هذه المسامحة استقراراً يبيح رَسْمَهَا، ويحو من تلك البواقي المساقاة
رَسْمَهَا واسْمَهَا، ويضع عن كواهل الرعايا أعباءها، ويُسير بين البرايا أخبارها الحسنة
وأنباءها، ويُسقط من جرائد الحساب تفاصيلها وجملها، ويحقق بتعفيته آثارها رجاء
رعية بلادنا المحروسة وأملها .

فقد آبتغينا بالمسامحة بهذه الجمل الوافرة ثواب الله وما عند الله خير وأبقى ،
وأعتقنا بها ذمم من كانت عليه من ملكة المال الذي كان له باستيلاء الطلب
وأستقراره مستترقا، تقربا إلى الله تعالى لما فيه من إثارة التخفيف ، ووضع إضر
التكليف ، وتقوية حال العاجز فإن غالب الأموال إنما تُساق على الضعيف ،
وتوفير هم الرعايا على عمارة البلاد وذلك من أكد المصالح وأهمها ، وتفريغ خواطرهم
لأداء ما عليهم من الحقوق المستقبلية وذلك من أخص المنافع وأعمها ، فليقابلوا هذه
النعم بشكر الله على ما خصّ دولتنا به من هذه المحاسن ، ويوالوا حمده على ما تمتعهم
به من موادّ عدلها التي ماء إحسانها غير أسن ، ويتهللوا لأيامنا الزاهرة بالأدعية
التي تُخلد سلطانها، وتشيّد أركانها، وتعلي منار الدين باعتلائها ، وتؤيّد بها بالملائكة
المقربين على أعداء الله وأعدائها . وسبيل كل وافٍ على مسؤولنا هذا : من ولاة
الأمر أجمعين العمل بضمونه ، والانتهاؤ إلى مكنونه ، والمبادرة إلى إثبات هذه
الحسنة ، والمسارة إلى العمل بهذه المسامحة التي تستدعي مسازة القلوب وثناء
الألسنة ، وتعفية آثار تلك البواقي التي عفونا عن ذكرها ، ومحو ذكرك تلك الأموال
التي تعوضنا عن استيفائها بأجرها .



وهذه نسخة مرسوم شريف بالمساحمة بالبواقي في ذم الجنيد والرعايا بالشام ،
 كتبت به في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون في شهر سنة اثنتين وسبعائة بخط
 العلامة كمال الدين محمد الزمليكاني من إنشائه ، وقُرى على المنبر بالجامع الأموي^(١)
 بدمشق المحروسة ، وهي :

الحمد لله الذي وسع كل شيء رحمةً وعلمًا ، وسيع نداء كل حي رافةً وحلمًا ،
 وخص أيامنا الزاهرة بالإحسان فأنتجح فيها من عدلٍ وخاب من حمل ظلمنا ،
 وزان دولتنا بالعفو والتجاوز فهي تعتد المساحمة بالأموال الحسيمه غنا إذا اعتدتها
 الدولُ غرما .

نحمد على نعمه التي عمّرت رعايانا بإدامة الإحسان إليهم ، وعمّرت ممالكنا بما
 نتعاهد به أهلها من نشر جناح الرافة عليهم ، وخففت عن أهل بلادنا أنقال بواقي
 الأموال التي كانوا مطلوبين بها من خلفهم ومن بين يديهم ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له شهادة لم تزل تشفع لأهلها العدل بالإحسان ، وتجمع لأربابها
 بالرأفة والرفق أشدات النعم الحسان ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي جلا
 الغمة ، وهدى الأمة ، وسن الرافة على خلق الله والرحمة ، وحث على الإحسان إلى
 ذوى العسرة لما في ذلك من براءة كل مشغول الذمه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
 الذين أمروا بالتيسير ، وأقنعوا من الدنيا بالتيسير ، وأوضحوا طرق الإحسان لسالكها
 فسهل على المقتدى بهم في الحنو على الأمة الصعب ويُسّر العسير ، صلاة تدخر ليوم
 الحساب ، وتعد للوقت الذي إذا نُفخ في الصور فلا أنساب ، وسلم تسليما كثيرا .

(١) نسبة إلى زمليكان وقد ضبطها صاحب القاموس بالسر وضبطها ياقوت في معجمه بالفتح فاعل
 فيها روايتين .

وبعد ، فإن الله تعالى لما خص أيامنا الزاهرة بالفتوح التي أنامت الرعايا ، في مهاد أمنها ، وأنالت البرايا ، مواقع يمينها ومنها ، وكفت أكف الحوادث عن البلاد وأهلها ، ونشرت عليهم أجنحة البشائر في حزن الأرض وسهائها ، وأعدبت من الطمانينة مواردهم ، وعمت بالدعة والسكون قاطنهم وراحلهم ، وبدلتهم من بعد خوفهم أمنا ، ونولتهم باجابة داعي الدب عنهم منا منا ، رأينا أن نفسح لهم مجال الدعة والسكون ، وأن لا نتقع لهم بما كان من أسباب المسار حتى نتبعها بما يكون ، وأن نصفي بالإعفاء من شوائب الأكدار شربهم ، ونؤمن بالإعفاء عن طلب البواقي التي هي على ظهورهم كالأوزار شربهم ، وأن نشفع العدل فيهم كما أمر الله تعالى بالإحسان إليهم ، ونضع عنهم بوضع هذه الأثقال إضرهم والأغلال التي كانت عليهم ، وأن نوفر على عمارة البلاد هممهم ، ونبرئ من تبعات هذه الأموال اللازمة لهم ذممهم ، ونريح من ذلك أسرهم ، ونطلق من ربة الطلب المستمر إسارهم ، ونساحمهم بالأموال التي أهملوها وهي كالأعمال محسوبة عليهم ، ونعفيهم من الطلب بالبواقي التي نسوها كالأجال وهي مقدمة بين يديهم ، لتكون بشرهم بالنصر كامله ، ومسرهم بالأمن من كل سبيل شامله .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازل بره عميا ، وفضله لحسن النظر في مصالح رعاياه مديما - أن تساح مدينة دمشق المحروسية وسائر الأعمال الشامية بما عليها من البواقي المساقاة في الدواوين المعمورة إلى المدد المعينة في التذكرة الكريمة المتوجهة بالخط الشريف ، وجملة ذلك من الدراهم ألف ألف وسبعمئة ألف وستة وأربعون ^(١) ألفا ومائة ألف وخمسة وأربعون درهما ، ومن الغلال المتوعة تسعة آلاف وأربعمائة وأثنان وأربعون غرارة ، ومن الحبوب مائتان وثمان وعشرون غرارة ، ومن الغنم

(١) لعله « من الدنانير » وحينئذ يستقيم الكلام .

نحسائة رأس ، ومن الفولاذ ستمائة وثمانية أرطال ، ومن الزيت ألفان وثلثمائة
رطل ، ومن حب الرمان ألف وستمائة رطل .

فليتلقوا هذه النعمة بباع الشكر المديد ، ويستقبلوا هذه المنّة بحمد الله تعالى فإن
الحمد يستدعي المزيد ، ويرفقا في أيامنا الزاهرة ، في حُلل الأمن الضافية ، ويردوا
من نعمنا الباهرة ، مناهل السعد الضافية ؛ ويقبلوا على مصالحهم بقلوب أزال الأمن
قلقها ، وأذهبت هذه المسامحة المبرورة فرقها ؛ ونفوس أمّنت المؤاخدة من تلك
التبعات بحسابها ، ووثقت بالنجاة في تلك الأموال من شدّة طالب يأبى أن يفارق
إلا بها ؛ وابتوقروا على رفع الأدعية الصالحة لأيامنا الزاهرة ، ويتيمنوا بما شملهم من
الأمن والمنّ في دولتنا القاهره ؛ فقد تصدقنا بهذه البواق التي أبقّت لنا أجرها وهي
أكل ما يُقتنى ، وخففت أثمان رعايانا وذلك أجل ما به يُعنى . وسبيل كل واقف
على هذا المرسوم الشريف اعتماد حكمه ، والوقوف عند حدّه ورسمه ؛ ويعنى آثار
هذا الباقي المذكور بحجور رسمه واسمه ، بحيث لا يُترك لهذه البواق المذكورة في أموالنا
انتساب ، ولا يبق لها إلى يوم العرض عرض نُورده ولا حساب ؛ وانخط الشريف
شرفه الله تعالى أعلاه حجة بمقتضاه .



وهذه نسخة مسامحة بمكوس على جهات مستقبحة بالملكة الطرابلسية ، وإبطال
المنكرات ، كُتِب بها في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » أيضا في شهر سنة
سبع عشرة وسبعائة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الدين المحمدي في أيامنا الشريفة على أثبت عماد ، وأصطفانا
لإشادة أركانه وتنفيذ أحكامه بين العباد ؛ وسهل علينا من إظهار شعائره ما رام

مَنْ كَانَ قَبْلَنَا تَسْبِيلَهُ فَكَانَ عَلَيْهِ صَعْبَ الْأَقْيَادِ ، وَأَدَّخَرْنَا مِنْ أَجُورِ نَصْرِهِ أَجَلَ
مَا يُدْخِرُ لِيَوْمِ يَفْتَقَرُ فِيهِ لِصَالِحِ الْإِسْتِعْدَادِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِ بَلَّغَتْ مِنْ إِقَامَةِ مَنَارِ الْحَقِّ الْمُرَادِ ، وَأَحْمَدُ نَارَ الْبَاطِلِ بِمُطَافِرَتِنَا
وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَتْ شَدِيدَةَ الْأَقْيَادِ ، وَنَكَّسَتْ رُءُوسَ الْفَحْشَاءِ فَعَادَتْ عَلَى اسْتِحْيَاءِ
إِلَى مُسْتَسْنِئِهَا أَقْبَحَ مَعَادِ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ سَطَّرَ فِي صَحَائِفِنَا مِنْ غُرَرِ السَّيْرِ مَا تَبَقَى
بِهِجَّتُهُ لِيَوْمِ الْمَعَادِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَجِدُّهَا الْعَبْدُ
يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ، وَتَسْرَى أَنْوَارُ هَدْيِهَا فِي الْبَرَايَا فَلَا تَزَالُ آخِذَةً فِي الْإِزْدِيَادِ ،
وَنَشْهَدُ أَنْ مَجْدًا عَبَسَهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ بِالْإِنْدَارِ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ ، وَالْإِعْذَارِ إِلَى
مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحِجَّةُ بِشَهَادَةِ الْمَلَائِكِينَ فَأَوْضَحَ لَهُ سَبِيلَ الرَّشَادِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ رَدَّ أَهْلَ الرَّدَّةِ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ أَحْسَنَ تَرْدَادِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَمَّمَ
بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ سَائِرَ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ بَدَّلَ مَالَهُ
لِلْجَاهِدِينَ وَنَفْسَهُ لِلْجِهَادِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَافَعَ عَنِ الْحَقِّ فَلَا بَرِحَ فِي جِدَالٍ عَنْهُ وَفِي جِلَادِ ،
صَلَاةً تَهْدِي إِلَى السَّدَادِ ، وَتَقُومُ الْمُعْوَجَّ وَتُثَمِّفُ الْمِيَادِ ، وَسَلِّمًا تَسْلِيهَا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْدُ مَلَكًا أُمُورَ خَلْقِهِ ، وَبَسَطَ قُدْرَتَنَا فِي التَّصَرُّفِ فِي عِبَادِهِ
وَالْمَطَالِبَةِ بِحَقِّهِ ، وَفَوَّضَ إِلَيْنَا الْقِيَامَ بِنُصْرَةِ دِينِهِ ، وَفَهَّمَنَا أَنَّهُ تَعَالَى قَبْضَ قَبْلِ خَلْقِ
الْخَلَائِقِ قَبْضَتَيْنِ فَرَعَبْنَا أَنْ نَكُونَ مِنْ قَبْضَةِ يَمِينِهِ ، وَالْقِيَامَ إِلَيْنَا مِنْ مَقَالِيدِ الْمَمَالِكِ ،
وَأَقَامَ الْحِجَّةَ عَلَيْنَا بِتَمَكِينِ الْبَسْطَةِ وَعَدَمِ الْمَشَاقِقِ فِي ذَلِكَ ، وَمَهَّدَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مَا عَلَى
غَيْرِنَا تَوَعَّرَ ، وَأَعَدَّ لَنَا مِنَ النَّصْرِ مَا أَجْرَانَا فِيهِ عَلَى عَوَائِدِ لُطْفِهِ لِأَعْنَ مَرَحٍ فِي الْأَرْضِ
وَلَا عَنِ خَدِّ مُصْعَرٍ - أَلْهَمْنَا إِعْلَاءَ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ ، وَإِعْزَازَ الْحَلَالِ وَإِذْلَالَ الْحَرَامِ ،
وَأَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَأَنْ لَا تَخْتَارَ عَلَى دَارِ الْآخِرَةِ دَارَ الدُّنْيَا ، فَلَمْ تَنْزَلْ نُقِيمِ

للدِّينِ شِعَارًا ، وَنَعَفَى لِلشَّرْكِ آثَارًا ؛ وَنُعَلِنُ فِي النِّصِيحَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَهْرًا وَإِسْرَارًا ؛ وَنَتَّبِعُ أَثَرَ كَرَمِ نَفْتِيهِ ، وَمَطْوِلِ بَحْثِهِ نُوفِيَّهِ ؛ وَنَعْلَمُ حَقَّ قُرْبَةٍ نُسَيْدِهِ ، وَنَحْمَدُ وَلَا آسْتَظْهَرُ عَلَيْهِ الْبَاطِلُ نُؤْيِدِهِ ؛ وَذَا كُرْبَةٍ نَفْرَجُهَا ، وَغَرِيْبَةٍ فَخْشَاءَ آسْتَظَرْدَتْ مِنْ أَدْوَارِ الْحَقِّ نُخْرِجُهَا ؛ وَسَنَّةٍ سَيِّئَةٍ تَسْتَغِيْمُ النَّفُوسَ زَوَالِمًا فَجَعَلْهَا هَبَاءً مَنْثُورًا ، وَجَمَلَةً عَظِيْمَةً أُسِّسَتْ عَلَى غَيْرِ التَّقْوَى مَبَانِيهَا فَيَحْطِمْهَا كَرْمُنَا فَتُؤَدَى الْجِزَاءَ عَنْهَا مَوْفُورًا ؛ فَاسْتَقْصَيْنَا ذَلِكَ فِي مَمَالِكِ الشَّرِيْفَةِ مَمْلَكَةِ مَمْلَكَةٍ ، وَآسْتَظَرْدْنَا فِي إِبْطَالِ كُلِّ فَاحِشِيَةٍ مُوْبِقَةٍ مُهْلِكَةٍ ؛ فَفَعَّيْنَا مِنْ ذَلِكَ بِالْأَمْرِ الْمَصْرِيَةِ مَا شَاعَ خَبْرُهُ ، وَظَهَرَ بَيْنَ الْأُمَمِ أَثَرُهُ ؛ وَطُبِّقَتْ بِمَجَاسِنِهِ الْآفَاقُ ، وَهَجَّتْ بِهِ أَلْسِنَةُ الدُّعَاةِ وَالرَّفَاقِ : مِنْ مَكُوسِ أَبْطَلْنَاهَا ، وَجَهَاتِ سُوءِ عَطَّلْنَاهَا ، وَمِظَالِمِ رَدَدْنَاهَا إِلَى أَهْلِهَا ، وَزَجَرْنَاهَا عَنْ غِيْبِهَا وَجَهْلِهَا ، وَبَوَاقِ سَاحِنِهَا وَسَمَّحِنَا ، وَطَلِبَاتِ خَفَّفْنَا عَنْ الْعِبَادِ بِتَرْكِهَا وَأَرْحَنَاهَا ؛ وَمَعْرُوفِ أَقْنَاهَا دَعَائِمَهُ ، وَبِيُوتِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ أَثَرْنَا مِنْهَا كُلِّ نَائِمَةٍ بِثَمِّ بَثْنَاهَا ذَلِكَ فِي سَائِرِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَجَنَّتِنَا ثَمَرَاتِ النَّصْرِ مِنْ شَجَرَاتِ الْعَدْلِ الَّتِي هِيَ بِيَدِ يَقْظَتِنَا مَغْرُوسَةٍ .

وَمَا أَتَّصَلَ بِعِلْمِنَا الشَّرِيْفَةِ أَنَّ بِالْمَمْلَكَةِ الطَّرَابُلُسِيَّةِ آثَارَ سُوءٍ لَيْسَتْ فِي غَيْرِهَا ، وَمَوَاطِنَ فِسْقٍ لَا يَقْدِرُ غَيْرُنَا عَلَى دَفْعِ ضَرَرِهَا وَضَيْرِهَا ؛ وَمِظَانِ آثَامِ يَجِدُ الشَّيْطَانُ فِيهَا مَجَالًا فَيْسِجًا ، وَقُرَى لَا يُوجَدُ بِهَا مِنْ [كَان] إِسْلَامُهُ مَقْبُولًا وَلَا مِنْ [كَان] دِينُهُ صَحِيحًا ؛ وَخُورًا يُظَاهَرُ بِهَا ، وَيَتَّصَلُ سَبَبُ الْجَبَائِزِ بِسَبَبِهَا ؛ وَشُعَاعٌ بَيْنَ الْخَلَائِقِ مُجْهَرًا ، وَتَبَاعٌ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ فَلَا يُوجَدُ لِهَذَا الْمَنْكَرِ مُنْكَرًا ؛ وَيُجْتَمَعُ فِي ذَلِكَ عَمَقْرَاتٌ نُحْتِ لَا نُجِدِي نَفْعًا ، وَتَبَقٌ فِي يَدِ آخِذِهَا كَانَهَا حَيَّةً تُسْمَى .

ومما أنهى إلينا أن بها حانةً عبر عنها بالأفراح قد تطاير شررها، وتفاقم ضررها، وجوهر فيها بالمعاصي، وأذنت لولا حلم الله وإمهاله بزلزلة الصياصي، وغدت لأهل الأهوية مجمعا، ولذوى الفساد مربعا ومرتعا، يتظاهر فيها بما أمر بسنئه من القاذورات، ويؤتى بما يجب تجنبه من المحذورات، ويُسترسل في الأفراح بها بما يؤدى إلى غضب الجبار، وتهاقت النفوس فيها كالفراس على الأفتحام في النار.

ومنها - أن المسجون إذا سُجن بها أخذ بجميع ما عليه بين السجن وبين الطلب، وإذا أفرج عنه ولو في يومه أنقلب إلى أهله في الخسارة بشر منقلب، فهو لا يجد سرورا بفرجه، ولا يحمد عقي مخرجه.

ومنها - أن بالأطراف القاصية من هذه المملكة قرى سُكنها يُعرفون بالنصيرية لم يلج الإسلام لهم قلبا، ولا خالط لهم لبا، ولا أظهروا له بينهم شعارا، ولا أقاموا له منارا، بل يُخالقون أحكامه، ويجهلون حلاله وحرامه، ويخاطون ذبايحهم بذبايح المسلمين، ومقابرهم بمقابر أهل الدين، وكل ذلك مما يجب ردعهم عنه شرعا، ورجوعهم فيه إلى سواء السبيل أصلا وقرعا، فعند ذلك رغبتنا أن نفعل في هذه الأمور مايقى ذكره مفعرة على ممر الأيام، وتُدوم بهجته بدوام دولة الإسلام، ونمحو منه في أيامنا الشريفة ما كان على غيرها به عارا، ونسترجع للحق من الباطل ثوبا طالما كان لديه معارا، وثبتت في سيرة دولتنا الشريفة عوارف لا تزال مع الزمن تُذكر، وتتلو على الأسماع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾.

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال بالمعروف آمرا، وعن المنكر ناهيا وزاجرا، ولامثال أوامر الله تعالى مسارعا ومبادرا - أن يُبطل من المعاملات بالمملكة الطرابلسية ما يأتى ذكره:

<p>سجين الأقباص أُخْبِثَ بِأَمْرِ أَقْبَاصِ الدِّيَوَانِ المعمور التي كان فَلَاحُوهَا الكُورَةُ بِطَرَابِلِسَ يَعْمَلُونَ بِهَا ثُمَّ أَعْفَوْا عَنِ الْعَمَلِ وَقَدَّرَ عَلَيْهِ فِي السَّنَةِ لِلْ</p>	<p>السجون بِالْمَمْلُوكَةِ الطَّرَابِلِسِيَّةِ خَارِجًا عَنْ سِجْنِ طَرَابِلِسَ بِحُكْمِ أَنَّهُ أَبْطُلَ بِمَرْسُومِ شَرِيفٍ مُتَقَدِّمِ التَّارِيخِ وَتَقْدِيرِهَا عَالِمٌ</p>	<p>جهات الأفراح المحذورة بالفتوحات خارجا عما اعلمه يستقر من ضمان الفرح الخ . وتقديرها لِلْعَمَلِ</p>
<p>حق الديوان بصهيون بطرابلس وقصريون بطرابلس عمن كان معا في حصنها وتقدير منحصل ذلك لِلْعَمَلِ</p>	<p>عفاية الشام بِكُورِ طَرَابِلِسَ وَاقْفَةَ وَالسَّرُونَ وَمَا مَعَهُ بِحُكْمِ أَنْ الْمَذْكُورِينَ كَانُوا ثَبَتُوا عَلَى الْمَرَاكِزِ بِالْبَحْرِ فَلَمَّا شَكَتْ الْمَرَاكِزُ بِالْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ قَدَّرَ عَلَى ذَلِكَ فِي السَّنَةِ عَالِمٌ</p>	<p>أقباص للأمرء بحكم أن بعض الأمرء كان لهم جهات زرع أقباص وقدروا على بقية فلاحهم العمل بها والقيام بنظيره آخر العمل . وتقدير ذلك لِلْعَمَلِ</p>
<p>المستحدث إقطاعا من بعض الأمراء على الفلاحين مما لم تجربه عادة : من حشيش وملح وضيافة . وتقديره لِلْعَمَلِ</p>	<p>ضمان المشعل بطرابلس مما كان أولا بديوان الشام بالفتوحات ثم استقر بالديوان المعمور في شهور سنة ست عشرة وسبعائة وتقديره لِلْعَمَلِ</p>	<p>هبة الشاد بنواحي الكهف تُشَدُّ فِيمَا كَانَ يَسْتَأْدَى مِنْ كُلِّ مَدِيرٍ وَتَقْدِيرُ مَتَحْصَلِهِ لِلْعَمَلِ</p>

فليُظَلَّ هذا على مَمَرِ الأزمنة والُدهور، إبطالاً باقياً إلى يوم النُشور، لا يُطَلَب
ولا يُستَادي، ولا يبلغُ الشيطانُ في بقائه مُراداً .

ويُقرأ مرسومنا هذا على المنابر ويُشاع ، وتُستجَلَب لنا منهم الأدعية الصالحة
فإنها نعم المتاع .

وأما النُصيرية فليُعمروا في بلادهم بكل قرية مسجداً، ويُطلق له من أرض
القرية رُقعة أرض تقومُ به وبمن يكون فيه من القوام بمصالحه على حَسَب
الكفاية، بحيث يستغفرُ الحناب الفلاني نائبُ السلطنة بالملكة الطرابلسية والحصون
المحروسة ضاعف الله تعالى نعمته من جهته من يثق إليه لإفراد الأراضى وتحديدها
وتسليمها لأئمة المساجد المذكورة، وفصلها عن أراضى المُتَطعين وأهل البلاد
المذكورة ويعملُ بذلك أوراقا وتُحدَّد بالديوان المعمور حتى لا يبقى لأحد من
المُتَطعين فيها كلام، ويُنادى في المُتَطعين وأهل البلاد المذكورة بصورة ما رسمنا
به من ذلك .

وكذلك رسمنا أيضاً بمنع النُصيرية المذكورين من الخطاب وأن لا يُمكنوا بعد
وُرود هذا من الخطاب جملةً كافية ، وتؤخذ الشهادة على أكابهم ومشايخ قراهم
لئلا يعود أحد منهم إلى التظاهر بالخطاب ومن تظاهر به فويل أشدَّ مقابلة .

فلتعمدُ مراسمنا الشريفة ولا يُعدلُ عن شيء منها ، ولتُجرِ المملكة الطرابلسية
مجرى بقية الممالك المحروسة في عدم التظاهر بالمنكرات ، وتعفيه آثار الفواحش
واقامة شعائر الدين القويم : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَمَّا إِمَّهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بالمساحمة في جميع المراكز بما يُستأدى على الأغنام الدغالي الداخلة إلى حلب ، وأن يكون ما يُستخرج من تجار الغنم على الكبار منها خاصة ، من إنشاء المقتر الشهابي بن فضل الله ، مما كُتب به في شهر سنة سبع وثلاثين وسبعائة ، وهي :

الحمد لله ذي المواهب العظيمة ، والعطايا التي لا تُجود بها يد كريمة ، والمِن التي عوّضنا منها عن كل شيءٍ بخيرٍ منه قيمة ، والمساحمة التي أدرلنا بها عن كل مالٍ حَسَنٍ مَالٍ وبكُلِّ غَنَمٍ غَنِيمَةٍ .

نحمده على نِعَمِهِ التي عَدَتْ على كثرة الإنفاق مُقِيمِهِ ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أكرم من سَمَحَ وسامح في أمورٍ عظيمة . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً مُسْتَدِيمَةً ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فبئد ما كُنَّا اللهُ لم نزل نرغب إليه ، ونعامله بما نهبه له ونزج عليه ، ولم نُنبئ مملكةً من ممالكنا الشريفة حتى ساحتنا فيها بأموال ، وساميتنا فيها بنفع أرضها السُحْبُ الثَقَال ، وكانت جهة العِداد بالملكة الحليبة المحروسة مُثَقَلَة الأوزار بما عليها ، مَشْدُودَة النَّطَاق بما يغلُّ من الطلب يديها ، مما هو على التُرْكَان بها محسوب ، وإلى عديدهم عَدَدُه منسوب ، ونحن نُظَنُّه في جملة ما أسقطته مساحتنا الشريفة وهو منهم مطلوب ، وهو المعروف بالدغالي زائداً على الرؤوس الجبار ، ومعدودا عند الله من الجائر وهو في حساب الدواوين من الصغار ، فلما اتصل بنا أن هذه المظلمة ما أنجلي عنهم ظلمها ، ولا رُفِعَ من الحساب عنهم قلمها - أكبرنا موقع بقائها ، وعلمنا أنها مدة مكتوبة لم يكن بُدُّ من المصير إلى انقضائها ؛ واستجلبنا قلوب

طوائف التُّركان بها ، وأوثقنا أسبابهم في البلاد بسببها ، لأمرين كلاهما عظيم :
لرغبتنا فيما عند الله ولمّا لهم من حقّ ولاءٍ قديم ، كم صاروا مع الجيوش المنصورة
جُيوشاً ، وكم ساروا إلى بلاد مُلوك الأعداء فثَلُّوا لهم عُرُوشاً ، وكم كانوا على أعقاب
العساكر المؤيدة الإسلامية ردفاً ومقدمتهم في محاصرة جاليشا ، وكم قَتَلُوا بسهامهم
كافراً وقدموا لهم رِمَاحهم نُعوشاً ، ومنهم أمراءُ وجُنود ، ونُزولٌ ووُفود ، وهم وإن
لم يَكُونُوا أهلَ خِباء فهم أهلُ عَمُود ، وذوو أنسابٍ عريقة ، وأحسابٍ حقيقه ،
إلى القَبْجاق الخُلص مرجعهم ، والفُرس بفرسان دولتنا الشريفة تجمَعهم - فاقضى
رأيتنا الشريف أن نرعى لهم هذه الحقوق بإبطال تلك الزيادة المرادة ، وأن نتناسى
منها ما هو في العدد كالنسيء في الكُفْر زيادته .

فرسم بالأمر الشريف - لازلّت مواهبسه تشمّل الآفاق ، وتزيد على الإنفاق ،
وتقدّم ما ينفد إلى ما هو عند الله باق - أن يُسَاحَ جميع التُّراكين الدّاخِلِ عِدَادهم
في ضِمَانِ عِدَادِ التُّركان بالملكة الحلبية المحروسة بما يُستأدى منهم على الأغنام الدغالي ،
وأن يكون ما يُستخرج منهم من العدد على الجِكار خاصّة : وهو عن كل مائة رأس
جِكار ثلاثة أُرُوس جِكار خاصّة لا غير من غير زيادةٍ على ذلك ، مساحةً مستتمّره ، دائمةً
مستقره ، باقيةً بقاء الليالي والأيام ، لا تُبدّل لها أحكام ، ولا تتغيّر بتغيّر حاكم من
الحُكّام ، نرجو أن تُسرّبها في صحائف أعمالنا يوم العَرْض ، لا يتأول فيها حساب ،
ولا تمتد إليها [يد] حُساب ، ولا يبقى عليها سبيلٌ للدواوين والكتّاب ، ولا تُسبّب
أغنامهم ليرعاها منهم أولئك الدّئاب ، كلّمّا مرّ على هذه المساحة زماناً أكد أسبابها ،
وبيّض في صحائف الدفاتر حسابها ، لا تُعارض ولا تُناقض ولا يتأول فيها متأول
في هذا الزمان ولا فيما بعده من الزمان ، ولا يدخل حُكْمها في النسيان ، ولا يُنقص
أجرها المضمون ، ولا تُطلب أصحاب هذه الدغالي عليها بعداد في قرن من القرون ،

ولا يُستحقر بما يُستأدى منها جليلاً ولا حقيراً ، ولا يُسمح لنفسه من قال إنها صغيرة
وهي عند الله كبيرة : لتطيب لأهلها ومن تسمع بما شملهم من إحساننا الشريف
النفوس ، ولا تُصدع لهم بسبب هذا الطلب رؤوس ، فمن تعرّض في زماننا أمدنا
الله بالبقاء أو كُشف في هذه الصدقة الجارية وجه تأويل ، أو سكن فيها إلى مداومة
بقليل ، أو طلب من ظالم بعينه مداواة قوله العليل ، فسيجد ما يضح به مثله ،
ويتوب به مثله ويكون لمن بعده عبرة بمن قدّم قبله ، ونحن نبرأ إلى الله ممن تعرّض
بعدنا إلى نقضها ، وهذه المسامحة عليه حجتها التي لا يقدر عند الله على دحضها .

ولتقرأ على المنابر وتعلّ كلمتها ، وتمدّ في أقطار الأرض كما أمدت السحاب ترحتها ،
وسيل كل واقف عليها من أرباب الأحكام : أصحاب السيوف والأقلام ، ومن
يتناوب منهم على الدوام ، العمل بما رسمنا به واعتماداً بحكم بموجبه ، بعد الخط
الشريف شرفه الله تعالى أعلاه . إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثانية — من المسامحات أن تُكتب في قطع العادة مفتوحة برسم
بالأمر الشريف .

وغالب ما يكتب ذلك للتجار الخواجكية بالمسامحة بما يلزمهم من المكوس
والمقررات السلطانية عن نظير من ما يتتاع منهم من الممالك .

والعادة أن يكتب في طرفها « توقيع شريف بمسامحة فلان بما يجب عليه من
الحقوق الديوانية بالديار المصرية والبلاد الشامية » بحسب ما يرسم له .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهي :

رسم بالأمر الشريف — لا زال يتبع السماح بمثله ، ويشمل الرعايا كل وقت
في ممالكه الشريفة بعدله ، ويواصل إليهم رفقته ورفده فلا يرحون في مهاده من

نعمه وإسعاده من فضله - أن يُسأَحَ المجلس السامى (إلى آخر ألقابه) أدام الله تعالى رفعتَه بما يَجِبُ عليه من الحقوق الديوانية بالديار المصرية والبلاد الشامية، وسائر الممالك الإسلامية، فيما يبيعه ويتبعه ويتعوضه من سائر الأصناف خلا المنوعات: صادراً لاغيراً أو صادراً ووارداً، بنظير الممالك الذين ابتاعهم برسم الأبواب الشريفة بكذا وكذا ألف درهم .

فليعتد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ويعمل بحسبه ومقتضاه ، من غير عدول عنه ولا خروج عن حكمه ومعناه ، والخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه حجة بمقتضاه . إن شاء الله تعالى .

*
*
*

وهذه نسخة دعاء آخر يفتتح به توقيع مساحجة ، وهو: لازلت نعمه عميمه ، وسجاياه كريمه ، ومواهبه فى الآفاق سائرة وفى الأقطار مقيمه ، أن يسأَحَ فلان بكذا وكذا .
آخر : لازلت صدقاته الشريفة تحقق وسائل طالبها ، وأوامره المطاعة نافذة فى مشارق الأرض ومغاربها ، أن يسأَحَ فلان بكذا وكذا .

قلت : والعادة فى مستند ذلك أنه تُحَضَّرُ به قائمة من ديوان الخصاص الشريف فيكتب عليها كتب السربالتعيين ، ويخلدها كتب الإنشاء عنده شاهدا له بذلك كما فى غيره من سائر المستندات .

الضرب الثانى

(ما يكتب عن نواب السلطنة بالممالك الشامية)

وغالب ما يكون فى مساححات التجار بمقرر ما يتبعونه أو يشترونه ، أو بقدر معين يحصل الوقوف عنده ، ويعبر عما يكتب فيه بالتواقيع كما فى الولايات عندهم ، وأكثر ما يفتتح برسم بالأمر .

وهذه نسخة مرسوم شريف بمساحة كتب بها عن نائب الشام في الدولة الناصرية «فرج» لخوaja محمد بن المزلق، وهي :

رسم بالأمر العالى - لا زال قصد ذوى الحقوق عنده نا حجا، وإحسانه للقرب إليه مساحا - أن يسامح الجناح العالى، الصدىرى، الكبيرى، المحترمى، المؤمنى، الأوحدى، الأكلى، الرئيسى، العارى، المقربى، الخواجكى، الشمسى، محمد الإسلام والمسلمين، شرف الأكارف فى العالمين، أوحد الأمناء المقربين، صدر الرؤساء، رأس الصدور، عين الأعيان، كبير الخواجكيه، سفير الدوله، مؤتمن الملوك والسلاطين: محمد بن المزلق، عين الخواجكية بالملكة الشريفة الشامية المحروسة - أدام الله تعالى نعمته - بما يجب عليه من الحقوق الديوانية بالطرقات المصرية، وجميع البلاد الشامية المحروسة والركاه بدمشق، وحلب، وطرابلس، وحماة، وصفد، وغزة، وحمص، وبعبك المحروسات، والبروك، والمقطعين، وقطيا، مما يبيعه ويتاعه ويتعوضه من جميع الأصناف خلا المنوعات صادرا وواردا، ويؤمن عليه بقيمة ما يشتريه بما مبلغه من الدراهم النقرة الجيدة مائتا ألف درهم، ولا يطالب عن ذلك بحق من الحقوق ولا بمقرر من المقررات، مساحة باقية مستمته، دائمة أبدا مستقره، لا ينتقض حكمها، ولا يغير رسمها، لخدمته الدول على اختلافها، ولبلانته فى التقرب بما يرضى الخواطر الكريمة وينفع الناس بما يحضره من أنواع المتاجر وأصنافها، ولاستحقاقه لهذا الإنعام، ولاختصاصه به دون الخاص والعام .

فيلتق ذلك بالحمد والابتهال، والله تعالى يبلغه من مزيد إنعامنا الآمال، والاعتاد فى معناه، على الخط الكريم أعلاه . إن شاء الله تعالى .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة السادسة

(فيما يكتب من الإطلاقات : إما تقريراً لما قرره غيره من الملوك السابقة ،
وإما ابتداءً لتقرير ما لم يكن مقرراً قبلاً ، وإما زيادةً على ما هو مقرراً ،
وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فيما يكتب عن الأبواب السلطانية ، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع الثلث مفتتحاً بالحمد لله ، وهو أعلاها)

وهذه نسخة توقيع شريفٍ باستقرار ما أطلقه السلطان صلاح الدين يوسفُ
ابنُ أيوب بالديار المصرية للعمريين أعصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله
عنه ، كتبت به في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ، من إنشاء المقر الشهابي بن
فضل الله ، وهي :

الحمد لله الذى أبدأ الجميل وأعاده ، وأجرى تكرمنا على أجمل عاده ، وقفى بنا آثار
الذين أحسنوا الحسنى وزيادة .

نحمده على أن جعل جودنا المقدم وإن تأخر أياما ، والمطيب لذكر من تقدم حتى
كأنما حاله مثل المسك ختاماً ، والصيب الذى تقدمه من بوادر الغيث قطر ثم أستهل
هو عمّاماً ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرفع أعلامها ونمنع
أن تطمس الليالى لمن جاهد عليها من ملوك الزمان أعلاماً ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً

عبدُه ورسوله الذي هَدَىٰ به إلى أوضح المسالك ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فتحوا من الأرض ما وعد أنه سيبلغُ ملكُ أمته إلى ما زوى من ذلك ، وسلم .
وبعدُ ، فإن أفضل النعم ما قرِن بالإدامه ، وأعظم الأجور [أجر] من سنِّ سنةٍ [حسنة] فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، وأحسن الحسنات ما رغبت السلف الصالح في خلفهم ، وأمرت بأيديهم ما حازوه من ميراث سلفهم ، وكان المولى الشهيد الملك الناصر صلاح الدين ، منقذُ بيت المقدس من المشركين ، أبو المظفر يوسف بن أيوب - قدس الله روحه - هو الذي كان على قواعد العمرين بنينا ، والفتاح لكثير من فتوحات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتوحا ثانيا ، ولما اعلى الله بمصر دولته المنيه ، ومحابه من البدع الإسماعيلية عظام كثيره ، حبس ناحية « شباس الملح » وما معها جميع ذلك بحدوده وقرنيه وبعيده ، وعامره وغامره ، وأوله وآخره ، على المقيمين بالحرمين الشريفين من الذرية العمرية ، كما قاله في توقيعه الشريف المكتتب بالخط الفاضل عمر الأنام ، وأقتنى بهداه بعده من إخواننا الصالحين مالوك الاسلام ، بخدنا لهم هذا التوقيع الشريف تبركا بالمشاركة واستدراك ما فاتنا مع سلفهم الكريم بالإحسان إلى أعقابهم . ومرسومنا أن يحملوا على حكم التوقيع الشريف الصلاحي وما بعده من تواقع الملوك الكرام ، ولا يغير عليهم فيه مغير من عوائد الإكرام ، ولا يقبل فيهم قول معترض ولا تتعرض إليهم يد متعرض ، ولا يفسح فيهم لمستعص إن لم يكن رافضا فإنه برفض حقهم مترفض ، وليعامل الله فيهم بما يزيد جدتهم رضى الله عنه رضا ، ويحبس تحبسا ثانيا لولانا لقيال لمن يطالب بها كيف تطالب بشيء مضى مع من مضى ، ونحن نبرأ إلى الله ممن سعى في نقضها بسبب من الأسباب ، أو مد فيها إلى فتح باب ، أو تأول في حكم هذا الكتاب عليهم وقد وافق حكم جدتهم حكم الكتاب ، وأن لا يقسم شيء من ريع

هذه الناحية على غير المقيمين منهم بالحرمين الشريفين . ومن خاف على نفسه في المقام فيهما من كان في أحدهما ثم فارقه على عزم العود إلى مكانه ، وأقام وله حيناً إلى أوطانه ، ولم يُلْهِهِ استبدال أرض بأرض وجيران بـجيران عن أرضه وجيرانه ، إتباعاً لشرطها الأول بمثله ، وآتباعاً فيها (؟) فاز مع السابقين الأولين بمزيد فضله .

وليكن النظر فيه لأمثل هذا البيت من المستحقين لهذا الحبس كإبراهيم بن كابر ، ناظرًا بعد ناظر ، آتباعاً للراد الكريم الصلّاحي في مرسومه المقدم ، وتفسيراً لمن لا يفهم ، من غير مشاركة معهم لأحد من الحكام ، لأرباب السيوف ولا أرباب الأقلام : لنكون نحن ومحسبنا - أثابه الله على هذه الحسنة - متناصرين ، ولتجد البقية التي قد ناصرها ناصر الأول منها بناصرين ، وليحذر من تبتّع عليهم تأويلاً ، ومن وجد في قلبه مرضاً فأعداهم به تعليلاً ، فإكتنباها لتأويل حصل عليهم ، ولا لتعليل المراسيم الملوكية التي هي في أيديهم ، وإنما هو بمثابة إسجال أتصل من حاكم إلى حاكم ، وسيف جددنا تقليده ليضرب به على يد الظالم ، وجود أهلنا من يحيى أنه على مدى الليالي والأيام ضرب لازم ، وفضل إن تقدمنا إليه من الملوك الكرام حاتم ، فإن كرمنا عليه حاتم ، فقد نبهوا رحمهم الله مكافأة على إحسانهم إلى الذرية العمرية عمراً ، ثم ماتوا وأحالوا على جودنا الحمدي فإنهم ببركات من سمينا باسمه صلى الله عليه وسلم لأنواع الحسنات أسراً . فكان توقيعنا هذا لهم بمنزلة الخاتمة الصالحة ، والرحمة التي أربت أوائلها على الغيوث السالفة ، فلقد تداركنا رفق بهم المعلل ، ولحقنا سابق معروفهم فلم نتمهل ، وأعدنا ما بدأوا به من الجميل فتكلم ، وقرناً مراسيمنا المطاعة بعضها ببعض وربما زاد الآخر على الأول ، فأمددناها منه بما لو لم يكن مداده أعز من سواد القلب والبصر لما كان قرة عين لمن يتأمل : يرتفع عن هذه الناحية وعمرفيها كل كارث كارث ، ويُرْأى عنهم إلا ما يكون من مجدّدات

الخير خير حادث ، ويعلم المَلِكُ المتقدِّمان أماننا أن نُعزِّز بثالث . وجميع الثواب والولاية والمتصرفين ، والمسارعين إلى الخيرات ونعوذُ بالله من المتوقِّفين ، ومن يدخلُ في دائرة الأعمال ، وينضمُّ إلى راية العَمَلِ ، فإنا نُحذِّره أن يتعرَّضَ فيها إلى سُوءِ مآل ، أو يردَّ منها يده إلى جيبه بما ، أو يُسَوِّشَ على أهلها ما استقاموا على أحسن حال ؛ وإن يحمِّد الله من تقدِّمنا من الملوك واتَّبَعُوا فيه التوفيق في علاماتهم فإنا نحمِّده وهو أملنا ولنا في الغيب آمال ، والله تعالى يجعل هذه الحسنة خالصةً لوجهه الكريم ، معوضةً منه بالثواب العظيم ، واصلهً بالرحمة لرميم هذا البيت القديم ، إن شاء الله تعالى ، والاعتماد

المرتبة الثانية

(ما يُفتتح بـ«أما بعد حمد الله»)

وهو على نحو ما تقدَّم في الولايات : إما في قُطْعِ الثلث أو في العادة المنصوريِّ .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك ، وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل أيامنا مطمعا للسَّعادة ، وجعل لأوليائنا ، من إحساننا الحُسنى وزيادته ، وأضفى حُلَّ بهائنا ، على من لم يجتمع لغيره ما اجتمع له من أوصاف السِّياده ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي شَيدَّ اللهُ به مباني الدين الحنيفي ورفَعَ عماده ، ونصر جيوش الإسلام ومهد مهاده ، وعلى آله وصحبه الذين مامنهم إلا من جعل طاعته ونصرتَه عمدته وعتاده ، وأتخذ مظافرتَه ومؤازرتَه في كل أمر عتاده ، صلاةً مستمرةً على كَرِّ الحديدِ إلى يوم الشَّهاده - فإنَّ أولى من تلحَّظُه دولتنا الشريفة في أقبالها بمزيد إقبالها ، وتعلي قدره إلى غاية

تَقْصُرُ الْأَفْلاكُ عَنْ إدْرَاكِ مَنَارِهَا وَبَعْدَ مَنَائِلِهَا ، وَتُضَاعَفُ لَهُ أَسْبَابُ الْإِحْسَانِ مِنْ حُسْنِ نَظَرِهَا وَأَسْتَمَاتِهَا ، وَتُشَيِّدُ مَبَانِي عِزِّهِ فَلَا تَصِلُ يَدُ الزَّمَنِ إِلَى بَعْضِ تَصَرُّمِهَا ، وَتُسَبِّغُ مَلَابِسَ النِّعَمِ عَلَيْهِ فَيَخْتَالُ فِي أَضْفَاها وَمُعَلِّمِها ، وَتُجَدِّدُ مِنْ مَزَايَا جُودِها مَا يَحْسُنُ بِهِ الْجَزَاءَ عَمَّا أَسْلَفَهُ مِنْ خِدْمِها - مَنْ نَظَرَ فِي مَصَالِحِ أَحْوَالِها الْمَنْصُورَةِ فَأَحْسَنَ النِّظَرَ ، وَعَضَّدَ أَنْصَارِها بِأَرَاثِهِ الَّتِي تُشْرِقُ بِهَا وَجُوهُ الْأَيَّامِ إِشْرَاقَ الدَّرَارِيِّ وَالذَّرْرِ ، وَأَضْحَى لَهُ فِي الْعَلِيَاءِ الْمَحَلِّ الْأَثِيلِ ، وَالْمَنَاقِبِ الَّتِي هِيَ كَالنَّهَارِ لَا تَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ ، وَالسِّيَادَةِ الَّتِي تَكْسُو الزَّمَانَ حُلَّةَ الْبَهَاءِ فَيَجْرُ مِنْهَا عَلَى الْحَجَرَةِ ذِيلاً ضَافِياً ، وَالْمَأْتِراتِ الَّتِي لَوْلَا مَا أَحْيَيْتَهُ مِنْ مَعَالِمِ الرِّئَاسَةِ كَانَتْ طَلَّلاً عَافِياً ، مَعَ مَالِهِ مِنَ الْحَقُوقِ الَّتِي تَشْكُرُهَا الْأَيَّامُ وَالذُّوُلُ ، وَالخِدْمِ الَّتِي كَمْ بَلَغَ بِمَخَالصَتِهِ فِيها مِنْ قَصْدٍ وَأَمَلٍ ، وَالسَّجَايَا الَّتِي إِذَا خَلَعَتْ عَلَيْها حُلَّةً مِنَ الثَّنَاءِ وَجَدَتْها مِنْهُ فِي أَهْبَى الحُلَلِ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي تَحَلَّى مِنْ هَذَا الثَّنَاءِ بِدُرِّهِ الثَّمِينِ ، وَتَلَقَّى رَايَةَ هَذَا الْمَجْدِ كَمَا تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ ، وَتَنْضَدَتْ كَوَاكِبُ هَذَا الْمَدْحِ لِتَنْتَظِمَ سِلْكَ الْمَأْتِرَةِ ، وَأَتَسَقَّتْ فَرَائِدُ هَذَا الشُّكْرِ لِتُرْصِعَ عَقُوداً لِمَفَاخِرِهِ - وَجِبَ عَلَيْنَا أَنْ نُجَدِّدَ لَهُ فِي أَيَّامِنَا مَا تَنْضَاعَفُ بِهِ أَسْبَابُ النِّعَمِ لَدَيْهِ ، وَيَتَحَقَّقُ مِنْهُ إِقْبَالُنَا بِوَجْهِهَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ .

فَلذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - زَادَ اللهُ تَعَالَى فِي عِلَائِهِ ، وَأَضْفَى عَلَى أَوْلِيائِهِ حُلَّةَ آلَائِهِ ، وَأَبْقَى عَلَى الزَّمَنِ بِوُجُودِهِ رَوْتَقَ بَهَائِهِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ لِلشَّارِ إِلَيْهِ فِي الشَّهْرِ كَذَا وَكَذَا مُضَافاً إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ لَحْمٍ وَتَوَائِلِ وَعَلِيقِ عَلَى مَا يَشْهَدُ بِهِ الدِّيَوَانُ المَعْمُورَ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، فَلْيَتَلَقَّ إِحْسَانَنَا بِيَدِ اسْتِحْقَاقِهَا فِي الْفَضْلِ بَاعٍ شَدِيدٍ ، وَيَتَّقِ مِنَّا بِالْإِقْبَالِ الَّذِي لَا يَزَالُ عِنْدَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ وَهُوَ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ ، وَيَتَنَاوَلُ مَا قُرِّرَ بِاسْمِهِ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ أَسْتِقْبَالِ تَارِيخِهِ بَعْدَ الخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

المرتبة الثالثة

(مما يكتب به في الاطلاقات)

أن يُكْتَبَ في قطع العادة مفتتحاً بِرِسْمِ بالأمر الشريف ، والرسمُ فيه على نحو ما تقدّم في الولايات ، وهو أن يقال : « رسم بالأمر لا زال أن يستقرّ باسم فلان كذا وكذا : لأنه كذا وكذا » ونحو ذلك .

وهذه نسخة توقيع شريفٍ بمربّب على الفرج الجرجان الواردين لزيارة القدس أنشأته لشرف الدين قاسم ، وهي :

رِسْمِ بالأمر الشريف - لا زال عدله الشريف لمال الفيء بين ذوى الاستحقاق قاسمًا ، وفضله العميم لأولى الفضل في سلك الصلّات ناظرًا ، ومعروفه المعروف لمواقع البرّ يؤمّ علما وبيت غانما - أن يستقرّ لمجلس القاضي فلان الدين على الفرج الجرجان الواردين لزيارة قسامة بالقدس الشريف كذا وكذا : لما أشتمل عليه : من مبين العلم ومبين العمل وجميل السيرة ، واجتمع لديه : من طيب الذكر وجميل الأثر ووصفو السيرة ، وإقامته بالمسجد الأفضى الذى هو أحد المساجد الثلاثة التى تُسَدُّ الرحال إليها ، وإحدى القبلتين المعولّ في أول الإسلام عليهما ، ومجاورة الصخرة المعظّمة ، والآثار الشريفة والأماكن المكرّمة ، وقيامه بما يجب من الدعاء لدولتنا الفاهرة ، والأبتهال إلى الله تعالى بدوام أيامنا الزاهرة .

فليتناول هذا المعلوم مهناً ميسراً ، وليرجح من كرمنا الوافر فوق ذلك مظهرًا ، وليشهر سلاح دعائه بتلك الأماكن الشريفة على أعداء الله وأعداء الدين ، ويرمهم بسهام الليل التى لا تُحْطَى إن شاء الله تعالى الطغاة المتمردين ، فبذلك يستحقّ هذا السهم من الفيء حقًا ، ويُعدّ من المقاتلة الذابّين عن الإسلام صدقًا ، وليقيم على جادة

الاستقامة في الدين وليكن مما سوى ذلك برياً ، ويقابل هو ومثله إنعامنا بالشكر
يتلوا عليهم لسان كرمنا فكلوه هنيئاً مريئاً ، وانلحظ الشريف أعلاه



وهذه نسخة توقيع شريف أيضا أنشأته باسم بهاء الدين أبي بكر بن غانم كاتب
الدست الشريف بالشام المحروس باستمرار مرتبه على الفرنج الجرجان الواردين إلى
تغر الرملية المحروس ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لزال إحسان كرمه يزين بهاء حسنه المكارم ، وكرم
إحسانه تراكم سخائه الهاميه فتررى بالسيول وتهزأ بالغانم ، وفي نواله يقسم
في أوليائنا خلفاً بعد سلف فهم من فضله بين غانم وأبن غانم - أن يستقر مرتب
(١)
الجلس السامى

(١) لم يذكر الطرف الثاني وهو ما يكتب عن الثواب فنه .

الباب الثالث

من المقالة السادسة في الطرخانيات

والمرادُ بها أن يصيرَ الشخصُ مسموحاً له بالخدمِ السلطانية : يُقيم حيثُ شاء ،
ويرتجِل متى شاء : تارةً بمعلوم يتناولُه مجَّاناً ، وتارةً بغير معلوم ، وفيه فصلان :

الفصل الأول

في طرخانيات أربابِ السُّيوف

وأعلم أن الطرخانية تُكتب للأمرء تارةً وللأجنادِ أخرى ، وأكثرُ ما تُكتب
لمن كبرت سنُّه وضعُفت قُدْرتهُ وعجزَ عن الخدمةِ السلطانية .
وقد جرتِ العادةُ أن يسمَّى ما يكتب فيها مراسيم ، وهي على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى

(أن يُفتَحَ المرسومُ المكتتبُ في ذلك بالحمد لله)

والرسمُ فيه على نحوٍ من الولايات : وهو أن تُستوفى الخطبةُ إلى آخرها ، ثم يقال :
وبعد ، ثم يقال : ولما كان فلانٌ ونحو ذلك ، ثم يقال : أقتضى رأينا الشريف ،
ثم يقال : فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقرَّ فلانٌ طرخاناً يتصرَّف على اختياره
يسيرُ ويقيم في أيِّ مكان اختاره من بلاد المملكة ، وما يجري مجرى ذلك .

وهذه نسخة مرسوم شريف بطرخانيةٍ لأمير ، وهي :

الحمد لله اللطيف بعباده الرؤوف بحلقه ، المانِّ بفضله الغامرِ بجوده الجائد برزقه ،
المتفضل على العبد : في الصِّبا بصفحه وفي الكهولة بعفوه وفي الشيخوخة بعنقه .

نحمدُه على أن جَبَلْنَا على أَصْطِنَاعِ الصَّنَائِعِ ، وَخَصَّصْنَا بَرَفِ الْعَوَائِقِ وَقَطَعَ الْقَوَاطِعِ ،
وَأَلْهَمْنَا عَطْفَ النَّسِقِ وَإِنْ كَثُرَتْ مِمَّا سِوَاهِ التَّوَابِعِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ تُسَكِّنُ الرَّحْمَةَ فِي قَلْبِ قَائِلِهَا ، وَتَرْفَعُ سَطْوَةَ الْغَضَبِ عَنْ مُتَحَلِّهَا
فِي أَوَاحِرِ السَّطْوَةِ وَأَوَائِلِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مَجْدًا عِبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَفْضَلُ نَبِيِّ أَوْعَدَ
فَعَقًا ، وَأَكْرَمُ رَسُولٍ وَعَدَّ فَوْقِي . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَلَكَوْا
فِي الْمَعْرُوفِ سَنَنَهُ ، وَنَهَجُوا فِي الْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ نَهْجَهُ فَكَانَ لَهُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ ، صَلَاةٌ تُقِيلُ الْعَثْرَاتِ ، وَتُلَوِّدُ بِلِسَانِ قَبُولِهَا ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ﴾
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فإن أولى من رمقته المراحم الشريفة، بعين عنايتها، ولحظته العواطف
المنيفة، بلحظ رعايتها، ^(١) مالا يفارقه ولا يباين، وأن لا يحط من قدره العالى
بسبب ما أتفق إذ كل مقدر كائن، وأن يصرف اختياره فى الإقامة حيث شاء من
الممالك المحروسة والمدائن .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال من شيمه السباح ، ومن كرمه بلوغ النجا
والنجاح، ومن نعمه الصمغ عن الذنب المتاح ، حتى يحفظ على الأنفيس النفيسة
الأموال ويريح لها الأرواح، [ولا برج يولى] ^(٢) من قسمة المكرمات ما ينسى به الذنب
فكأنه كان برقاً أومض ولمح وراح - أن يكون المشار إليه طرخاناً يقيم حيث شاء
وأين أراد من البلاد الإسلامية المحروسة معاملاً بمزيد الإكرام والاحترام ، وأوفر
العناية والرعاية حسب ما اقتضته المراسيم الشريفة فى ذلك عند ماشيته الصدقات
العميمة والمراحم الشاملة بالعفو الشريف ، والحكم المنيف ، والإقبال والرضا ،

(١) بياض فى الأصل ولعله « من أهله إخلاصه فى الخدم لأن يقوم مقام الخ » .

(٢) زدنا هذه الجملة ليتسق الكلام .

والصَّفْحَ عَمَّا مَضَى، لِمَا رَأَيْنَاهُ مِنْ تَرْفِيهِ خَاطِرَهُ، وَقَرَّارِ قَلْبِهِ بِرَفْعِ التَّكْلِيفِ عَنْهُ
وَقُرَّةِ نَاضِرِهِ . وَلِمَا تَخَلَّقَتْ بِهِ أَخْلَاقُنَا، مِنْ التَّيْمَنِ الَّذِي أَلْبَسَهُ أَثْوَابَ الْأَمَانِ،
وَجُبِلَتْ عَلَيْهِ طِبَاعُنَا، مِنْ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالرَّاحُونَ بِرَحْمَتِهِمُ الرَّحْمَنُ، وَلِمَا مَهَّدَهُ لَهُ
عِنْدَنَا اعْتِرَافُهُ الَّذِي هُوَ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ أَقْوَى شَفَاعَةٍ، وَلِمَا تَحَقَّقْنَا مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ إِلَّا لَوْفُورِ الطَّاعَةِ الَّتِي أُوجِبَتْ لَهُ الْإِرْهَابُ إِذْ الْهَرَبَ مِنَ الْمَلُوكِ طَاعَهُ، وَكَيْفِ
لَا وَقَدْ تَيَقَّنَ سَخَطُنَا الشَّرِيفَ وَعَلِمَ، وَخَشِيَ مَهَابَتَنَا الشَّرِيفَةَ وَمَنْ خَافَ سَلِمَ .

فَلْيَتَلَدَّ عُقُودَ هَذِهِ الْمِنَنِ الَّتِي طَوَّقَتْ جِيدَهُ الْجُودِ، وَلِيَشْكُرْ مَوَاقِعَ هَذَا الْحِلْمِ الَّذِي
سَرَّ وَسَارَ كَالْمَثَلِ السَّائِرِ فِي الْوُجُودِ، وَلِيُقَابِلُ هَذَا الْإِقْبَالَ بِالْإِعْدَاءِ لِأَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ،
وَلِيَحْظَ بِمَوَاهِبِنَا الْعَمِيمَةِ وَصَدَقَاتِنَا الْبَاهِرَةِ، وَلِيَحِطَّ عِلْمًا بِأَنَّ إِحْسَانَنَا الْعَمِيمَ قَدْ
أَعَادَ إِلَيْهِ مَا أَلْفَهُ مِنَ الْإِسْعَادِ وَالْإِصْعَادِ، وَأَنَّ صَفْحَنَا الشَّرِيفَ قَدْ أَضْرَبَ عَمَّا
مَضَى وَالْمَاضِيَ لِأَيُّعَادِ، فَلْيَقُمْ حَيْثُ شَاءَ مِنَ الْبِلَادِ الْمَحْرُوسَةِ، مَتَقِيًّا ظِلَالَ مَوَاهِبِنَا
الَّتِي يَغْدُو وَسِرَائِرُهَا بِهَا مَا نُوَسِّسُهُ، وَارْدًا بِحَارِ عَطَايَانَا الزَّائِرَةِ، مَمْتَعًا بِمَلَابِسِ رِضَانَا
الْفَاحِرَةِ، طَيِّبَ الْقَلْبِ مِنْبَسَطِ الْأَمَلِ، مُنْشِرِحَ الصَّدْرِ بِمَا عَمَّهُ مِنَ الْإِنْعَامِ وَشَمَلِ،
مَرْعَى الْجَنَابِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، مَعْظَمَ الْقَدْرِ عَلَى تَوَالِي الْأَزْمَانِ، مَبْتَهَجًا بِعَمْدِ
مَا عَرَّضَ مِنْ ذَلِكَ التَّقْطِيبِ، مُسْتَبْشِرًا بِإِقْبَالِنَا الَّذِي يَلْدُّ بِهِ عَيْشُهُ وَيَطْبِيبُ، وَاللَّهُ
تَعَالَى يُدِيمُ لَهُ عَوَارِفَنَا الْمُطْلَقَةَ، وَغَمَائِمَ كَرَمِنَا الْمُغْدِقَةَ، وَمَوَاهِبِنَا الَّتِي انْتَشَرَتْ لَهُ
فِي كُلِّ قُطْرٍ فَهِيَ لِأَنْوَاعِ الْعَطَايَا مُسْتَعْرِقَةٌ، وَمِنْدَنَا الَّتِي تَسِيرُ مَعَهُ حَيْثُمَا سَارَ وَتُقِيمُ لَدَيْهِ
أَنْ أَقَامَ فَلَا تَزَالُ عِنْدَهُ مَخِيْمَةٌ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُنْفَرِقَةِ، وَالْإِعْتَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ
أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ .

المرتبة الثانية

(أن يفتح مرسوم الطرخانية بـ «أما بعد»)

والرسم فيه كما في الولايات أيضا يقال فيه [أما بعد] فإن كذا وكذا ، ثم يقال :
ولما كان كذا وكذا ، اقتضى رأينا الشريف ، ثم يقال : ولذلك رُسم بالأمر
الشريف ، ويكلى عليه .

وهذه نسخة مرسوم من ذلك ، وهى :

أما بعد حمد الله على نعمه التى أوزعتنا بالإحسان إلى عباده أداء شكرها ، وآلائه
التى ألهمتنا بالتخفيف عن برئته اقتران محامده بذكرها ، ومنته التى وفق بها دولتنا
الشريفة لأن يكون العدل والإحسان أولى ما أجرته بفكرها ، وأحق ما أمرته
بذكرها . والصلاة والسلام على رسوله الذى أوضح سبيل المعروف ، وشرع سنن
العدل المألوف ، ووصفه الله تعالى بالرافة والرحمة فيه يقتدى كل رحيم وبه ياتم كل
رؤوف ، وعلى آله وصحبه الذين رفعوا منار العدل لسالكيه ، وقربوا منال الفضل
لآخذه وبينوا الحيف والإستطاط لتاركه - فإن الله تعالى خص أيامنا الزاهرة
بتعاهد أهل خدمتنا بالعدل والإحسان ، وتفقد رعايانا بإزالة ما يكدر عليهم موارد
النعم الحسان ، فلا نزال ننعم النظر فى أمورهم ، ونفيض عام إحساننا على خاصهم
وجمهورهم ، ليناموا من عدلنا فى مهاد الدعة ، ويبت ضعيفهم من مراحنا الشريفة
فى أتم رافة وفقيرهم فى أوفر سعة .

ولما كان فلان ممن توفرت فى الخدمة الشريفة قسمة ، وكبر فى الطاعة سنه ووهن
عظمه ، وعجزت عن الركوب والنزول حركته ، وذهبت مواقف حربه ولم يبق إلا أن
تلتمس بركته - اقتضى حسن رأى الشريف أن يضاعف إليه الإحسان ، ويعامل
بوافر البر وجزيل الأمتنان .

فلذلك رُسِم بالأمر الشريف - لا زال يُوالى المِنَن ، ويُولى الأولياء من المعروف
كلَّ جميلٍ حسنٍ - أن يستقرَّ المذكورُ طَرْخَانًا لا يُطَلَب لخدمة في نهارٍ ولا ليل ،
ولا يُلْزَم بالقيام بتزك^(١) ولا خيل ، فليَمُضَ حَكْمُ هذه الطَرْخَانِيَةِ لا تَتَأَوَّلُ ألسنةُ الأَقلامِ
في نَصِّهِ ، ولا تتطَرَّقُ أوهاَمُ الأفهامِ إلى اعتراضِ ما ثبت من إعفائه بنقصه ولا نقصه ،
وسبيلُ كلِّ واقفٍ عليه أَعْتَادُ مضمونِهِ والوقوفُ عند حِكْمِهِ ، والآتِهَاءُ إلى حدِّهِ
وَأَتْبَاعُ رُسْمِهِ ، إن شاء الله تعالى .^(٢)

الفصل الثاني

من الباب الثالث من المقالة السادسة

(فيما يكتب في طَرْخَانِيَاتِ أرباب الأَقلامِ)

وهو قليل نادر قلَّ أن يُكْتَبَ ، وإذا كتب فغالبا ما يفتتح برسم ، ويسمى
ما يُكْتَبُ فيه تواقيع .

وهذه نسخة طَرْخَانِيَةِ كُتِبَ بها عن الملك الناصر محمد بن قلاوون للقاضي
قُطْبِ الدين بن المَكْرَمِ أحد كُتَّابِ الدَّرَجِ الشريف بالأبواب الشريفة ، عند إقامته
بالمحجاز الشريف ، بأن يستقرَّ طَرْخَانًا بنصف معلومه الذي كان له على كتابة الدَّرَجِ
الشريف وأن يقيم حيث شاء ، وهي :

رُسِم بالأمر الشريف - لا زال يأمرُ فِطَاطَ ، ويوصلُ فِيعِينَ على الأَنْقِطَاعِ ،
ويُرَى على اقتراح الأملِ جُودَهُ المَكْرَمِ فالأملُ يقترح ما أستطاع - أن يستقرَّ
للجلس السامى القضاءي فلان بن المَكْرَمِ نفع الله به من معلومه عن كتابة الدَّرَجِ

(١) التزك الطعن بالتزك وهو رخ صغير .

(٢) لم يذكر المرتبة الثالثة ولعلها ما يفتتح برسم بالأمر الشريف .

الشریف الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت النصف من كل شهر ، على الأذعية الصالحة لهذه الدولة القاهرة ، ويُقيم حيث شاء ، ثم يستقر ذلك لأولاده من بعده ، ثم الأولاد أولاده بالسوية إعانة له على بلوغ قصده ورغائبه ، وأستعانةً بحاضر الجود دون غائبه ، وإكراماً لجانبه ، وطالب وجه الله تعالى [يعان] على الفوز بكنوز مطالبه .

وما كنا لنسمح ببعده عن أبواننا الشريفه ، ولا نُحییَه لمفارقة ما بيده من وظيفه ، لأنه ما يدرك أحد من أبناء عصره مده ولا نصيفه ، ولديوان إنشائنا جمال بعقود كتابته النظيمة ومعاني ألفاظه اللطيفه ، وإتمنا لإقباله على الآجله ، وإعراضه عن العاجله ، وأستيعاب أوقاته بأداء الفريضة والنافله ، أسعفتنا سؤاله بالإجابة ، وأعتناه على الإنابة ، وأجزلنا سهمه من الإحسان فبلغ سهمه الإصابه ، ومن أحسن سبيلا من أخذ لنفسه قبل الحين ، ونفض يديه من الدنيا فرآح بالخير مملوء اليدين ، فنظر إلى معاده فأقبل على الله قري العين ، وها نحن قد كرمناه في وقت واحد بإنشاء ولدين .

فليشكر لصدقاتنا هذه النعم المتزايدة ، والصلوات العائده ، والإحسان إليه وإلى بنيه جملةً واحده ، وليسدع لدولتنا القاهرة حين يقوم لله قانتاً ، وحين يقول ناطقاً وحيث يفكر صامتا ، وعند فطره من صومه ، وفي أعقاب الصلوات في ليلته ويومه ، وليوصل إليه هذا المرتب ميسرا لا يكدر مورده بتأخير ، وليصرف إليه مهناً لا يُشأن طولُه بتقصير ، ولا يُحوج إلى عناء وطلب ، ولا يُلجأ في تناوله إلى كد وتعب ، بل يُرفه خاطرُه عما فاز به من حسن المنقلب ، والله تعالى يمده بعونه وفضله ، ويُنجب فرعه ببركة أصله ، والخط الشريف أعلاه حجة فيه ، إن شاء الله تعالى .

الباب الرابع

من المقالة السادسة

(فيما يُكْتَبُ في التوفيق بين السنين الشمسية [والقمرية] المعبر عنه في زماننا
تحويل السنين، وما يُكْتَبُ في التذاكر، وفيه فصلان)

الفصل الأول

[فيما يكتب في التوفيق بين السنين، وفيه طرفان

(١)
الطرف الأول]

(في بيان أصل ذلك)

اعلم أن استحقاق الخراج [و] جبايته منوطان بالزروع والتّمار من حيث إن الخراج
من متحصّل ذلك يُؤخَذ، والزروع والتّمار منوطة بالشهور والسنين الشمسية من
حيث إن كل نوع منها يظهر في وقتٍ من أوقاتها ملازمٍ له لا يتحوّل عنه ولا ينتقل
للزوم كل شهر منها وقتاً بعينه من صيف أو شتاء أو خريف أو ربيع؛ وأستخراجُ
الخراج في الملة الإسلامية منوطٌ بتاريخ الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة
والسلام، وشهوره وسنوه عربية. والشهور العربية تنتقل من وقتٍ إلى وقت،
فربما كان استحقاقُ الخراج في أول سنة من السنين العربية، ثم تراخى الحال فيه
إلى أن صار استحقاقه في أواخرها، ثم تراخى حتى صار في السنة الثانية فيصيرُ الخراج
منسوباً للسنة السابقة، وأستحقاقه في السنة اللاحقة، فيحتاج حينئذ إلى تحويل
السنة الخراجية السابقة إلى التي بعدها على ماسياتي ذكره.

(١) الزيادة مأخوذ مما سيأتى له من التقسيم.

قال في "موادّ البيان": والسبب في انفراج ما بين السنين الشمسية والهلالية أنّ أيام السنة الشمسية هي المدة التي تقطع الشمس الفلك فيها دفعة واحدة، وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوماً ورُبَّع يوم بالتقريب حسب ما تُوجبه حركتها، وأيام السنة الهلالية هي المدة التي يقطع القمر الفلك فيها اثنتي عشرة دفعة، وهي ثلثمائة وأربعة وخمسون يوماً وسُدُس يوم؛ فيكون التفاوت بينهما أحد عشر يوماً وسُدس يوم، فتكون زيادة السنين الشمسية على السنين الهلالية في كل ثلاث سنين شهراً واحداً وثلاثة أيام ونصف يوم تقريباً. وفي كل ثلاث وثلاثين سنة سنةً بالتقريب؛ فإذا تمدد الزمان تفاوت ما بين السنين تفاوتاً قبيحاً؛ فيرى السلطان عند ذلك أن تنقل السنة الشمسية إلى السنة الهلالية بالأسم دون الحقيقة توفيقاً بينهما، وإزالةً للشبهة في أمرهما؛ ومتى أوعز بذلك لم يقف على الغرض فيه إلا الخاصّة دون العامة؛ وأسرع إلى ظنّ المعاملين وأرباب الخراج والأملك أنّ ذلك عائدٌ عليهم بظلم وحيف، وإلى ظنّ مستحقّ الإقطاع أنه منقُص لهم، ونسبوا الجور إلى السلطان بسبب ذلك وشنعوا عليه، فرسم بلغاء الكتاب في هذا المعنى رسوا تعود بتفهيم الغي، وتبصير العمى؛ وتوصل المعنى المراد إلى الكافة إيصلاً يتساوون في تصديقه وتيقنه، ولا تتوجه عليهم شبهة ولا شك فيه.

قلت: وقد ذكر أبو هلال العسكري في الأوائل: أنّ أول من أضرّ البروز المتوكل على الله أحد خلفاء بني العباس، وذلك أنه بينما هو يطوف في متصيد له إذ رأى زرعاً أخضر، فقال: قد استأذني عبيد الله بن يحيى في فتح الخراج وأرى الزرع أخضر؛ فقيل له: إن جباية الخراج الآن قد تضرّ بالناس إذ تلجئهم إلى أهمهم يقترضون ما يؤدّون في الخراج، فقال: أهدأ شيء حدث أو لم يزل كذا؛ فقيل له: بل حدث، وعرف أنّ الشمس تقطع الفلك في ثلثمائة وخمسة وستين يوماً ورُبَّع يوم،

وَأَنَّ الرُّومَ تَكْبِسُ فِي كُلِّ أَرْبَعِ سِنِينَ يَوْمًا فَيَطْرَحُونَهُ مِنَ الْعَدَدِ ، فَيَجْعَلُونَ شَبَاطَ ثَلَاثِ سِنِينَ مَتَوَالِيَاتٍ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا . وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ يَنْجِرُّ مِنْ ذَلِكَ الرَّبِيعِ الْيَوْمِ يَوْمٌ تَامٌ ، فَيَصِيرُ شَبَاطُ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، وَيُسَمَّوْنَ تِلْكَ السَّنَةَ الْكَيْسَةَ . وَكَانَتْ الْفَرَسُ تَكْبِسُ لِلْفَضْلِ الَّذِي بَيْنَ سِنِيهَا وَبَيْنَ سَنَةِ الشَّمْسِ فِي كُلِّ مِائَةٍ وَسِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً شَهْرًا ؛ فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ عَطَّلَ ذَلِكَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَأَضْرَبَ النَّاسُ ذَلِكَ ؛ وَجَاءَ زَمَنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَاجْتَمَعَ الدَّهَاقِنَةُ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ وَشَرَحُوا لَهُ ذَلِكَ (وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَأَضْرَبَ النَّاسُ ذَلِكَ) ، وَقَدْ سَأَلُوهُ أَنْ يُؤَخَّرَ إِلَيْهِ [فَأَرْسَلَ] الْكُتُبَ إِلَى هِشَامٍ سَرًّا فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ هِشَامُ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ .

فَلَمَّا كَانَ أَيَّامَ الرَّشِيدِ اجْتَمَعُوا إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ ، وَسَأَلُوهُ فِي تَأْخِيرِ النَّيْرُوزِ نَحْوَ شَهْرِ فَعَزَمَ عَلَى ذَلِكَ ، فَتَكَلَّمَ أَعْدَاؤُهُ فِيهِ وَقَالُوا : تَعَصَّبَ لِلْمَجُوسِيَّةِ ، فَأَضْرَبَ عَنْهُ فَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ ؛ فَأَحْضَرَ الْمُتَوَكَّلُ حَيْثُئِذٍ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْعَبَّاسِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ عَنْهُ كِتَابًا فِي تَأْخِيرِ النَّيْرُوزِ بَعْدَ أَنْ تُحْسَبَ الْأَيَّامُ ، فَوْقَ الْإِتِّفَاقِ عَلَى أَنْ يُؤَخَّرَ إِلَى سَبْعَةِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا مِنْ حَزْرِيَّانَ ، فَكَتَبَ الْكِتَابَ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ الْعَسْكَرِيُّ : وَهُوَ كِتَابٌ مَشْهُورٌ فِي رِسَائِلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ ، ثُمَّ قُتِلَ الْمُتَوَكَّلُ قَبْلَ دُخُولِ السَّنَةِ الْجَدِيدَةِ ، وَوَلِيَ الْمُنْتَصِرُ وَأَحْتِجَّ إِلَى الْمَالِ فَطُوبِلَ بِهِ النَّاسُ عَلَى الرَّسْمِ الْأَوَّلِ ، وَانْتَقَضَ مَارِسَتَهُ الْمُتَوَكَّلُ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ حَتَّى وَلى الْمُعْتَضِدُ ، فَقَالَ الْعَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمُنْجَمُ : تَذَكَّرُ ضَجِيجَ النَّاسِ مِنْ أَمْرِ الْخِرَاجِ فَكَيْفَ جَعَلَتِ الْفُرْسُ مَعَ حِكْمَتِهَا وَحُسْنِ سِيرَتِهَا أَفْتِتَاحَ الْخِرَاجِ فِي وَقْتِ مَا لَا يَتِمَّكُنُّ النَّاسُ مِنْ أَدَائِهِ فِيهِ ؟ فَشَرَحَ لَهُ أَمْرَهُ ، وَقَالَ :

(١) لعل ما بين القوسين مكرر من قلم الناسخ .

(٢) بياض في الأصل بقدر كلمة .

ينبغي أن يُردَّ إلى وقته ، ويلزم يوماً من أيام الروم فلا يقع فيه تغير ، فقال له المعتضد سرُّ إلى عبيد الله بن سليمان فوافقه على ذلك ، فصرت إليه ووافقته ، وحسبنا حسابه فوقع في اليوم الحادى عشر من حزيران ، فأحكِم أمره على ذلك ، وأثبت في الدواوين ، وكان النيروز الفارسي إذ ذاك يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين وثمانين ومائتين . ومن شهور الروم الحادى عشر من نيسان .

وقد قال أبو الحسين على بن الحسين الكاتب رحمه الله : عهدت جباية الخراج في سنين قبل سنة إحدى وأربعين ومائتين في خلافة أمير المؤمنين المتوكل رحمة الله عليه تجزى لكل سنة في السنة التي بعدها بسبب تأخر الشهور الشمسية عن الشهور القمرية في كل سنة أحد عشر يوماً ورُبَّع يوم وزيادة الكسر عليه ، فلما دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، كان قد آنقضى من السنين التي قبلها ثلاث وثلاثون سنة ، وأوطن سنة ثمان ومائتين من خلافة أمير المؤمنين المأمون رحمة الله عليه ، واجتمع من هذا المتأخر فيها أيام سنة شمسية كاملة : وهي ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً ورُبَّع يوم وزيادة الكسر ، وتيمماً إدراك غلات وثمار سنة إحدى وأربعين ومائتين في صدر سنة اثنتين وأربعين [ومائتين] ، فأمر أمير المؤمنين المتوكل رحمة الله عليه بالغاء ذكر سنة إحدى وأربعين ومائتين ، إذ كانت قد آنقضت ونُسب الخراج إلى سنة اثنتين وأربعين ومائتين .

قال صاحب "المنهاج في صناعة الخراج" : ولما نُقلت سنة إحدى وأربعين ومائتين إلى سنة اثنتين وأربعين ، جَبَّ أصحاب الدواوين الجوالي والصدقات لستى إحدى واثنتين وأربعين ومائتين في وقت واحد ، لأن الجوالي بسر من رأى ومدينة السلام ومضافاتهما كانت تُجَبَّى على شهور الأهلة ، وما كان عن جماجم أهل القرى

(١) والضياع والمستغلات كانت تُجْبَى على شهور الشمس ، بألْزِم أهل الجوالى خاصَّةً في مدة الثلاثِ وثلاثين سنة ، ورفعها العَمَال في حُسباناتهم فاجتمع من ذلك ألوف ألوف دراهم ، فحرت الأعمالُ بعد نقل المتوكَّل على ذلك سنةً بعد سنةٍ ، إلى أن انقضت ثلاثٌ وثلاثون سنةً آخرتُنْ انقضاءً سنة أربع وسبعين ومائتين ؛ فلم يَنْبَهُ كُتَّابُ أمير المؤمنين : المعتمدِ على الله رحمة الله عليه على ذلك ، إذ كان رؤسائهم في ذلك الوقتِ إسماعيلَ بن بُلْبُل وبنِي القُرَات ، ولم يكونوا عَمِلُوا في ديوانِ الخِراج والضياع في خلافة أمير المؤمنين المتوكَّل رحمه الله ، ولا كانت أسنانتهم أسناناً بلغت معرفتهم معها هذا التَّغَلُّب ، بل كان مولدُ أحمد بن محمد بن القُرَات قبل هذه السنة بخمس سنين ، ومولدُ عليٍّ أخيه فيها ؛ وكان إسماعيل يتعلَّم في مجلسٍ لم يبلغْ أن يَنْسَخ ، فلما تقلدتُ لناصر الدين رحمة الله عليه أعمالَ الضياع بقروين ونواحيها لسنة ستِّ وسبعين ومائتين ، وكان مقيماً بأذربيجان ، وخليفته بالجبل والقرى جرادة بن محمد ، وأحمد بن محمد كاتبه ، واحتججتُ إلى رفع جماعتي إليه - ترجمتها بجماعة [سنة] ستِّ وسبعين ومائتين [التي أدركت غلاتها وثمارها في سنة سبع وسبعين ومائتين] ، ووجب إلغاء ذكر سنة ستِّ وسبعين ومائتين ؛ فلما وقفاً على هذه الترجمة أنكراها وسألاني عن السبب فيها فشرحتُ لهما ، ووَكَّدت ذلك بأن عرَّفتهما أني قد استخرجتُ حسابَ السنين الشمسية والسنين القمرية من القراءان [بعد] ما عرضته على أصحاب التفسير ، فذكروا أنه لم يَأْت فيه شيء من الأثر ، فكان ذلك أوكد

(١) عبارة المقرئ ج ١ ص ٢٧٦ « وفي ثلاث وثلاثين سنة اجتمعت أيام سنة شمسية كاملة فألزم أهل الذمة خاصة بالجوالى ورفعها الخ » وهي أوضح .

(٢) الزيادة من "المواعظ والاعتبار" للمقرئ ج ١ ص ٢٧٦ وقد اعتمدها في كثير من التصحيف في هذا الموضوع .

في لطف استخراجي : وهو أن الله تعالى قال في سورة الكهف : ﴿ وَلْيَتُوبُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴾ . فلم أجد أحداً من المفسرين عرف ما معنى ' وازدادوا تسعاً ، وإنما خاطب الله جل وعز نبيه بكلام العرب وما تعرفه من الحساب ؛ فعنى هذه التسع أن الثلاثمائة كانت شمسية بحساب العجم ومن كان لا يعرف السنين القمرية ، فإذا أضيف إلى الثلاثمائة القمرية زيادة التسع كانت سنين شمسية [صحيحة] فاستحسنه ؛ فلما انصرف جرادة مع الناصر رحمة الله عليه إلى مدينة السلام وتوفي الناصر رضوان الله عليه وتقلد أبو القاسم عبيد الله بن سليمان رحمه الله كتابة أمير المؤمنين : المعتضد بالله صلوات الله عليه ، أجرى له جرادة ذكر هذا النقل ، وشرح له سببه : تقرباً إليه ، وطعناً على أبي القاسم عبيد الله رحمه الله في تأخيره إياه .

فلما وقف المعتضد بالله رحمه الله على ذلك تقدم إلى أبي القاسم بإنشاء الكتب بنقل سنة ثمان وسبعين ومائتين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين ، فكتب ، وكان هذا النقل بعد أربع سنين من وجوبه ، ثم مضت السنون سنة بعد سنة إلى أن انقضت الآن ثلاث وثلاثون سنة أولاهن السنة التي كان النقل وجب فيها : وهي سنة خمس وسبعين ومائتين ، وآخرهن انقضاء سنة سبع وثلاثمائة ، فوافق ذلك خلافة المطيع لله في وزارة أبي محمد المهدي ، فأمر بنقل سنة ست وثلاثمائة إلى سنة سبع وثلاثمائة ، ونسبة الخراج إليها فتقلت ، وأمر بالكتابة بذلك من ديوان الإنشاء فكتب به .

وقد حكى أبو الحسين هلال بن المحسن بن أبي إسحق إبراهيم الصابي عن أبيه أنه قال : لما أراد الوزير أبو محمد المهدي نقل السنة أمر أبا إسحق والدي وغيره من كتابه في الخراج والرسائل بإنشاء كتاب عن المطيع لله رحمه الله عليه في هذا المعنى ، وكل منهم كتب ، وعرضت النسخ على الوزير أبي محمد فاختر منها كتاب والدي

(١) وتقدم بأن يُكْتَبَ إلى أصحاب الأطراف . وقال لأبي الفرج بن أبي هاشم خليفته :
اكتب إلى العمال بذلك كتباً مخففة ، وأنسخ في أواخر [ها] هذا الكتاب السلطاني
فحفظ أبا الفرج وقوع التفضيل والاختيار لكتاب الدي ، وقد كان عمل نسخة
أطرح في جملة ما أطرح ، وكتب : « قد رأينا نقل سنة خمسين [إلى إحدى
وخمسين] فاعمل على ذلك » ولم ينسخ الكتاب السلطاني ، وعرف الوزير أبو محمد
ما كتب به أبو الفرج ، فقال له : لماذا أغفلت نسخ الكتاب السلطاني في آخر الكتاب
إلى العمال وإبائته في الديوان ؟ فأجاب جواباً علل فيه ، فقال له يا أبا الفرج : ما تركت
ذلك إلا حسداً لأبي إسحق على كتابه ، وهو والله في هذا الفن أكتب أهل زمانه .

قال صاحب "المنهاج في صنعة الخراج" : وقد كان نقل السنين في الديار المصرية
[أغفل] حتى كانت سنة تسع وتسعين وأربعمائة الهلالية فنقلت سنة تسع وتسعين
الخراجية إلى سنة إحدى وخمسمائة فيما رأيته في تعليقات أبي . قال : وأخر ما نقلت
السنة في وقتنا هذا أن نقلت سنة خمس وستين وخمسمائة إلى سنة سبع وستين
وخمسمائة الهلالية ، فتطابقت السنتان . وذلك أني لما قلت للقاضي الفاضل عبد الرحيم
البيساني : إنه قد آن نقل السنة ، أنشأ سجلاً بنقلها نسخ في الدواوين ، وحمل
الأمر على حكمه ، ثم قال : وما برح الملوك والوزراء يعنون بنقل السنين في أحيائها ،
ومطابقة العاميين في أول زمان اختلافهما بالبعد وتقارب اتفاقهما بالنقل .

قلت : والحاصل أنه إذا مضى ثلاث وثلاثون سنة من آخر السنة ، حوت
السنة الثالثة والثلاثون إلى ثلثي السنة التي بعدها ، وهي الخامسة والثلاثون ، وتأتي

(١) في المقرئ « هشام » .

(٢) الزيادة من المقرئ ج ١ ص ٢٧٧ .

(٣) من المقرئ ص ٢٧٦ - ج ١ .

الرابعة والثلاثون ، ومقتضى البناء على التحويل الذى كان فى خلافة المطع فى سنة سبع وثلثمائة المقدم ذكره أن تحوّل سنة سبع وثلثمائة إلى سنة تسع وثلثمائة ؛ ثم تحوّل سنة أربعين وثلثمائة إلى اثنتين وأربعين وثلثمائة ، وتلغى سنة إحدى وأربعين ؛ ثم تحوّل سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة إلى سنة خمس وسبعين وثلثمائة ، وتلغى سنة أربع وسبعين ؛ ثم تحوّل سنة ست وأربعمائة إلى سنة ثمان وأربعمائة ، وتلغى سنة سبع ؛ ثم تحوّل سنة تسع وثلاثين وأربعمائة إلى سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، وتلغى سنة أربعين ؛ ثم تحوّل سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة إلى سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، وتلغى سنة ثلاث وسبعين ؛ ثم تحوّل سنة خمس وخمسمائة إلى سنة سبع وخمسمائة ، وتلغى سنة ست ؛ لكن قد تقدّم من كلام صاحب "المناهج فى صنعة الخراج" أن التحويل كان تأخر بالديار المصرية إلى آخر سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، فحوّلت سنة تسع وتسعين الخراجية إلى سنة إحدى وخمسمائة ؛ فيكون التحويل بالديار المصرية قد وقع قبل استحقاقه بمقتضى الترتيب المقدم ذكره بست سنين من حيث إنه كان المستحقّ مغلّ سنة خمس وخمسمائة إلى سنة سبع وخمسمائة كما تقدّم ، فنقلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة إلى سنة إحدى وخمسمائة . والأمر فى ذلك قريبٌ إذ التحويل على التقريب دون التحديد .

ثم مقتضى ترتيب التحويل الرابع فى الديار المصرية بعد تحويل سنة تسع وتسعين وأربعمائة إلى سنة إحدى وخمسمائة أن تحوّل بعد ذلك سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة إلى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، وتلغى سنة ثلاثٍ وثلاثين ؛ ثم تحوّل سنة خمس وستين وخمسمائة إلى سنة سبع وستين وخمسمائة ، وتلغى سنة ست وستين ؛ ثم تحوّل سنة ثمانٍ وتسعين وخمسمائة إلى سنة ستمائة ، وتلغى سنة تسع وتسعين وخمسمائة ؛ ثم تحوّل سنة إحدى وثلاثين وستمائة إلى سنة ثلاثٍ وثلاثين وستمائة ، وتلغى سنة

أثنتين وثلاثين ؛ ثم تحوّل سنة أربع وستين وستمائة إلى سنة ست وستين وستمائة ،
وتلغى سنة خمس وستين ؛ ثم تحوّل سنة سبع وتسعين وستمائة إلى سنة تسع وتسعين
وستمائة ، وتلغى سنة ثمان وتسعين ؛ ثم تحوّل سنة سبعمائة وثلاثين إلى سنة سبعمائة
وأثنتين وثلاثين ، وتلغى سنة إحدى وثلاثين ؛ ثم تحوّل سنة ثلاث وستين وسبعمائة
إلى سنة خمس وستين وسبعمائة ، وتلغى سنة أربع وستين وسبعمائة ؛ وتحوّل سنة
ست وتسعين وسبعمائة إلى سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ، وتلغى سنة سبع وتسعين ؛
ثم لا يكون تحويل إلى سنة تسع وعشرين وثمانمائة ، فتحوّل إلى سنة إحدى وثلاثين
وثمانمائة ، لكن قد حوّل كُتّاب الدواوين بالديار المصرية وأرباب الدولة بها سنة
تسع وأربعين وسبعمائة : (وهي سنة الطاعون الجارف العام) إلى سنة إحدى وخمسين
وسبعمائة ، وألغوا سنة خمسين . وكان يقال : مات في تلك السنة كل شيء حتى
السنة ، وسيأتي ذكر المرسوم المكتتب بها في تحويل السنين في هذه المقالة ،
إن شاء الله تعالى .

وتُنقل ذلك لتأخير وقع من إغفال تحويل سنة سبعمائة وثلاثين المتقدمة الذكر ،
وآخر سنة حوّلت في زماننا سنة ... (١)

(١) بياض في الأصل .

الطرف الثاني

(في صورة ما يكتب في تحويل السنين ، وهو على نوعين)

النوع الأول

(ما كان يكتب في ذلك عن الخلفاء ، وفيه مذهبان)

المذهب الأول

(أن يفتح ما يكتب به «أما بعد»)

وعلى ذلك كان يكتب من ديوان الخلافة ببغداد .

وهذه نسخة ما ذكر أبو الحسين بن علي الكاتب المتقدم ذكره أنه كتب به في ذلك في نقل سنة ثمان وسبعين ومائتين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين في خلافة المعتضد بالله أمير المؤمنين ، وهي :

أما بعد ، فإن أولى ما صرف إليه أمير المؤمنين عنايته ، وأعمل فيه فكره ورويته ، وشغل به تفقده ورعايته ، أمر الفيء الذي خصه الله به وألزمه جمعه وتوفيره ، وحياطته وتكثيره ، وجعله عماد الدين ، وقوام أمر المسلمين ، وفيما يصرف منه إلى أعطيات الأولياء والجنود ، ومن يستعان به لتحصين البيضة والذب عن الحرم ، وحج البيت ، وجهاد العدو ، سد الثغور ، وأمن السبل ، وحنن الدماء ، وإصلاح ذات البين . وأمير المؤمنين يسأل الله راغباً إليه ، ومتوكلاً عليه ، أن يحسن عونته على ما حمله منه ، ويديم توفيقه لما أرضاه ، وإرشاده إلى ما يقضى عنه وله .

وقد نظر أمير المؤمنين فيما كان يجري عليه أمر جباية هذا الفيء في خلافة آباءه الراشدين فوجد على حسب ما كان يدرك من الغلات والثمار في كل سنة أولاً

أولاً على مجارى شهور سنَى الشمسِ فى النجوم التى يحلُّ مالٌ كلِّ صنفٍ منها فيها ،
ووجدَ شهورَ السنة الشمسية تتأخر عن شهور السنة الهلالية أحدَ عشرَ يوماً ورُبْعاً
وزيادةً عليه ، ويكونُ إدراكُ الغلاتِ والثمارِ فى كلِّ سنةٍ بحسبِ تأخرها .

فلا تزالُ السنونَ تَمْضى على ذلك سنةً بعد سنةٍ حتى تَقْضَى منها ثلاثٌ وثلاثون
سنةً وتكونُ عبدة الأيام المتأخرة منها أيامَ سنةٍ شمسيةٍ كاملةً ، وهى ثلاثمائة وخمسة
وستون يوماً ورُبْعَ يومٍ وزيادةً عليه ، فحينئذٍ يتبَّأ بمشيئة الله وقُدْرته إدراكُ الغلاتِ
التي تجرى عليها الضرائبُ والطسوقُ فى استقبالِ المحرمِ من سنَى الأهلة . ويجبُ مع
ذلك إلغاءُ ذكرِ السنةِ الخارجةِ إذ كانتُ قد انقضتْ ونسبتها إلى السنةِ التى أدركتِ
الغلاتِ والثمارَ فيها . وإنه وجدَ ذلك قد كان وقعَ فى أيامِ أميرِ المؤمنين المتوكِّلِ على الله
رحمة الله عليه عند انقضاء ثلاثٍ وثلاثين سنةً ، آخرهنَّ سنةٍ إحدى وأربعين ومائتين ،
فاستغنى عن ذكرها بالغائها ونسبتها إلى سنةٍ اثنتين وأربعين ومائتين ؛ فخرت
المكاتباتُ والحساباتُ وسائرُ الأعمالِ بعد ذلك سنةً بعد سنةٍ إلى أن مضتْ ثلاثٌ
وثلاثون سنةً ، آخرهنَّ انقضاء سنةٍ أربعٍ وسبعين ومائتين ، [ووجب إنشاءُ الكتبِ
بالغاء ذكر سنةٍ أربعٍ وسبعين ومائتين] ونسبتها إلى سنةٍ خمسٍ وسبعين ومائتين .
فذهب ذلك على كُتابِ أميرِ المؤمنين [المعتمدِ على الله وتأخر الأمرُ أربعَ سنينِ إلى
أن أمرَ أميرُ المؤمنين [المعتمدُ بالله رحمه الله فى سنةٍ سبعٍ وسبعين ومائتين بنقل
نحراجِ سنةٍ ثمانٍ وسبعين ومائتين إلى سنةٍ تسعٍ وسبعين ومائتين ؛ فخرى الأمرُ على
ذلك إلى أن انقضتْ فى هذا الوقتِ ثلاثٌ وثلاثون سنةً : أولاهنَّ السنةُ التى كان
يجبُ نقلُها فيها ، وهى سنةٍ خمسٍ وسبعين ومائتين ، وآخرهنَّ انقضاءُ شهورِ نحراجِ
سنةٍ سبعٍ وثلاثمائة ؛ ووجب افتتاحُ نحراجِ ما تجرى عليه الضرائبُ والطسوقُ فى أولها

(١) الزيادة من المقرئى ص ٢٧٧ ج ١ وهى لازمة لاستقامة الكلام .

[وإن] من صواب التدبير واستقامة الأعمال، واستعمال ما يخف على الرعية معاملتها به نقل سنة الخراج لسنة سبع وثلاثمائة إلى سنة ثمان وثلاثمائة، فرأى أمير المؤمنين (لم) يلزمه نفسه ويؤاخذها به، من العناية بهذا الفء وحياطة أسبايه، وإجرائها مجاريها، وسلوك سبيل آباءه الراشدين رحمة الله عليهم فيها، أن يكتب إليك وإلى سائر العمال في النواحي بالعمل على ذلك، وأن يكون ما يصدر [إليكم] من الكتب وتصدرونه عنكم وتجري عليه أعمالكم ورفوعكم وحساباتكم وسائر مناظراتكم على هذا النقل .

فأعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين وأعمل به مستشعرا فيه وفي كل ما أمضيه تقوى الله وطاعته، ومستعملا [عليه] ثقات الأعوان وكفائهم، مشرفا عليهم ومقومًا لهم، واكتب بما يكون منك في ذلك، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة ما كتب به أبو إسحق الصابي عن المطيع لله بتقل سنة ست وثلاثمائة (١) إلى سنة سبع وثلاثمائة، وهى :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين لا يزال مجتهدا في مصالح المسلمين ، وباعثا لهم على مرآشد الدنيا والدين ، ومهيئا لهم إلى أحسن الاختيار فيما يوردون ويصدرون ، وأصوب الرأى فيما يبرمون وينقضون ، فلا تلوح له خلة داخله على أمورهم إلا سدها وتلافها [ولا حال عائدة بحظ عليهم إلا اعتمدها وأتاها] (٢) ولا سنة عادلة إلا أخذهم باقامة رسمها ، وإمضاء حكمها ، والافتداء بالسلف الصالح في العمل بها والاتباع لها ، وإذا عرض من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور ألبابها ، وتجهله العامة بقصور أفهامها ، وكانت أوامرهم فيه خارجة إليك وإلى أمثالك من أعيان رجاله ، وأمائل

(١) صوابه «نقل سنة خمسين وثلاثمائة الى إحدى وخمسين وثلاثمائة» كما يفيد نص الكتاب بعد اه .

(٢) الزيادة من "رسائل الصابي" ص ٢٠٩ ومن المقرئى ص ٢٧٨ ج ١ .

عَمَّالِهِ ، الذين يَكْتَفُونَ بالإشارة ، وَيَجْتَرِعُونَ بِسِيرِ الإِبَانَةِ والعبارة ، لم يَدْعُ أن يُلْغَ من تَلْخِصِ اللفظ وإيضاح المعنى إلى الحسد الذي يُلْحِقُ المتأخر بالمتقدم ، ويجمع بين العالم والمتعلم ، ولا سِيَّما إذا كان ذلك فيما يتعلَّقُ بمعاملات الرعيَّة ، ومن لا يَعْرِفُ إلا الظواهرَ الجليَّةَ دُونَ البواطنِ الخفيَّةِ ، ولا يَسْمَلُ عليه الانتقال عن العادات المتكررة ، إلى الرسوم المتغيرة ، ليكون القولُ بالمشروح لمن برز في المعرفة مدَّكِّرا ، ولمن تأخر فيها مبصِّرا ، ولأنه ليس من الحق أن تُنمَّعَ هذه الطبقةُ من برد اليقين في صدورها ، ولا أن يُقتصر على الأمانة الدالة في مخاطبة جمهورها ، حتى إذا استوت الأقدام بطوائف الناس في فهم ما أمروا به وفقه ما دُعوا إليه وصاروا فيه على كلمة سواء لا يعترضهم شك الشاكين ولا استرابة المستريبين ، أطمأنت قلوبهم ، وأنشرحت صدورهم ، وسقط الخلاف بينهم ، واستمر الاتفاق فيهم ، وأستيقنوا أنهم مسوسون على استقامة من المنهاج ، ومحروسون من جرائر الزيف والأعوجاج ؛ فكان الأتقياء منهم وهم دأرون عالمون ، لا مقلدون مسامون ؛ وطائعون مختارون ، لا مكرهون ولا مجبرون .

وأمر المؤمنين يستمدُّ الله تعالى في جميع أغراضه ومراميه ، ومطالبه ومغازيه ، مادةً من صنعه تقف به على سنن الصلاح ، وتفتح له أبواب النجاح ، وتنهضه بما أهله لحمله من الأعباء التي لا يدعى الاستقلال بها إلا بتوقيفه [ومعونه] ، ولا يتوجه فيها إلا بدلالته وهدايته ، وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل .

وأمر المؤمنين يرى أن أولى الأقوال أن يكون سدادا ، وأحرى الأفعال أن يكون رشادا ، ما وجد له في السابق من حكم الله أصول وقواعد ، وفي النص من كتابه آيات وشواهد ، وكان مفضيا بالأمة إلى قوام من دين ودنيا ، ووفاق في آخره وأولى ،

فذلك هو البناء الذي يثبت ويعلو، والغرس الذي ينبت ويزكو، والسعى الذي تتجح مباديه وهو أدية، وتبجح عواقبه وتواليه، وتستنير سبيله لسالكها، وتوردهم موارد السعود في مقاصدهم فيها، غير ضالين ولا عادلين، ولا متحرفين ولا زائلين .

وقد جعل الله عز وجل لعباده من هذه الأفلاك الدائرة، والنجوم السائرة، فيما تتقلب عليه من اتصالٍ وافتراق، ويتعاقب عليها من اختلافٍ واتفاق، منافع تظهر في كُرور الشهور والأعوام، ومُرور الليالي والأيام، وتتأوب الضياء والظلام، واعتدال المساكين والأوطان، وتغاير الفصول والأزمان، ونشء النبات والحيوان، فما في نظام ذلك خلل، ولا في صنعة صانعه زلل، بل هو منوط ببعضه ببعض، ومحوط من كل ثمة ونقض، قال الله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وقال جل من قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ .

وقال: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ . وقال عزت قدرته: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ . ففضل الله تعالى في هذه الآيات بين الشمس والقمر، وأنبأنا في الباهر من حكمه، والمعجز من كلمه، أن لكل منهما طريقاً سُخَّرَ فيها وطبيعةٌ جُبِلَ عليها، وأن كل تلك المباشنة والمخالفة في المسير، تُؤدِّي إلى موافقةٍ وملازمةٍ في التدبير؛ فمن هنالك زادت السنة الشمسية فصارت ثلثمائة وخمسة وستين يوماً ورُبُعاً بالتقريب المعمول عليه، وهي المدة التي تقطع الشمس فيها المَلَكَ مرّةً واحدةً، ونقصت السنة الهلالية فصارت ثلثمائة وأربعة وخمسين يوماً وكسراً، وهي المدة التي يُجامع القمر فيها الشمس اثنتي عشرة

مرة، واحتيج إذا انساق هذا الفضل إلى استعمال النقل الذي يطابق إحدى السنتين بالأخرى إذا افترقتا، ويدانى بينهما إذا تفاقمتا .

وما زالت الأمم السالفة تكسب زيادات السنين على افتنانٍ من طرُقها ومذاهبها، وفي كتاب الله عز وجل شهادة بذلك إذ يقول في قصة أهل الكهف: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ . فكانت هذه الزيادة بأن الفضل في السنين المذكورة على تقريب التقريب .

فأما الفرس فإنهم أجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي شهروها اثنا عشر شهرا، وأيامها ثلثمائة وستون يوما، ولقبوا الشهور اثني عشر لقباً، وسموا أيام الشهر منها ثلاثين اسماً، وأفردوا الأيام الخمسة الزائدة، وسموها المسترقة وكبسوا الربع في كل مائة وعشرين سنة شهرا .

فلما انقرض ملكهم، بطل في كبس هذا الربع تدييرهم، وزال نور وزهم عن سنته، وانفرج ما بينه وبين حقيقة وقته، انفراجاً هو زائد لا يقف، ودائر لا ينقطع، حتى إن موضوعهم فيه أن يقع في مدخل الصيف وسيتمى إلى أن يقع في مدخل الشتاء، [ويتجاوز ذلك، وكذلك موضوعهم في المهرجان أن يقع في مدخل الشتاء^(١) وسيتمى إلى أن يقع في مدخل الصيف ويتجاوزه .

وأما الروم فكانوا اتقن منهم حكمة وأبعد نظراً في عاقبة: لأنهم رتبوا شهور السنة على أرسادٍ رصودها، وأنواءٍ عرفوها، وقضوا الخمسة الأيام الزائدة على الشهور، وساقوها معها على الدهور، وكبسوا الربع في كل أربع سنين يوماً، وسموا أن يكون إلى شباط مضافاً فقتروا ما بعده غيرهم، وسهلوا على الناس أن يقتنوا أثرهم، لاجرم

(١) الزيادة من "المقرزى" ص ٢٧٩ ج ١ ومن الرسائل وهي من سقطات النسخ .

(١) أن [المعتضد بالله صلوات الله عليه على أئمه بني] ، ولما لهم أحتدى [في تصديره نوروزة اليوم الحادي عشر من حزيران ، حتى سلم مما لحق النواريزي سالف الأزمان ، وتلافوا الأمر في عجز سني الهلال عن سني الشمس ، بأن جبروها بالكبس ، فكما اجتمع من فضول سني الشمس ما يفي بتمام شهر جعلوا السنة الهلالية التي يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالا ، فربما تم الشهر الثالث عشر في ثلاث سنين وربما تم في سنتين بحسب ما يوجب الحساب ، فتصير سنتا الشمس والهلال عندهم متقاربتين أبدا لا يتباعد ما بينهما .

وأما العرب فإن الله جل وعز فضلها على الأمم الماضية ، وورثها ثمرات مساعيها المتعبه ، وأجرى شهر صيامها ومواقيت أعيادها وزكاة أهل منتهى ، وجزية أهل ذمتها ، على السنة الهلالية ، وتعبدها فيها برؤية الأهلة ، إرادة منه أن تكون مناهجها واضحة ، وأعلامها لأئحة ، فيتكافأ في معرفة الغرض ودخول الوقت الخاص منهم والعام ، والناقص الفقه والنام ، والأثني والذكر ، وذو الصغر والكبر ، فصاروا حينئذ يحبون في سنة الشمس حاصل الغلات المقسومة ونحاج الأرض المسوحة ، ويحبون في سنة الهلال الجوالي والصدقات والأرجاء والمقاطعات والمستغلات ، وسائر ما يجري على المشاهرات ، وحدث من التعاضل والتداخل بين السنين ما لو استمر لقبح جدا ، وازداد بعدا ، إذ كانت الجباية الخراجية في السنة التي تنتهي إليها تنسب في التسمية إلى ما قبلها فوجب مع هذا أن تطرح تلك السنة وتلغى ، ويتجاوز إلى ما بعدها ويتخطى ، ولم يجوز لهم أن يقتدوا بخالفهم في كبس سنة الهلال بشهر ثالث عشر ، لأنهم لو فعلوا ذلك لترححت الأشهر الحرم عن مواقعها ، وانحرفت المناسك

(١) الزائد من "رسائل الصابي" و"المقرزي".

(٢) كذا في المقرزي أيضا والذي في الرسائل الخطية «والأرحام» .

عن حقائقها ، ونقصت الجباية عن سني الأهلّة القبطية بقسط ما استغرقه الكبس منها ، فانتظروا بذلك الفضل إلى أن تيمّ السنة ، وأوجب الحساب المقرّب أن يكون كل اثنتين وثلاثين سنة شمسية ثلاثا وثلاثين سنة هلالية ؛ فنقلوا المتقدمة إلى المتأخرة نقلا لا يتجاوز الشمسية ، وكانت هذه الكلفة في دنياهم مستسهلة مع تلك النعمة في دينهم .

وقد رأى أمير المؤمنين نقل سنة خمسين وثلاثمائة الخراجية إلى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة الهلالية جمعاً بينهما ، ولزوما لتلك السنة فيما .

فاعمل بما ورد به أمر أمير المؤمنين عليك ، وما تضمنته كتابه هذا إليك ، ومُرِ الكُتاب قبلك أن يحتدوا رسمه فيما يكتبون به إلى عمّال نواحيك ، ويخلدونه في الدواوين من دُكورهم ورُفوعهم ، ويقرّرونه في دُروج الأموال ، وينظّمونه في الدفاتر والأعمال ، ويدنون عليه الجماعات والحسابات ، ويوعزون بكتبه من الروزنامات والبرآت ، وليكن المنسوبُ كان من ذلك إلى سنة خمسين وثلاثمائة التي وقع النقل [عنها معدّولا به إلى سنة إحدى وخمسين التي وقع النقل ^(١) إليها ، وأقيم في نفوس من بحضرتك من أصناف الجند والرعية وأهل الملة والذمة أنّ هذا النقل لا يغيّر لهم رسماً ، ولا يلحق بهم ثلماً ، ولا يعود على قايض العطاء بتقصان ما استحقّوا قبضه ، ولا على مؤدّي حقّ بيت المال بإغضاء عما وجب أدائه ، فإن قرائح أكثرهم فقيرة إلى إفهام أمير المؤمنين الذي يؤثر أن ترآح فيه العله ، وتسدّ به منهم الخلة ، إذ كان هذا الشأن لا يتجدّد إلا في المدد الطوال التي في مثلها يحتاج إلى تعريف الناسي ، وإذكار الناسي ، وأجب بما يكون منك جواباً يحسن موقعه لك ، إن شاء الله تعالى .

(١) الزيادة من رسائل الصابي الخطية .

المذهب الثاني

(مما كان يُكْتَب عن الخلفاء في تحويل السنين أن يُفْتَح ما يكتب بلفظ :
« من فلان أمير المؤمنين إلى أهل الدولة » ونحو ذلك)
ثم يُؤْتَى بالتحميد وهو المعبر عنه بالتصدير، وعليه كان يكتب خلفاء الفاطميين
بالديار المصرية .

قال في "موادّ البيان" : والطريق في ذلك أن يفتح بعد التصدير والتحميد ...
.....

الضرب الأول

(ما كان يُكْتَب في الدولة الأيوبية)

وكانت العادة فيه أن يفتح بخرجات الأوامر ونحو ذلك ، ثم يذكر فيه نحو
ما تقدم .

وهذه نسخة مرسوم بتحويل السنة القبطية [إلى السنة العربية] ، من إنشاء
القاضي الفاضل عن الملك الناصر « صلاح الدين يوسف بن أيوب » تغمده الله
برحمته ، وهي :

خرجت الأوامر الصلاحية بكتب هذا المنشور وتلاوة مودعه بحيث يستمر ،
ونسخه في الدواوين بحيث يستقر ، ومضمونه .

إن نظرنا لم يزل نتجلى له الجلائل والدقائق ، ويتوحنى من الحسنات ما تسير به
الحقائب والحقائق ، ويجلد من الأخبار المشروعة ، كل عذب الطرائق رائق ، ويجدد

(١) هنا بياض في الاصل بقدر كلمات ولعل بعدها وهو على ضربين « الضرب الخ .

من الآثار المتبوعة ، ما هو ببناء الخلائق لائق ، ولا يُعادر صغيرة ولا كبيرة من الخير إلا جهدنا أن نكتسبها ، ولا يُثوب بنا الداعي إلى مَثُوبَةٍ إلا رأينا أن نحتسبها ، لاسيما ما يكون للسنين الماضية مُمضيا ، وإلى القضايا العادلة مُفضيا ، ولحآسن الشريعة مجليا ، ولعوارض الشبه رافعا ، ولتناقض الخبر دافعا ، ولأبواب المعاملات حافظا ، ولأسباب المغالطات لافظا ، وللخواطير من أمراض الشكوك مصححا ، وعن حقائق اليقين مُفصِّحا ، وللأسماع من طيف الاختلاف مُعفيا ، ولغاية الإشكال من طُرُق الأفهام مُعفيا .

ولما استهلَّت سنة كذا الهلالية ، وقد تباعد ما بينها وبين السنة الخراجية إلى أن صارت غلاتها منسوبة إلى ما قبلها ، وفي ذلك ما فيه : من أخذ الدرهم المنقود ، عن غير الوقت المنقود ، وتسمية بيت المال مُمطلا وقد أنجز ، ووصف الحق المُتلف بأنه دينٌ وقد أنجز ، وأكل رزق اليوم وتسميته منسوباً إلى أمسه ، وإخراج المعتد لسنة هلاله إلى حساب المعتد إلى سنة شمسه .

وكان الله تعالى قد أجرى أمر هذه الأئمة على تاريخ منزّه عن اللبس ، موقر عن الكبس ، وصرح كتابه العزيز بتحريمه ، وذكر ما فيه من تأخير وقت النسيء وتقديمه ؛ والأئمة الحمديّة لا ينبغي أن يدركها الكسر ، كما أن الشمس لا ينبغي أن تُدرك القمر ، وسُنُّها بين الحق والباطل فارقه ، وسنُّها أبداً سابقه ، والسُنُّون بعدها لا حقه ، يتعاورها الكسر الذي يُزحزح أوقات العبادات عن مواضعها ، ولا يُدرك عملها إلا من دق نظره ، واستفرغت في الحساب فكره ، والسنة العربية تقطع بخناجر أهلتها الأشتباه ، وترد شهرها حاليةً بعقودها موسومة الحباه ، وإذا تقاعست السنة الشمسية عن أن نطأ أعقابها ، وتواطى حسابها ، اجتذبت قراها قسراً ، وأوجبت

لحَقَّهَا ذِكْرًا، وَتَرَوَجَّتْ سَنَةُ الشَّمْسِ سَنَةَ الْهِلَالِ وَكَانَ الْهِلَالُ بَيْنَهُمَا مَهْرًا؛ فَسَنَّتْهُمْ
 الْمُؤَنَّثَةُ وَسَنَّتْنَا الْمَذَكَّرَةَ، وَآيَةُ الْهِلَالِ هُنَا دُونَ آيَةِ اللَّيْلِ هِيَ الْمُبْصَرَةُ، وَفِي السَّنَةِ
 الْعَرَبِيَّةِ إِلَى مَا فِيهَا مِنْ عَرَبِيَّةِ الْإِفْصَاحِ، وَرَاحَةِ الْإِيضَاحِ، الزِّيَادَةُ الَّتِي تَظْهَرُ
 فِي كُلِّ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً تُوفِّي عَلَى عِدَدِ الْأُمَّمِ قَطْعًا، وَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ:
 ﴿وَلْيَبُثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ الزَّائِدَةِ زِيَادَةً،
 مِنْ لَطَائِفِ السَّعَادَةِ، وَوِطَائِفِ الْعِبَادَةِ، لِأَنَّ أَهْلَ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ يَمْتَازُونَ عَلَى كُلِّ
 مِلَّةٍ بِسَنَةِ فِي نَظِيرِ تِلْكَ الْمُدَّةِ قَصَادُوا صَلَاتَهَا، وَأَدَّوْا زَكَاتَهَا، وَحَجَّوْا فِيهَا الْبَيْتَ الْعَتِيقَ
 الْكَرِيمَ، وَصَامُوا فِيهَا الشَّهْرَ الْعَظِيمَ، وَاسْتَوْجَبُوا فِيهَا الْأَجُورَ الْجَلِيلَةَ، وَأَنْسَتَ فِيهَا
 أَسْمَاءُهُمْ بِالْأَعْمَارِ الطَّوِيلَةِ، وَمَخَالَفُوهُمْ فِيهَا قَدْ عَطَلَتْ صِحَائِهِمْ فِي عُذْوَانِهِمْ، وَإِنْ
 كَانَتْ عَاطِلَةً، وَخَلَّتْ مَوَاقِفَهُمْ فِي أَدْيَانِهِمْ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قَطُّ آهَلَةً.

وَقَدْ رَأَيْنَا بِاسْتِخَارَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَيْمُنَ بَاتِّبَاعِ الْعَوَائِدِ الَّتِي سَلَكَهَا السَّلَفُ،
 وَلَمْ تَسْلُكْ فِيهَا السَّرْفَ، أَنْ يَنْسَخُوا أَسْمَاءَهَا مِنَ الْخُرَاجِ، وَيَذْهَبَ مَا بَيْنَ السَّنِينَ
 مِنَ الْأَضْطِرَابِ وَالْإِعْجَاجِ، لِأَسْمَاءِ الشُّهُورِ الْخُرَاجِيَّةِ قَدْ وَاقَفَتْ فِي هَذِهِ الشُّهُورِ
 الشُّهُورَ الْهِلَالِيَّةِ، وَأَلْقَى اللَّهُ فِي أَيَّامِنَا الْوِفَاقَ بَيْنَ الْأَيَّامِ، كَمَا أَلْقَى بَاعْتِلَانَنَا الْوِفَاقَ بَيْنَ
 الْأَنَامِ، وَأَسَكَّنَ بِنَظَرِنَا مَا فِي الْأَوْقَاتِ مِنْ أَضْطِرَابٍ وَفِي الْقُلُوبِ مِنْ أَضْطِرَامٍ.

فَلْيُسْتَأْنَفِ التَّارِيخُ فِي الدَّوَابِّ الْمَعْمُورَةِ، لِاسْتِقْبَالِ السَّنَةِ الْمَذَكُورَةِ، بِأَنْ تُوسَمَ
 بِالْهِلَالِيَّةِ الْخُرَاجِيَّةِ لِإِزَالَةِ الْإِلْتِبَاسِ، وَإِلِقَامَةِ الْقِسْطِاسِ، وَإِيضًا [حَا] لِمَنْ أَمْرُهُ عَلَيْهِ
 عُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ، وَعَلَى هَذَا التَّقْرِيرِ، تُكْتَبُ سِجِلَاتُ التَّحْضِيرِ، وَتُنظَّمُ الْحُسْبَانَاتُ
 الْمَرْفُوعَةُ، وَالْمَشَارِعُ الْمَوْضُوعَةُ، وَتَطْرُدُ الْقَوَائِينُ الْمَشْرُوعَةُ، وَتُثَبَّتُ الْمَكَلَّفَاتُ
 الْمَقْطُوعَةُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ دَوَاعِي نَقْلِهَا، وَعَوَارِضِ زَلِيلِهَا وَزَوَالِهَا، إِلَّا أَنَّ الْأَجْنَادَ

إذا قبضوا واجباتهم عن منشورٍ إلى سنةٍ نحس في أواخر سنةٍ سبع وستَ ساقطهم بالوفاة، وجرى بحكم السمع لا بالشرع إلى أن يرث وارثه دون بيت المال مستغلاً السنة الخراجية التي يلتقي فيها تاريخ وفاته من السنة الهلالية وفي ذلك ما فيه، مما يبين الإنصاف وينافيه [لكفى] .

وإذا كان العدل وضع الأشياء في مواضعها فلستنا نحرم أيامنا المحرمة بدماننا، مارزقته أبناؤها من عدل أحكامنا، بل نخلع عن جديدها المس كل المس، و[تمنع] تبعه الضلال أن تُسند مهادنته إلى نور الشمس، ولا نجعل أيامنا معمورة بالأسقاط التي تجمها، بل معمورة بالأسقاط التي تنفعها، فليبن التاريخ على بنيانه وليحسم الخلف الواقع في السنين، بهذا الحق الصادع المبين، وليُسخ المشهود به في جميع الدواوين، وليكتب بحكمه من الخراج إلى من يكتنه من المستخدمين - ومنها أن المستجد من الأجناد لو حبل على السنة الخراجية في استغلاله، وعلى الهلالية في استقباله، لكان محالاً على ما يكون محالاً، وكان يتعجل استقبالا، ويأطن استعلالا، وفي ذلك ما ينافر أوصاف الإنصاف ويصون الفلاح إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(ما يُكتب به في زماننا)

وقد جرت العادة أن يكتب في قطع الثلث وأنه يفتح بخطبة مفتحة بـ «الحمد لله» ثم يقال : وبعد فإننا لما اختصنا الله تعالى به من النظر في أمر الناس ومصالحهم، ويذكر ما سنح له من ذلك ثم يقال : ولما كان، ويذكر قصة السنين : الشمسية والقمرية، وما يطرأ بينهما من التباعد الموجب لنقل الشمسية إلى القمرية،

ثم يقال : أفتضى الرأي الشريف أن يحول مغل سنة كذا إلى سنة كذا وتذكر نسخة ذلك ، ثم يقال : فرسم بالأمر الشريف الفلانى لا زال أن تحول سنة كذا إلى سنة كذا .

وهذه نسخة مرسوم بتحويل السنة القبطية إلى العربية ، وهى :

الحمد لله الذى جعل الليل والنهار آيتين ، وصير الشهور والأعوام لأبتداء المبدء وانتهائها غايتين ، ليعلم خلقه عدد السنين والحساب ، وتعمل برئته على توفية الأوقات حقها من الأفعال التى يحصل بها الاعتداد ويحسن بها الاحتساب .

نحمده على ما خص أيامنا الزاهرة من إنعام النظر فى مصالح خلقه ، وإمعان الفكر فى تشييد ما بسط لهم من رزقه ، وإزالة الضرر فى تيسير القيام بما أوجب عليهم من حقه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عاصمة من الزبغ ذا هوى ، معتصمة من التوفيق بأقوى أسباب التوثيق وأوثق أسباب القوى ، شافعة حسن العمل فى مصالح العباد بحسن النية ، فإن الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بعثه الله رحمة للعالمين ، وحجة على العالمين ، ونشردعوته فى الآفاق فأيده لإقامتها بنصره وبالمؤمنين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أمروا فإطاعوا ، ونهوا فاجتنبوا ما نهوا عنه ما استطاعوا ، صلاة تسمى نساء البذور ، وتبقى بقاء الدهور ، وتطوى بنشرها مراحل الأيام إلى يوم النشور .

وبعد ، فإننا لما أختصنا الله تعالى به من التوفيق على مصالح الإسلام ، والتناول لما تنشرح به فى مواقف الجهاد ، صدور السيوف وتنطق به فى مصالح العباد ، السنة الأفلام ، تتبع كل أمر فنسد خلاله ، ونثقف ميله ، ونقيم أوده ، وننظر ليومه

بما يصلح به يومه ولغده بما يصلح غده ، إصلاحاً لكل حالٍ بحسبه ، وتقريباً لكل شيءٍ على ما هو أليقُ بشأنه وإقراراً لكل أمرٍ على ما هو الأحسنُ به .

ولما كان الزمنُ مقسوماً بين سنينَ شمسيةٍ يتفق فيها ما أخرج الله تعالى من الرزق لعباده ، ويحصلُ بها ميقاتُ القوتِ الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ وقريةٍ لا يعولُ في أحكامِ الدينِ إلا عليها ، ولا يرجع في تواريخِ الإسلامِ إلا إليها ، ولا تُعتبرُ العبادةُ الزمانيةُ إلا بأهلئها ، ولا يُهتدى إلى يومِ الحجِّ الأكبرِ إلا بأدلتها ، ولا يعتدُّ في العددِ التي تُحفظُ بها الأنسابُ إلا بأحكامها ، ولا تُعلمُ الأشهرُ الحرمُ إلا بوجودها في الأوقاتِ المخصوصة من عامها . وكان قد حصل بينهما من تفاوتِ الأيامِ في المددِ ، واختلافِ الشهورِ الهلاليةِ في العددِ ، ما يلزم منه تداخلُ مُغلٍّ في مُغلٍّ ، ونسبةُ شيءٍ راحٍ وأنقضى إلى ما أدرك الآنُ وحصل ، ويؤدى ذلك إلى إبقاءِ سنةٍ بغيرِ نَحَاجٍ ، وهدرٍ ما يجبُ تركه فليس الوقتُ إليه محتاج ، وإلغاء ما يتعينُ إلغاؤه ، وإسقاط ما تلتفتُ إليه الأذهان وهو لا يمكنُ رجأؤه ، وإن كان ذلك الإسقاطُ لأضررٍ فيه على العبادِ والبِلادِ ، ولا نقصٌ يتبعُ منه للأمرءِ والأجنادِ ، ولا حقيقة له ولا معنى ، ولا إهمالُ شيءٍ أفقرُ تركه ولا إبقاؤه أغنى ، ولكن صار ذلك من عوائدِ الزمنِ القديمه ، ومُصطَاحاً لا تزالُ العقولُ بالأحتياجِ إلى فعله عليه ، وأمرها لا بُدَّ لئلك منه ، وحالاً لا مندوحة للُدولِ عنه ، لتغدو التصرفاتُ على الاستقامةِ ما شِبهه ، والمعاملاتُ من الحقِ نَاشِبهه ، ويُعنى رسمُ مالم يكن في الحقيقةِ رابطُ ، ويزالُ أسمُ مالمو توَّسمه الفضلُ لأضحى كأنه يُغالطُ - أقتضى حسنُ الرأى الشريف أن تحوّل هذه السنةُ التي يحصلُ بها الكبسُ ، وأن يدحضها يقينُ النفسِ ، وأن يُرفَع ما بها من أشكالِ الإشكالِ ، ويُزال هذا السببُ الذي نشأ عنه دخولُ الأكثرِ باستِدرَاجِ الأقلِ فلا يكونُ للأذهانِ عليه أتكال .

نظراً بذلك في مصالح الأمة ، ودفعاً لما يجدونه من أوهام مُدْهِمَةٍ ، وعملاً يطابق به الدليل حكمة ، ويوافق فيه اللفظ معناه والفعل أسمه ، وتخفيفاً عن الرعية من لزوم مالا يلزم في الحقيقة عملاً بقوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ تَخْفِيفٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال عدله سائراً في الأيام والأَنَامِ ، وفضله [سائداً] بالرفق الذي تغدو به العقول والعيون كأنها من الأمن في منام - أن يُحوَّلَ مَعْلٌ سنة تسع وأربعين وسبعمائة بالديار المصرية المحروسة ، لمَعْلٌ سنة خمسين وسبعمائة ، ويُغْنَى أَسْمُ مَعْلٌ السنة المذكورة ، من الدواوين المعمورة ، ولا يُنسَبُ إليها مَعْلٌ بل يكون مَعْلٌ سنة خمسين وسبعمائة تالياً لمَعْلٌ سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وتستقر السنة حينئذٍ هلاليةً خراجيةً بحكم دوران السنين ، وأستحقاقُ هذا التحويل من مدة خمس عشرة سنة ، حيث أتفاقُ مبدأ السنين الشمسية والقمرية ، ووقوع الإغفال عن هذا المَبْهَمِ في الدول الماضية ، لتكون هذه الدولة الشريفة قائمةً بما قعد عنه من مَضَى من الدول ، مقومةً بعون الله لكل متأوِّدٍ من الزبغ والخلل ، لما في ذلك من المصلحة العامة ، والمنحة التامة ، والحق الواضح ، والقصد الناجح ، والمنهج القويم ، والصراط المستقيم ، والأعتاد على الشهور القمرية قال الله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ .

فليعتمد حُكْمُ ما قررناه ، وليمثَّلَ أمرُ ما أمرناه ، وليثبت ذلك في الدواوين ، وليشهر نبؤهُ المبين ، وليسقط ما تخلَّلَ بين هاتين السنتين من المَعْلِ الذي لاحقيقة له ، وليترك ما بينهما من التفاوت الذي لا تعرف الحُسبانُ مُعَدِّله ، وليصحَّ أَسْمُ هذه الأيام من الدفاتر ، ولينسَّ حُكْمُها فإنها أولى بذلك في الزمن الآتي والغابر ، فليس المَعْلُ سوى للعام الذي وجد فيه سببه ، وظهر فيه حصوله وتعيَّن طلبه ، وأدرك في إبانته ، وجاء

في زمانه، وأبغ به ثم غرسه، وأستحَقَّ في وقته لا كما يلزم أن يكون اليوم في أمسه؛
وفي ذلك من الأسباب الباعثة على ممارستها به، والدواعي اللازمة لدهابه، والبراهين
القاطعة بقطعه، والدلائل الواضحة على دفعه، ما قدمناه: من المصالح المعينه،
والطرق المبيته، وإزالة الأوهام، وتأكيده الأفهام، وإراحة الخواطر، وإزاحة
ما تشوق إليه الظنون في الظاهر، وليبطل ذلك من الارتفاعات بالكيفية، ويستقط
من الجرائد لتغدو الحسابات منه خليه، ولا يذكر مغل السنة المدحوضة في سجل
ولا مشروح، ولا مشهود يغدو حكمه ويروح، ولا مكلفات تودعها الأقلام شيئاً
على الحجاز وهو في الحقيقة مطروح، لتثبت الحسنات لأيماننا الزاهرة في هذا المحو،
ويكشف ما ينتج بسماء العقل من غيم الجهالة بما وصح من هذا الصحو، ويتمسك
في صحة العبادات والمعاملات بالسنيين العربية من غير خروج عن ذلك النحو، والله
تعالى يبين بنا طرق الصواب، ويحسن ببقاء ملكنا الشريف المال والمآب، ويجعل
دولتنا توضح الأحكام على اختلاف الحديد: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ .

والاعتقاد فيه على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه، إن شاء الله تعالى .

حادى عشرين جمادى الأولى سنة خمسین وسبعائة (١)

حسب المرسوم الشريف، بالإشارة الكافية السيفية، كافل الممالك الشريفة
الإسلامية، أعز الله تعالى نصرته، ثم الحمدلة والتصلية والحسبة .

قلت: وهذه النسخة صدرها إلى قوله: والشهور الهلالية أجنبي عما بعد
ذلك من نعمة الكلام. وذلك أني ظفرت بعجز النسخة، وهو المكتتب في تحويل

(١) كذا في الأصل باثبات النون وهو كثير في كتابات الكتاب وهو لحن .

سنة تسع وأربعين في نفس المرسوم الشريف الذي شملته العلامة الشريفة ،
وقد قُطِعَ أوَّلُه فَرَكَّبَها على هذا الصَّدْر .

ومن عجيب ما يُذَكَّرُ في ذلك أن سنة تسع وأربعين التي حُوِّلت إلى سنة خمسين
هي السنة التي وَقَعَ فيها الطاعونُ الجارفُ الذي عمَّ الأقطارَ خلا المدينة النبوية ،
على ساكنها أفضل الصلاة والسلام التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يدخُلها
الطاعون ، وكَثُرَ فيها الموتُ حتى أَنتَهى إلى عشرين ألفاً في اليوم الواحد ، وكان يُقال
في هذه السنة لما حُوِّلت : [مات كلُّ شيء حتى السنة] لإلغائها . وجعل مُغَلَّ
سنة خمسين تالياً لمُغَلِّ سنة ثمانٍ وأربعين كما تقدَّم .

الفصل الثاني

من الباب الرابع من المقالة السادسة
(فيما يُكْتَبُ في التذكار)

والتذكار جمع تذكرة .

قال "في مواد البيان" : وقد جرت العادة أن تُضَمَّنَ حملَ الأموال التي يُسافر
بها الرسولُ ليعودَ إليها إن أغفل شيئاً منها أو نسيه ، أو تكونَ حجةً له فيما يُورده
ويُصدِّره ، قال : ولا غنى بالكاتب عن العلم بعنواناتها وترتيبها .

فأما عنوانُ التذكرة في صَدْرِها تَلَوُّ البسملة ، فإن كانت للرسول يعمل
عليها ، قيل : تذكرة مُنِجِحَةٌ صدرت على يد فلان عند وصوله إلى فلان بن فلان ،
ويُنْتَهَى بمشيئة الله تعالى إلى ما نُصِّصَ فيها . وإن كانت حجةً له يعرضها لتشهد بصدق

ما يورده، قيل : تذكرة مُنِجحة صدرت على يد فلان بن فلان بما يحتاج إلى عَرْضه على فلان .

وأما الترتيبُ فيختلف أيضا بحسب اختلاف العُنوان : فإن كانت على الرسم الأول ، كان بصدرها « قد استخرنا الله عز وجل وندينك ، أو عولنا عليك ، أو نقدناك ، أو وجهناك إلى فلان : لإيصال ما أودعناك وشافهناك به من كذا وكذا » ويقص جميع الأغراض التي أُلقيت إليه جملة . وإن كانت محمولة على يده كالجملة له فيما يعرضه ، قيل : « قد استخرنا الله عز وجل وعولنا عليك في تحمل تدكيرنا هذه والشُحُوص بها إلى فلان ، أو النفوذ ، أو التوجه ، أو المصير ، أو القصد بها وإيصالها إليه ، وعرض ما تضمنته عليه ، من كذا وكذا » ويقص جميع أغراضها .

ثم قال : وهذه التذاكرُ أحكامُها أحكامُ الكتب في النفوذ عن الأعلى إلى الأدنى ، وعن الأدنى إلى الأعلى ، فينبغي أن تُبتنى على ما يحفظ رتب الكاتب والمكتوب إليه : فإن كانت صادرة عن الوزير إلى الخليفة مثلا فتصدر بما مثاله « قد استخرت الله تعالى ، وعزلت عليك في الشُحُوص إلى حضرة أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - متحملا هذه التذكرة ، فإذا مثلت بالمواقف المطهرة ، فوقها حقها من الإعظام والإجبار ، والإجلال والوقار ، وقدم تقمیل الأرض والمطالعة بما أشاء مواصلته من شُكر نعم أمير المؤمنين الضافية على ، المتابعة لدى ، وإخلاص لطاعته ، وأنتصاي في خدمته ، وتوفيري على الدعاء بنبات دولته ، وخُلُود مملكته ، وطالع بكذا وكذا » وعلى هذا النظام إلى آخر المراتب يعني مراتب المكاتبات .

قلت : والذي جرى عليه اصطلاحُ كُتّاب الزمان في التذاكر أن التذكرة تكتب في قطع الشامي ، تُكسّر فيها الفرخة الكاملة نصفين ، وتجعل دفترا وورقة إلى جنب

أخرى لا كُرَّاسَةً بعضها داخل بعض ، وتكون كُتِبَتْها بقلم الرِّقَاع ، وتكون البسْملة في أعلى باطن الورقة الأولى ببياض قليل من أعلاها وهامش عن يمينها ؛ ثم يُكْتَبُ السطر التالي من التذكرة على سَمْتِ البسْملة ملاصقاً لها ، ثم يُحَلَّى قدرُ عرض إصبعين بياضاً ويكتب السطر التالي ، ثم يُحَلَّى قدرُ إصبع بياضاً ويكتب السطر التالي ؛ ويجرى في باقى الأسطر على ذلك حتى يأتى على آخر الورقة ، ثم يُكْتَبُ باطن الورقة التى تليها كذلك ، ثم ظاهرها كذلك ، ثم الورقة الثانية فبا بعدها على هذا الترتيب إلى آخر التذكرة ، ثم يكتب « إن شاء الله تعالى » ثم التاريخ ، ثم الحدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الحسبلة ، على نحو ما تقدم فى المكتبات والولايات وغيرها على ما تقدم بيانه فى المقالة الثالثة فى الكلام على الخواتم .



وهذه نسخةُ تَذَكْرَةٍ أنشأها القاضى الفاضلُ عن السلطان صلاح الدين يوسفَ ابنِ أيوب ، سيرها صُحْبَةُ الأمير شمس الدين الخطيب : أحدِ أمراءِ الدولة الصلاحية إلى أبواب الخلافةِ ببغدادَ فى خلافةِ الناصر لدين الله ، وهى :

تَذَكْرَةٌ مباركة ولم تزل الدُّكْرَى للؤمنين نافعاً ، ولعواریض الشكِّ دافعاً ، صُمِّمَتْ أغراضاً يُقَيِّدُهَا الكِتَابُ ، إلى أن يُطْلَقَهَا الخطاب . على أن السائر سيار البيان ، والرسول يمضى على رسل التبيان ؛ والله سبحانه يُسَدِّدُهُ قَائِلاً وفاعلاً ، ويحفظُهُ بادئاً وعائداً ومقيماً وراحلاً .

الأميرُ الفقيهُ شمسُ الدين خطيبُ الخطباء - أدام الله نعمته ، وكتب سلامته ، وأحسن صحابته - يتوجه بعد الاستخارة ويقصد دار السلام ، والخطبة التى هى عُشُّ بيضة الإسلام ؛ ومجتمع رجاء الرجال ، ومتسع رحاب الرجال ؛ فإذا نظر تلك الدار

الدائر سبحانها ، وشافه بالنظر معالم ذلك الحرم المحترم على الخُطوب خطبها ، ووقف
 أمام تلك المواقف التي تحسد الأرجل عليها الرؤوس ، وقام بتلك المنازل التي تنافس
 الأجسام فيها النفوس ، فلو استطاعت لزارت الأرواح محرمة من أجسادها ،
 وطافت بكعبتها متجردة من أعمادها ، فليُمطر الأرض هناك عنا قبلاً تُخصّصها ،
 بأعداد لا تُحصّلها ؛ وليُسلم عليها سلاماً نعتده من شعائر الدين اللازمه ، وسُنن الإسلام
 القائمه ، وليورد عنا تحية يستنزله من عند الله تحية مباركة طيبة ، وصلاة تخترق
 أنوارها الأستار المحجبه ، وليصالح عنا بوجهه صفحة الثرى ، وليستشرف عنا بنظره
 فقد ظفر بصباح السرى ، وليستلم الأركان الشريفة ، فإن الدين إليها مستند ، وليستد
 الملاحظات اللطيفة ، فإنّ النور منها مستمد ، وإذا قضى التسليم وحقّ اللقاء ،
 وأستدعى الإخلاص جهد الدعاء ، فليعد وليعد حوادث ما كانت حديثاً يُفتري ،
 وجواري أمور إن قال منها كثيراً فأكثر منه ما جرى ، وليشرح صدرنا منها لعله
 يشرح منا صدرنا ، وليوضح الأحوال المستسرة فإنّ الله لا يُعبد سراً :

وَمِنَ الْغَرَائِبِ أَنْ تَسِيرَ غَرَائِبُ * فِي الْأَرْضِ لَمْ يَعْلَمْ بِهَا الْمَأْمُولُ

كَالْعَيْسِ أَقْتَلُ مَا يَكُونُ لَهَا الظَّمَا * وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَجْمُولُ

فإنّا كنا نقتبس النار بأيدينا ، وغيرنا يستدير ، ونستديط الماء بأيدينا ، وغيرنا يستمير ،
 ونلقى السهام بنحورنا ، وغيرنا يغير التصوير ، ونصالح الصفاح بصدورنا ، وغيرنا يدعى
 التصدير ، ولا بد أن نسترد بضاعتنا ، بموقف العدل الذي تُردّ به الغُصوب ، ونُظهر
 طاعتنا ، فنأخذُ بحظ الألسنة كما أخذنا بحظ القلوب ، وما كان العائق إلا أننا كنا ننظر
 ابتداءً من الجانب الشريف بالنعمة ، يُضاهى ابتداءنا بالخدمة ، وإيجاباً للحق ، يشاكل
 إيجابنا للسبق ، إلى أن يكون سبحانها بغير يد مستتراً ، وروضها بغير غرس مُطفلاً .

كان أول أمرنا أنا كُنَّا في الشام نفتح الفتوحات مباشرةً بأنفسنا ونجاهد الكفار متقدمين لعساكره نحن والدنا وعمنا، فأى مدينة فتحت، أو معقل ملك، أو عسكر للعدوكيسر، أو مصاف للإسلام معه ضرب، فما يجهل أحد، ولا يحدد عدو، أنا نصطلي البحر، ونملك الكسره، ونتقدم الجماعة، ونرتب المقاتلة، وندير النعبه، إلى أن ظهرت في الشام الآثار التي لنا أجرها، ولا يضرننا أن يكون غيرنا ذكرها .

وكانت أخبار مصر نتصل بنا بما الأحوال عليه فيها من سوء التدبير، وما دولتها عليه من غلبة صغير على كبير، وأن النظام قد فسد، والإسلام بها قد ضعف عن إقامته كل قائم بها وقعد، والفرنج قد احتاج من يدبرها إلى أن يقطعهم بأموال كثيره، لها مقادير خطيره، وأن كلمة السنة بها وإن كانت مجموعه، فإنها مجموعه، وأحكام الشريعة وإن كانت مسماه، فإنها متجاهاه، وتلك البدع بها على ما يعلم، وتلك الضلالات فيها على ما يفنى منها بفران الإسلام ويحكم، وذلك المذهب قد خالط من أهله اللحم والدم، وتلك الأنصاب قد نصبت آلهة تتخذ من دون الله تعظم وتفخم، فتعالى الله عن شبه العباد، وويل لمن غره تقلب الذين كفروا في البلاد .

فسمت هممنا دون همم ملوك الأرض إلى أن نستفتح مقلها ونسترجع للإسلام شاردها ونعيد على الدين ضالته منها فسرنا إليها بعساكر صخمه، وجوع جبهه، وبأموال انتهكت الموجود، وبلغت من المجهود، وأنفقناها من خالص ذمنا وكسب أيدينا، ومن أسارى الفرنج الواقفين في قبضتنا، فعرضت عوارض منعت، وتوجهت للمصريين حيل باستنجد الفرنج تمت : (ولكل أجل كتاب) . ولكل أمل باب .

وكان في تقدير الله سبحانه أننا نملكها على الوجه الأحسن، ونأخذها بالحكم الأقوى الأمكن، فغدر الفرنج بالمصريين غدره في هذنه عظم خطبها وخبطها،

وَعَلِمَ أَنَّ أَسْتِنْصَالَ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ مَحْطُّهَا ، وَكَاتَبْنَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ مِصْرَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ، كَمَا كَاتَبْنَا الْمُسْلِمُونَ مِنَ الشَّامِ فِي هَذَا الْوَأَنَ ، بَأَنَّ إِنْ لَمْ نُدْرِكِ الْأَمْرَ وَالْإِخْرَاجَ مِنَ الْيَدِ ، وَإِنْ لَمْ نُدْفَعْ غَرِيمَ الْيَوْمِ لَمْ يُمَهِّلْ إِلَى الْغَدِ ، فِيسِرْنَا بِالْعَسَاكِرِ الْمَوْجُودَةِ وَالْأَمْرَاءِ الْأَهْلِ الْمَعْرُوفَةِ إِلَى بِلَادٍ قَدْ تَمَهَّدَ لَنَا بِهَا أَمْرَانِ ، وَتَقَرَّرَ لَنَا فِيهَا فِي الْقُلُوبِ وَدَانَ : الْأَوَّلُ لِمَا عَلِمُوهُ مِنْ إِثَارِنَا الْمُدْعَبِ الْأَقْرَبِ ، وَإِحْيَاءِ الْحَقِّ الْأَقْدَمِ ، وَالْآخِرُ لِمَا يَرْجُوهُ مَنْ فَكَّ إِسَارَهُمْ ، وَإِقَالَةَ عِثَارِهِمْ ، فَفَعَلَ اللَّهُ مَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَجَاءَ الْخَبْرُ إِلَى الْعَدُوِّ فَانْقَطَعَ حَبْلُهُ ، وَضَافَتْ بِهِ سُبُلُهُ ، وَأَفْرَجَ عَنِ الدِّيَارِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ ضِيَاعُهَا وَرَسَائِقُهَا وَبِلَادُهَا وَإِقْلِيمُهَا قَدْ نَفَذَتْ فِيهَا أَوْامِرُهُ ، وَخَفَقَتْ عَلَيْهَا صُلْبَانَهُ ، وَأَمِنَ مِنْ أَنْ يُسْتَرْجَعَ مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ حَاصِلًا ، وَأَنْ يُسْتَنْقَذَ مَاصِرًا فِي مِلْكِهِمْ دَاخِلًا ، وَوَصَانَا الْبِلَادِ وَبِهَا أَجْنَادٌ عَدَدُهُمْ كَثِيرٌ ، وَسَوَادُهُمْ كَبِيرٌ ، وَأَمْوَالُهُمْ وَسِعَهُ ، وَكَلِمَتُهُمْ جَامِعَةٌ ، وَهُمْ عَلَى حَرْبِ الْإِسْلَامِ أَقْدَرُ مِنْهُمْ عَلَى حَرْبِ الْكُفْرِ ، وَالْحِيلَةُ فِي السَّرْمَنِ مِنْهُمْ أَنْفَذُ مِنَ الْعَزِيمَةِ فِي الْجَهْرِ . وَبِهَا رَاجِلٌ مِنَ السُّودَانِ يَزِيدُ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ رَجُلٍ كُلُّهُمْ أَغْتَامٌ أَعْجَامٌ ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ، لَا يَعْرِفُونَ رَبًّا إِلَّا سَاكِنَ قَصْرِهِ ، وَلَا قِبْلَةً إِلَّا مَا تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ مِنْ رُكْنِهِ . وَبِهَا عَسَاكِرٌ مِنَ الْأَرْمَنِ بَاقُونَ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ عَنْهُمْ الْحِزْبِيَّةُ كَانَتْ لَهُمْ شَوْكَةٌ وَشِكَّةٌ ، وَحِمِيَّةٌ وَحِمَّةٌ ، وَلَهُمْ حَوَاشٍ لِقَصْرِهِمْ مِنْ بَيْنِ دَاخِلِ تَلْطُفٍ فِي الضَّلَالِ مَدَاخِلُهُ ، وَتُصِيبُ الْعُقُولَ مَخَاتِلُهُ ، وَمِنْ بَيْنِ كُتَابِ أَفْلَامِهِمْ تَفْعَلُ أَعْمَالُ الْأَسَلِ ، وَخُدَّامٌ يَجْمَعُونَ إِلَى سَوَادِ الْوُجُوهِ سَوَادَ النَّحْلِ ، وَدَوْلَةٌ قَدْ كَبُرَ عَلَيْهَا الصَّغِيرُ ، وَلَمْ يَعْرِفْ غَيْرَهَا الْكَبِيرُ ، وَمَهَابَةٌ تَمْنَعُ خَطَرَاتِ الضَّمِيرِ ، فَكَيْفَ لِحَطَّاتِ التَّنْدِيرِ .

هذا إلى استباحة للحارم ظاهرة ، وتعطيل للفرائض على عادة جارية ، وتحريف للشريعة بالتأويل ، وعدول إلى غير مراد الله في التنزيل ، وكفر سمي بغير اسمه ، وشرع يستتر به ويحكم بغير حكمه .

فما زلنا نَسَحَتَهُمْ سَحَّتِ الْمَبَارِدُ لِلشَّفَارِ ، وَتَحَيَّفَهُمْ تَحَيَّفَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارُ لِلأَعْمَارِ ،
بِعجائبِ تَدْيِيرٍ ، لَا تَحْتَمِلُهَا الْمَسَاطِيرُ ، وَغرائبِ تَقْرِيرٍ ، لَا تَحْمِلُهَا الْأَسَاطِيرُ ، وَلَطْفِ
تَوْصُلِ مَا كَانَ فِي حِيلَةِ الْبَشْرِ وَلَا قُدْرَتِهِمْ إِلَّا إِيَّانَهُ الْمُقَادِيرُ ، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ اسْتَنْجَدُوا
عَلَيْنَا الْفَرَجَ دَفْعَةً إِلَى بُلَيْسٍ ، وَدَفْعَةً إِلَى دِمْيَاطٍ ، فِي كُلِّ مِنْهُمَا وَصَلُوا بِالْعَدُوِّ الْمُجَهَّرِ ،
وَالْحَشْدِ الْأَوْفَرِ ، وَخِصُوصًا فِي نَوْبَةِ دِمْيَاطٍ فَإِنَّهُمْ نَازَلُوهَا بِحَرًّا فِي أَلْفِ مَرَكَبٍ مُقَاتِلِ
وَحَامِلٍ ، وَبَرًّا فِي مِائَتِي أَلْفِ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، وَحَصَرُوهَا شَهْرَيْنِ بِيَاكُوفِهَا وَيُرُوحِوْنَهَا ،
وَيُمَاسُونَهَا وَيُصَاحِجُونَهَا ، الْقِتَالُ الَّذِي يُصَلِّيهِ الصَّلِيبُ ، وَالْقِرَاعُ الَّذِي يُنَادِي بِهِ مَنْ
مَكَانٍ قَرِيبٍ ، وَنَحْنُ مُقَاتِلُ الْعَدُوِّينَ : الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ ، وَنُصَابِرُ الضَّدِّينَ : الْمُنَافِقِ
وَالْكَافِرِ ، حَتَّى أَتَى اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَيَّدَنَا بِنَصْرِهِ ، وَخَابَتِ الْمَطَامِعُ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ وَمَنْ
الْقَرْجِ وَمَنْ مَلَكَ الرُّومَ وَمَنْ الْجَنُوبِيِّينَ وَأَجْناسِ الرُّومِ لِأَنَّ أَنْفَارَهُمْ تَنَافَرَتْ ، وَنِصَارَاهُمْ
تَنَاصَرَتْ ، وَأَنَاجِيلُ طَوَاعِيهِمْ رُفِعَتْ ، وَصُلبَ صَلْبُوتِهِمْ أُخْرِجَتْ ، وَشَرَعْنَا فِي تِلْكَ
الطَّوَائِفِ مِنَ الْأَجْنَادِ وَالسُّودَانِ وَالْأَرْمَنِ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنَ الْقَاهِرَةِ تَارَةً بِالْأَوَامِرِ
الْمُرْهِقَةِ لَهُمْ ، وَبِالدُّنُوبِ الْفَاضِحَةِ مِنْهُمْ ، وَبِالسُّيُوفِ الْمَجْرَدَةِ وَبِالنَّارِ الْمُحْرِقَةِ ، حَتَّى بَقِيَ
الْقُصْرُ وَمَنْ بِهِ مِنْ خَدَمِهِ قَدْ تَفَرَّقَتْ شِيعَتُهُ ، وَتَمَزَّقَتْ بَدَعُهُ ، وَخَفَّتْ دَعْوَتُهُ ،
وَخَفِيَتْ ضَلَالَتُهُ . فَهِنَاكَ تَمَّتْ لَنَا إِقَامَةُ الْكَلِمَةِ وَالْجَهْرُ بِالْخَطْبَةِ وَالرَّفْعُ لِلِوَاءِ السَّوَادِ
الْأَعْظَمِ ، وَالْجَمْعُ لِكَلِمَةِ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، وَعَاجَلَ اللَّهُ الطَّاعِيَةَ الْأَكْبَرَ بِفَنَائِهِ ، وَبَرَّأْنَا
مِنْ عَهْدَةِ يَمِينٍ كَانَ حِثُّهَا أَيْسَرَ مِنْ إِثْمِ إِبْقَائِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ عُوِجِلَ لِقَرُطِ رَوْعَتِهِ ، وَوَافَقَ
هَلَاكُ شَخْصِهِ هَلَاكُ دَوْلَتِهِ .

وَمَا خَلَا دَرْعُنَا ، وَرَحِبَ وَسْعُنَا ، نَظَرْنَا فِي الْغَزَوَاتِ إِلَى بِلَادِ الْكُفَّارِ ، فَلَمْ
تَخْرُجْ سَنَةٌ إِلَّا عَنْ سُنَّةٍ أُقِيمَتْ فِيهَا بَرًّا وَبِحَرًّا ، وَمَرَجًا وَظَهْرًا ، إِلَى أَنْ أَوْسَعْنَاهُمْ
قِتْلًا وَأَسْرًا ، وَمَلَكْنَا رِقَابَهُمْ قَهْرًا وَقَسْرًا ، وَفَتَحْنَا لَهُمْ مَعَاقِلَ مَا خَطَرَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ فِيهَا

منذ أخذت من أيديهم ، وما أوجفت فيها خيلهم ولا ركابهم مذ ملكها أعاديهم ،
فمنها ما حكمت فيه يد الخراب ، ومنها ما استولت عليه يد الاكتساب ، ومنها قاعة
بشفر أيلة كان العدو قد بناها في بحر الهند ، وهو السلوك منه إلى الحرمين واليمن ،
وغزا ساحل الحرم فسبى منه خلقا ، وخرق الكفر في هذا الجانب خرقا ، فكادت
القبلة أن يستولى على أصلها ، ومساجد الله أن يسكنها غير أهلها ، ومقام الخليل
صلوات الله عليه أن يقوم به من ناره غير برد وسلام ، ومضجع الرسول شرفه الله أن
يتطرقه من لا يدين بما جاء به من الإسلام ، ففتح الله هذه القلعة وصارت معقلا
للجهاد ، وموقلا لسفار البلاد ، وغيرهم من عباد العباد ، فلو شرح ماتم بها للمسلمين
من الأثر الجليل ، وما أسند من خلاصهم ، وأحرق من زروع المشركين ورعى من
غلاتهم ، إلى أن ضعفت ثغورهم ، وأختلت أمورهم ، لاحتيج فيه إلى زمن يشغل
عن المهمات الشريفة لسماع موارده ، وإيضاح مقصده .

وكان باليمن ما علم من ابن مهدي الضال وله آثار في الإسلام ، وثار طائفة النبي
عليه الصلاة والسلام ، لأنه سبى الشرائف الصالحات وباعهن بالثمن البخس ،
وآستباح منهن كل ما لا تقتر عليه نفس ، وكان يبذعه دعا إلى قبر أبيه وسماه كعبه ،
وأخذ أموال الرعايا المعصومة وأجاحها ، وأحل الفروج المحرمة وأباحها ، فأنهضنا
إليه أخانا بعسكرنا بعد أن تكلفنا له نفقات واسعة ، وأسلحة رائمة ، وسار فأخذناه
ولله الحمد ، وأنجح الله فيه القصد ، ووردتنا كتب عساكرنا وأمرائنا بما نفذ في ابن
مهدي وبلاده المفتحة ومعاقله المستضافة ، والكلمة هنالك بمشيئة الله إلى الهند
ساريه ، وإلى ما لم يقتض الإسلام عذرتة مذ أقام الله كلمته متمادية .

ولنا في المغرب ، أثر أعرب ، وفي أعماله أعمال دون مطلبها كما يكون المهلك
دون المطلب ، وذلك أن نبي عبد المؤمن قد أشتهر أن أمرهم أمر ، ومملكهم

قد عمير ، وجيوشهم لأنطاق ، وأوامرهم لأنشاق ، ونحن والحمد لله قد ملكنا مما
يُجاورنا منه بلاداً تزيد مسافتها على شهر ، وسيرنا عسكرياً بعد عسكرياً بِنصرٍ بعد
نصر ، ومن البلاد المشاهير ، والأقاليم الجماهير - لك - برقة - قفصة - قسطنطينية -
توزر ؛ كل هذه تُقام فيها الخطبة لمولانا الإمام المستضيء بالله سلام الله عليه ،
ولا عهد للإسلام باقامتها ، وتنفذ فيها الأحكام بعلمها المنصور وعلامتها . وفي هذه
السنة كان عندنا وفدٌ قد شاهده وفود الأمصار ، مقداره سبعون راجعاً كلهم يطلب
لسلطان بلده تقليداً ، ويرجو منا وعداً ويخاف وعياداً .

وقد صدرت عنا بحمد الله تقاليدُها ، وألقيت إلينا مقاليدُها ، وسيرنا الخلع
والألوية ، والمناشير بما فيها من الأوامر والأفضيه .

وأما الأعداء الذين يُحذقون بهذه البلاد ، والكفار الذين يُقاتلوننا بالمالك العظام
والعزائم الشداد ، فمنهم صاحب قسطنطينية وهو الطاغية الأكبر ، والجبّار الأَكفر ،
وصاحبُ المملكة التي أكلت على الدهر وشربت ، وقائمُ النصرانية التي حكمت دولته
على ممالكها وغلبت ، وجرت لنا معه غزوات بحرية ، ومناقلات ظاهرية وسريّة ،
وكانت له في البلاد مطامعُ منها أن يجبي خراجاً ، ومنها أن يملك منها فيجاء ، وكانت
غصّة لا يسيفها الماء ، وداهية لا تُرجى لها الأرض بل السماء ، فأخذنا والله الحمد
بكتامه ، وأقمناه على قدمه ، ولم نُخرج من مصر ، إلى أن وصلتْنا رسله في جمعة واحدة
في نوبتين بكتابين كل واحد منهما يُظهر فيه خفض الجناح ، وإلقاء السلاح ،
والانتقال من معاداه ، إلى مهاداه ، ومن مناصحه ، إلى مناصحه ، حتى إنه أنذر
بصاحب صقلية وأساطيله التي يرد ذكرها ، وعساكره التي لم يخف أمرها .

ومن هؤلاء الكفار صاحبُ صِقْلِيَّةٍ هذا كان حينَ علمَ أن صاحبَ الشام
وصاحبَ قُسطنطينيَّةٍ قد اجتمعَا في نوبةِ دِمياطِ فغلبا وهزَمَا وكسرا، أراد أن يُظهر
قوتهِ المستقلَّةَ بمُفردِها، وعزمتَه القائمَةَ بجزءِها، فعمرَ أسطولاَ استوعبَ فيه ماله
وزمَّانَه: فإنه إلى الآنَ منذُ خمسِ سنينَ يكثرُ عدَّتُه، ويذخِبُ عدَّتَه، ويحتلبُ مقاتلتهِ
إلى أن وصلَ منها في السنةِ الخاليةِ إلى إسكندريةِ أمرُ رابعٌ، وخَطبَ هائلٌ، ما أُثقلَ
ظَهَرَ البحرِ مثلَ حملِه، ولا ملاءَ صدرَه مثلَ خيلِه ورجلِه، ماهو إقليمٌ بل أقاليمٌ تقله،
وحيشٌ ما احتفلَ ملكٌ قطُّ بنظيره لولا أن اللهَ حدَّله؛ ولو ذهبنا نصفَ ما ذهبَ،
فيه من ذهبٍ؛ وما أخذَ منه من سلاحٍ وخيلٍ وعدَدٍ ومجانيقٍ، ومن أسرَمَ منه من
خيالةِ بكارٍ، ومقدِّمينَ ذوى أقدارٍ، وملوكٍ يُقاطعونَ بالحملِ التي لها مقدارٌ، وكيف
أخذَه وهو في العدَدِ الأَكثَرِ بالعدَدِ الأقلِّ من رجالنا، وكيف نصر اللهَ عليه مع
الأصعبِ من قتاله بالأسهلِ من قتالنا، لعلِّمَ أن عنايةَ اللهَ بالإسلامِ تُغنيه عن السلاحِ،
وكفايةَ اللهَ لهذا الدينِ تكفيه مئونةَ الكفاحِ؛ ومن هؤلاء الجنويِّينَ الذين يسربون
الجوشَ - البنادقُ - البياشنهَ - الجنويةَ كلُّ هؤلاء تارةً لا تُطاقُ ضراوةُ شرِّهم، ولا تُنفأُ
شرارةُ شرِّهم؛ وتارةً يُجهزونَ سفاراَ يَحْتَكُونَ على الإسلامِ في الأموالِ المجلوبةِ، وتَقْصُرُ
عنهم يدُ الأحكامِ المرهوبةِ؛ وما منهم الآنَ إلا من يجلبُ إلى بلدنا آلةَ قتاله وجهاده،
ويتقرَّبُ إلينا بإهداءِ طرائفِ أعمالِه وبلادِه؛ وكلُّهم قد قرَّرتَ معه المواصفهَ،
وانتظمتَ معه المسالمةَ؛ على ما نريدُ وبكرهونَ، ونؤثرُ ولا يؤثرونَ .

ولما قضى اللهُ بالوفاةِ النوريةِ، وكنا في تلكِ السنةِ على نيةِ الغزوِ، والعساكرُ قد
ظَهَرتَ، والمضاربُ قد برزتَ، ونزلَ الفَرُجُ بانياسَ وأشرفوا على أحيائها، ورأوها
فرصةً مُدوِّ إليها يدُ انتهازها، استصرخَ بنا صاحبُها للمناعه، وأستمنضنا لتفريجِ
الكربِ الواقعه؛ فسرنا مراحلَ اتَّصلَ بالعدوِّ أمرها، وعوجلَ بالهدنةِ الدمشقيةِ

التي لولا مسيرنا ما انتظم حكمها ولا قيل كثيرها ولا قلياها ؛ ثم عدنا إلى البلاد فتوافقت إلينا الأخبار بما الدولة النورية عليه من تشعب الآراء وتوزعها ، وتشدت الأمور وتقطعت بها ، وأن كل قلعة قد حصل فيها صاحب ، وكل جانب قد طمخ إليه طالب ؛ والفرنج قد بنوا بلادا يتحيفون بها الأطراف الإسلامية ، ويضايقون بها البلاد الشامية ؛ وأسراء الدولة قد سجن أكابريهم وعوقبوا وصودروا ، والمماليك الذين للتوقي أغراراً خلّقوا للأطراف لا للصُدور ، وجعلوا للقيام لا للجُلوس في المحفل المحصور ؛ وقد مدوا الأعين والأيدي والسيوف ، وساءت سيرتهم في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ؛ وكل واحد يتخذ عند الفرنج يدا ، ويجعلهم لظهره سندا ؛ ويرفع عنهم ذخيرة كانت للإسلام ، ويفرح لهم عن أسير من أكابر الكفار كان مقامه مما يدفع شرا ، ولا يزيد نار الكفر جمرًا ، وإطلاقه يجلب قطيعة تقوى إسلاما وتضعف كفرا ؛ فكثرت إلينا مكاتبات أهل الآراء الصائبة ، ونظرنا للإسلام ولنا وبلاد الإسلام في العاقبة ؛ وعرفنا أن البيت المقدس إن لم تبيسر الأسباب لفتحته ، وأمر الكفر إن لم يجرّد العزم في قلبه ؛ وإلا ثبتت عروقه ، وآتسعت على أهل الدين نحروقه ؛ وكانت الحجة لله قائمه ، وهمم القادرين بالقعود آئمه ؛ وإذا لا يتمكن بمصر منه مع بُعد المسافة ، وأتقطاع العارة وكلال الدواب ، وإذا جاورناه كانت المصلحة بادية ، والمنفعة جامعة ، واليد قادرة ، والبلاد قريبة ، والغزوة ممكنة ؛ والميرة متسعة والخيل مستريحة ، والعساكر كثيرة ، والجموع متيسرة ، والأوقات مساعدة ؛ وأصلحنا ما في الشام من عقائد معتلة ، وأمور مختلة ؛ وآراء فاسده ، وأسراء متحاسده ؛ وأطباع غالبه ، وعمول غائبه ؛ وحفظنا الولد القائم بعد أبيه ، وكملناه كفالة من يقضى الحق ويؤفيه ؛ فإننا به أولى من قوم يأكلون الدنيا باسمه ، ويظهرون الوفاء بخدمه وهم عاملون بظلمه ؛ والمراد الآن هو كل ما يقوى الدولة ،

ويؤكد الدعوه؛ ويجمع الأمة، ويحفظ الألفه، ويضمن الزلفه؛ ويفتح بقية البلاد،
ويطبق بالأسم العباسي كل ما تخطئه العهاد - ونحن نقترح على الأحكام المهوده،
وننتظر أن يأتي الإنعام على الغايات المزیده؛ وهو تقليد جامع لمصر والمغرب واليمن
والشام، وكل ما تشتمل عليه الولاية النورية، وكل ما يفتحه الله للدولة بسيفنا
وسيف عساكرنا، ولن نقيم من أخ وولد من بعدنا، تقليدًا يضمن للنعمة
تخليدًا، وللدعوة تجديدًا؛ مع ما نعلم به من السمات التي يقتضيها الملك، فإن الإمارة
اليوم بحسن نيتنا في الخدمة تصرف بأقلامنا، ونستفاد من تحت أعلامنا؛ ويتبين
أن أمراء الدولة النورية يحتاج اليهم في فتح البلاد المقدسية ضرورة: لأنها منازل
العساكر، وجمع الأنفار والعشائر؛ فحتى لم يكن عليهم يد حاكمه، وفيهم كلمة نافذه؛
منعهم ولاية البلاد، وبغاة العناد.

وبالجملة فالشام لا ينتظم أمره بمن فيه، وفتح بيت المقدس ليس له قرن يقوم به
ويكفيه؛ والفرنج فهم يعرفون منا خصما لا يمل الشر حتى يملأوا، وقرنا لا يزال يحرم
السيف حتى يكلأوا؛ حتى إننا لما جاورناهم في هذا الأمد القريب، وعلموا أن
المصحف قد جاء بأيدينا يخاصم الصليب؛ استشعروا بفراق بلادهم، وتهادوا التعازي
لأرواحهم بأجسادهم، وإذا سدد رأينا حسن الرأي ضربنا بسيف يقطع في غمده،
وبلغنا المنى بمشيئة الله ويد كل مسلم تحت برده، وأستبقنا أسيرًا من المسجد
الذي أسرى الله اليه بعبدته.

هذا ما لاح طابهُ على قدر الزمان، والأنفس تطالب على مقدار الإحسان؛ فإن
في استنهاض نيات الخدام بالإنعام ما يعود على الدولة منافعه، وتتكا الأعداء مواقعهُ؛
وتبعث العزائم من موت منامها، وتتفرض عن البصائر غبار ظلامها؛ والله تعالى يُجبد
إرادتنا في الخدمة بمضاهة الأقتدار، ومساعدة الأقدار، إن شاء الله تعالى.

الضرب الثاني

(ما كان يُكْتَبُ لنواب السلطنة بالديار المصرية عند سفر السلطان

عن الديار المصرية)

والعادة أن يُكْتَبَ فيما يتعلق بمهمات الديار المصرية وأحوالها ومصالحها ، وما يترتب فيها ، وما يُشئ على حكمه بمصر والقاهرة المحروستين ، وسائر أعمال الديار المصرية ، وما تبرز به المراسيم الشريفة في أمورها وقضاياها ، وأستخراج أموالها ومحوها ، وعمل جسورها وحفائرها ، وما يتجدد في ذلك ، وما يجري هذا المجرى من سائر التعلقات ، وتصدر بذلك التذكرة .

وهذه نسخة تذكرة سلطانية كتبت بها عن السلطان الملك الصالح على ، ابن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، لكافل السلطنة بالديار المصرية ، الأمير زين الدين كتبغا ، عند سفر السلطان الملك الصالح الى الشام ، وأستقرار كتبغا المذكور نائباً عنه في سنة تسع وتسعين وستائة ، من إنشاء أحمد بن المكرم بن أبى الحسن الأنصارى ، أحد كُتَّاب الدرج يومئذ ومن خطه نقلت ، وهى :

تذكرة نافعة ، للخيرات جامعه ، يعتمد عليها المجلس العالى ، الأميرى ، الزينى ، كتبغا المنصورى ، نائب السلطنة الشريفة - أدام الله عزه - فى مهمات الديار المصرية وأحوالها ومصالحها ، وما يترتب بها ، وما يبت ويفصل فى القاهرة ومصر المحروستين وسائر أعمال الديار المصرية ، صانها الله تعالى ، وما تُستخرج به المراسيم الشريفة ، المولوية ، السلطانية ، الملكية ، الصالحية ، الفلانية - أنفذها الله تعالى - فى أمورها وقضاياها ، وولاياتها وولاتها ، ومحوها وحفيرها وحفظها ومتجدداتها على ما شرح فيه :

فصل الشَّرْع الشريف :

يُسَدُّ مِنْ حُكَّامِهِ وَقُضَاتِهِ فِي تَنْفِيذِ قَضَائِهِ وَتَصْرِيْفِ أَحْكَامِهِ ، وَالشَّدُّ مِنْهُ فِي تَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ .

فصل العَدْل والانصافِ والحق :

يَعْتَمِدُ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْمَمْلَكَةِ الشَّرِيفَةِ : مَدِينِهَا وَقُرَاهَا وَأَعْمَالِهَا وَوِلَايَاتِهَا : بِحَيْثُ يَشْمَلُ جَمِيعَ الرِّعَايَا مِنْ خَاصٍّ وَعَامٍّ ، وَبَعِيدٍ وَقَرِيبٍ ، وَغَائِبٍ وَحَاضِرٍ ، وَوَارِدٍ وَصَادِرٍ ؛ وَيَسْتَجْلِبُ الْأَدْعِيَةَ الصَّالِحَةَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ لِهَذِهِ الْأَيَّامِ الزَّاهِرَةِ ، وَيَسْتَنْطِقُ الْأَلْسِنَةَ بِذَلِكَ ، فَإِنَّ الْعَدْلَ حِجَّةُ اللَّهِ وَمَحَجَّةُ الْخَيْرِ ، فَيُدْفَعُ كُلَّ ضَرَرٍ وَيَرْفَعُ كُلَّ ضَيْرٍ .

فصل الدماء :

يَعْتَمِدُ فِيهَا حَكْمُ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ . وَمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ قِصَاصٌ يَسَلِّمُ لِعَرِيْمِهِ لِيَقْتَصَّ مِنْهُ بِالشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْقَطْعُ يُقَطِّعُ بِالشَّرْعِ الشَّرِيفِ .

فصل الأمور المختصَّة بالقاهرة ومصر المحروستين حرسهما الله تعالى :

لَا يَتَّجَوْهُ فِيهَا أَحَدٌ ، وَلَا يَقْوَى قَوِيٌّ عَلَى ضَعِيفٍ ، وَلَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ جَمَلَةً كَافِيَةً .

فصل

يَتَقَدَّمُ أَنْ لَا يَمْشِيَ أَحَدٌ فِي الْمَدِينَةِ وَلَا ضَوَاحِيهَا فِي الْحُسَيْنِيَّةِ وَالْأَحْكَارِ فِي اللَّيْلِ إِلَّا لِضُرُورَةٍ ، وَلَا يُخْرَجُ أَحَدٌ مِنْ بَيْتِهِ لِغَيْرِ ضُرُورَةٍ مَأْسُومَةٍ ، وَالنِّسَاءُ لَا يَنْصَرِفْنَ فِي اللَّيْلِ وَلَا يُخْرَجْنَ وَلَا يَمْشِينَ جَمَلَةً كَافِيَةً .

فصل الجبوس :

تُحْرَسُ وَتُحْفَظُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَحْلُقُ لِحَى الْأَسَارَى كُلِّهِمْ : مَنْ فَرَّجَ وَأَنْطَاكِيَّيْنِ
وغيرهم ، وَيُتَمَهَّدُ ذَلِكَ فِيهِمْ كَمَا تَنَبَّأَتْ ، وَيُحْتَرَزُ فِي أَمْرِ الدَّخْلِ إِلَى الْجُبُوسِ ،
وَيُحْتَرَزُ عَلَى الْأَسَارَى الَّذِينَ يُسْتَعْمَلُونَ ، وَالرِّجَالُ الَّتِي يُخْرَجُونَ مَعَهُمْ ، وَتُقَامُ الضَّمَانُ
النَّقَاتُ عَلَى الْجَانْدَارِيَّةِ الَّذِينَ مَعَهُمْ ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ فِي ذَلِكَ غَرِيبٌ ، وَلَا مَنْ فِيهِ رِيْبَةٌ ،
وَلَا تَبِيْتُ الْأَسَارَى الَّذِينَ يُسْتَعْمَلُونَ إِلَّا فِي الْجُبُوسِ ، وَلَا يُخْرَجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِحَاجَةٍ
تَخْتَصُّ بِهِ وَلَا لِحَمَامٍ وَلَا كَنِيسَةٍ وَلَا فُرْجَةٍ ، وَتُنْفَقُ قِيُودُهُمْ وَتُوْتَقُّ فِي كُلِّ وَقْتٍ .

وَيَضَاعَفُ الْحُرْسُ فِي اللَّيْلِ عَلَى خِزَانَةِ الْبُنُودِ بِإِظْهَارِ ظَاهِرِهَا وَعَلْوِهَا وَحَوْلِهَا
وَكذلك خِزَانَةِ الشَّمَائِلِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْجِيُوشِ .

فصل

يُرْتَّبُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجُنْدِ مَعَ الطُّوُوفِ فِي الْمَدِينَةِ لِكَشْفِ الْأَزْقَةِ وَعَاقِقِ الدُّرُوبِ وَنَفَقَتِ
أَصْحَابِ الْأَرْبَاعِ ، وَتَأْدِيْبِ مَنْ يُحِلُّ بِمَرْكَزِهِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَرْبَاعِ ، وَتَكُونُ الدُّرُوبُ
مَغْلَقَةً . وَكَذلك تَجْرُدُ جَمَاعَةُ الْحُسَيْنِيَّةِ وَالْأَحْكَارِ وَجَمِيعِ الْمَرَكَزِ ، وَيَعْتَمِدُ فِيهَا هَذَا
الْإِعْتِمَادُ ؛ وَمَنْ وُجِدَ فِي اللَّيْلِ قَدْ خَالَفَ الْمَرْسُومَ وَيَمِشِي لَغَيْرِ عُدُرٍ يُسَكِّ وَيُؤَدِّبُ .

فصل

يَحْتَرَزُ عَلَى الْأَبْوَابِ غَايَةَ الْأَحْتِرَازِ ، وَيَتَفَقَّدُ فِي اللَّيْلِ خَارِجَهَا وَبَاطِنَهَا وَعِنْدَ
فَتْحِهَا وَغَلْقِهَا .

فصل

الْأَمَاكُنُ الَّتِي يَجْتَمِعُ فِيهَا الشَّبَابُ وَأَوْلُو الدَّعَاةِ وَمَنْ يَتَعَانَى الْعَيْثَ وَالزَّنْطَرَةَ ،
لَا يُفْسَحُ لِأَحَدٍ فِي الْاجْتِمَاعِ بِهَا فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ ، وَيَكْفُونُ الْأُكُفَّ النَّوَامَ بِحَيْثُ
تَقُومُ الْمَهَابَةُ وَتَعْظُمُ الْحَرَمَةُ ، وَيَتَزَجَّرُ أَهْلُ النَّحْيِ وَالْعَيْثِ وَالْعَيْثِ .

فصل

يرتَّب المجرِّدون حولَ المدينتين بالقاهرة ومصر المحروستين على العادة، وكذلك جهة القرافة وخلف التلعة وجهة البحر، وخارج الحسينية، ولا يهمل ذلك ليلة واحدة، ولا يفارق المجرِّدون مراكرهم إلا عند السُّفور وتكامل الضوء .

فصل

يتقدَّم بأن لا تجتمع الرجال والنساء في ليالي الجمع بالقرافتين، ويمنع النساء من ذلك .

فصل

مهمَّات الغائبين في البيكار المنصور تُلاحظ ويُشدُّ من نوابهم في أمورهم ومصالحهم، ويستخلص حقوقهم لنوابهم وغلمانهم وكلائهم؛ ومن كانت له جهة يستخلص حقه منها ولا يتعرض إلى جهاتهم المستقرّة فيما يستحقونه؛ ويقوى أيديهم، وتؤخذ الحجج على وكلائهم بما يقبضونه حتى لا يقولوا موكلوهم في البيكار: إنَّ كتب وكلائنا وردت بأنهم لم يقبضوا لنا شيئا، فيكون ذلك سببا لردِّ شكوايهم .

فصل

خليج القاهرة ومصر المحروستين يرسم بعمله وحفره وإتقانه في وقته: بحيث يكون عملا جيّدا متقنا من غير حيف على أحد، بل كلُّ أحدٍ يعمل ما يلزمه عملا جيّدا .

فصل

جسور ضواحي القاهرة يُسرّع في إتقانها وتعريضها، ويجتهد في حُسن رصفها وفتح مشاربها، وحفظها من الطارق عليها، وتبقى متقنة مكلمة إلى وقت النيل المبارك، ولا يخرج في أمرها عن العادة، ولا يحتّم أحدٌ عن العمل فيها بما

يلزمه ، ويحمل الأمر في جراريها ومقلقاتها على ما تقدمت به المراسيم الشريفة في أمر الجسور القريبة والبعيدة .

فصل في الأعمال والولايات .

تُنجز الأمثلة الشريفة السلطانية ، الملووية ، الملكية ، الصالحية ، الفلانية ، شرفها الله تعالى ، بإتقان عمل الجسور وتجويدها وتعريضها وتفقد القناطر والتراع ، وعمل ماتمدم منها وتريم ماوهي ، وإصلاح ماتسعت من أبوابها ، وتحصيل أصنافها التي تدعو الحاجة إليها في وقت النيل ، وتعتمد المراسيم الشريفة من أن أحدا لا يعمل بالجاه ، ومن وجب عليه فيها العمل يعمل على العادة في الأيام الصالحة ، ويؤكد على الولاية في مباشرتها بنفوسهم ، وأن لا يتكلموا على المشدين ، وأي جهة حصل منها نقص أو خلل كان قبالة ذلك رُوح وإلى ذلك العمل وماله ، ويشدد على الولاية في ذلك غاية التشديد ، ويحذر أتم التحذير ، وتؤخذ خطوط الولاية بأن الجسور قد أتقن عملها على الوضع المرسوم به ، وأنها أتقنت ولم يبق فيها خلل ، ولا ما يخشون عاقبة ، ولا ما يخافون دركه ، وأنها عمات على ما رسم .

فصل

يتقدم إلى الولاية ويستخرج الأمثلة الشريفة السلطانية بترتيب الخفراء على ما كان الحال رتب عليه في الأيام الظاهرية : أن يرتب من البلد إلى البلد خفراء ينزلون بيوت شعر على الطرقات على البلدين ، يحفرون الرأخ والغادي ، وأي من عدم له شيء يلزمه دركه ، وينادي في البلاد أن لا يسافر أحد في الليل ولا يغرب ، ولا يسافر الناس إلا من طلوع الشمس إلى غروبها ، ويؤكد في ذلك التأكيد التام .

فصل الثغور المحروسة :

يُلاحِظُ أُمُورَهَا وَمُهَمَّاتِهَا ، وَيَسْتُخْرِجُ الْأُمَثَلَ الشَّرِيفَةَ السُّلْطَانِيَّةَ فِي مُهَمَّاتِهَا وَأَحْوَالِهَا وَحِفْظِهَا ، وَالْأَحْتَازِ عَلَى الْمُعْتَمَلِينَ بِهَا ، وَالْأَسْتَظْهَارَ فِي حِفْظِهِمْ ، وَالتَّيَقُّظَ لِمُهَمَّاتِ الثُّغُرِ ، وَالسُّتِجَابَ قُلُوبِ التُّجَّارِ ، وَالسُّمَالَةَ خَوَاطِرِهِمْ ، وَمَعَامِلَتِهِمْ بِالرِّفْقِ وَالْعَدْلِ حَتَّى نَتَوَاصَلَ التُّجَّارَ وَتَعْمُرَ الثُّغُورَ ؛ وَيُؤَكِّدُ عَلَيْهَا فِي الْمُسْتُخْرِجِ وَتَحْصِيلِ الْأَمْوَالِ ، وَأَصْنَافِ الدَّخَائِرِ ، وَأَصْنَافِ الْخَزَائِنِ الْمَعْمُورَةِ وَالْحَوَاطِجِ خَانَاهُ ، وَيُوعِزُ إِلَيْهِمْ بِأَنَّ هَذَا وَقْتُ انْفِتَاحِ الْبَحْرِ وَحُضُورِ التُّجَّارِ وَتَرْجِيَةِ الْأَمْوَالِ ، وَصَلَاحِ الْأَحْوَالِ ، وَالنَّهْضَةِ فِي تَكْثِيرِ الْجُمُودِ ، وَيُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ فِي الْمُواصَلَةِ بِهَا ، وَأَنَّ تَكُونَ حُمُولًا مَتَوَفَّرَةً ، وَأَنَّهُ لَا يُفْرَطُ فِي مُسْتُخْرِجِ حَقُوقِ الْمَرَكَبِ الْوَاصِلَةِ ، وَلَا يُقَلَّلُ مَتَحْصِلُهَا ، وَلَا يَنْقُصُ حِمْلُهَا ، وَيَسِيرٌ بِحِمْلِهَا حَمَلًا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ عَلَى الْعَادَةِ ، وَيُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ فِي الِاسْتِعْمَالَاتِ ، وَتَحْصِيلِ الْأَقْشِنَةِ وَالْأَمْتَعَةِ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا وَإِزَالَةِ الْأَعْدَارِ فِيهَا : بِحَيْثُ لَا يَتَوَقَّفُ أَمْرُ الِاسْتِعْمَالَاتِ وَلَا يُؤَخَّرُ مَهْمُهَا عَنْ وَقْتِهِ ، وَمَهْمَا وَصَلَ مِنَ الْمَالِكِ وَالْجَوَارِي وَالْخَرِيرِ وَالْوَبْرِ وَالْأَطْلَسِ وَالْفِضَّةِ الْمَجْرِي ، وَأَقْصَابِ الذَّهَبِ الْمَغْرُودِ يَعْتَمِدُ فِي تَحْصِيلِهِ الْعَادَةُ .

فصل

يُؤَكِّدُ عَلَى وِلَاةِ الْأَعْمَالِ فِي اسْتِخْلَاصِ الْحَقُوقِ الدِّيُونِيَّةِ مِنْ جِهَاتِهَا ، وَالْمُواصَلَةِ بِالْحُمُولِ فِي أَوْقَاتِهَا ، وَمِبَاشَرَةِ أَحْوَالِ الْأَقْصَابِ وَمَعَاصِرِهَا فِي أَوْقَاتِهَا ، وَأَعْتَادِ مَصْلَحَةِ كُلِّ عَمَلٍ عَلَى مَا يَنْسِبُهِ وَتَقْتَضِيهِ مَصْلَحَتُهُ : مِنْ مُسْتُخْرِجِ وَمُسْتَعْتَلٍ ، وَمُجْمُولٍ وَمُزْدَرَعٍ ، وَمُسْتَعْمَلٍ وَمُنْفَقٍ ، وَيُحَدِّثُهُمْ عَنْ حُصُولِ خَلَلٍ ، أَوْ ظُهُورِ عَجْزٍ ، أَوْ فُتُورِ عَزْمٍ ، أَوْ تَقْصِيرِ رَأْيٍ ، أَوْ مَا يَقْتَضِي الْإِنْكَارَ وَيُوجِبُ الْمُواخَذَةَ ، وَيَسُدِّدُ فِي ذَلِكَ مَا تَقْتَضِيهِ فِرْصُ الْأَوْقَاتِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْتَهَارُهَا عَلَى مَا يَطَالَعُونَ بِهِ .

فصل [أموال] الخراج الديوانية :

يحتز عليها وتربى وتتمى، ولا يطلق منها شيء إلا برسوم شريف منّا، ويُطالع بأنّ المرسوم ورد بكذا وكذا ويعود الجواب بما يعتمد في ذلك .

فصل حقوق الأمراء والبحرية والحلقة المنصورة والحند وجهاتهم :

يستخلص أموالهم ووكلائهم، ويوجد الشهادات بما عليهم من غلة ودرهم، وغير ذلك، ولا يجوز الوكلاء إلى شكوى منهم نتصل بمن هو في البيكار، ويحسم هذه المادة، ويسد أبواب الماطلة عنهم .

فصل

يتقدم إلى الولاية والنظار والمستخدمين بعمل أوراق بما يتحصل للمقطعين الأصلية (؟) في كل بلد، ولقطع الجهة، ولن أفرده طين بجهة، وان جهته على الرسوم : ليعلم حال المقطعين في هذه السنة الجيشية والجهاتية وما تحصل لكل منهم، ولا يحصل من أحد من الولاية مكاشرة ولا إهمال، ولا يطمع في الوكلاء لأجل غيبة الأمراء والمقطعين في البيكار، ولا يجوز أحد من المقطعين إلى شكوى بسبب متأخر ولا ظليمة ولا إجحاف .

فصل

إذا خرج جاندار من مصر إلى الأعمال لا يعطى في العمل أكثر من درهمين نكرة، ويوصل الحق الذي جاء فيه لمستحقه، فإن حصل منه قال وقيل أوحيف أو تعنت يرسم عليه، ويسير الحق مع صاحبه معه، ويطلع بأن فلانا الجاندار حضر وجرى منه كذا وكذا، ويشرح الصورة ليحسم المواد بذلك .

فصل

إذا سَيرَ أحدٌ من الولاة رسولا بسببِ خلاصِ حقٍّ من بعضِ قرى أعماله فيكون ما يُعطى الجاندار عن مسافة سفر يومٍ نصفَ نَقرةٍ ، وعن يومينِ درهمٍ واحدٍ لا غيرُ ، وأى جاندار تعدى وأخذ غير ذلك يُؤدَّبُ ويُصرف من تلك الولاية .

فصل :

تُكتبُ الحجج على كل وكيل يقبضُ لخدمته شيئاً من مغلَّة أو جهته : من الديوان أو الفلاحين ؛ ولا يسلم له شيء إلا بشهادةٍ بحجج مكتوبة عليه ، تُخلد منها حجة الديوان المعمور بما قبضه من جهته أو إقطاعه ، وتبقى الحججُ حاصلة حتى إذا شكأ أحد إلينا وسيرنا عرفناهم بمن يشكو من تأخر حقه ، يُطالعونا بأمر وكيله وما قبض من حقه ، وتُسِيرُ الشهادة عليه طي مطالعتة ، (ويُحترز من الشهادات) بما وصل لكل مُتَطع ، حتى إنا نعلم من مضمون الحجج والشهادات متحصّل المقطعين من البلاد والجهات مُفصّلاً وجملة ما حصل لكل منهم : من عين وغلة وما تأخر لكل منهم ، ويعمل بذلك صورة أمور البلاد والمقطعين وأحوالهم ، ويُزِيلُ شكوى من يجب إزالة شكواه ، وتعلم أحوالهم على الجليّة .

فصل

تقرأ هذه التذاكر على المنابر فصلاً فصلاً ، ليسمعها القريبُ والبعيدُ ، ويُبلغها الحاضرُ والغائبُ ، ويعمل بمضمونها كل أحد . ومن نرح عنها أو عمل بخلافها فهو أخبر بما يلقاه من سطواتنا وشدة بأسنا ، والسلام .

الضرب الثالث

(ما كان يُكتب لثواب القلاع وولّاتها : إما عند استقرار النائب بها ،
 وإما في خلال نيابته)

والعادة فيها أن يكتب فيها باعتماد الكشّف عن أحوال القلعة وأسوارها وعرض
حواسلها ، ومقدّمى رجالها ، وترتيب الرجال في مراكزهم ، وكشف مظالم الرعايا ،
والنظر في الاحتراز على القلعة وعلى أبوابها ، والاحتفاظ بما تيجها على العادة ، وتحصيل
ما يحتاج إليه فيها من الزاد والحطب والملح والفحم وغير ذلك . والمطالعة بمتجددات
الأخبار .



وهذه نسخة تذكرة كتبت بها عن السلطان الملك المنصور قلاوون بسبب قلعة
صرخد من الشام ، عند استقرار الأمير سيف الدين باسطى نائباً بها ، والأمير عز الدين
واليها في سنة تسع وسبعين وستمائة ، من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر
صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب السلطانية ، وهى :

تذكرة مباركة نافعة ، لكثير من المصالح جامعها ، يعتمد عليها الأميران : سيف الدين
وعز الدين عند توجههما إلى قلعة صرخد المحروسة :

يعتمدان العدل في الرعيه ، وسلوك منيح الحق في كل قضيه ، وأعتاد ما يرضى الله
تعالى ويرضينا ، وليكن الإنصاف لهما عقيدة والتقوى ديناً ، ولا يتطاع أحدهما إلى
ما في يد أحد من مال ولا نسب ، ولا يعارض أحد أحداً بلا سبب ، وليتقوا الله
ويخشوه ، ويتجنبوا الباطل ولا يغشوه ، ولا يظن أحد منهم أن قد بعدنا فيطمح
إلى الظلم أو يطمح ، فإننا منهم بمرأى ومسمع ، وليكونوا على المصالح متفقين ، وبأذيال
الحق متعلقين ، وعلى الرعيّة مشفقين .

فصل

يَتَقَدَّمَانِ بِكَشْفِ أَسْوَارِ الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ وَأَبْرَاجِهَا وَبَدَنَاتِهَا وَأَبْوَابِهَا ، وَمَا يَحْتَاجُ إِلَى إِصْلَاحٍ وَتَرْمِيمٍ وَعِمَارَةٍ ، وَيُحَرِّرانَ أَمْرَ ذَلِكَ تَحْرِيراً ، وَيَحْتَمِدَانِ فِي إِصْلَاحِ مَا يَجِبُ إِصْلَاحُهُ وَتَرْمِيمِ مَا يَجِبُ تَرْمِيمُهُ ، وَالْمُطَالَعَةَ بِمَا كَشَفَاهُ وَمَا أَعْتَمَدَاهُ .

فصل

يَتَقَدَّمَانِ بَعَرَضِ حَوَاصِلِ الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ ، وَالخِزَانَةِ الْمَعْمُورَةِ ، وَيَحَقِّقُونَ مَا بَهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالغَلَالِ وَالذَّخَائِرِ وَالْحَوَاصِلِ ، وَيَعْمَلُونَ بِذَلِكَ أَوْرَاقًا مُحْتَزَرَةً ، وَيُسَيِّرُونَ نَسِخَتَهَا إِلَى الْبَابِ الشَّرِيفِ .

فصل

يَتَقَدَّمَانِ بَعَرَضِ مَقْدَمِي رِجَالِ الْقَلْعَةِ ، وَأَرْبَابِ الْحَامِيَّاتِ وَالرَّوَاتِبِ بِهَا ، وَيُحَرِّرانَ أَمْرَ مَقَرَّرَاتِهِمْ : مِنْ جَامِكِيَّةٍ وَجِرَايَةِ ، وَيُحَرِّيانَ فِي صَرْفِ ذَلِكَ نَلَى الْعُودَةِ الْجَارِيَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ .

فصل

يَسْتَوْضِحَانِ مِنَ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ وَالْأَمِيرِ عِلْمَ الدِّينِ الْمُنْصَرِفِينَ عَنِ الْمَصَالِحِ الْمُخْتَصَّةِ بِهَذِهِ الْقَلْعَةِ وَعَنْ أُمُورِهَا ، جَلِيلِهَا وَحَقِيرِهَا ، فَإِنَّهُمَا قَدْ أَحْسَنَا فِي ذَلِكَ التَّدْبِيرَ ، وَأَجْمَلَا التَّأْيِيرَ ، وَسَلَكَا أَجْمَلَ مَسَلِّكَ ، وَبِهْتِدْيَانِ بِمَا يَوْضِحَانَهُ لَهَا مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَهْمَّاتِ لِيَكُونَ دُخُولُهَا فِي هَذَا الْأَمْرِ عَلَى بَصِيرَةٍ .

فصل

يَكُونُ أَمْرُ النِّيَابَةِ وَالْحُكْمِ الْعَامِّ فِي الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ ، وَتَنْزِيلِ الرِّجَالِ وَاسْتِخْدَامِهِمْ وَصَرْفِ مَنْ يَجِبُ صَرْفُهُ - لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بِاسْطِى بِمُشَارَكَةِ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ فِي أَمْرِ الرِّجَالِ وَالاسْتِخْدَامِ وَالصَّرْفِ ، وَيَكُونُ أَمْرُ النِّيَابَةِ رَاجِعًا لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ

باسطى والحكم فيها له ، ويكون أمر ولاية القلعة للأمير عن الدين ، ويجريان في ذلك على عادة من تقدمهما في هذه النيابة والولاية ، ويكون الأمير سيف الدين في الدار التي كان يسكنها الأمير عن الدين ، وحكمه في النيابة حكمه ، ويسكن الأمير عن الدين في الدار التي كان يسكن فيها الأمير علم الدين ، وحكمه في الولاية حكمه . ولا يتعدى أحد طوره ، ولا يخرج عما قرر فيه ، ويرعى كل منهما لصاحبه حقه فيما رتب فيه ، ويتفقان على المصالح كلها ، ويكونان كروحين في جسد واحد .

فصل

يتقدمان بأن يترتب الرجال في مراتبهم ومنازلهم على العادة في الليل والنهار ، والحرسية على العادة في الليل والنهار . وإن كان ثم خلل في ذلك أو تفریط أو إهمال ، فليستدرك الفارط ويرتب الأمر فيه على أحسن ترتيب .

فصل

ينتصبان في أوقات العادة في باب القاعة لكشف مظالم الرعية في القاعة والبر ، ويعتمدان إنصافهم ، وتلبية داعيهم ، وسماع كلمهم ، وكف ظالمهم وإعانة مظلومهم ، وأعتاد ما يجب من العدل وبسطه في الرعية ، وكف الأيدي العادية .

فصل

أبواب القلعة إذا أغلقت في كل ليلة تُبَيِّت المفاتيح عند النائب في المكان المعتاد بعد ختم الوالى عليها على العادة ، وإذا تسلمها يتسلمها بختمها على العادة .

فصل

الذخائر والغلال يُجْتَهَد في تحصيلها بالقلعة ، ولا تُخزَن غلة جديدة على غلة عتيقة . وكل هري يُخزَن فيه غلة يحترق أمرها وتُسَال عينتها في كيس وتجعل في الخزانة ويختم عليها ، ولا يُصرف من الحديد قبل نفاد العتيق ، ولا يُترك العتيق ويُصرف من الحديد . وكذلك بقية الحواصل يُسَلَك فيها هذا المسلك .

فصل

مَهْمَا جرت العادةُ بِتَمِينِهِ على أربابِ الحَامِيَّاتِ والمَقَرَّاتِ ، فليَجْرُ الأمرُ فيه على العادة من غير حَيْفٍ ، وليَدْخُلِ الديوانُ والمباشِرُونَ في التَّمِينِ لئلاَّ يُسَلَّكَ أمرُ التَّمِينِ على الرَّجَالَةِ والضُّعَفَاءِ مع قَلَّةِ معلومهم ويُوَفَّرَ من ذلك أربابُ الدَّوَاوِينِ مع كثرة معلومهم ، بل يَكُونُوا أَوَّلَ من يُتَمَّنَ عليه ؛ ومن لاقُدْرَةَ له : مثلُ راجلٍ ضعيفٍ أَوْ رَبِّ معلومٍ قليلٍ ، فليُفَرِّقْ به في ذلك ، نظرًا في حقِّ الضعفاءِ .

فصل

يُكْتَبُونَ من الأخطابِ ومن الفَحْمِ والمِلْحِ بالذخائرِ ، وكذلك من كلِّ ما تدعو الحاجةُ إليه ، ويجتهدون في تحصيلِ الأموالِ وتوفيرِها بالخزانة المعمورةِ : بحيث لا يكون لهما شُغْلٌ يَشغُلُهُما عن ذلك ، بل يَصْرِفانِ الهِمَّةَ في غالبِ أوقَاتِهِمَا إلى الفِكْرَةِ في مالٍ يَحْصُلُونَهُ ، أو صِنْفٍ يَدْنُرُونَهُ ، ولا يَهْمَلانِ ذلكِ .

فصل

يُطالِعانِ الأبوابَ العالِيَةَ في غالبِ أوقَاتِهِمَا بما يتجددُ عندهما من المصالحِ ، وبما يَتَمَيَّزُ من الأموالِ ، و [بما] حُمِلَ إلى الخزانِ وإلى الأَهْرَاءِ من الأموالِ والغلالِ . وكذلك يُطالِعانِ نائبَ السلطنةِ بِدمشقِ المحروسَةَ على العادة في ذلك ، ولتكن مطالعتهما جامعةً وعابها خُطُهما . ومن لاحت له مصلحةٌ في بعضِ الأوقاتِ وأختار أن يطالعَ بانقراده فليطالعِ .

فصل

لا يَمَكِّنُ أحدا من الرجالِ المرتبِّينِ بالقلعةِ المحروسَةِ وأربابِ النَّوَبِ أن يُجِلَّ بنوَبَتِهِ ولا يفارقَها ، ولا يخرُجُ من القلعةِ أحدٌ من الرجالِ إلا بدُستورٍ ويعودُ في يومه والله الموفقُ .

قلت : وبالجملّة فالتنذكرة منوّطة بحال المكتوب له التذكرة، والمكتوب بسببه؛ فيختلف الحال باختلاف الأسباب، ويُؤتى لكل تذكرة بفصول تُناسبها بحسب ما تدعو الحاجة إليه .

وأعلم أنّ اللائق بالتنذكرة الخارجة من ديوان الإنشاء أن تكون في الفصاحة والبلاغة على حدّ الرسائل، فيعلو شأن التذكرة باعتبار أشتمالها على الفصاحة والبلاغة، وينحط بفواتهما؛ وأنظر إلى تذكرة القاضي الفاضل المبتدأ بها، وما أشتملت عليه من الفصاحة والبلاغة، وأين هي من التذكرتين اللتين بعدها؛ فإنه قد أهمل فيهما مراعاة الفصاحة والبلاغة جملةً، بل لم تُراع في الأخيرة منهما قوانين النحو، إذ يكون يتكلم بصيغة التثنية على سياق ما عُدت له التذكرة لا شتمالها على آئين فإذا هو قد عدل إلى لفظ الجمع، ثم يعود إلى لفظ التثنية، هذا، وهي منسوبة إلى القاضي محي الدين بن عبد الظاهر، صاحب ديوان الإنشاء يومئذ، وهو من بيت الكتابة والبلاغة، إلا أنه قد يُريد بعُدوله من التثنية إلى الجمع أن ينتقل إلى خطاب جمع المتحدثين في القلعة فيما يتعلّق بذلك الفصل الذي يكون فيه، وإلا فلا يجوز صدور مثل ذلك عنه وتكراره المرّة بعد الأخرى .

المقالة السابعة

في الإقطاعات والقَطَائِع ، وفيها بابان

الباب الأوّل

في ذكر مقدمات الإقطاعات ، وفيه فصلان

الفصل الأوّل

في ذكر مقدماتٍ تتعلّق بالإقطاعات ، وفيه ثلاثة أطراف

الطرف الأوّل

(في بيان معنى الإقطاعات وأصلها في الشرع)

أما الإقطاعاتُ بجمعٍ إقطاع ، وهو مصدر أقطع ، يقال : أقطعه أرض كذا يقطعه إقطاعاً ، وأستقطعه إذا طابَّ منه أن يُقَطَّعه ، والقَطِيعَةُ الطائفةُ من أرض الخراج .
وأما أصلها في الشرع فإرواه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده إلى ابن سيرين عن تميم الدارِيِّ أنه قال : « أَسْتَقَطَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضًا بِالشَّامِ قَبْلَ أَنْ تُفْتَحَ فَأَعْطَانِيهَا ، فَفَتَحَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي زَمَانِهِ فَأَتَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَانِي أَرْضًا مِنْ كَذَا إِلَى كَذَا ، فَجَعَلَ عَمْرٌ نُثْمَتَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ ، وَثُلْمَتَا لِعَامَرَتِهَا ، وَثُلْمَتَا لَنَا » .

وفي رواية : أَسْتَقَطَعْتُ أَرْضًا بِالشَّامِ فَأَقْطَعْنِيهَا ، فَفَتَحَهَا عَمْرٌ فِي زَمَانِهِ فَأَتَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَانِي أَرْضًا مِنْ كَذَا إِلَى كَذَا ، فَجَعَلَ عَمْرٌ ثُلْمَتَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ ، وَثُلْمَتَا لِعَامَرَتِهَا ، وَتَرَكَ لَنَا ثُلْمَتَا .

وذكر الماوردي في "الأحكام السلطانية" : أن أبا ثعلبة الخشني رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع أرضاً كانت بيد الروم فأعجبه ذلك ، وقال ألا تسمعون ما يقول ؟ فقال : والذي بعثك بالحق ليقتحنَّ عليك ، فكتب له بذلك كتاباً .

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقطع الزبير بن العوام ركض فرسه من موات البقيع فأجراه ورمى بسوطه رغبةً في الزيادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أعطوه منتهى سوطه» .

وذكر أن الأبيض بن حمال استقطع مراح مارب فأقطعته ، فأخبره الأفرع ابن حابس أنه كان في الجاهلية [وهو بأرض ليس فيها غيره من ورده أخذه ، وهو مثل الماء العذب بالأرض ، فاستقال الأبيض في قطيعة المراح فقال قد أقلبتك على أن تجعله مني صدقةً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هو منك صدقةً ، وهو مثل الماء العذب من ورده أخذه] .^(١)

وذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : أن أول من أقطع القضايع بالأرضين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه - ولا وجه له بعد ما تقدم ذكره ؛ اللهم إلا أن يريد أن عثمان أول من أقطع القضايع بعد الفتح ، فإن ما أقطعته النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل الفتح كما تقدم .

قال بعد ذلك : ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم : أقطع قضايع فافتدى عثمان به في ذلك وأقطع حباب بن الارت وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد

(١) ترك في الأصل بيضا في هذا الموضع وقد تداركناه من كتاب الأحكام السلطانية ص ١٧٤

(١)
والزبير، وأقطع طلحة أجمّة الحُرْف : وهو موضع النَّشَاجِج ، فكتب إلى سعيد
ابن العاص وهو بالكوفة أن ينقذها له .

الطرف الثاني

(في بيان أول من وَضَعَ ديوانَ الجيش ، وكيفية ترتيب منازل الجند
فيه ، والمساواة والمفاضلة في الإعطاء)

ذكر أبو هلال العسكري في "الأوائل" والمأوردى في "الأحكام السلطانية"
أن أول من وَضَعَ الديوان في الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
قال المأوردى : وأختلف [الناس] في سبب وضعه [له] : فقال قوم : سببه أن
أبا هريرة قدم عليه بمال من البحرين ، فقال له عمر : ما جئت به ؟ قال نحمة
ألف درهم ، فأستكثره عمر ، وقال : أتدري ما تقول ؟ قال نعم ! مائة ألف نحس
مرات ، فقال عمر : أطيب هو ؟ قال لا أدري . فصعد عمر المنبر ، فحمد الله
وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ! قد جاءنا مال كثير ، فإن شئتم كلنا لكم كَيْلاً ،
وإن شئتم عددنا لكم عدداً ، فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين : رأيت الأعاجم
يدونون ديواناً ، فدوّن أنت لنا ديواناً .

وذهب آخرون إلى أن سبب وَضَع الديوان أن عمر بعث بعثاً وعنده
الهُرمُزَان ، فقال لعمر : هذا بعثٌ قد أعطيت أهله الأموال ، فإن تخلف منهم
رجل وأحلّ مكانه ، فمن أين يعلم صاحبك به ؟ فأثبت لهم ديواناً ، فسأله عن
الديوان ففسره له .

(١) في الأوائل "الجوف" .

ويُروى أنَّ عمرَ رضى الله عنه استشار المسلمين في تدوين الدواوين ، فقال على
 ابن أبي طالب كرم الله وجهه : تقسيم كل سنة ما اجتمع اليك من المال ، ولا تمسك
 منه شيئا . وقال عثمان : أرى مالا كثيرا يسع الناس ، فإن لم يحرصوا حتى يعلم من
 أخذ من لم يأخذ ، خشيت أن ينتشر الأمر - فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه :
 قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دقوا ديوانا وجنودا جنودا ، فدوّن ديوانا ووجد
 جنودا ، فأخذ بقوله ودعا عقيل بن أبي طالب ، ومخرمة بن نوفل ، وجبير بن مطعم ،
 (وكانوا من شباب قريش) فقال : آكتبوا [الناس] على منازلهم ، فبدءوا بنى هاشم
 فكتبوهم ، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ، [ثم عمر وقومه] وكتبوا القبائل ووضعوها
 على الخلافة ، ثم رفعوه إلى عمر ، فلما نظر فيه ، قال : لا ! وما وددت أنه هكذا ،
 ولكن آبدءوا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأقرب فالأقرب حتى تضعوا
 عمر حيث وضعه الله . فشكره العباس على ذلك ، وقال : وصالتك رحم .

وروى زيد بن أسلم عن أبيه : أن نبي عديّ جاءوا إلى عمر ، فقالوا : إنك
 خليفة أبي بكر ، وأبو بكر خليفة رسول الله ، فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء
 القوم الذين كتبوا ؟ فقال : بئح يا بني عديّ ! ! إن أردتم إلا الأكل على ظهري ،
 وأن أذهب حسناتي لكم ، لا والله ! حتى تأتيكم الدعوة ولو أنطبق عليكم الدفتر .
 يعنى ولو أن تكتبوا آخر الناس . إن صاحبي سلكا طريقا ، فإن خالفتهما خولف بي ،
 والله ما أدركنا الفضل في الدنيا والآخرة ، ولا نرجو الثواب عند الله على عملنا إلا بحمد
 صلى الله عليه وسلم ، فهو أشرفنا ، وقومه أشرف العرب ، ثم الأقرب فالأقرب ، والله
 لئن جاءت الأعاجم بعمل وجئنا بعمل دونهم ، لهم أولى بحمد صلى الله عليه وسلم منا
 يوم القيامة : فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه .

وروى أن عمر رضى الله عنه حين أراد وضع الديوان، قال: بمن أبدأ؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف: أبدأ بنفسك، فقال عمر: أذكر أئى حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبدأ ببني هاشم وبني عبد المطلب، فبدأ بهم عمر، ثم بمن يليهم من قبائل قريش بطننا بعد بطن، حتى استوفى جميع قريش، ثم انتهى إلى الأنصار، فقال عمر: أبدأوا برهط سعد بن معاذ من الأوس، ثم بالأقرب فالأقرب لسعد.



وأما المساواة والمفاضلة في العطاء فقد اختلف فيه: فكان أبو بكر رضى الله عنه يرى التسوية [بينهم] في العطاء [ولا يرى التفضيل بالسابقة] كما حكاه عنه الماوردي في "الأحكام السلطانية".

قال أبو هلال العسكري في "الأوائل": وقد روى عن عوانة أنه قال: جاء مال من البحرين إلى أبي بكر رضى الله عنه فساوى فيه بين الناس، فغضبت الأنصار، وقالوا له: فضلنا، فقال: إن أردتم أن أفضلكم فقد صار ما عملتموه للدنيا، وإن شئتم كان ذلك لله، فقالوا: والله ما عملناه إلا لله! وأنصرفوا. فرقى أبو بكر رضى الله عنه المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يامعشر الأنصار لو شئتم [أن] تقولوا: إنا آويناكم وشاركناكم أموالنا ونصرناكم بأنفسنا لقائم، وإن لكم من الفضل ما لا يحصى له عدد، وإن طال الأمد، فنحن وأتم كما قال الغنوي:

بحزى الله عنا جعفر احين أزلفت * بنا نعلنا في الواطين فزلت

أبو أن يملونا ولو أن أمنا * تلاقى الذي لا قوه منا ملت

هم أسكنونا في ظلال بيوتهم * ظلال بيوت أدفات وأكنت

قال المسورديّ : وإلى ما رأى أبو بكر رضى الله عنه ذهب على رضى الله عنه في خلافته ، وبه أخذ الشافعيّ ومالك .

وكان عمر رضى الله عنه يرى التفضيل بالسابقة في الدين ، حتى إنه ناظر أبا بكر رضى الله عنه في ذلك ، حين سوى بين الناس ، فقال : أتساوي بين من هاجر هجرتين وصلى إلى القبلتين وبين من أسلم عام الفتح خوف السيف ؟ ! - فقال أبو بكر : إنما عملوا لله ، وإنما أجورهم على الله ، وإنما الدنيا [دار] بلاغ [للكب] ، فقال له عمر : لا أجعل [من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه ؛ فلما وضع الديوان جرى] ^(١) على التفضيل بالسابقة ؛ ففرض لكل رجلٍ شهيد بَدْرًا من المهاجرين [الأولين] خمسة آلاف درهمٍ كل سنة ، ولكل من شهيد بَدْرًا من الأنصار أربعة آلاف درهم ، ولكل رجلٍ هاجر قبل الفتح ثلاثة آلاف درهم ، ولكل رجلٍ هاجر بعد الفتح ألفين ؛ وفرض لغانمٍ أحداثٍ من أبناء المهاجرين والأنصار أسوة من أسلم بعد الفتح ؛ وفرض للناس على مآزهم ، وقراءتهم القرآن ، وجهادهم بالشام والعراق ؛ وفرض لأهل اليمن وقيس : لكل رجلٍ من ألقى درهم إلى ألف درهم ، إلى خمسمائة درهم ، إلى ثيمائة درهم ، ولم ينقص أحدا عنهما ، وقال : لئن كثُر المال لأفرضن لكل رجلٍ أربعة آلاف درهم : ألفا لقرسه ، وألفا لسلاحه ، وألفا لسفوره ، وألفا يُخفّفها في أهله ؛ وفرض للنفوس مائة درهم ، فإذا ترعرع فرض له مائتين ، فإذا باع زاده . وكان لا يفرض للولود شيئاً حتى يفطم ، إلى أن سمع ليلة امرأة تكّره ولدها على الفطام ، وهو يبكي ، فسألها عنه - فقالت : إن عمر لا يفرض للولود حتى يفطم ، فإنا أكرهه على الفطام حتى يفرض له - فقال يا ويح عمر ! كم احتتمب من

(١) الزيادة من "الاحكام السلطانية" ص ١٧٧ .

وَزُرَّ وَهُوَ لَا يَدْرِي ؛ ثُمَّ أَمَرَ مَنَادِيَا فِينَادِي : أَلَا لَا تُعْجِلُوا أَوْلَادَكُمْ بِالْفِطَامِ ، فَإِنَا نَفْرَضُ لِكُلِّ مَوْلُودٍ فِي الْإِسْلَامِ . قَالَ الْمَاوَرِدِيُّ : ثُمَّ رُوِيَ فِي التَّفْضِيلِ عِنْدَ أَنْقِرَاضِ أَهْلِ السَّوَابِقِ التَّقَدُّمَ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْبَلَاءِ فِي الْجِهَادِ .



وأما تقديرُ العطاءِ فمعتبرٌ بالكفايةِ حتَّى يستغنى بها عن التماسِ مادةٍ تَقْطَعُه عن حيايةِ البَيْضَةِ . ثم الكفايةُ معتبرةٌ من ثلاثة أوجه : أحدها عددٌ من يعوله من الدَّرَارِيِّ والمَالِكِ - والثاني عددٌ ما يرتبط من الخيل والظَّهْرِ - والثالث : الموضعُ الذي يَحُلُّه في الغلاءِ والرُّخْصِ فتقدر [كفايته في] نفقته وكسوته لعامه كَلَّةً . ثم تُعَبَّرُ حاله في كل عام ، فإن زادتْ نفقاته زيد ، وإن نقصت نُقص ، فلو تقدَّرَ رزقه بالكفاية ، فمنع الشافعي من زيادته على الكفاية وإن أوسع المال ، لأن أموال بيت المال لا توضع إلا في الحتوق اللازمة ؛ وأجاز أبو حنيفة زيادته حينئذٍ .

الطرف الثالث

(في بيان من يستحق إثباته في الديوان ، وكيفية ترتيبهم فيه)

فأما من يستحق إثباته في الديوان ، ففيه خمسة أمور :

أحدها - البُلُوغُ . فلا يجوز إثبات الصَّبِيِّ في الديوان ، وهو رأيُ عمر رضي الله عنه ، وبه أخذ الشافعي رضي الله عنه ، بل يكون جارياً في جملة عطاءِ الدَّرَارِيِّ .
الثاني - الحُرِّيَّةُ . فلا يُثَبَّتُ في الديوان مملوكٌ ، بل يكون تابعاً لسيده داخلًا في عطاءه ، خلافاً لأبي حنيفة فإنه جوز إفراد المملوك بالعطاء ، وهو رأيُ أبي بكر رضي الله عنه .

الثالث - الإسلام ، ليدفع عن الملة باعتقاده ، حتى لو أثبت فيهم ذم لم يجز ، ولو آرتد منهم مسلم سقط .

الرابع - السلامة من الآفات الممانعة من القتال . فلا يجوز أن يكون زمناً ولا أعمى ولا أقطع ، ويجوز أن يكون أحرس أو أصم . أما الأعرج ، فإن كان فارساً جاز إثباته أو راجلاً فلا .

الخامس - أن يكون فيه إقدام على الحرب ومعرفة بالقتال ، فإن ضعفت همته عن الإقدام ، أو قلت معرفته بالقتال لم يجز إثباته .

فإذا وجدت فيه هذه الشروط ، اعتبر فيه خلوه عن عمل وطلبه الإثبات في الديوان ، فإذا طلب فعلى ولي الأمر الإجابة إذا دعت الحاجة إليه . ثم إن كان مشهور الاسم فذاك ، وإلا حلّ ونعت ، بذكر سنه وقده ولونه وصفة وجهه ، ووصف بما يميز به عن غيره ، كي لا تتفق الأسماء ، أو يدعى في وقت العطاء ، ثم يضم إلى نقيب عليه أو عريف يكون مأخوذاً بدركه .



وأما ترتيبهم في الديوان فقد جعلهم الماوردي في "الأحكام السلطانية" على ضربين :

الضرب الأول - الترتيب العام . وهو ترتيب القبائل والأجناس حتى نتميز كل قبيلة عن غيرها وكل جنس عن مخالفة ، فلا يجمع بين المختلفين ، ولا يفرق بين المؤتلفين : لتكرن دعوة الديوان على نسق معروف النسب يزول فيه التنازع والتجاذب . فإن كانوا عرباً روعي فيهم القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما فعل عمر

رضى الله عنه : فُقَدِمُ الْعَرَبُ الْمُسْتَعْرَبَةُ : وهم عَدَنَانُ من ولد إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
 عَلَى الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ : وهم بَنُو حَطَّانَ عَرَبُ الْيَمَنِ : لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
 عَدَنَانَ . ثُمَّ عَدَنَانُ تَجْمَعُ رِبِيعَةَ وَمُضَرَ ، فَتَقْدَمُ مُضَرٌ عَلَى رِبِيعَةَ : لِأَنَّ النَّبِيَّةَ فِي مُضَرَ ،
 وَمُضَرٌ تَجْمَعُ قُرَيْشًا وَغَيْرَ قُرَيْشٍ ، فَتَقْدَمُ قُرَيْشٌ عَلَى غَيْرِهِمْ : لِأَنَّ النَّبِيَّةَ فِيهَا ، فَيَكُونُ
 بَنُو هَاشِمٍ هُمْ فُطْبُ التَّرْتِيبِ ، ثُمَّ مِنْ يَلِيهِمْ مِنْ أَقْرَبِ الْأَنْسَابِ إِلَيْهِمْ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ
 قُرَيْشًا ، ثُمَّ مِنْ يَلِيهِمْ فِي النَّسَبِ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ جَمِيعَ مُضَرَ ، ثُمَّ مِنْ يَلِيهِمْ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ
 جَمِيعَ عَدَنَانَ .

وإن كانوا عَجَابًا لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى سَبَبٍ ، فَاَلْمَرْجُوعُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِهِمْ : إِمَّا أَجْنَسًا
 وَإِمَّا بِلَادٍ ، فَالْمُمَيِّزُونَ بِالْأَجْنَسِ كَالْتُرْكِ وَالْهِنْدِ ، ثُمَّ تَمَيِّزُ التُّرْكِ أَجْنَسًا ،
 وَالْهِنْدُ أَجْنَسًا . وَالْمُمَيِّزُونَ بِالْبِلَادِ : كَالدَّيْلِمِ وَالْجَبَلِ ، ثُمَّ تُمَيِّزُ الدَّيْلِمِ بِلْدَانًا ،
 وَالْجَبَلِ بِلْدَانًا . فَإِذَا تَمَيَّزُوا بِالْأَجْنَسِ أَوْ الْبِلَادِ : فَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ سَابِقَةٌ تَرْتَّبُوا عَلَيْهَا
 فِي الدِّيْوَانِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ سَابِقَةٌ تَرْتَّبُوا بِالْقُرْبِ مِنْ وَلِيِّ الْأَمْرِ ، فَإِنْ تَسَاوَوْا
 فَبِالسَّبْقِ إِلَى طَاعَتِهِ .

الضرب الثاني : الترتيبُ الخاصُّ : وهو ترتيبُ الواحدِ بعدَ الواحدِ ، فيقدمُ
 فِيهِ بِالسَّابِقَةِ بِالْإِسْلَامِ كَمَا فَعَلَ مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنْ تَسَاوَوْا تَرْتَّبُوا بِالدِّينِ ، فَإِنْ
 تَقَارَبُوا فِيهِ رَتَّبُوا بِالسَّنِّ ، فَإِنْ تَقَارَبُوا بِالسَّنِّ رَتَّبُوا بِالشَّجَاعَةِ ، فَإِنْ تَقَارَبُوا فِيهَا ،
 كَانَ وَلِيُّ الْأَمْرِ بِالْخِيَارِ بَيْنَ أَنْ يَرْتَّبَهُمُ بِالْقُرْعَةِ أَوْ عَلَى رَأْيِهِ وَاجْتِهَادِهِ

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة السابعة

(في بيان حكم الإقطاع)

قال في "الأحكام السلطانية": وإقطاع السلطان مختص بما جاز فيه تصرفه، ونفذت فيه أوامره، دون ماتعين مالكة وتميز مستحقه .

ثم الإقطاع على ضربين :

الضرب الأول

(إقطاع التملك)

والأرض المقطعة بالتملك إما موات، وإما عامر، وإما ممدن .

فأما الموات فإن كان لم يزل مواتا على قديم الزمان، لم تجر فيه عمارة، ولم تثبت عليه ملك، فيجوز للسلطان أن يقطعه من يحميه ويعمره. ثم مذهب أبي حنيفة أن إذن الإمام شرط في إحياء الموات، وحينئذ فيقوم الإقطاع فيه مقام الإذن. ومذهب الشافعي أن الإقطاع يجعله أحق بإحيائه من غيره. وعلى كلا المذهبين يكون المقطع أحق بإحيائه من غيره .

وأما إن كان الموات عامرا فغرب وصار مواتا عاطلا، فإن كان جاهليا: كأرض عاد وثمود، فهي كالموات الذي لم تثبت فيه عمارة في جواز إقطاعه . قال صلى الله عليه وسلم: « عادت الأرض لله ولرسوله، ثم هي لكم مني، يعني أرض عاد ». وإن كان الموات إسلاميا جرى عليه ملك المسلمين، ثم حرب حتى صار مواتا عاطلا،

فذهب الشافعي أنه لا يملك بالإحياء، عُرفَ أربابه أم لم يُعرفوا؛ ومذهب مالك أنه يملك بالإحياء، عُرفَ أربابه أم لم يُعرفوا؛ ومذهب أبي حنيفة أنه إن عُرفَ أربابه لم يملك بالإحياء، وإلا يملك. ثم إذا لم يجوز أن يملك بالإحياء على مذهب الشافعي، فإن عُرفَ أربابه لم يجوز إقطاعه، وإن لم يُعرفوا جاز إقطاعه وكان الإقطاع شرطاً في جواز إحيائه. فإذا صار الموات إقطاعاً لمن خصه الإمام به لم يستقر ملكه عليه حتى يُحييه ويكمل إحياءه، فإن أمسك عن إحيائه كان أحق به يداً وإن لم يصر له ملكاً.

وأما العامر: فإن تعين مالكوه، فلا نظر للسلطان فيه إلا ما تعلق بتلك الأرض من حقوق بيت المال إذا كانت في دار الإسلام، سواء كانت لمسلم أوزمّي، وإن كانت في دار الحرب التي لم يثبت عليها للمسلمين يدٌ جاز للإمام أن يقطعها لملكها المقطع عند الظفر بها، كما أقطع النبي صلى الله عليه وسلم تيمماً وأصحابه أرضاً بالشام قبل فتحه، على ما تقدم ذكره في أول الباب.

وإن لم يتعين مالكوه: فإن كان الإمام قد أصطفاه لبيت المال من فتوح البلاد: إما بحق الخمس، أو باستطابة نفوس الغائبين، لم يجوز إقطاع رقبته: لأنه قد صار باصطفائه لبيت المال ملكاً لكافة المسلمين، فصار على رقبته حكم الوقف المؤبد؛ والسلطان فيه بالخيار بين أن يستغله لبيت المال وبين أن يتخير له من ذوى المكنة والعمل من يقوم بعمارة رقبته، ويأخذ حراجه، ويكون الخراج أجرة عنه تُصرف في وجوه المصالح.

(١) عبارة الأحكام السلطانية «وان لم يجوز على مذهبه أن يملك» الخ والضمير عائذ على أبي حنيفة، وحرر.

(٢) عبارة «الأحكام» السلطانية «بجزى على رقبته حكم الخ» وهي أوضح.

وإن كان العاصر أرض خراج لم يُجزَ إقطاع رقبائها تملكاً .

وأما إقطاع خراجها فسيأتي في إقطاع الاستغلال فيما بعد، إن شاء الله تعالى .

وإن كان الموات قد مات عنه أربابه من غير وارث، صار لبيت المال ملكاً لعامة المسلمين . ثم قيل : تصيرُ وقفاً على المسلمين بمجرد الانتقال إلى بيت المال، لا يجوزُ إقطاعها ولا بيعها . وقيل : لا تصيرُ وقفاً حتى ينفذها الإمام، ويجوز للإمام بيعها إذا رأى فيه المصلحة ويصرف ثمنها في ذوى الحاجات . ثم قيل : يجوزُ إقطاعها كما يجوز بيعها، ويكون تملك رقبته بالإقطاع كتمليك ثمنها . وقيل : لا يجوزُ إقطاعها وإن جاز بيعها : لأن البيع معاوضةٌ والإقطاع صلة .

الضرب الثاني

(من الإقطاع إقطاع الاستغلال)

وهو : إمام خراج أو عشر .

فأما الخراج : فإن كان من يُقطعه الإمام من أهل الصدقات لم يجوز أن يُقطع مال الخراج : لأن الخراج فيهِ لا يستحقُّه أهل الصدقة كما لا يستحقُّ الصدقة أهل النية وأجاز إقطاعه أبو حنيفة .

وإن كان من أهل المصالح ممن ليس له رزق مفروض فلا يصحُّ أن يُقطع على الإطلاق وإن جاز أن يُعطى من مال الخراج : لأنهم من نفل أهل النية لا من فرضه، وما يُعطونه إنما هو من غلات المصالح، فإن جعل لهم من مال الخراج شيء أُجرى عليه حكم الحوالة لأحكام الإقطاع .

وإن كان من مُرْتَقَةٍ أَهْلِ النَّيِّءِ وَهُمْ أَهْلُ الْجَيْشِ ، فَهَمَّ أَحْصَى النَّاسَ بِجَوَازِ
الِإِقْطَاعِ : لِأَنَّ لَهُمْ أَرْزَاقًا مَقْدَرَةً تُصْرَفُ إِلَيْهِمْ مَصْرُفَ الْأَسْتَحْقَاقِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا
أَعْرَاضٌ عَمَّا أَرْصَدُوا نَفْسَهُمْ لَهُ مِنْ حِمَايَةِ الْبَيْضَةِ وَالذَّبِّ عَنِ الْحَرِيمِ .

ثُمَّ الْخَرَاجُ : إِمَّا جِزْيَةٌ وَهِيَ الْوَاجِبُ عَلَى الْجَمَاعِمِ ، وَإِمَّا أُجْرَةٌ وَهِيَ الْوَاجِبُ عَلَى
رِقَابِ الْأَرْضِ . فَإِنْ كَانَ جِزْيَةً لَمْ يَجِزْ إِقْطَاعُهُ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مَوْثُوقٍ
بِاسْتِحْقَاقِهِ بَعْدَهَا لِاحْتِمَالِ أَنْ يُسَلِّمَ الذَّمِّيُّ فِتْرَتَهُ الْجِزْيَةَ عَنْهُ . وَإِنْ كَانَ أُجْرَةً جَازَ
إِقْطَاعُهُ سَنِينَ لِأَنَّهُ مُسْتَقَرُّ الْوَجُوبِ عَلَى التَّأْيِيدِ .

ثُمَّ لَهُ ثَلَاثُ أَحْوَالٍ :

إِحْدَاثُهَا — أَنْ يَقْدَرَ بِسَنِينَ مَعْلُومَةٍ ، كَمَا إِذَا أَقْطَعَهُ عَشْرَ سَنِينَ مِثْلًا ، فَيَصِحُّ ، بِشَرْطِ
أَنْ يَكُونَ رِزْقُ الْمُقْطَعِ مَعْلُومًا الْقَدْرَ عِنْدَ الْإِمَامِ ، وَأَنْ يَكُونَ قَدْرُ الْخَرَاجِ مَعْلُومًا عِنْدَ
الْإِمَامِ وَعِنْدَ الْمُقْطَعِ ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَ مَجْهُولًا عِنْدَهُمَا أَوْ عِنْدَ أَحَدِهِمَا لَمْ يَصِحَّ . ثُمَّ بَعْدَ
صِحَّةِ الْإِقْطَاعِ يُرَاعَىٰ حَالُ الْمُقْطَعِ فِي مُدَّةِ الْإِقْطَاعِ : فَإِنْ بَقِيَ إِلَىٰ أَنْقِضَاءِ مُدَّةِ الْإِقْطَاعِ
عَلَىٰ حَالِ السَّلَامَةِ فَهُوَ عَلَىٰ اسْتِحْقَاقِ الْإِقْطَاعِ إِلَىٰ أَنْقِضَاءِ الْمُدَّةِ ، وَإِنْ مَاتَ قَبْلَ
أَنْقِضَاءِ الْمُدَّةِ بَطَلَ الْإِقْطَاعُ فِي الْمُدَّةِ الْبَاقِيَةِ ، وَيَعُودُ الْإِقْطَاعُ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَالِ . وَإِنْ
كَانَ لَهُ ذَرِيَّةٌ دَخَلُوا فِي عَطَاءِ الذَّرَارِيِّ دُونَ أَرْزَاقِ الْأَجْنَادِ ، وَيَكُونُ مَا يُعْطَوْنَهُ
تَسْبِيًا لِإِقْطَاعِهَا . وَإِنْ حَدَثَ بِالْمُقْطَعِ زَمَانَةٌ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ فَفِي بَقَاءِ الْإِقْطَاعِ قَوْلَانِ :
(أَحَدُهُمَا) أَنَّ إِقْطَاعَهُ بَاقٍ عَلَيْهِ إِلَىٰ أَنْقِضَاءِ الْمُدَّةِ (وَالثَّانِي) أَنَّهُ يُرْتَجَعُ مِنْهُ .

الثَّانِيَّةُ — أَنْ يَقْطَعَهُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ ثُمَّ لِعَقِبِهِ وَوَرِثَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَلَا يَصِحُّ : لِأَنَّهُ
يُخْرَجُ بِذَلِكَ عَنِ حَقُوقِ بَيْتِ الْمَالِ إِلَىٰ الْأَمْلاكِ الْمَوْرُوثَةِ ، فَلَوْ قَبِضَ مِنْهُ شَيْئًا بَرِيًّا
أَهْلُ الْخَرَاجِ يَقْبِضُوهُ : لِأَنَّهُ عَقْدٌ فَاسِدٌ مُأْذُونٌ فِيهِ وَيُجَاسَبُ بِهِ مِنْ جَمَلَةِ رِزْقِهِ : نَازِلٌ

كان أكثر ردّ الزيادة، وإن كان أقلّ رجح بالباقي، وعلى السلطان أن يظهر فساد الإقطاع حتى يمتنع هو من القبض ويمتنع أهل الخراج من الدفع ولم يبرءوا بما دفعوه إليه حينئذ .

الثالثة — أن يُقَطَّعه مدّة حياته . ففي صحّة الإقطاع قولان للشافعي بالصحة والبطلان، ثم إذا صحّ الإقطاع فالسلطان أسترجاعه منه فيما بعد السنة التي هو فيها، ويعود رزقه إلى ديوان العطاء . أما السنة التي هو فيها : فإن حلّ رزقه فيها قبل حلول خراجها لم يسترجع منه في سنته لأستحقاق خراجها في رزقه، وإن حل خراجها قبل حلول رزقه جاز أسترجاعه منه : لأنّ تعجيل المؤجل وإن كان جائزا فليس بلازم .

وأما العُشر فلا يصحّ إقطاعه، لأنه زكاة الأصناف، فيعتبر وصف أستحقاقهم عند دفعها إليهم، وقد يجوز أن لا يوجد فلا تجب .

قلتُ : هذا حكم الإقطاع في الشريعة، وعليه كان عمل الخلفاء والملوك في الزمن السالف، أما في زماننا فقد فسّد الحال وتغيّرت القوانين، وخرجت الأمور عن القواعد الشرعية، وصارت الإقطاعات ترد من جهة الملوك على سائر الأموال : من خراج الأرضين، والحزبية، وزكاة المواشي، والمعادن، والعُشر، وغير ذلك . ثم تفاحش الأمر وزاد حتى أقطعوا المكوس على اختلاف أصنافها، وعمت بذلك البلوى؛ والله المستعان في الأمور كلّها ! .

الباب الثاني من المقالة السابعة

(فيما يُكْتَبُ في الإقطاعات في القديم والحديث ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

في أصل ذلك

والأصل فيه ماروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع تميمًا الدارِ أرضًا بالشَّامَ
وكتب له بها كتابًا .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق فيه طرقًا مختلفة . فروى بسنده إلى
زياد بن فائد ، عن أبيه فائد ، عن جده زياد بن أبي هند ، عن أبي هند الدارِ أنه
قال : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ وَنَحْنُ سِتَّةٌ نَقَرٌ : تَمِيمٌ بْنُ أَوْسٍ ،^(١)
وَنَعِيمٌ بْنُ أَوْسٍ أَخُوهُ ، وَيَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ ، وَأَبُو هِنْدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْحَدِيثِ ،
وَأَخُوهُ الطَّيِّبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ [كَانَ اسْمُهُ بَرًا] فَسَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢)
عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَفَاكَهُ بْنُ النُّعْمَانَ ، فَأَسَامَنَا وَسَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْطِعَنَا^(٣)
أَرْضًا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَأَلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ » .
فَقَالَ تَمِيمٌ : أَرَى أَنْ نَسْأَلَهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَكُورَهَا ، فَقَالَ أَبُو هِنْدٍ : [هَذَا مَحَلُّ مُلْكِ
العجم] وَكَذَلِكَ يَكُونُ فِيهَا مُلْكُ الْعَرَبِ وَأَخَافُ أَنْ لَا يَتِمَّ لَنَا هَذَا ، فَقَالَ تَمِيمٌ : فَسَأَلَهُ^(٤)

(١) في "سيرة ابن هشام" عدم ثمانية .

(٢) الزيادة من "سيرة ابن هشام" ج ٢ ص ١٩٥ وهي لازمة لصحة المقام .

(٣) في "سيرة ابن هشام" - عبد الله - وأن الذي سماه عبد الرحمن إنما هو عرفة بن مالك ولم يذكر هنا .

(٤) الزيادة من "السيرة الخلبية وتاريخ ابن عساكر المحفوظ بدار الكتب الأزهرية" .

بيت جبرين وكورتها ، فقال أبو هندٍ : هذا أكبر وأكبر . فقال : فأين ترى أن نسأله ؟ فقال : أرى أن نسأله القرى التي يقع فيها تل مع آثار إبراهيم . فقال تميم : أصبت ووقفت - قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم : « أُحِبُّ أَنْ تُخْبِرَنِي بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ أَوْ أُخْبِرَكَ ؟ » - فقال تميم : بل تُخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَزَادُ إِيمَانًا - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَرَدْتُمْ أَمْرًا فَأَرَادَ هَذَا غَيْرَهُ » وَنِعْمَ الرَّأْيُ رَأَى - قال : فداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطعة جلدٍ من آدم ، فكتب لنا فيها كتاباً نُسَخِّتُهُ :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا [كتابٌ] ^(١) ذُكِرَ [فيه] ما وهب محمد رسول الله للداريين إذا أعطاه الله الأرض . وهب لهم بيت عينون وحبرون ، وبيت إبراهيم بيمين فيهم لهم أبداً . »

« شهد عباس بن عبد المطلب ، وجهم بن قيس ، وشرحبيل بن ^(٢) حسنة ، وكتب » .

قال : ثم دخل بالكتاب إلى منزله فعالج في زاوية الرقعة وغشاه بشيء لا يعرف ، وعقده من خارج الرقعة بسير عقدين ، وخرج إلينا به مطوياً وهو يقول : « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ »

(١) الزيادة من "السيرة الحلبية" ج ٣ ص ٢٩٦ وتاريخ ابن عساكر .

(٢) في "السيرة الحلبية" ص ٢٩٦ ج ٣ « ونخيمة بن قيس » .

(٣) بياض في الأصل بمقدار كلمة ، والتصحيح من تاريخ ابن عساكر .

ثم قال : أَنْصِرْفُوا حَتَّى تَسْمَعُوا بِي قَدْ هَاجَرْتُ . قال أبو هند : فأنصرفنا . فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، قَدِمْنَا عَلَيْهِ فَسَأَلْنَاهُ أَنْ يُجَدِّدَ لَنَا كِتَابًا ، فكَتَبَ لَنَا كِتَابًا نُسَخْتُهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« هَذَا مَا أَنْطَقَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَمِيمِ الدَّارِيِّ »
 « وَأَصْحَابِهِ ، إِنِّي أَنْطَيْتُكُمْ عَيْنُونَ وَحَبْرُونَ وَالرُّطُومَ وَبَيْتَ إِبْرَاهِيمَ بِرُمَّتِهِمْ »
 « وَجَمِيعَ مَا فِيهِمْ نَطِيئَةَ بَيْتٍ ، وَنَفَذْتُ وَسَلَّمْتُ ذَلِكَ لَهُمْ وَأَعْقَابِهِمْ مِنْ »
 « بَعْدِهِمْ أَبَدَ الْأَبَدِ ، فَمَنْ آذَاهُمْ فِيهَا آذَاهُ اللَّهُ » .

« شَهِدَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي حُقَافَةَ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، »
 « وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَمَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَكَتَبَ » .
 فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وولي أبو بكر، وجه الجنود إلى الشام، فكتب لنا كتاباً نُسَخْتُهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ إِلَى عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي »
 « أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » .

« أَمَا بَعْدَ ، أَمْنَعُ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنَ الْفَسَادِ »
 « فِي قَرْيِ الدَّارِيِّينَ ؛ وَإِنْ كَانَ أَهْلُهَا قَدْ جَلَوْا عَنْهَا وَأَرَادَ الدَّارِيُّونَ »

« أن يزروعوها فلذيرعوها، فإذا رجع أهلها إليها فهى لهم وأحق بهم »
« والسلام عليك » .

وروى بسنده أيضا إلى الزهرى وثور بن يزيد عن راشد بن سعد، قال: قام تميم الدارى وهو تميم بن أوس، رجل من نخم، فقال يارسول الله، إن لى جيرة من الروم بفلسطين لهم قرية يقال لها حبرى، وأخرى يقال لها بيت عينون : فإن فتح الله عليك الشام فهبما لى، قال : هما لك، قال : فاكتب لى بذلك، فكتب له :

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتيمة بن أوس»
«الدارى، إن له قرية حبرى وبيت عينون قريتها كلها سهلها وجبلها»
«وماءها وحرثها وأنباطها وبقرها ولعقبه من بعده لا يحاقه فيها أحد»
«ولا يلججه عليهم أحد بظلم . فمن ظلمهم أو أخذ من أحد منهم شيئا»
«فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» وكتب على .

فلما ولي أبو بكر كتب لهم كتابا نسخته :

«هذا كتاب من أبى بكر أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى»
«أستخلف فى الأرض بعده، كتبه للداريين أن لا تقسد عليهم ما أوتيتهم»
«قرية حبرى وبيت عينون، فمن كان يسمع ويطيع فلا يفسد منها شيئا»
«وليقيم عمرو بن العاص عليها فليمنعهما من المفسدين» .

وروى ابن منده بسنده إلى عمرو بن حزم رضى الله عنه أنه قال : أقطع النبي صلى الله عليه وسلم تيمماً الدارى ، وكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا كتاب من محمد رسول الله لتيمم بن أوس الدارى ، إن له صهيون »
« قريتها كلها سهلها وجبلها وماءها وكرومها وأنباطها وورقها ، ولعقبه من »
« بعده لا يحاqqه فيها أحد ، ولا يدخل عليه بظلم ، فمن أراد ظلمهم »
« أو أخذ منهم فإن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

قلت : وهذه الرقعة التي كتب بها النبي صلى الله عليه وسلم موجودة بأيدى التميميين خدام حرم الخليل عليه السلام إلى الآن ، وكلمنا نازعهم أحد أتوا بها إلى السلطان بالديار المصرية ليقف عليها ويكف عنهم من يظلمهم . وقد أخبرني برؤيتها غير واحد ، والأديم التي هي فيه قد خالق لطول الأمد .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة السابعة

(في صورة ما يُكْتَبُ في الإقطاعات، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فيما كان يُكْتَبُ من ذلك في الزمن القديم)

وكانت الإقطاعات في الزمن الأول قليلةً، إنما كانت تُجْبَى الأموال إلى بيت المال ثم يُنْفَق منه على الجند على ما تقدم ذكره، وربما أقطعوا القرية ونحوها وقرروا على مُقْطَعِهَا شيئاً يقوم به لبيت المال في كل سنة، ويسمونه ذلك المقاطعة.

ثم ما كان يُكْتَبُ في ذلك على ضربين، كلاهما مفتتح بلفظ «هذا» :

الضرب الأول

(ما كان يُكْتَبُ عن الخلفاء، ولهم فيه طريقتان)

الطريقة الأولى

(طريقة تُكْتَبُ الخلفاء العباسيين ببغداد)

وكان طريقتهم فيها أن يُكْتَبُ « هذا كتابٌ من فلان (بلقب الخليفة) إنك ذكرت من أمر ضيعتِكَ الفلانية كذا وكذا، وسألت أمير المؤمنين في كذا وكذا، وقد أجابك أمير المؤمنين إلى سؤالك في ذلك ونحوه » .

وهذه نسخة مقاطعة، كُتِبَ بها عن المُطْبِعِ لله الخليفة العباسي، من إنشاء

أبي إسحاق الصابي، وهي :

هذا كتاب من عبد الله الفضل، الإمام المطيع لله أمير المؤمنين، لفلان بن فلان .
 إنك رفعت قِصَّتَكَ تذكُرُ حالَ ضِيعَتِكَ المعروفةِ بكذا وكذا، من رُستاق كذا وكذا،
 من طُسُوج كذا وكذا، وأنها أرضٌ رَقيقَةٌ قد توالى عليها الخراب، وأنفاقٌ أكثرُها
 بالسدِّ والدَّغْل، وأن مِثلها لا تَنسَعُ يَدُ اللِئالي للإِنفاقِ عليه، وولب بالاسله (?) وأستخرج
 سُودُه وقفل أَرْضِه، ولا يرغبُ الأَكْرَةَ في أزدِراعِه والمعاملةِ فيه . وإن أمير المؤمنين
 مُقاطِعُك عن هذه الضِيعَةِ على كذا وكذا من الورقِ المُرسَلِ في كلِّ سنةٍ، على أَسْتِقبالِ
 سنة كذا وكذا الحراجية، مُقاطِعَةً مؤبَّدةً، ماضيةً مُقرَّرةً نافذةً، يُستخرج مالُها
 في أولِ المحرمِ من كلِّ سنةٍ، ولا تُتَبَعُ بِنَقِضٍ ولا يتأوَّلُ فيها متأوَّلٌ، ولا تُعْتَرَضُ
 في مستأنفِ الأيام، [إن] أجتهدت في عمارتها، وتكلفت الإِنفاقَ عليها وأستخرج
 سُودَها، وقفل أراضِها وأحتفَارَ سواقِها، وأجتلابَ الأَكْرَةَ إليها، وإطلاقَ البُدُورِ
 والتقاوى فيها، وإرغابَ المزارعين بتخفيفِ طُسُوجِها بحقِ الرقبةِ ومُقساماتِها، وكان
 في ذلك توفيرٌ لحقِّ بَيْتِ المالِ وصالحٌ ظاهرٌ لا يَحْتَلُّ .

وسألت أمير المؤمنين الأمر بذلك والتقدّم به والإسجال لك به، وإثباته في ديوان
 السواد ودواوين الحضرة وديوان الناحية، وتصويره ماضياً لك ولعقبك وأعقابهم،
 ومن لعل هذه الضِيعَةَ أو شيئاً منها ينتقلُ إليه ببيع أو ميراثٍ أو صدقةٍ أو غير ذلك
 من ضُروبِ الأنتقال .

وإن أمير المؤمنين بإيثاره الصَّلاح، وأَعْتادِه أسبابه، ورَغْبَتِه فيما عاد بالتوفيرِ على
 بَيْتِ المالِ، والعمارةِ والترفيهِ للرعية، أمرنا بالنظر فيما ذكرته، وأستقصاءِ البَحْثِ عنه،
 ومعرفةِ وجهِ التدبيرِ، وسبيلِ الحِظِّ فيه، والعملِ بما يُوافقُ الرُشدَ في جميعه . فُرجِع
 إلى الدِّيوَانِ في تعرفِ ما حَكِيَّتُه من أحوالِ هذه الضِيعَةِ، فأُنْفِذْ مِنْهُ رَجُلٌ مَخْضَرٌ ثِقَةٌ

مأمونٌ، من أهل الخبْرة بأمور السَّواد وأعمال الخراج: قد عَرَفَ أمير المؤمنين أمانته وعلمه ومعرفته، وأمر بالمصير إلى هذه الناحية، وجمع أهلها: من الأدلاء والأكرَّة والمزارعين، وثقات الأمناء والمجاورين، والوقوف على هذه الأفرحة، وإيقاع المساحة عليها، وكشف أحوال عامرها وغامرها، والمسبِر على حدودها، وأخذ أقوالهم وآرائهم في وجه صلاح وعمارة قراج قراج منها، وما يوجبُه صواب التدبير فيما أتمسته من المقاطعة بالمبلغ الذي بذلته. وذكرت أنه زائدٌ على الارتفاع، والكتاب بجميع ذلك إلى الديوان، ليوقف عليه وينهى إلى أمير المؤمنين فينظر فيه: فاصحَّ عنده منه أمضاه، وما رأى الاستظهار على نظر الناظر فيه استظهر فيما يرى منه، حتى يقف على حقيقته، ويرسم ما يعمل عليه.

فذكر ذلك الناظر أنه وقف على هذه الضيعة، وعلى سائر أفرحتها وحدودها ونطاقها، بمشهد من أهل الخبْرة بأحوالها: من ثقات الأدلاء والمجاورين، والأكرَّة والمزارعين، والأمناء الذين يرجع إلى أقوالهم، ويعمل عليها، فوجد من أحوال بطون الأفرحة المزدرعة من جميعها، دون سواقيها وبرورها وتلالها وجنائها ومستنقعاتها، وما لا يعتمد من أرضها، بالخريب الهاشمي الذي تمسح به الأرض في هذه الناحية كذا وكذا جريباً: منها جميع القراج المعروف بكذا وكذا، ومنها قراج كذا وكذا، ومنها الحصن والبيوت، والساحات، والقرارات، والخزانات، ووجد حالها في الخراب والأنداد، وتعذر العمارة، والحاجة إلى عظيم المسونة وفرط النفقة على ما حكيتُه وشكوتُه، ونظر في مقدار أصل هذه الخزانات من هذه الضيعة، وما يجب عليها، وكشف الحال في ذلك..

وَنظَرَ أمير المؤمنين فيما رفعه هذا المؤمنُ المنفدُ من الديوان، وأستظهر فيه بما
 رآه من الأستظهار، ووجبَ عنده من الاحتياط، فوجدَ ما رفعه صحيحًا صحَّةً عمرَها
 أمير المؤمنين وعلمها، وقامت في نفسه، وثبتت عنده، ورأى إيقاعَ المقاطعة التي
 آتتسها على حقِّ بيت المال في هذه الضيعة، فقاطعك عنه في كلِّ سنة هلالية، على
 أستقبال سنة كذا وكذا الخراجية، على كذا وكذا: درهما صحاحًا مُرسلةً بغير كسر
 ولا كعانه (?) ولا حقَّ حرب ولا جهنزة، ولا مُحاسبة ولا زيادة، ولا ثنى من جميع
 المؤن وسابق التواقيع والرُسوم. تؤدَّى في أول الحرم من كلِّ سنة، حسب ما تؤدَّى
 المقاطعة، مقاطعةً ماضيةً مؤبَّدة، نافذةً ثابتة، على مُضى الأيام، ولزوم الأعوام،
 لا تُتقَض ولا تُفسخ، ولا تُتبع، ولا يُتأول فيها، ولا تُمير. على أن يكون هذا
 المال: وهو من الورق المرسل كذا وكذا في كل سنة مؤدَّى في بيت المال،
 ومصححًا عند من أُورد عليه في هذه الناحية أموال خراجهم ومقاطعاتهم وجباياتهم،
 لا يُعتل فيها بأفة تلتحق الغلات، سماوية ولا أرضية، ولا بتعطيل أرض، ولا بقصور
 عمارة، ولا تُقضان ربيع، ولا بانحطاطِ سعر، ولا بتأخر قطر، ولا بشرب غلَّة،
 ولا حرق ولا شرق، ولا بغير ذلك من الآفات بوجه من الوجوه، ولا بسبب من
 الأسباب، ولا يَحْتج في ذلك بحجة يَحْتج بها التنا (?)، والمزارعون، وأرباب الخراج
 في الالتواء بما عليهم، وعلى أن لا يدخل عليك في هذه المقاطعة يد ماسح ولا مُجِّن،
 ولا حازر، ولا مُقدِّم، ولا أمين، ولا حاطر، ولا ناظر، ولا متبِّع، ولا متعرِّف لحال
 زراعة وعمارة، ولا كاشفٍ لأمر زرع وغلَّة، ماضياً ذلك لك ولعقبك من بعدك،
 وأعقابهم، وورثتك وورثتهم، أبداً ما تناسلوا، ولن عسى أن تنقل هذه الأقرحة
 أو شيء منها إليه بيارث، أو ببيع، أو هبة، أو نخل، أو صدقة، أو وقف، أو مُناقلة،
 أو إجارة، أو مُهاياة، أو تملك، أو إقرار، أو بغير ذلك من الأسباب التي تنقل بها

الأملأك من يد إلى يد، ولا يُقَضُّ ذلك ولا شيء منه، ولا يغير ولا يفسخ، ولا يُزال ولا يبدل، ولا يعقب، ولا يعترض فيه بسبب زيادة عمارة، ولا ارتفاع سعر ولا وفور غلة، ولا زكاء ربيع، ولا إحياء موات، ولا أعتال معطل، ولا عمارة نراب، ولا أستخراج غامر، ولا صلاح شرب، ولا استحداث غلات لم يجر الرسم باستحداثها وزراعتها، ولا يعد ولا يمسح ما عسى أن يفرس بهذه الأفرحة: من النخل وأصناف الشجر المعدود والكرم؛ ولا يتأول عليك فيما لعل أصل المساحة أن تزيد به فيما تعمره وتستخرجه من الجباين^(١) والمستنقعات، ومواضع المشارب المستغنى عنها، إذ كان أمير المؤمنين قد عرف جميع ذلك، وجعل ما يجب على شيء منه عند وجوبه داخلا في هذه المقاطعة، وجاريا معها.

على أنك إن فصأت شيئا من مال هذه المقاطعة على بعض هذه الأفرحة من جميع الضيعة، وأفردت باقي مال المقاطعة بباقيها عند ملك ينتقل منها عن بدل، أو فعل ذلك غيرك ممن جعل له في هذه المقاطعة ما جعل لك من ورتك وورثتهم، وعقبك وأعقابهم، ومن لعل هذه الضيعة أو شيئا من هذه الأفرحة ينتقل إليه بضرب من ضروب الانتقال، قبل ذلك التفصيل منكم عند الرضا والاعتراف ممن تفصلون باسمه، ويحبلون عليه، وعوملتم على ذلك، ولم يتأول عليكم في شيء منه.

وعلى أنك إن أتمست أو أتمست من يقوم مقامك ضرب منار على هذه الضيعة، تعرف به حدودها ورسومها وطرفها، ضرب ذلك المنار أي وقت أتمسوه، ولم يمنعوا منه، وإن تأخر ضرب المنار لم يتأول عليكم به، ولم يجعل علة في هذه المقاطعة، إذ كانت شهرة هذه الضيعة وأفرحتها في أماكنها، ومعرفة مجاورها بما ذكر من تسميتها ومساحتها، تُغنى عن تحديدها أو تحديد شيء منها، وتقوم مقام المنار

(١) الجباين الصحارى.

في إيضاح معالمها ، والدلالة على حدودها وحقوقها ورسومها . وقد سَوَّغَ يَافِلَانُ
 ابْنَ فِلَانٍ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَقِبَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَعْقَابَهُمْ ، وَوَرَثَكَ وَوَرِثَهُمْ أَبَدًا
 مَا تَسَأَلُوا ، وَمَنْ تَنَقَّلَ هَذِهِ الْأَقْرَحَةَ أَوْ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَيْهِ - جَمِيعَ الْفَصْلِ بَيْنَ مَا كَانَ يَلْزَمُ
 هَذِهِ الضَّيْعَةَ وَأَقْرَحَتَهَا مِنْ حَقِّ بَيْتِ الْمَالِ وَتَوَابِعِهِ ، عَلَى الْوَضِيعَةِ التَّامَةِ ، وَعَلَى
 الشَّرْوَطِ الْقَدِيمَةِ ، وَبَيْنَ مَا يَلْزَمُهَا عَلَى هَذِهِ الْمَقَاطِعَةِ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ خَارِجًا عَنْ حَاصِلِ
 طَسْوُجٍ كَذَا وَكَذَا ، وَعَمَّا يَرْفَعُهُ الْمُؤْتَمِنُونَ ، وَيُؤَافِقُ عَلَيْهِ الْمُتَضَمِّنُونَ ، عَلَى غَايِرِ الدَّهْرِ
 وَمَرِّ السِّنِينَ ، وَتَعَاقِبِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ .

فَلَا تُقْبَلُ فِي ذَلِكَ سِعَايَةٌ سَاعِجٌ ، وَلَا قَدْحٌ قَادِحٌ ، وَلَا قَرْفٌ قَارِفٌ ، وَلَا إِغْرَاءٌ مُغْرٌ ،
 وَلَا قَوْلٌ مَعْنَفٌ ، وَلَا يُرْجَعُ عَلَيْكَ فِيهَا سُوْغَتُهُ وَنُظَرَ لَكَ بِهِ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ،
 وَلَا يُرْجَعُ فِي التَّقْرِيرَاتِ ، وَلَا تَنْقُضُ بِالْمَعَامَلَاتِ وَرَدَّهَا إِلَى قِيَامِ أَصُولِهَا ، وَلَا ضَرْبٌ
 مِنْ ضُرُوبِ الْجُبْحِجِ وَالتَّوْبِلَاتِ ، الَّتِي يَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا أَهْلُ الْعَدْلِ عَلَى سَبِيلِ الْحُكْمِ وَالنَّظَرِ ،
 وَأَهْلُ الْجَوْرِ عَلَى سَبِيلِ الْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ . وَلَا تَكَلَّفُ يَافِلَانُ بْنُ فِلَانٍ ، وَلَا عَقِبَكَ مِنْ
 بَعْدِكَ ، وَلَا وَرَثَكَ ، وَلَا أَعْقَابَهُمْ ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ تَخْرُجِ هَذِهِ الضَّيْعَةِ أَوْ هَذِهِ الْأَقْرَحَةِ
 أَوْ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَيْهِ ، عَلَى الْوُجُوهِ وَالْأَسْبَابِ كُلِّهَا - إِخْرَاجِ تَوْقِيعٍ ، وَلَا كِتَابِ مَجْدَدٍ ،
 وَلَا مَنْشُورٍ بِانْفَازِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَا إِحْضَارِ سَجَلٍ بِهِ ، وَلَا إِقَامَةِ حُجَّةٍ فِيهِ فِي وَقْتٍ
 مِنَ الْأَوْقَاتِ .

وَعَلَى أَنْ لَا يَلْزَمَكَ وَلَا أَحَدًا مِنْ يُقُومُ مَقَامَكَ فِي هَذِهِ الْمَقَاطِعَةِ مَعُونَةً ، وَلَا كُفَّةً ،
 وَلَا ضَرْبَةً ، وَلَا زِيَادَةً ، وَلَا تَقْسِيطَ كِرَاءٍ مِنْهُ ، وَلَا مَصَالِحَةً ، وَلَا عَامِلُ بَرِيدٍ ،
 وَلَا نَفَقَةً ، وَلَا مَعُونَةَ جَمَاعَةٍ ، وَلَا خِفَارَةً ، وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ . وَلَا يَلْزَمُ بَوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ
 فِي هَذِهِ الْمَقَاطِعَةِ زِيَادَةٌ عَلَى الْمَبْلَغِ الْمَذْكُورِ الْمُؤَدَّى فِي بَيْتِ الْمَالِ فِي كُلِّ سَنَةٍ نَجْرَاجِيَّةٍ ،

وهو من الورق المرسل كذا وكذا، ولا تمنع من روزه جهيداً أو حجة كاتب أو عامل
بما لهذه المقاطعة إذا أدتته أو أدت شيئاً منه أولاً أولاً، حتى يتكمل الأداء،
وتحصل في يدك البراءة في كل سنة بالوفاء بجميع المال بهذه المقاطعة .

وعلى أن تعاونوا على أحوال العارة ، وصلاح الشرب ، وتوقروا عليكم الضيافة
والحمية ، والدب والرعاية .

ولا يتعقب ما أمر به أمير المؤمنين أحد من ولاية العهود والأمراء والوزراء
وأصحاب الدواوين ، والكتاب والعمال والمشرفين ، والضمان والمؤمنين ، وأصحاب
الخراج والمعاونين ، وجميع طبقات المعاملين ، وسائر صنوف المتصرفين - يئطه
أو يزيله عن جهته ، أو ينقضه ، أو يفسده ، أو يغيره ، أو يبدله ، أو يوجب عليك
أو على عقبك من بعدك وأعقابهم وورثتهم أبداً ما تناسلوا ومن تخرج هذه الضيعة
أو شيء منها [إليه] حجة على سائر طرق التأويلات ، ولا يلزمك شيئاً فيه ، ولا يكلفكم
عوضاً عن إرضائه ، ولا ينظر في ذلك أحد منهم نظر تتبع ولا كشف ، ولا بحث ،
ولا فحص . فإن خالف أحد منهم ما أمر به أمير المؤمنين ، أو تعرض لكشف
هذه المقاطعة أو مساحتها أو تخمينها أو اعتبارها والزيادة في مبلغ مالها ، أو ثبت
في الدواوين في وقت من الأوقات شيء يخالف ما رسمه أمير المؤمنين فيها : إما على
طريق السهو والغلط ، أو العدوان والظلم والعداوة والقصد ، فذلك كله مردود ،
وباطل ، ومفسوخ ، وغير جائز ، ولا سائغ ، ولا قاذح في صحة هذه المقاطعة وثبوتها
ووجودها ، ولا معطل لها ، ولا مانع من تلافى السهو وأستدراك الغلط في ذلك ،
ولا مغير لشيء من شرائط هذه المقاطعة . ولا حجة تقوم عليك يا فلان بن فلان ،
ولا على من يقوم في هذه المقاطعة بشيء من ذلك : إذ كان ما أمر به أمير المؤمنين

(١) الروزالتجربة .

من ذلك على وجه من وجوه الصلاح، وسبيل من سبله رأهما وأمضاهما، وقطع
 بهما كل اعتراض ودعوى، واحتجاج وقذف، وأزال معهما كل بحث وخص، وتبعية
 وعلاقة، وإن كان من الشرائط فيما سلف من السنين وخلا من الأزمان ما هو أوكد
 وأتم وأحكم وأحوط لك، ولعقبك وورثتك، وأعقابهم وورثتهم؛ ومن تنقل هذه
 الأفرحة أو شيء منها إليه مما شُرط في هذا الكتاب بحال، أوجبها لك الاحتياط على
 اختلاف مذاهب الفقهاء والكتاب وغيرهم مما للخلفاء أن يفعلوه وتنفذ فيه أمورهم،
 وحيات وحملوا عليه، وهو مضاف إلى شروط هذا الكتاب التي قد أتى عليها الذكر،
 ودخات تحت الحصر، ولم يكلف أحد منكم إخراج أمر به .

وإن أتمست [أنت] أو أحد من ورثتك وأعقابك، ومن عسى أن تنقل هذه
 الضيعة والأفرحة أو شيء منها إليه في وقت من الأوقات تجديد كتاب بذلك،
 ومكتبة عامل أو مشرف، أو إخراج توقيع ومذشور إلى الديوان بمثل ما تضمنه هذا
 الكتاب، أجبتم إليه ولم تمنعوا منه .

وأمر أمير المؤمنين بإثبات هذا الكتاب في الدواوين، وإقراره في يدك، حجة لك
 ولعقبك من بعدك وأعقابهم، وورثتك وورثتهم، ووثيقة في أيديكم، وفي يد من
 عسى أن تنقل هذه الضيعة أو الأفرحة أو شيء منها إليه، بضرب من ضروب
 الانتقال التي ذكرت في هذا الكتاب والتي لم تذكر فيه، وأن لا تكلفوا إيراد [حجة]
 من بعده، ولا يتأول عليكم متأول فيه .

فمن وقف على هذا الكتاب وقرأه أو قرئ عليه : من جميع الأمراء، وولاة اليهود
 والوزراء، والعُمَّال، والمشرِّفين، والمتصرفين، والناظرين في أمور الخراج، وأصحاب
 السيوف على اختلاف طبقاتهم، وتباين منازلهم وأعمالهم . فليمتثل ما أمر به أمير

المؤمنين ولينفذ فلان بن فلان وورثته وورثتهم، وعقبه وأعقابهم، ولمن تنتقل هذه الأفرحة أو شئ منها إليه - هذه المقاطعة، من غير مراجعة فيها، ولا استئثار عليها، ولا تكليف [له] ولا لأحد ممن يقوم بأمرها إيراد حجة بعد هذا الكتاب بها .
وليعمل بمثل ذلك من وقف على نسخة من نسخ هذا الكتاب في ديوان من دواوين الحضرة، وأعمالها أو الناحية، وليقر في يد فلان بن فلان أو يد من يورده ويحتج به من يقوم مقامه، إن شاء الله تعالى .

الطريقة الثانية

(ما كان يكتب في الإقطاعات عن الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية)

وهو على نحو مما كان يكتب عن خلفاء بني العباس .

قال في "مواد البيان" : والرسم فيها أن يكتب :

أمير المؤمنين بما وهبه الله تعالى : من شرف الأعراق، وكرم الأخلاق، ومنحه من علو الشأن، وارتفاع السلطان؛ يقتدى بإذن الله سبحانه في إفاضة إنعامه وبره، على الناهضين بحقوق شكره؛ ويوقع أياديه عند من يقوم بحققها، ويتألفها بحمدها، وشكرها، ولا ينفرها ويوحشها بكفرها، ويحدها؛ ويتحرى بعوارفه المغارس التي تُحب شجرتها، وتحلولى ثمرتها؛ والله تعالى نسأله أن يوفقه في مقاصده، ويريه مخايل الخير في مصادره وموارده؛ ويعينه على إحسان يفضيه ويسغفه، وأمتنان يضيفه ويفرغه .

ولما كان فلان بن فلان من غرس أمير المؤمنين [إحسانه] لديه فأثر، وأواه طوله فشكره؛ ورأه مستتقلاً بالصنيعه، حافظاً للوديعه، مقابلاً العارفة بالإخلاص في الطاعة، مستندراً بالانقياد والتباعه، أخلاف الفضل والنعمه (ويوصف الرجل

المقطع بما تقتضيه منزلته) ثم يقال : رأى أمير المؤمنين مضاعفة أياديه لديه ، ومواصلته إنعامه إليه ، وإجابة سؤاله ، وإنالته أفاضى آماله ، وتنويله ما نحت إليه أمانته ، وطمحت نحوه راحته ، وإسعافه بما رغب فيه من إقطاعه الناحية الفلانية ، أو الدار أو الأرض ، أو تسويغه ما يجب عليه من نجاج ملكه ، وما يجرى هذا المجرى . ثم يقال : ثقة بأن الإحسان مغروس منه في أكرم مغرس وأزكاه ، وأحق منزلة بالتنويل وأولاه . وخرج أمره بإنشاء هذا المنشور بأنه قد أقطعه الناحية الفلانية ، لاستقبال سنة كذا بحقوقها وحدودها ، وأرضها العامرة ووجوه جباياتها ، (وينص على كل حق من حقوقها ، وحد من حدودها) فإذا استوفى القول عليه ، قال : إنعاماً عليه ، وبسطة لأمله ، وإبانة عن خطره .

فيعلم ذلك كافة الولاة والنظار والمستخدمين من أمير المؤمنين ورسمه ، ليعملوا عليه وبحسبه ، وليحذروا من تجاوزه وتعديه ، وليقتربوا بعد العمل بما نص فيه ، إن شاء الله تعالى .

قلت : والتحقيق أن لحم في ذلك أساليب : منها ما يفتح بلفظ « هذا » والمعروف أنه كان يسمى ما يكتب في الاقطاعات عندهم سبيلات كالذي يكتب في الولايات .

*
*

وهذه نسخة منشور من مناشيرهم ، من إنشاء القاضي الفاضل لولد من أولاد الخليفة اسمه حسن ولقبه حسام الدين مفتتح بلفظ « هذا » وهي :

هذا كتاب من أمير المؤمنين لولده الذي جل قدرنا أن يسامى ، وقتر في ناظر الإيمان نوراً وسلته يد الله حساماً ، وحسن به الزمان فكان وجوده في عطفه

حليّةً والفترةً آبتساما، وأضاءت وجوه السعادة لمنحها بكريم اسمه أنساما، وتبيات
الأفئدة لأن تجرى على نقش خاتم إرادته أمتثالاً وأرتساما - الأمير فلان، جرياً على عادة
أمير المؤمنين التي أوضح الله فيها إشراق العوائد، وأتباعاً لسنة آبائه التي هي سنن المكارم
والمرشد، وأرتفاداً مع آرتياح [إلى موارد] كرمه التي هي موارد لا يخلأ عنها واردة،
وأختصاصاً بفضله لمن كفاه من الشرف أنه له والد، وعموماً بما يسوقه الله على يده
من أرزاق العباد، وإنعاماً جعل نجله طريقه إلى أن يفيض على كل حاضرٍ وباد .
وأمير المؤمنين بحر ينتشئ من آله السحاب المتزل، ويمدّهم جواد العطاء الأجل .
أمر بكتبة لما عرضت لمقامه رقةً بكنا وكذا، وخرج أمر أمير المؤمنين إلى وليه
وناصره، وأمينه على ما استأمنه الله عليه وموازره؛ السيد الأجل الذي لم تزل آراؤه
ضوامن لأصالح كوافل، وشهب تدبيره من سماء التوفيق غير غاربة ولا أوافل، وخدمته
لأمير المؤمنين لا تقف عند الفرائض حتى نخطى إلى النوافل، وجاد فأخلاف النعم
به حوافل، وأقبل فأحزاب الخلاف به جوافل، وأيقظ عيوننا من التدبير على الأيام
لا تدعى الأيام أنها غوافل؛ بأن يوعز إلى ديوان الإنشاء بإقطاع ناحية كذا بجدها،
والمعتاد من وصفها المعاد، وما يدل عليه الديوان من عبرتها، ويتحصّل له من عينها
وغلتها؛ إلى الديوان الفلاني: إقطاعاً لا يتقطع حكمه، وإحساناً لا يعفو رسمه، وتسويةً
لا يطيش سهمه، وتكبيراً لا ينجي اسمه، وتخويلاً لا يثني عزمه، يتصرف فيه
هذا الديوان ويستبد به مالكا، ويُفاوض فيه مُشاركاً، ويزرعه متعملاً ومضمناً،
ويستثمره عادلاً في أهله مُحسناً؛ لانتعقه الدواوين بتأويل ما، ولا الأحوال بتحوّل ما؛
ولا الأيام بتقلّبها، ولا الأعراض بتعقّبها؛ ولا أخلاف الأيدي بتقلّها، ولا تعترضه
الأحكام بتأولها .

(١) في الأصول هكذا «بمها» باهمال نقط الكلمة بتماها .

وقد أوجب أمير المؤمنين على كلِّ والٍ أن يتحامى هذه الناحية بضربه، ويقصدها
بجميل أثره، ويحيطها بحسن نظره، ويتقن فيها ركوب عواقب غرره، ويحتنب فيها
مطالب ورده وصدره، ونزول مستقره؛ ولا يمكن منها مستخدماً، ولا يكلف أهلها
مغرمًا، ويجرىها مجرى ما هو من الباطل حمى؛ مالم يقل فيها بميل، أو يخف من سبها
سبيل، وله أن يتطلب الجاني بعينه، ويقتضيه بأداء ما استوجب من دينه، وأخذه
مسوقاً بجرائم ذنبه إلى موقف حينه، فمن قرأه فليعمل به .



وهذه نسخة سبيلٍ بإقطاع، عن العاضد آخر خلفاء الفاطميين أيضا لبعض أمراء
الدولة، من إنشاء القاضي الفاضل أيضا، وهي :

أمير المؤمنين - وإن عمَّ جوده كما عمَّ فضل وجوده، وسار كثير إحسانه ويره
في سهول المعمور ونجوده، ورحم الله الخلق بما استأثره دون الخلائق من قربه
في سبجوده - فإنه يخص بنى القرى من جدّه، والضاريين معه في أنصاء مجده؛ من
سلالته الزكية، وطينته المسكية؛ وأعراقه الشريفة، وأنسابه المنيفة؛ فكل غراء
لا تخفى أوضاعها، إلا إذا فاضت أنوارهم، وكل عدراء لا يعهد إنساحها، إلا إذا
راضت أخطارهم .

ولما عرضت بحضرتة ورقة من ولده الأمير فلان الذي أذن الله به عين الإسلام،
وأنجز به دين الأيام؛ وأطلعه بدرًا في سماء الحسب، وجلا بأنواره ظلام التوب؛
وأمتاح من منبع النبوة وآرتوى، وأستولى على خصائص الفضل الجلي وأحتوى،

وأعدَّ اللهُ لسعدِ الأئمةِ ذا مِرَّةٍ شديداً القوي ، وأدنى الاستحقاق من العايات حتى
تأهب لأن يكون بالوَادِ المُقدَّسِ طويًّا ، وأضحت كَأَفَّةُ المؤمنين مؤمِّين على مكارمه ،
وأمسَّتْ كَأَفَّةُ الحائفين خائفين من سَيْلِ أنفُسِهِم على صَوَارِمِهِ ، وآراؤه أعلى أن
يُضَاهِيَهَا [رأى] وإن جَلَّ خَطْرُهُ ، وأعطيتُه أرقى أن يُدَانِيَهَا عطاءً وإن حَسُنَ
في الأحوال أثره ؛ وإنما يُنْبِغُ بِمُلْكِهِ منها ما راق بعين اختياره وإيثاره ، وسعد
بالانتظام في سلك جوده الذي يعرضه أبداً لانتثاره ، وتضمنت هذه الرُقْمَةُ الرغبة
في كذا وكذا ، وذكر الديوان كذا .

خرج أمرُ أمير المؤمنين إلى فتاه وناصريه ، ووزيره ومُظَاهِرِهِ ؛ السيدِ الأجلِّ
الذي انتصر اللهُ به لأمر المؤمنين من أعدائه ، وحسَمَ بِحُسامِهِ ما أعضل من عارض
الخطب ودائه ، ونطقَتْ بفضله ألسُنُ حُسادِهِ فضلاً عن ألسنة أودائه ، وسخت
الملوكُ بأنفسها أن تكونَ فِدَاءً له إذا حوزها المجدُّ في فِدائِهِ ؛ الذي ذخره اللهُ
لأمير المؤمنين من آدمَ دَخِيرِهِ ، وجمع له في طاعته بين إيقاظ البصيرة وإخلاص
السريرة ، وفُضِّلت أيامه على أيام أوليائه بما حلَّها من جميل الأحدثوة وحسن
السيرة ؛ وسهل عليه التتويُّ في المنافع والعكوف على المصالح ، وأجنى من أقلامه
ورماحه ثمرات النصائح ، وفاز بما حاز من ذخائر العمل الصالح بالمتجر الرابح ؛
وألهمه من حراسة قانون الملك ما قضى بحفظ نظامه ، ولم ينصرف له عزم إلا إلى
ما صرِفَ إليه رضا ربه ورضا إمامه .

ونفذت أوامره بأن يُوعزَ إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السَّجَلِ إلى الديوان
الفلاني بإقظاعه الناحية وما معها منسوباً إليها وداخلاً فيها لاستقبال [سنة] كذا ،
منحةً سائعه ، لا يعترضها التكدير ، ونعمةً سائعه ، لا ينقضها التغيير ؛ وحباً موصول

الأسباب، وعطاءً بغير من ولا حساب؛ يتحكّم فيه على قضايا الاختيار، وتتفدّ فيه أوامره الميمونة الإيراد والإصدار.

ومنها - أن يفتح السّجل بلفظ: «إنّ أمير المؤمنين» ويذكر من وصفه ما سنع له، ثم يذكر حكم الإقطاع، وكيفية خروجه.

وهذه نسخة سّجل من ذلك كتبت به لبعض وزراءهم، من إنشاء القاضي الفاضل، وهي:

إنّ أمير المؤمنين لما أطلق الله يدّ يره من أميال تبدو على الأحوال شواهد آثارها، وتروض الآمال سحائبها بسائب مدرارها، وتنتزه مواعدها عن إنظارها، ومواردها عن أن يؤتى بأنظارها، ويقوم بناصرها فيكون أقوى أعوانها على الشكر وأنصارها؛ وألهمه من مواصلة المن التي لا تنقطع روايتها ولا تنتاهي مراتبها، وموالاتة المنح التي تهب على جناب الخير شمائلها وجنائبها، وتلتقي في مسارح المسدّاح غرائبها ورغائبها؛ وحببه إليه من آتهاز فرص المكارم في الأكارم، وأبتداء المعروف وأبتدار معانمه التي لا تعقبها مغارم - يولي آلاءه من يجزي عن حسنتها عشرًا، ويعقل عقائلها عند من يسوق إليها من أستحقاقها مهرا، ويقابل بالإحسان إحسان أجل أوليائه قدرا، ويضعف الأمتنان عند من لم يضعف في موازرتة أزرا؛ ويودع ودائع جوده في المغارس الجيدة بالزكاة والتماء، ويؤزك أصول معروفه لمن يفتخر بالانضواء إلى موالاته والائتماء، ويستكرم مستقر منه وآلائه، ويحسن إلى الإحسان ثم يتبجح بموالاته لديه وإيلائه.

ولما كان السيد الأجل أمير الجيوش آية نصر أمير المؤمنين التي أنبرت فما تبارى، ونعمة الله التي أشرقت أنوارها وأورت فما تتوارى؛ وسيف حقه الذي

لا تَكَلِّمْ مَقَاتِعَهُ ، وَبِحَرَ جُودِهِ الَّذِي لَا تُكَدَّرُ مَشَارِعُهُ ؛ وَالْمُسْتَقَلَّ مِنَ الدَّفَاعِ عَنْ حَوَازَتِهِ بِمَا عَجَزَتْ عَنْهُ الْأُمَمُ ، وَالْعَلَى عَلَى مِقْدَارِ الْأَقْدَارِ إِذَا تَفَاوَتَتْ قِيَمُ الْهَمَمِ ، وَالكَاشِفَ الْجُلِّيَّ عَنْ دَوْلَتِهِ وَقَدْ عَظُمَتْ مَظَالِمُ الظُّلْمِ ، وَالْجَامِعَ عَلَى الْمُبَارَاةِ وَالْمُؤَارَاةِ قَلْبَ الْمُؤَالَفِ وَالْمُخَالَفِ وَلِسَانَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ؛ وَالْمَتَّبِقِيَّ مِنَ الْمَلِكِ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَالْمَتَّوَقِّلَ مِنَ الْفَخْرِ مَحَلًّا لَا يَطْمَعُ النَّجْمُ فِيهِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَالْمُغَيَّرَ عَلَى الْحَرْبِ الْعَوَانِ بِقَبْلِيَّةِ الْبُكَرِ ، وَالْمَنْفَعِدَ بِمَبْتَدَعِ الْعَزَمَاتِ مَا لَوْلَا وَقُوعُهُ لَمَّا وَقَعَ [فِي] الْفِكْرِ ؛ وَالْقَاضِيَ لِلدِّينِ بِجِدِّ سَيْوْفِهِ مَطْلُوعِ حَقِّهِ وَمَمْطُوعِ دِينِهِ ، وَالْقَائِمَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَقَامًا قَامَ بِهِ أَبُوهُ فِي نُصْرَةِ جَدِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا يَوْمَ بَدْرِهِ وَيَوْمَ حُنَيْنِهِ .

وَلَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ آيَاتِ نَضَارَةِ نَظَرِهِ عَلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَتْ زُخْرُفَهَا وَأَزَيْتَ ، وَأَبْتَدَتْ أَيْدِيهِ الْجَنِّيَّ فَتَظَاهَرَتْ أَدْلَتُهَا عَلَى دَوْلَتِهِ وَتَبَيَّنَتْ ؛ وَأَسْتَلَامَتِ الْمَمْلُوكَةُ مِنْ تَدْبِيرِهِ بِحِجَّةٍ تَنَحَّاهَا الْأَقْدَارُ وَهِيَ سِهَامٌ ، وَوَتَّقَتْ مِنْ عِنَايَتِهِ إِلَى هَجْرِ الْخُطُوبِ بِمَا يُعِيدُ نَارَهَا وَهِيَ بَرْدٌ وَسَلَامٌ ؛ وَمَا ضَرَّهَا مَعَ تَيْقُظِ جَفْنِهِ أَنْ يَهْجَعَ فِي جَفْنِهِ طَرْفُ الْحُسَامِ ، وَلَا أَحْتَا جَمْتُ وَقَلْبُهُ يُسَاوِرُ جَسِيمَ أُمُورِهَا أَنْ تَتَعَبَ فِي وَادِّهَا الْأَجْسَامِ ؛ فَأَيُّ خَيْرٍ يُؤَلَى - وَإِنْ عَظُمَ - يَتَاهُضُّ أَسْتَحْقَاقَهُ ؟ وَأَيُّ غَايَةٍ وَإِنْ جَلَّتْ تَرُومُ نَيْلِ مَدَى مَسْعَاهِ وَحَلَاقِهِ ؟ ؛ وَأَيُّ لَأَعْرَاضِ الدُّنْيَا أَنْ تُهْدِيَ لِحُورِهِ عَرَضًا ، وَلَا تَبْلُغُ مَبَالِغَ النِّعَمِ الْجَلَائِلِ أَنْ تَعْتَدَّ الْيَوْمَ مِنْ مَسَاعِيهِ عَوَضًا ؟ ؛ وَهَلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْمَالٌ فِي مُجَازَاتِهِ عَنْ قِيَامِهِ بِعَمْدِ رَأْيِهِ وَمَجْرَدِ عَضْبِهِ ، وَدِفَاعِهِ عَنْ حَوَازَةِ عُدَّتِهِ وَدَبِّهِ ، وَكَرِّهِ فِي مَوَاقِفِ كَرِّهِ ، وَكِفَايَتِهِ لِلْأُمَّةِ فِي سَائِمِهِ وَحَرْبِهِ ، وَإِيَابَتِهِ الَّتِي خَصَّ الْأَرْضَ مِنْهَا فَضْلُ خِصْبِهِ ، إِلَّا أَنْ يَذْكُرَهُ بِقَلْبِهِ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأَنْ يَرْفَعَ الْجُبَّ عِنْدَ كُلِّ سُؤَالٍ كَمَا يَرْفَعُ اللَّهُ عِنْدَ دَعَائِهِ مُسَدَّلٌ مُجِيبُهُ ؟ .

وَعَرِضَتْ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَطَالَعَةً مِنْهُ عَنِ خَيْرِ بِاسْمِهِ الْكَرِيمِ مَقْصُورٍ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي خُرُوجِ الْأَمْرِ بِتَمْلِيكِ جِهَتِهِ الَّتِي تَقُومُ عِنْدَهَا عِدَّةُ أَلْفٍ، مُسْتَخْرِجًا بِهَا الْخَطَّ الشَّرِيفَ بِإِمضَاءِ التَّمْلِيكِ وَإِجَازَتِهِ، وَتَسْلِيمِ الْمَلِكِ وَحِيَازَتِهِ .

فَتَلَقَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الرَّغْبَةَ بِإِفْرَازِ حَرَى فِيهِ مِنْ الْأَوَامِرِ عَلَى أَفْضَلِ سَنَنِ ، وَتَقْبَالِهَا مِنْهُ بِقَبُولِ حَسَنِ ؛ وَتَهَلَّتْ عَلَيْهِ لِسُؤَالِهِ مَصَابِيحُ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ ، وَنَفَذَتْ (١) مَوَاقِعَ تَوْقِيعِهِ مَا لَا تَبْلُغُهُ مَوَاقِعُ مَاءِ الْمَزْنِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ . وَشَمِلَهُ خَطُّهُ الشَّرِيفُ بِمَا نُسِخَتْهُ : نَخَرَجَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ بِأَنْ يُوعِزَ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِكُتْبِ هَذَا السَّجَلِ بِتَمْلِيكِ الْجِهَةِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهَا بِجَمِيعِ حُدُودِهَا وَحُقُوقِهَا ، وَظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا ، وَأَعَالِيهَا وَأَسَافِهَا ، وَكُلِّ حَقٍّ لَهَا ، دَاخِلٍ فِيهَا وَخَارِجٍ عَنْهَا ، وَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ بِهَا وَمَنْسُوبٌ إِلَيْهَا ؛ تَمْلِكًا مَمْلُوكًا ، وَإِنْعَامًا مَوْبُودًا ، وَحَقًّا مَوْكَّدًا ؛ يَجْرِي عَلَى الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ ، وَيُحْكَمُ أَحْكَامَ الْكَرَمِ وَالشَّرْعِ ، مَا ضِيًّا لَا تُتَعَقَّبُ حُدُودُهُ بِفَسْخِ ، جَائِزًا لَا تُتْجَاوَزُ عَقُودُهُ بِنَسْخِ ؛ مَوْصُولَةً أَسْبَابُهُ فَلَا تَنْطَرُقُ أَسْبَابُ التَّغْيِيرِ إِلَيْهَا ، مَوْرُوثًا حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا .

فَلْيَعْتَمِدْ كَافَّةً وُلاةَ الدَّوَاوِينِ ، وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْمُتَصَرِّفِينَ ؛ حَمَلَ الْأَمْرَ عَلَى مُوجِبِهِ ، وَالْحَدَرَ مِنْ تَعَدِّيهِ وَتَعَقُّبِهِ ؛ وَأَمْتَالَ مَارِسِمَهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَدَّهُ ، وَالْوَقُوفَ عِنْدَ أَمْرِهِ الَّذِي عَدِمَ مِنْ مَالِ فَرْدِهِ ، وَلِيَقْتَرَفِ يَدَ الدِّيْوَانِ حُجَّةً لِمُودَعِهِ بَعْدَ نَسْخِهِ فِي الدَّوَاوِينِ بِالْحَضْرَةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) لعله « وبلغت مواقع » الخ .

الضرب الثاني

(مما كان يُكتب في الإقطاعات في الزمن المتقدم ما كان يُكتب
عن ملوك الشرق القائمين على خلفاء بني العباس)

وطريقتهم فيه أن يكتب في الابتداء : « هذا كتاب » ونحو ذلك ، كما كان
يُكتب عن خلفاء بني العباس في ذلك ، ثم يُذكر عرض أمره على الخليفة ،
وأستكشاف خبر ما تقع عليه المقاطعة من الدواوين ، وموافقة قولهم بما ذكره
في رُقعته ، ويذكر أن أمير المؤمنين وذلك السلطان أمضياً أمر تلك المقاطعة وقرّراه .
ثم ربّما وقع تسويغ ما وجب لبيت المال لصاحب المقاطعة زيادة عليها ليكون
في المعنى أنه بأمرها .

وهذه نسخة مقاطعة بضيعة كُتب بها عن صمصام الدولة بن ركن الدولة بن
بويه ، وهي :

هذا كتاب من صمصام الدولة ، وشمس الملة ، أبي كالجار ، بن عضد الدولة وتاج
المسلة أبي شجاع ، بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين ، لمحمد بن عبد الله
أبن شهرام .

إنك ذكرت حال ضياعك المعروفة برسدولا والبدرية من طسوج نهر الملك ،
والحظائر والحصة بنهر قلا من طسوج قُطريل ، وما لحقها : من اختلال الحال
ونقصان الإرتفاع ، وأندواب^(١) المشارب ، وأستئجام المزارع ، وطمع المجاورين ،
وضعف الأكرة والمزارعين ، وظلم العمال والمنصرفين ، لتناول غيبتك عنها ،
وأنقطاعك بالأسفار المتصلة عن أستيفاء حقوقها ، وإقامة عماراتها ، والإنفاق على

(١) كذا بالأصل ، ولا معنى لها ولعلها : « واندثار المشارب » .

مصالحها، والأنتصاف من المجاورين لها والمعاملين فيها، ووصفت ما تحتاج إلى تكافئه من الجملة الوافرة: لأحتفار أنهارها، وإحياء مواتها، وأعمال متعطلها، وإعادة رؤسومها، وإطلاق البذور فيها، وأبتاع العوامل لها، وأختلاف الأكرة إليها .

وسألت أن تقاطع عن حق بيت المال فيها وجميع توابعه ، وسائر لزومه ، على ثلاثة آلاف درهم في كل سنة ، معونة لك على عمارتها ، وتمكيناً من إعادتها إلى أفضل أحوالها ، وتوسعة عليك في المعيشة منها .

فأنهينا ذلك إلى أمير المؤمنين الطائع لله ، وأفضنا بحضرتة فيما أنت عليه من الخلائق الحميدة ، والطرائق الرشيدة ، وما لك من الخدمات القديمة والحديثة ، الموجبة لأن تلحق بنظرائك من الخدم المختصين ، والحواشى المستخلصين ، بإجابتك إلى ما سألت ، وإسعافك بما أتمست . فخرج الأمر - لازال عالياً - بالرجوع في ذلك إلى كتاب الدواوين ، وعمال هذه النواحي ، وتعرف ما عندهم فيه مما يعود بالصلاح ، ويدعو إلى الاحتياط . فرجع إليهم فيما ذكرته وحكيته ، فصداقوك في جميعه ، وشهدوا لك بصحته ، وتردد بينك وبينهم خطاب في الأرتفاع الوافر القديم ، وما توجبه العبر لعدة سنين ، إلى أن استقر الأمر على أن توقع على هذه الضياع المسماة في هذا الكتاب خمسة آلاف درهم ورقاً مرسلًا بغير كسر ، ولا كفاية ، ولا حق خزن ، ولا جهبذة ولا محاسبة ، ولا غير ذلك من المؤن كلها .

ثم أنهينا ذلك إلى أمير المؤمنين الطائع لله ، فأمر - زاد الله أمره علواً - بإمضاء ذلك ، على أن يكون هذا المال ، وهو خمسة آلاف درهم مؤدى في الوقت الذى تفتح فيه المقاطعات : وهو أول يوم من المحرم في كل سنة ، على استقبال السنة الحاربية ، سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة الحراجية ، عن الخراج فى العلات الشتوية

والصيفية ، والمحدثه والمبكرة الحارية على المساحة ، والحاصل من الغلات الحارية على المقاسمة والجوالى ، والمرعى ، والأرضاء ، وسائر أبواب المسال ، ووجوه الجبايات ، وتقسيم المصالح ، والحماية ، مع ما يلزم ذلك من التوابع كلها : قليلها وكثيرها ، والرسوم الثابتة فى الدواوين بأسرها ، وعن كل ما أحدث ويحدث بعدها على زيادة الارتفاع ونقصانه ، وتصرف جميع حالاته : مقاطعة مقررة مؤبده ، مفضاة مخلده ، على مرور الليالى والأيام ، وتعاقب السنين والأعوام . لك ولولدك ، وعقبك من بعدك ، ومن عسى أن تنتقل هذه الضياع إليه بميراث ، أو بيع ، أو هبة ، أو تملك ، أو منقولة ، أو وقف ، أو إجارة ، أو مبادرة ، أو مزارعة أو غير ذلك من جميع الوجوه التى تنتقل الأملاك عليها ، وتجرى بين الناس المعاملات فيها ، لا يفسخ ذلك ولا يغير ، ولا ينقض ولا يبدل ، ولا يزال عن سبيله ، ولا يحال عن جهته ، ولا يعترض عليك ولا على أحد من الناس فيه ولا فى شىء منه ، ولا يتأول عليك ولا على غيرك فيه ، بزيادة عمارة ، ولا زكاء ربيع ، ولا غلوسعر ، ولا إصلاح شرب ، ولا أعمال تحراب ، ولا إحياء موات ، ولا بغير ذلك من سائر أسباب وفور الارتفاع ودور الاستقلال .

وحظر مولانا أمير المؤمنين الطائع لله ، وحظرنا بحظره على كتأب الدواوين : أصولها وأزمته ، وعمال النواحي ، والمشرفين عليها ، وجميع المتصرفين على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم ، الاعتراض عليك فى هذه المقاطعة ، أو إيقاع ثمن أو مساحة على ما كان منها جارياً على الخراج ، أو تقريير أو خزي ، أو قسمة على ما كان منها جارياً على المقاسمة ، أو أن تدخلها يد مع يدك لناظر أو حاطر أو مستظهر أو معتبر أو متصفح ، إذ كان ما يظهر منها من الفضل على مرور السنين مسوفاً لك ، لا تطالب به ، ولا بمرفق عنه ، ولا على ما ظهر عليه وعلى شىء منه ، ولا يتمس منك بتجديد كتاب ،

ولا إحصار حجّة، ولا توقيع به ولا منشور بعد هذا الكتاب : إذ قد صار ذلك لك وفي يدك بهذه المقاطعة، وصار ما يجب من الفضل بين ما توجب المسائح والمقاسمات وسائر وجوه الجبايات، وبين مال هذه المقاطعة المحدودة المذكورة في هذا الكتاب خارجاً عما عليه العيال، ويرفعه منهم المؤمنون، ويوافق عليه المتضمنون ؛ على مرور الأيام والشهور، وتعاقب السنين والدهور؛ فلا تقبل في ذلك نصيحة ناصح، ولا توفير موفر، ولا سعاية ساج، ولا قذف قاذف، ولا طعن طاعين .

ولا يلزم عن إمضاء هذه المقاطعة مئونة، ولا كلفة، ولا مصنعة، ولا مصالحة، ولا ضريبة، ولا تقسيط، ولا عمل بريد، ولا مصالحة من المصالح السلطانية، ولا حق حماية، ولا خفارة، ولا غير ذلك من جميع الأسباب التي يتطرق بها عليك، ولا [على من] بعدك، لزيادة على مالها المحصور المذكور في هذا الكتاب، ولا حق خزن ولا جهنزة، ولا محاسبة ولا مئونة ولا زيادة . ومتى استخرج منك شيء أو من أحد من أنسابك، أو ممن عسى أن تنتقل إليه هذه المقاطعة بشيء زائد عليها على سبيل الظلم والتأول والتعنت لم يكن ذلك فاسخاً لعقدتها، ولا مزيلاً لأمرها، ولا قاذحاً في صحتها، وكان لك أن تطالب برد المأخوذ زائداً على مالها، وكان على من ينظر في الأمور إنصافك في ذلك وردّه عليك، وكانت المقاطعة المذكورة مضمّاة على تصرف الأحوال كلها .

ثم إننا رأينا بعد ما أمضاه مولانا أمير المؤمنين، وأمضيته لك من ذلك وتمامه وإحكامه ووجوبه وثبوته، أن سوغناك هذه الخمسة آلاف درهم المؤداة عن هذه المقاطعة على استقبال سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة الخراجية، تسويغاً مؤبداً، ماضياً على مرّ السنين : ليكون في ذلك بعض العوض عن باقي أملاكك وضياعك التي

فُيُضِتْ عَنْكَ ، وَبَعْضُ الْمَعُونَةِ فِيمَا أَنْتَ مَتَصَرِّفٌ عَلَيْهِ مِنْ خِدْمَتِنَا ، وَمَتَرَدَّدٌ فِيهِ مِنْ مَهْمَاتِ أُمُورِنَا ؛ وَأَوْجَبْنَا لَكَ فِي هَذَا التَّسْوِيعِ جَمِيعَ الشَّرُوطِ الَّتِي تُشْتَرَطُ فِي مِثْلِهِ ؛ مِمَّا ثَبَتَ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَمِمَّا لَمْ يَثْبُتْ فِيهِ : لِيُنَحِّسِمَ عَنْكَ تَتَبُّعَ الْمُتَتَبِّعِينَ ، وَتَعَقُّبَ الْمُتَعَقَّبِينَ ، وَتَأْوِيلَ الْمُنَاوِلِينَ عَلَى الْوُجُوهِ وَالْأَسْبَابِ .

وَأَمْرِنَا - مَتَى وَقَعَ عَلَى مَالِ هَذَا التَّسْوِيعِ (وَهُوَ خَمْسَةُ آلَافِ دَرَاهِمٍ) أَرْتَجِعُ ، بِحَدِيثٍ يَحْدُثُ عَلَيْكَ ، أَوْ بَتَعْوِضٍ تُعَوِّضُ عَنْهُ ، أَوْ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي تُوجِبُ أَرْتَجَاعَهُ - أَنْ يَكُونَ أَصْلُ الْمُقَاطَعَةِ مَحْضَى لَكَ ، وَرِثْمُهَا بَاقِيًا عَلَيْكَ وَعَلَى مَنْ تَنْتَقِلُ هَذِهِ الضِّيَاعُ إِلَيْهِ بَعْدَكَ ، عَلَى مَا نَخْرَجُ بِهِ أَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ ، مِنْ غَيْرِ تَقْضٍ وَلَا تَأْوِيلٍ فِيهِ ، وَلَا تَغْيِيرٍ لِرِسْمٍ مِنْ رِسْمِهِ ، وَلَا تَجَاوُزٍ لِحُدِّهِ مِنْ حُدُودِهِ ، عَلَى كُلِّ وَجْهِ وَسَبَبٍ .

فَلْيَعْلَمَنَّ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعِ لِلَّهِ وَأَمْرِهِ ، وَمَنْ أَمْتَنَالِنَا وَإِمْضَانَنَا ، وَلْيَعْمَلْ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ وَقَفِ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ : مِنْ طَبَقَاتِ الْكُتَّابِ ، وَالْعَمَّالِ ، وَالْمُشْرِفِينَ ، وَالْمُتَصَرِّفِينَ فِي أَعْمَالِ الْخِرَاجِ وَالْحِمَايَةِ وَالْمَصَالِحِ ، وَغَيْرِهِمْ . وَلْيَحْذَرُوا مِنْ مَخَالَفَتِهِ ، وَيُحْمِضُوا بِأَسْرِهِمْ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَهْرَامٍ وَمَنْ بَعْدَهُ جَمِيعَهُ ، وَلْيَحْمِلُوهُ عَلَى مَا يُوجِبُهُ . وَلْيُقَرَّرْ هَذَا الْكِتَابُ فِي يَدِهِ وَأَيْدِيهِمْ بَعْدَهُ حِجَّةً لَهُ وَهُمْ ، وَلْيُنَسَخْ فِي جَمِيعِ الدَّوَاوِينِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطريقة الثانية

(مما كان يُكْتَب في الإقطاعات في الزمن المتقدم - ما كان يُكْتَب

عن الملوك الأيوبيَّة بالديار المصرية)

وكانوا يُسمُّون ما يُكْتَب فيها توقيع ، ولهم فيه أساليب :

الأسلوب الأول

(أن يُفْتَح التوقيع المكتَب بالإقطاع بخطبة مفتحة بـ «الحمد لله»)

وكان من عادة خُطِّبهم أن يُؤْتى فيها بعد التحميد بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يُؤْتى ببعديَّة ، ثم يُذَكَّر ماسنح من حال السلطان ، ثم يُوصَف صاحب الإقطاع بما تقتضيه حاله من صفات المدح ، ويُرتَّب على ذلك استحقاقه للإقطاع . وقد كان من عادتهم أنهم يأتون بوصية على ذلك في آخره .

وهذه نسخة توقيع على هذا الأسلوب ، كُتِب به عن السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» رحمه الله ، لأخيه العادل «أبي بكر» بإقطاع بالديار المصرية ، وبلاد الشام ، وبلاد الجزيرة ، وديار بكر ، في سنة ثمانين وخمسمائة ، بعد الانفصال من حرب الكفار بَعكاً وعقد الهدنة معهم ، وهي :

الحمد لله الذي جعل أيامنا حسانا ، وأعلى لنا يداً ولسانا ، وأطابَّ مَحْتَدنا أوراقا
وأغصانا ، ورفع لِحْدنا لواءً وِلْدنا بُرْهانا ، وحقَّق فينا قوله : ﴿ سَأَشُدُّ عَضْدَكَ
بِأَخِيكَ وَجَعَلَ لَكَ سُلْطَانًا ﴾ .

نَحْمَدُه على سُبُوغ نِعْمته ، ونسأله أن يجعلنا من الداخلين في رَحْمته .

ثم نُصَلِّي على رسوله محمد الذي أيده بِحِكْمته ، وَعَصَمَه من الناس بِعِصْمته ، وأُخْرِج به كَلِّ قَلْب من ظُلْمته ، وعلى آله وأصحابه الذين خَلَّفوه فَأَحْسَنُوا الخِلافة في أُمَّته .

أما بعد ، فإن فروع الشجرة يَأْوِي بعضها إلى بعض لمكان قُرْبِهِ ، ويُؤَثِّر بعضها بعضاً من فَضْل شَرْبِهِ ؛ ونحن أهل بَيْتِ عُرِف منا وفائق القلوب وُتْدَا ، وإيثار الأيدي رِفْدَا ؛ وذلك وإن كان من الحَسَنَات التي يكثرُ فيها إثباتُ الأَقْلَامِ ، فإنه من مصالح المُلْك التي دَلَّت عليها تجاربُ الأيام ؛ وكلا هَٰذَيْنِ الأمرين مشكورةٌ مَدَاهِبُهُ ، محمودَةٌ عَوَاقِبُهُ ، مرفوعةٌ على رُؤوس الأشهاد مناقِبُهُ ؛ وما من أحدٍ من أَدَانِينَا إلا وقد وَسَّمتنا بعوارفٍ يختالُ في مَلَابِسها ، وَيَسْرُ في كُلِّ حينٍ بزفافِ عرائسها ، ولم نَرِضْ في بَلِّ أرحامهم بمواصلة سَلَامِها دُونَ مواصلة رِيَّها وإدناء مجالسها ؛ وإخوتنا من ذلك أوفر الأقسام ، كما أنَّ لهم منَّا رَجماً هو أقرب الأرحام ؛ وقد أمرنا بتجديد العارفة لأخينا الملك العادل ، الأجل ، السيد ، الكبير ؛ سيف الدين ، ناصر الإسلام «أبي بكر» أبقاه الله . ولو لم نفعَلْ ذلك قضاءً لحقَّ إخوانه الذي تَرَفُّ عليه حَوَانِي الأضالع ، لفعلناه جزاءً لذائعِ خَدَمِهِ التي هي نِعَمُ الدَّرَائِعِ ؛ فهو في لزوم آدابِ الخِدْمَةِ بعيدٌ وَقَفَ منها على قَدَمِ الاجتهاد ، وفي حُجْمَةِ شوايكِ النَّسَبِ قَرِيبٌ وَصَلَ حُرْمَةَ نَسَبِهِ بِحُرْمَةِ الْوِدَادِ ؛ وعنده من الغناء ما يحكم لآماله بِسُطَّةِ الخِيَارِ ، ويرفَعُ مكانته عن مكانة الأشباه والأنظار ، ويجعله شريكاً في المُلْكِ والشريك مساوٍ في النُقْضِ والإمرار ؛ فكم من موقِفٍ وَقَفَهُ في خِدْمَتِنَا بفعلٍ وعمره سهلاً ، وفاز فيه بارضائنا وبفضيلة التقدُّمِ نانتقل بالمحبِّدِينَ إِرْضَاءً وَفَضْلاً ؛ ويكني من ذلك ما أبلاه في لقاء العدو الكافر الذي استشرى في هِيَاجِهِ ، وتمادى في بلْجَاهِهِ ، ونزل على ساحل البحر فأطلَّ عليه بِمِثْلِ أمواجه ، وقال : لا بَرَّاحَ ، دُونَ اسْتِفْتِاحِ ، الأمر الذي عَسُرَتْ معالجته رِتَاجِهِ ؛ وتلك وقائعُ اسْتِضْئَانَا فيها برأيه الذي يَنُوب مَنَابِ الكمين في مُضْمَرِهِ ، وسيفه الذي يُنْسَبُ من الأسمِ إلى أبيضه ومن اللُّونِ إلى أخضره ؛ ولقد استغينا عنهما بنضرة لَقْبِهِ الذي تولَّتْ يدُ الله طَبَعَ فضله ، وعُنيت يدُ

السَّيَادَةُ بِرَوْتِقِ صَقْلِهِ ؛ فَهُوَ يَفْرِى قُلُوبَ الْأَعْدَاءِ قَبْلَ الْأَجْسَادِ ، وَيَسْرِى إِلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ حَامِلٍ لِمَنَاطِ النَّجَادِ ، وَيَسْتَقْصِي فِي أَسْتِلَابِهِمْ حَتَّى يَنْتَرِعَ مِنْ عِيُونِهِمْ لَذَّةَ الرَّقَادِ ؛ وَلَيْسَ لِلْحَدِيدِ جَوْهَرٌ مَعْدِنُهُ الْمُسْتَخْرَجُ مِنْ زَكَاءِ الْحَسَبِ ، وَإِذَا أَسْتُنْجِدَ قِيلَ لَهُ : يَا ذَا الْمَعَالِي ! كَمَا يُقَالُ لِسَمِيَّةٍ : يَا ذَا الشُّطْبِ ؛ وَلَوْ أَخَذْنَا فِي شَرْحِ مَنَاقِبِهِ لَطَلَّ الْقَلَمُ وَأَقْفَا عَلَى أَعْوَادِ مَنَبْرِهِ ، وَأَمْتَدَّ شَأْوُ الْقَوْلِ فِيهِ فَلَمْ يَنْتَهَ مَوْرِدُهُ إِلَى مَصْدَرِهِ ؛ فَهَمَّا خَوْلَانَاهُ مِنَ الْعَطَايَا فَإِنَّهُ يَسِيرٌ فِي جَنْبِ غَنَائِهِ ، وَمَهْمَا أَتَيْنَا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ سَطْرٌ فِي كِتَابِ ثَنَائِهِ .

وقد جعلنا له من البلاد ما هو ممتسَم من الديار المصرية والشامية ، وبلاد الجزيرة وديار بكر : ليكون له من كلِّ منها حِطٌّ تُفِيضُ يَدُهُ فِي أَمْوَالِهِ ، وَيَرْكَبُ فِي حَشْدٍ مِنْ رَجَالِهِ ؛ وَيُصْبِحُ وَهُوَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ مُلْكِنَا كَالطَّلِيعةِ فِي تَقَدُّمِ مَكَانِهَا ، وَكَالرَّيْبِئَةِ فِي إِسْهَارِ أَجْفَانِهَا .

فَلَيْتَسَلَّمَ ذَلِكَ بِيَدِ مَعْظَمِ قَدْرَاءِ ، وَلَا يَسْتَكْثِرُ كَثْرَاءِ ، وَيَجْمَلُ مِنْهَا رِفْدَهَا غِيثًا أَوْ بَحْرًا ؛ وَكَذَلِكَ فَلْيَعْدِلْ فِي الرِّعِيَّةِ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَهُ وَدَائِعُ ، وَلْيَجَاوِزْ بِهِمْ دَرَجَةَ الْعَدْلِ إِلَى إِحْسَانِ الصَّنَائِعِ ؛ فَإِذَا أَسْنَدَ هَذَا الْأَمْرَ إِلَى وُلَاتِهِ فَلْيُكُونُوا تُقَاةً لَا يَبِيدُ الْهَوَىٰ عَلَيْهِمْ سَيِّلًا ، وَلَا يَجْمَدُ الشَّيْطَانُ عِنْدَهُمْ مَقِيلًا ، وَإِذَا حُمِّلُوا ثِقَلًا لَا يَجِدُونَ حَمْلَهُ ثَقِيلًا .

وقد فَشَا فِي هَذَا الزَّمَنِ أَخْذُ الرَّشْوَةِ وَهِيَ سُبْحَتُ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَبْذِهِ ، وَنَهَىٰ عَنْ أَخْذِهِ ؛ وَعَنِ الرَّغْبَةِ فِي تَدَاوُلِهِ ، وَهُوَ كَأَخْذِ الرَّبَا الَّذِي قُرِنَتِ اللَّعْنَةُ بِمُؤْكَلِهِ وَأَكْلِهِ .

وَأَمَّا التَّقْضَاةُ الَّذِينَ هُمْ لِلشَّرِيعَةِ أَوْتَادٌ ، وَإِلْمِضَاءِ أَحْكَامِهَا أَجْنَادٌ ، وَلِحِفْظِ عُلُومِهَا كَنُوزٌ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا النَّفَادُ ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يُعُولَ فِيهِمْ عَلَى الْوَاحِدِ دُونَ الْآخَرِينَ ، وَأَنْ يُسْتَعَانَ مِنْهُمْ فِي الْفَصْلِ بِيَدِي الْأَيْدِي وَفِي الْيَقْظَةِ بِيَدِي الْيَدَيْنِ ، وَمَنْ رَامَ هَذَا

المنصب سائلا فليأمنه وليغليظ القول في تجريح ملامه ، وليعرف أنه ممن رام
أمرًا فأخطأ الطريق في استجلاب مرآمه ؛ وأمر الحكام لا يتولاه من سأله ، وإنما
يتولاه من غفل عنه وأغفله .

وإذا قضينا حق الله في هذه الوصايا فلنعطفها على ما يكون لها تابعا ، ولقواعد
الملك رافعا ، وذلك أن البلاد التي أضفناها اليك : فيها مدن ذات أعمال واسعة ،
ومعاقل [ذات] حصانة مانعه ؛ وكلها يفتقر إلى استخدام الفكر في تديره ، وتصريف
الزمان في تعميره ؛ فوَلِّ وجهك إليها غير وانٍ في تكثير قليلها ، وترويض محيلها ؛
وبت الأمانة على أوساطها ، وإهداء الغبطة إلى أفئدة أهلها حتى تسمع باغتيالها ؛
وعند ذلك يتحدث كل منهم بلسان الشكور ، ويمثل بقوله تعالى : ﴿ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ
وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ .

وأعلم أنه قد يجاورك في بعضها جيران ذو بلاد وعساكر ، وأسرة ومناير ، وأوائل
للجند وأواخر ؛ وما منهم إلا من يتمسك منا بؤد سليم ، وعهدٍ قديم ، وله مساعدة
نعرف له حقها (والحق يعرفه الكريم) .

فكن لهؤلاء جارا يودون جواره ، ويمجدون آثاره ؛ وإن سألك عهدا نابذ له لم
بدل وفي واقف على السنن ، مساو بين السر والعلن ؛ ولا يكن وفأوك لخوف تنق
مراصده ، ولا لرجاء ترقب فوائده ؛ فالله قد أغناك أن تكون إلى المعاهدة لاجيا ،
وجعلك بنا محوفا ومرجوا لآخائفا ولا راجيا ؛ وقد زدناك فضلا في محلك تكون بها
على غيرك مفضلا ، وقد كنت من قبلها أغر فأوفت بك أغر محجلا ؛ وذلك أنا
جعلناك على آية الخيل تقودها إلى خوض الغار ، وتصرفها في منازل الأسفار ، وترتب
قلوبها وأجنتها على اختلاف مراتب الأطوار ، فنحن لائق عدوا ولا نهد إلى

بلدٍ إلا وأنت كوكبنا الذي نهدي بمطلعهِ ، ومفتاحنا الذي نستفتح المُغلقَ بِئْسَ موقِعهُ ، ونوقن بالنصر في ذهابهِ وبالغنيمه في مرجعهِ ؛ والله يشرحُ لك صدرًا ، وييسرُ لك منّا أمرًا ، ويسدُّ أزرنا بك كما سدَّ لموسى بأخيه أزرًا ، والسلام .

الأسلوب الثاني

(أن يُفتَحَ التوقيع بالإقطاع بلفظ : « أما بعد فإن كذا »)

ويذكر ما سَنَحَ له من أمر السلطان أو الإقطاع أو صاحبه ، ثم يتعرّض إلى أمر الإقطاع ، وهو دون الأسلوب الذي قبله في الرتبة .

وهذه نسخة توقيع بإقطاع من هذا الأسلوب ، كتب بها لأميرٍ قدم على الدولة فاستخدمته ، وهي :

أما بعد ، فإن لكلَّ وسيلةٍ جزاءً على نسبةٍ مكانها ، وهي تتفاوتُ في أوقات وجوبها ومناقيل ميزانها ؛ ومن أوجبها حقًا وسيلةُ الهجرة التي طوى لها الأمل من شقته ما طوى ، وبعث بها على صدق النية « ولكلِّ أمرئٍ ما نوى » ؛ فالأوطانُ إليها مُودعه ، والخطواتُ موسعه ، والوجوه من برد الليل وحرّ النهار مُنمّعه ؛ وقد توخّاها قومٌ في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطّوا في الدنيا باعْتِلاءِ المنازل ، وفي الآخرة بعقبي الدار ، وقُدّموا على من آوى ونصر فقال تعالى : ﴿ والسائقون الأولون من المهاجرين والأنصار ﴾ . ثم صارت هذه سنةً فيمن هاجر من أقوام إلى أقوام ، واستبدل بأنام عن أنام ؛ وكذلك فعلت أيها الأمير فلان - وفقك الله - وقد تلقيت هجرتك هذه بالكرامة ، وزُحِرَتْ لها دارُ الإقامة ؛ فما أبتغيت بها بغيّةً إلا سهلت لك فجاجها ، أو عاج عليك معاجها ، وحمدٌ لديك تأويها وإدلاجها ؛ وأصبحت

وقد وجدتَ خَفْضًا غَبَّ السُّرَى، وَخِيطٌ مِنْكَ الْجُفُونُ عَلَى أَمْنِ الكَرَى، وَتَبَوَّاتَ
كَتَفَ الدَّوْلَةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ الدُّوَلِ إِذْ صَرَّتَ إِلَى القَرْيَةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ القُرَى . وَنَحْنُ قَدْ
أَذِينَاكَ مِنَّا إِدْنَاءَ الخَلِيطِ والعَشِيرِ ، وَرَفَعْنَاكَ إِلَى مَحَلِّ الأَخْتِصَاصِ الِذِي هُوَ المَحَلُّ
الأَثِيرِ ، وَآخِينَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَطَايَانَا كَمَا وَوَحَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ النَّبَوِيَّةِ يَوْمَ العَدِيرِ .

هذا ولكِ وسيلةٌ أُخْرَى تُعَدُّ مِنْ حِسانِ المَنَاقِبِ ، وَتُوصَفُ بِالصِّفَاتِ الأَطْيَابِ ؛
وَمَا يُقَالُ إِلا أَنَّهُا مِنَ الأَطْوَادِ الرِّوَاسِ ، وَأَنَّهَا تَبْرُزُ فِي اللِّبَاسِ الأَحْمَرِ وَغَيْرِهَا لا يَبْرُزُ
فِي ذَلِكَ اللِّبَاسِ ؛ وَهِيَ الَّتِي تَجْعَلُكَ بِوَحْدَتِهَا فِي كَثْرَةِ ، وَتُنَاقِضُهَا مِنْ غَيْرِ إِسْرِهِ ؛
وَطَالَمَا أَطَالَتْ يَدُكَ بِمِنَاطِ البَيْضِ الحِدادِ ، وَفَرَّجَتْ لَكَ ضَيْقَ الكَرِّ وَقَدْ غَضَّ
بِهَوَادِي الجِياذِ ، وَحَسَّنَتْكَ العُيُونُ وَقَدْ رُمِيَتْ مِنْكَ بِشَرِّ القِذا وَنَبْوَةِ الشَّهادِ ؛
وَمَنْ شَرَّفَ الإِقْدَامَ أَنْ العُدُوَّ يُحِبُّ العِدُوَّ مِنْ أَجْلِهِ ، وَيَضْطَرُّهُ إِلَى أَنْ يُقَرَّ بِفَضْلِهِ ؛
وَمَذُ وَصَلَتْ إِليْنَا وَصَلْنَاكَ بِأَمْرَاتِنَا الِذِينَ سَلَفَتْ أَيَّامُهُمْ ، وَثَبَّتْ فِي مَقَامَاتِ الغِنَاءِ
أَقْدَامُهُمْ ؛ وَتَوَسَّمْنَا أَنَّكَ الرَّجُلُ الِذِي يَزُكُّ لَدَيْكَ الصَّنِيعُ ، وَأَنَّكَ سَتَشْفَعُهُ بِحَقِّهِ
خِدْمَتِكَ الَّتِي هِيَ نِعَمٌ الشَّفِيعِ .

وقد عَجَّلْنَا لَكَ مِنَ الإِقْطَاعِ مَا لا نَرْضَى أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ شَاكِرًا ، وَجَعَلْنَاكَ لَكَ أَوْلَا
وَإِنْ كَانَ لَغَيْرِكَ آخِرًا ؛ وَهُوَ مُثَبَّتٌ فِي هَذَا التَّوْقِيعِ بِقَلَمِ الدِّيوانِ الِذِي أُقِيمَ لِفَرَضِ
الجُنْدِ كِتَابًا ، وَلِعَرَفَةِ أَرْزاقِهِمْ حِسَابًا ، وَهُوَ كَذَا وَكَذَا .

فَتَنَاوَلْ هَذَا التَّخْوِيلَ الِذِي حُوِّلَتْهُ بِالْيَمِينِ ، وَأَسْتَمِسِكْ بِهِ أَسْتَمِسَاكَ الضَّمِينِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ كَثُرَ الحِوْاسِدُ لِمَا مَدَدْنَاهُ مِنْ صُنْعِكَ ، وَبَسَطْنَاهُ مِنْ ذَرْعِكَ ؛
فَأَشْجِحْ حُلُوقَهُمْ بِالسَّعْيِ لِأَسْتَحْقَاقِ المَزِيدِ ، وَارْقُ فِي دَرَجَاتِ الصُّعُودِ وَأَلْزِمُهُمْ صَفْحَةَ
الصَّعِيدِ .

والذي تأمرك به أن [تعدّ] نفسك للخدمة التي جعلت لها قرنا وأنت بها أغنى،
 وأن تنتهي فيها إلى الأمد الأقصى 'دون الأذنى'؛ فلا تضم جناحك إلا على قوائم
 من الرجال لا على خوآف، وإذا استنفرت فأنفر بثقال من الخيل وخفآف؛ وكن
 مدخورا لواحدة يقال فيها: يا عزم أغضبي، ويا خيل النصر أركبي؛ وتلك هي التي
 ننظّم بها الجماجم من الضراب، وتلاقى فيها عصب الغربان والذباب؛ ولا تحتاج مع
 هذه إلى منقبة تجمل بتفويها، وتكثر بتعريفها، وتنمى إلى تليدها باستحداث
 طريفها .

والله تعالى يشد بك أظرا، ويملا بك عينا وصدرا، ويعمل الفلج مقرونا
 برأيك ورايتك حتى يقال: «ومكروا مكرا» وجرّدنا بيضا ومثرا؛ والسلام
 إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(أن يفتح التوقيع المكتتب بالإقطاع بما فيه معنى الشجاعة والقتال
 وما في معنى ذلك ، وهو أدنى من الذي قبله رتبة)

وهذه نسخة توقيع بإقطاع من هذا النمط ، كتبت به لبعض الأمراء الصغار ،

وهي :

القلم والرّيح قلمان كلاهما أسمر، وكما تشابه في المنظر فكذلك تشابه في المخبر،
 غير أنّ هذا يركب في عسكر من القول وهذا يجهل في عسكر؛ وقد نطق أحدهما
 بالثناء على أخيه فأحسن في نطقه، وأقرّله بالفضيلة ومن الإنصاف أن يُقرّ
 لدى الحق بحقه، غير أنّ هذه الفضيلة تُعزى إلى من يُقيم أود الساعي بتقويم

أودِه، ولا يرى لها سبيلاً فصدًا إلا بالوطء على قَصده، وهو أنت أيها الأمير فلان
أيَّدك الله ! .

وقد آخترناك لخدمتنا على بصيره، وأجرتناك من آعتنا على أكرم وتيره، ورفعنا
درجتك فوق درجة المعلّى لمن سبقك وإنما لكبيره .

ولم يكن هذا الاختيار إلا بعد اختبار لا يحتاج معه إلى شهادة ، ولو كُشف
العطاء لم يجد اليقين من زياده؛ فطالما نُحِمت نبتك، وُيمنت طلعك، ولم تعرض
سلة الغناء إلا نفقت سلعتك؛ ومثلك من تُباهى الرجال بمكانه، وتُحلى له فضلة
عنايه، ويتسع ميدان القول في وصفه إذا ضاق بغيره سعة ميدانه؛ وما يُقال إلا
أنك الرجل الذي تقذف الجانب المهيم بعزمك، وترمي برأيك قبل رماء سهمك؛
وبك يُحسر دُجى الحرب الذى أعوزه الصباح، ويُحجى عقبها أن يُحص له جناح؛
فأسباب الاعتضاد بك إذن كثيرة الأعداد، وأنت الواحد المشار إليه ولا تكثر
إلا مناقب الآحاد .

وقد بدأناك من العطاء بما يكون بيسم الله في صدر الكتاب، وجعلناه كالغامة
التي تأتي أولاً بالقطار ثم تأخذ في الأنسكاب؛ وخير العطاء ما رب بعد ميلاده،
وأينع ثمره بعد جداده؛ وإن صادف ذلك وسائل خدم مستأنفة كان لها قرانا،
وصادف الإحسان منه إحسانا؛ وقد ضمن الله تعالى للشاكر من عباده مزيدا،
ولم يرض له بأن يكون مُبدئا حتى يكون مُعيدا؛ وكذلك دأبه فيمن عرف مواقع
نعمه، وعلم أن صحتها لا تفارقه ما لم يُعدها بسقمه .

ونحن أولى من أخذ بهذا الأدب الكريم، وألزم نفسه أن نتحلى بخلقته وإنه
للخلق العظيم؛ وعطاؤنا المنعم به عليك لم يُذكر في هذا التوقيع على حكم الامتتان،

بل إثباتاً لحساب الجُند الذين هم أعوانُ الدَّولة ولا بدَّ من إحصاءِ الأعوان ؛
وهو كذا وكذا .

فأمُدُّ له يداً تتجمع من الشُّكرِ مواظبه ، ومن الطَّاعة مُراقبه ؛ وكنُ في النَّهَبِ
للخدمة كالسَّهمِ الموضوعِ في وتره ، وأصِحَّ بِسَمْعِكَ وبصركِ إلى ما تُؤمَرُ به فلا آتِمَارَ
لمن لم يُصِخَّ بِسَمْعِهِ وبَصَرِهِ .

وملاكُ ذلك كلُّه أن تتكثر من فُرسانِ الغِوارِ ، وحِماةِ الدِّمارِ ، والذين هم زينةُ سِلمٍ
ومَفزَعُ حَدَارٍ ؛ ومثلُ هؤلاء لا يُضْمَهُمُ جَيْشٌ إلا تقدَّمه جَيْشٌ من الرُّعبِ ، ودَارَتْ
منه الحربُ على قُطبها ولا تُدور رُحَى إلا على قُطْبٍ ؛ وإذا ساروا خَلْفَ رَأْيِكَ
تُشِرت ذوائبها على غابية من الآسادِ ، وخَفَقَتْ على بَحْرٍ من الحديدِ لِيَسِيرَ به طَوْدٌ
من الحِيادِ .

ومن أهمِّ الوصايا إليك أن تُضيفَ إلى غنائمهم غِنَى يُبرِّزُهم في زَهْرَةِ من اللِّباسِ ،
ويُعِينُهُم على إعدادِ القُوَّةِ ليومِ الباسِ ، ويُقَصِّرَ لديهم شُقَّةَ الأسفارِ التي تذهبُ بنزقاتِ
الشَّماسِ ، وينقِطِعَ دُونَ قِطْعِهَا طُولُ الأنفاسِ ؛ وأى فائدةٍ في عسكِرٍ يأخذُ بعدَ المَسْرَى
في حَوْرِهِ ، ولا يزيدُ صَبْرُهُ بِزيادةِ سَفَرِهِ ، ويكونُ حافِزُهُ وخُفَّهُ سواءً في آنتسابِ كلِّ
منهما إلى شِدَّةِ حَجْرِهِ .

فانظُرْ إلى هذه الوصيةِ نظراً من طالَ على صَحبِهِ بالكُفِّ الأوسَعِ ، وعَلِمَ ما يَضُرُّ
فيهم وما يَنْفَعُ ؛ واللهِ يَمْنَحُكُ من لُدُنِهِ تَوْفِيقاً ، وَيَسَلِّكُ بِكَ إلى الحُسْنَى طَرِيقاً ،
ويَجْعَلُكَ خَلِيقاً بما يُصالحُكُ وليس كلُّ أحدٍ بِصالحِهِ خَلِيقاً ، والسلام .

(١) لعله «مع» بدل «من» في الموضعين .

الطرف الثاني

(ما يُكْتَبُ فِي الإِقْطَاعَاتِ فِي زَمَانِنَا)

وهو على ضربين :

الضربُ الأوَّلُ

(ما يُكْتَبُ قَبْلَ أَنْ يُنْقَلَ إِلَى دِيْوَانِ الإِنْشَاءِ)

وفيه جملتان :

الجملة الأولى — في ابتداء ما يُكْتَبُ فِي ذَلِكَ مِنْ دِيْوَانِ الْجَيْشِ .

إِعلم أَنَّ مَظِنَّةَ الإِقْطَاعَاتِ هُوَ دِيْوَانُ الْجَيْشِ دُونَ دِيْوَانِ الإِنْشَاءِ ، وَمَا يُكْتَبُ فِيهِ مِنْ دِيْوَانِ الإِنْشَاءِ هُوَ قَرَعٌ مَا يُكْتَبُ مِنْ دِيْوَانِ الْجَيْشِ .

ثم أوَّلُ مَا يُكْتَبُ مِنْ دِيْوَانِ الْجَيْشِ فِي أَمْرِ الإِقْطَاعِ إِما مِشَالٌ ، وَإِما قِصَّةٌ ،
(١)
وإِما نَزْوَلٌ .

فأما المِشالُ ، فإنه يُكْتَبُ ناظِرُ الْجَيْشِ فِي نِصْفِ قَائِمَةٍ شامِجٍ ، بَعْدَ تَرْكِ التَّلْثِينَ مِنْ أَعْلَاهَا بِياضًا ، فِي الجَدْوْلِ الأَيْمَنِ مِنَ القَائِمَةِ ما صُورْتَهُ :

«خُبْرُ فُلانِ المَتَوَفَّى إِلَى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى» أَوْ «المَرْسُومُ آرْتِجَاعِهِ» أَوْ «المُنْتَقِلُ لغيرِهِ»
وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَيَكُونُ «خُبْرُ» سَطْرًا ، وَباقِي الكَلَامِ تَحْتَهُ سَطْرًا . وَتَحْتِ ذَلِكَ ما صُورْتَهُ :
«عَبْرَةٌ كَذَا وَكَذَا دِينَارًا» بِالْقَلَمِ القَبْطِيِّ . وَفِي الجَدْوْلِ الأَيْسَرِ ما صُورْتَهُ :

«بِأَسْمِ فُلانِ الفُلانِي» وَإِنْ كانَ زِيادَةً عِيْنٍ ، ثُمَّ يَشْمَلُهُ الخَطُّ الشَّرِيفُ السُّلْطَانِي بِما مِثالُهُ : «يُكْتَبُ» ثُمَّ يَكْتَبُ تَحْتَهُ ناظِرُ الْجَيْشِ ما مِثالُهُ : «يُمْتَثِلُ المَرْسُومُ

(١) أى إسهاد بنزول كما يؤخذ من التفصيل الآتي .

الشريف» ويُعَيَّنُه على مَنْ يَخْتَارُه من كُتَّاب الجَيْشِ ، ثم يُتْرَكُ بعد ذلك بديوان النظر ؛ وَيُكْتَبُ تاريخُه بخطِّ كاتب ناظر الجَيْشِ بِذَيْلِ المِثَالِ ، ويخُلِّدُه الكاتب المعَيَّنُ عليه ، وَيُكْتَبُ بِذَلِكَ مَرَبَّعةً ، على ما سياتي ذِكْرُه .

وأما القِصَصُ فتختلفُ بِحَسَبِ الحَالِ : فتارة يُنْهَى فيها وَفَاءً من كان بيده الإِقطَاعُ ، وتارة أُنْتَقَلَهُ عنه ، وتارة آرْتِجَاعُه ، وتارة طُلبُ إعادة ما نَحَرَجُ عنه ، وتارة طُلبُ تَجْدِيدِه ، ونحو ذلك .

ويُكْتَبُ ناظرُ الجَيْشِ على حاشيتها بالكَشْفِ . وَيُكْتَبُ الكَشْفُ بِذَيْلِ ظاهرها من ديوان الجَيْشِ بما مثاله :

« رافِعُها فلان أنْهَى ما هو كذا وكذا ، وسأل كذا وكذا » ويذكرُ حالَ الإِقطَاعِ . ثم يَشْمَلُها الخَطُّ الشريف الساطاني بما مثاله : « يَكْتَبُ » وباقي الأمر على ما تقدَّم في ذِكْرِ المِثَالِ .

وأما الإِشهادات فتكون تارةً بالنزول ، وتارةً بالمقايِصَةِ ؛ ورَبَّما وقع ذلك بالشركة ، ثم يَكْتَبُ ناظرُ الجَيْشِ على ظاهِرِ الإِشهاد بالكَشْفِ ، ويُعْمَلُ فيه على ما تقدَّم في القِصَّةِ .

الجملة الثانية — في صورة ما يَكْتَبُ في المَرَبَّعة الجَيْشِيَّةِ .

قد جرت عادة ديوان الجَيْشِ أنه إذا عَيَّنَ ناظرُ الجَيْشِ المِثَالِ أو القِصَّةَ أو الإِشهادَ على أَحَدٍ من كُتَّاب ديوان الجَيْشِ ، يَخُلِّدُ الكاتِبُ ذلك عنده ، ثم تُكْتَبُ به مَرَبَّعةٌ من ديوان الجَيْشِ وتكْمَلُ بالخطوط على ما تقدَّم ، وتُجَهَّزُ إلى ديوان الإنشاء ، فيعيَّنُها كاتبُ السَّرِّ على مَنْ يَكْتَبُ بها منشوراً على ما سياتي .

وصورة المربعة أن يَكْتُبَ في ورقة مربعة، يجعلُ أعلى ظاهر الورقة الأولى منها بياضا، ويَكْتُبُ في ذيلها معترضا: آخذا من جهة أسفل المربعة إلى أعلاها أسطرا قصيرة على قدر عرض ثلاثة أصابع ما صورته :

«مثال شريف — شرفه الله تعالى وعظمه — بما رُسم به الآن : من الإقطاع»
باسم من عين فيه من الأمراء أو من الممالك السلطانية بالديار المصرية ،
أو بالملكة الفلانية ، أو من الحلقة المصرية أو الشامية ، أو نحو ذلك «على ما شرح
فيه حسب الأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه» .

وتحت ذلك كله ما صورته :

(١)
«يحتاج الشريف أعلاه الله تعالى» .

ثم يَكْتُبُ داخل تلك الورقة بعد إخلاء هامش عرض إصبعين البسمة ،
وتحتها في سطر ملاصق لها : «المرسومُ بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى»
ثم ينزل إلى قدر ثلثي الصفحة ، ويكتب في السطر الثانى بعد البياض الذى تركه على
مسامحة السطر الأول : «الملكى الفلانى الفلانى» بلقب السلطنة : كالناصرى ، ولقب
السلطان الخاص كالزىنى « أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه ، أن يُقطع من
يذكر : من رجال الحلقة بالديار المصرية أو المملكة الشامية أو نحو ذلك ، ما رُسم له به
الآن في الإقطاع ، حسب الأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه» .

ثم يكتب في الصفحة الثانية مقابل البسمة : «فلان الدين فلان الفلانى ، المرسوم
إثباته في جملة رجال الحلقة المنصورة بالديار المصرية أو الشامية ، بتمضى المثال

(١) بياض في الأصل ولعله «إلى الخط الشريف» .

الشَّريف أو المربَّعة الشريفة المشمولة بالخط الشريف» . ثم يكتب تحت السَّطر الأخير في الوسط ما صورته : « في السنه كربستا » إن كان جميع البلد أو البلاد المقطعة لا يُستثنى منها شيء ، أو يكتب : « خارجاً عن الملك والوقف » أو نحو ذلك « على ما يقتضيه الحق » .

ثم يكتب تحت ذلك على حبال السُّطور ممتداً من أول السَّطر إلى آخره :
« خبز » .

ثم يكتب تحته : « فلان بن فلانى الفلانى ، بحكم وفاته ، أو بحكم نزوله برضاه »
ونحو ذلك على عادته - ناحية كذا . ناحية كذا . ناحية كذا .

وإن كان فيه نقد ونحوه ذكره ، ويستوفى ذلك إلى آخر : « بعد الخط الشريف - شرفه الله تعالى - إن شاء الله تعالى » .

ثم يُورَّخ في سَطْرَيْن قصيرين ويُحضر إلى صاحب ديوان الإنشاء ، فيعيَّنه على مَنْ يكتبه من كُتَّاب الإنشاء ، على ما سياتى بيانه .

الضرب الثاني

(فيما يُكْتَبُ في الإقطاعات من ديوان الإنشاء ، وفيه خمس جمل)

الجملة الأولى

(في ذكر أسم ما يُكْتَبُ في الإقطاعات من ديوان الإنشاء)

قد اصطلح كُتَّابُ الزمان على تسمية جميع ما يُكْتَبُ في الإقطاعات : من عَليها ودَانيها ، للأمرء والجنُود والعُربان والأُتُركان وغيرهم - مَنَاشِيرَ ، جمع مَنشور . والمنشورُ في أصل اللُغة خلافُ المَطوِي . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ﴾ .

وأعلم أن تَحْصِيصَ ما يُكْتَبُ في الإقطاعات باسم المَناشير مما حَدَثَ الاصطلاحُ عليه في الدولة التُركية .

أما في الزَمن المتقدم فقد كانوا يُطَلِّقون أسم المَناشير على ما هو أعمُّ من ذلك : مما لا يَحْتَاجُ إلى خَتَمٍ : كالمكتوب بالإقطاع على ما تقدم ، والمكتوب بالولاية ، والمكتوب بالحماية ، وما يجرى مجرى ذلك . وربما سُمِّي ما يُكْتَبُ في الإقطاع مُقاطعةً ، وربما سُمِّي سِجلاً وغير ذلك .

أما الآن فإذا أُطْلِقَتِ المَناشيرُ لا يُفْهَمُ منها إلا ما يُكْتَبُ في الإقطاعات خاصَّةً ، وخصَّصوا كلَّ واحدٍ مما عداها باسمه ، على ما هو مذكُور في مواضعه دُونَ ما عداها ، ولا مشاحَّةً في الاصطلاح بعد فُهْمِ المعنى .

قالتُ : ومن خاصَّة المَناشير أنها لا تُكْتَبُ إلا عن السلطان مشمولَةً بِحَطِّه ، وليس لغيره الآن فيها تصرُّفٌ ، إلا ما يُكْتَبُ فيه النائبُ الكافلُ ابتداءً .

الجملة الثانية

(في بيان أصناف المناشير، وما يُحْصَى كُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا: من مقادير قَطْعِ الورق،
وما يَخْتَصُّ بِكُلِّ صِنْفٍ مِنْهَا مِنْ طَبَقَاتِ الْأَمْرَاءِ وَالْجُنُودِ)

إِعلم أَنَّ الْمُنَاشِيرَ الْمَصْطَاحَ عَلَيْهَا فِي زَمَانِنَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: يَخْتَصُّ بِكُلِّ صِنْفٍ مِنْهَا مِقْدَارٌ مِنْ مَقَادِيرِ قَطْعِ الْوَرَقِ .

الصِّنْفُ الْأَوَّلُ — مَا يَكْتَبُ فِي قَطْعِ الثُّلُثِينَ وَهُوَ لِأَعْلَى الْمَرَاتِبِ مِنَ الْأَمْرَاءِ .
قال في "التثقيف": "ومن كان مؤهلاً لأن يكتب له تقليد كان منشوره من
نوعه ومن دون ذلك إلى أدنى الرتب .

قال في "التثقيف": "وفي قَطْعِ الثُّلُثِينَ يُكْتَبُ لِمُقَدَّمِي الْأُلُوفِ بِالْديَارِ الْمِصْرِيَّةِ ،
سواء كان من أولاد السلطان أو الخاصكية أو غيرهم ، وكذلك جميع النواب الأكبر
بالممالك الإسلامية ، والمقدمون بدمشق . وكل من له تقليد في قَطْعِ الثُّلُثِينَ يكون
منشوره في قَطْعِ الثُّلُثِينَ .

الصِّنْفُ الثَّانِي — مَا يَكْتَبُ فِي قَطْعِ النِّصْفِ .

قال في "التثقيف": " وفيه يُكْتَبُ لِأَمْرَاءِ الطَّبَاحَاتِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ، سواء
في ذلك الخاصكية وغيرهم . وكذلك الأمراء المقدمون من نواب القلاع الشامية .
وفي معناهم المقدمون بحلب وغيرها : من نواب القلاع وغيرهم .

الصِّنْفُ الثَّلَاثُ — مَا يَكْتَبُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ .

قال في "التثقيف": " وفيه يُكْتَبُ لِأَمْرَاءِ الْعَشْرَاتِ مَطْلَقًا بِسَائِرِ الْمَمَالِكِ ، يعني
مِصْرَ وَالْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ بِجَمَلَتِهَا . قال : وكذلك الطَّبَاحَاتُ مِنَ التُّرْكِيَّةِ وَالْأَكْرَادِ
بالممالك الإسلامية .

الصنف الرابع — ما يكتب في قطع العادة المنصوري .

قال في "التتقيف" : وفيه يكتب للمالِك السلطانية، ومقدّم الحلقّة، ورجال الحلقّة . إلا أنه يَخْتَلِفُ الحَالُ بين المالِك السلطانية، ومقدّم الحلقّة، وبين رجال الحلقّة بزيادة أوصال الطّرة، والإتيان بالدّعاء المناسب: يعني أنه يُتْرَكُ في طّرة مناشير المالِك السلطانية ثلاثة أوصال بياضاً، وفي مناشير رجال الحلقّة وصلان .

قلتُ : ولا فرق في ذلك بين حلقّة مصر وغيرها من الممالك الشاميّة .

الجملة الثالثة

(في بيان صورة ما يكتب في المناشير في الطّرة والمثن)

قال في "التتقيف" : إن كان المنشور في قطع الثلثين، كُتِبَ في طرته من يمين الورق بغير هامش ما صورته :

«منشور شريف بأن يجرى في إقطاعات المقرّ الكريم» أو «الجناب الكريم العالى الأميرى الكبيرى» وإن كان نائباً زيد بعدها : «الكافى الفلانى» يعنى بلقبه الخاص «فلان الفلانى» بلقب الإضافة إلى لقب السلطان: كالناصرى ونحوه . ثم الدعاء بما جرت به عادته دعوة واحدة « ما رسم له به الآن من الإقطاع » ويشرح ما تضمنته المربّعة إلى آخره، فمن ذلك جميعه سطران بقلم الثلث .

قال : والأحسن أن يكون آخر السطر الثانى الدعاء والتتمة بالقلم الرّقاع أسطراً قصاراً بهامش من الجانبين، ثم يكتب في الوسط سطرًا واحدًا بالقلم الغليظ : «والعدّة» وتحتّه بالقلم الدقيق «خاصته، ومائة طواشى أو تسعون طواشياً أو ثمانون طواشياً أو سبعون طواشياً» حسب ما يكون في المربّعة . ويترك ثلاثة أوصال بياضاً بما فيه من وصل الطّرة؛ ثم تُكْتَبُ البسملة في أول الوصل الرابع، وبعدها

خُطْبَةٌ مَفْتَحَةٌ بِالْحَمْدِ، وَيَكْتَلُ بِهَا يَنَاسِبُهُ، ثُمَّ يُقَالُ: «أَمَا بَعْدُ» وَيَذْكَرُ مَا يَنْبَغِي ذِكْرَهُ عَلَى نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ فِي التَّقَالِيدِ.

قال في "التعريف": إلا أن المناشير أخصر، ولا وصاياها فيها.

قال في "التثقيف": ثم يذْكَرُ بَعْدَ ذَلِكَ اسْمُهُ بِأَن يَقُولُ: «وَلِمَا كَانَ الْجَنَابُ» وَبَقِيَّةُ الْأَلْقَابِ وَالنُّعُوتِ وَالِدُعَاءِ - وَلَا يُزَادُ عَلَى دَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ «هُوَ الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْمِدْحِ، وَالْمَخْصُوصَ بِهَذِهِ الْمِنْحِ» أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ - «أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تُحَوَّلَهُ بِمَزِيدِ النِّعَمِ».

وإن كان المنشور في قطع النصف كُتِبَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُقَالُ: «أَنْ يُجْرَى فِي إِقْطَاعَاتٍ». بَلْ إِنْ كَانَ مَقْدَمًا بِجَبَّ أَوْ غَيْرِهَا أَوْ طَبَاخَانَاهُ خَاصِيكًا، أَوْ كَانَ مِنْ أَوْلَادِ السُّلْطَانِ، كُتِبَ: «أَنْ يُجْرَى فِي إِقْطَاعِ الْمَجْلِسِ الْعَالِي أَوِ السَّامِيِّ». وَإِنْ كَانَ طَبَاخَانَاهُ مِنْ عَدَا هَؤُلَاءِ، كُتِبَ «مَنْشُورُ شَرِيفٍ بِمَا رُسِمَ بِهِ مِنَ الْإِقْطَاعِ لِلْمَجْلِسِ السَّامِيِّ» وَالتَّيْمَةُ عَلَى حَكْمِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ.

وَأَمَّا مَا يَكْتَبُ فِي قِطْعِ الثَّلَاثِ فَيَكْتَبُ: «مَنْشُورُ شَرِيفٍ بِمَا رُسِمَ بِهِ مِنَ الْإِقْطَاعِ لِلْمَجْلِسِ الْأَمِيرِيِّ».

وَأَمَّا التَّجْدِيدَاتُ فَيَكْتَبُ فِي طَرْتِهَا: «مَنْشُورُ شَرِيفٍ رُسِمَ بِتَجْدِيدِهِ بِاسْمِ فُلَانِ بْنِ فُلَانِ الْقَلَانِيِّ، بِمَا هُوَ مُسْتَقَرٌّ بِيَدِهِ مِنَ الْإِقْطَاعِ الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ» وَيُشْرَحُ حَسَبَ مَا تَضَمَّنَتْهُ الْمَرْبَعَةُ، ثُمَّ يُقَالُ: «عَلَى مَا شُرِّحَ فِيهِ».

وَأَمَّا الزِّيَادَاتُ وَالتَّعْوِيضَاتُ، فَقَالَ فِي "التعريف": إِذَا رُسِمَ لِلْأَمِيرِ زِيَادَةٌ أَوْ تَعْوِيضٌ: فَإِنْ كَانَ مِنْ ذَوِي الْأَوْفِ: كَالنُّوَابِ الْأَكْبَرِ، وَمَقْدَمَى الْأَوْفِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ، كُتِبَ لَهُ فِي قِطْعِ الثَّلَاثِ الطَّرْزُ عَلَى الْعَادَةِ، وَبَعْدَ الْبِسْمَلَةِ: «خَرَجَ الْأَمْرُ

الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملىكى، الفلانى، الفلانى، ويُدعى له بما يناسب الحال «أن يُجرى فى إقطاعات المقتر الفلانى أو الجناح الفلانى». وفى التيممة نظير ما تقدم فى المناشير المفتحة بالخطبة، على ما تقدم بيانه .

والذى ذكره فى "التعريف" : أنه يُكتب فى ذلك لمقدمى الأئوف أو من قاربهم : «أما بعد حمد الله» .

وإن كان من أمراء الطباجاناه الصغار فمن دونهم حتى جند الحلقة ، كتب له فى قطع العادة : «خرج الأمر الشريف» .

قال فى "التثقيف" : وكذلك الزيادات والتعويض ، سواء فى ذلك كبيرهم وصغيرهم . قال : ويمكن أن يميز أمير آل فضل فيكتب له ذلك فى قطع الثالث . قال فى "التعريف" : أما إذا أنتقل الأمير من إقطاع إلى غيره ، فإنه يكتب له كأنه مبتدأ على ما تقدم أولاً .

وأعلم أنه لم تجر العادة بأن تكتب فى أعلى الطرة إشارة إلى العلامة السلطانية ، كما يكتب فى الولايات الأسم الشريف فى أعلى الطرة . قال فى "التثقيف" : والسبب فيه أن العلامة لا تخرج عن أحد ثلاثة أمور : إما الأسم الشريف مفرداً ، كما فى الأمثلة السلطانية إلى من جرت العادة أن تكون العلامة له الأسم الشريف ، وما يتعلق بالتقاليد والتواقيع والمراسيم الشريفة ، وأوراق الطريق . أو يضاف إلى الأسم الشريف والده ، أو أخوه ، وذلك مما يتعلق بالأمثلة الشريفة خاصة إلى من جرت عادته بأن تكون العلامة إليه كذلك . ودك بخلاف المناشير فإن العلامة فيها على ما جرت به العوائد ، أن يكتب السلطان : «الله أملى» أو «الله ولي» أو «الله حسبي» أو «الملك لله» أو «المنة لله وحده» لا يختلف فى ذلك أعلى

(١) لعله « وذلك مما يتعلق » الخ .

ولا أدنى، فلا يحتاج إلى إشارة بسببها يئبه عليها، لأن ترك الإشارة إليها دليلٌ عليها، وإشارةٌ إليها، كما ذكر النحاة علامات الأسم والفعل ولم يذكروا للحرف علامة، فصار ترك العلامة إليها علامة، بخلاف الأمثلة: فإنها تختلف: فتكون العلامة فيها تارة الأسم، وتارة أخوه، وتارة والده.

الجملة الرابعة

(في الطغرى التي تكون بين الطرة المكتتة في أعلى المنشور وبين البسملة)

قال في "التعريف": قد جرت العادة أن تكتب للناشير الجار كمقدمي الألوفا والطبلخانات طغرى بالألقاب السلطانية، ولها رجل مفرد بعملها وتحصيلها بالديوان. فإذا كتب الكاتب منشوراً أخذ من تلك الطغراوات واحدة، وألصقها فيما كتب به. قال في "التعريف": وتكون فوق وصلٍ بياض فوق البسملة. قال في "التشقيف": فبعد وصلين أو ثلاثة من الطرة.

قلت: ولم تزل هذه الطغرى مستعملة في المناشير إلى آخر الدولة الأشرافية «شعبان بن حسين» ثم تركت بعد ذلك ورُفض استعمالها وأهملت. ولا يخفى أنه يرد عليها السؤال الوارد على الطغرى المكتتة في أول المكاتب إلى سائر ملوك الكُفَر من تقديم أسم السلطان على البسملة، على ما تقدم بيانه في موضعه.

وقد تقدم الاحتجاج لذلك بقوله تعالى في قصة بلقيس: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. وأنه يحتمل أن يكون قوله:

(١) نص في النجاء على أن الطغرى بضم الطاء وسكون العين وفتح الراء مقصورة كلمة أجمية استعملتها العرب.

﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمِنَ ﴾ حكاية عن قول بلقيس ، ويكون ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ هو أول الكتاب ، فلا يكون في ذلك حجة على تقدم الأسم على البسملة . وأنه إنما يتجه الاحتجاج بذلك على القول بأن قوله : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمِنَ ﴾ من كلام سليمان عليه السلام . وأنه إنما قدم اسمه على البسملة وقاية لأسم الله تعالى ، من حيث إنه كان عادة ملوك الكفر أنهم إذا لم يرضوا كتاباً مرقوه أو تفلوا فيه ، بفعل اسمه حالاً محل الوقاية . ولا شك أن مثل ذلك لا يجيء هنا ، لأن المحذور فيه مفقود ، من حيث إن هذه المناشير إنما تُلقي إلى المسلمين القائمين بتعظيم البسملة والمؤمنين لها حقها . وحينئذ فيكون لترك استعمالها وجه ظاهر من جهة الشرع ، بخلاف ما في المكتابات إلى ملوك الكفر .

وأعلم أن هذه الطغراوات تختلف تركيباتها باعتبار كثرة منتصباتها من الحروف وقتها ، باعتبار كثرة آباء ذلك السلطان وقتهم ، ويحتاج واضعها إلى مراعاة ذلك باعتبار قلة منتصبات الكلام وكثرتها . فإن كانت قليلة أتى بالمنتصبات كما سيأتي بيانه بقلم جليل مبسوط ، كمتصر الطومار ونحوه ، لئلا على قلتها فضاء الورق من قطع الثلثين أو النصف . وإن كانت كثيرة أتى بالمنتصبات بقلم أدق من ذلك ، بخليل الثلث ونحوه آكتفاء بكثرة المنتصبات عن بسطها .

ثم تختلف الحال في طول المنتصبات وقصرها باعتبار قطع الورق : فتكون منتصباتها في قطع النصف دون منتصباتها في قطع الثلثين .

ثم قد اصطح واضعوها على أن يعملوا لها هامشاً أبيض من كل من الجانبين بتدر إصبعين مطبوقين ، وطرة من أعلى الوصل قدر ثلاثة أصابع مطبوقة .

ثم إن كانت في قَطْع النصف جُعِلت مُتَصِبَاتُهَا مع تصوير الحروف بأسفلها
في الطول بقدر ^(١) ذراع، وفي العَرْض بقَدْر ^(١) ذراع .

وإن كانت في قطع الثلثين جُعِل طولُها مقدار ^(١) ذراع ، وعرضها
مقدار ^(١) ذراع . ثم تارة تكون مُتَصِبَاتٍ مَحْضَةً يقتصِر فيها من أسم السلطان
على ما هو مذكور من أسمه وأسم أبيه ، وتارة يجعل أسم السلطان وأسم أبيه بأعلى
المتصبات في الوسط بقلم الطومار قاطعاً ومقطوعاً ، بحيث يكون ما بين أعلى الأسم
وآخر أعلى المتصبات قدر أربعة أصابع أو خمسة أصابع مطبوقة . ثم إذا ألصق
الكتاب الطغرى ، كتب بأسفلها في بقية وصلها في الوسط ، بعد إخلاء قدر إبهام
بياضاً ماصورتُه : « خَلَدَ اللهُ سُلْطَانَهُ » .

وهذه صورة طغرى منشور بالقباب السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون »
مضمونها .

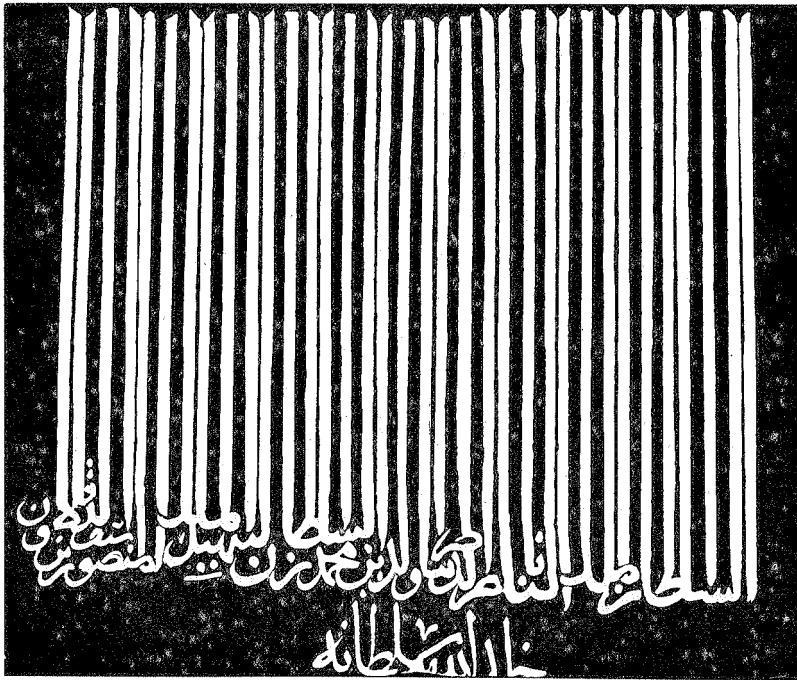
« السلطان الملك الناصر ، ناصر الدنيا والدين ، محمد ابن السلطان الشهيد الملك
المنصور ، سيف الدين قلاوون » .

وعدد متصباتها من الألف وما في معناها خمسة وثلاثون متصباً بقلم النصف ،
وهو بقدر قلم الثالث الثقيل وقدر نصفه .

وترتيب متصباتها [متصباتان] متقاربان بينهما بياض لطيف بقدر مرود دقيق ،
ثم متصبة يحفه بياضان ، كل منهما أعرض من المنتصب الأسود بيسير . وبعد
ذلك متصباتان متقاربان بينهما على ما تقدم . وكذلك إلى آخر المتصبات ، فتختتم

(١) بياض في الأصل في هذه المواضع .

بمتمصين مُزدَجِين ، كما أفتتحت بمتمصين مُزدَجِين ، على ما أقتضاه تحرير التّقسيم ،
وهي في طول نصف ذراع بذراع القماش القاهريّ مع زيادة نحو نصف قيراط ،
وعرض مثل ذلك . وتحتها في الوسط بقلم الثّالث الجليل بعد خوض عرض إصبع
بياضاً ما صورته : « خلد الله سلطانه » وهي هذه :



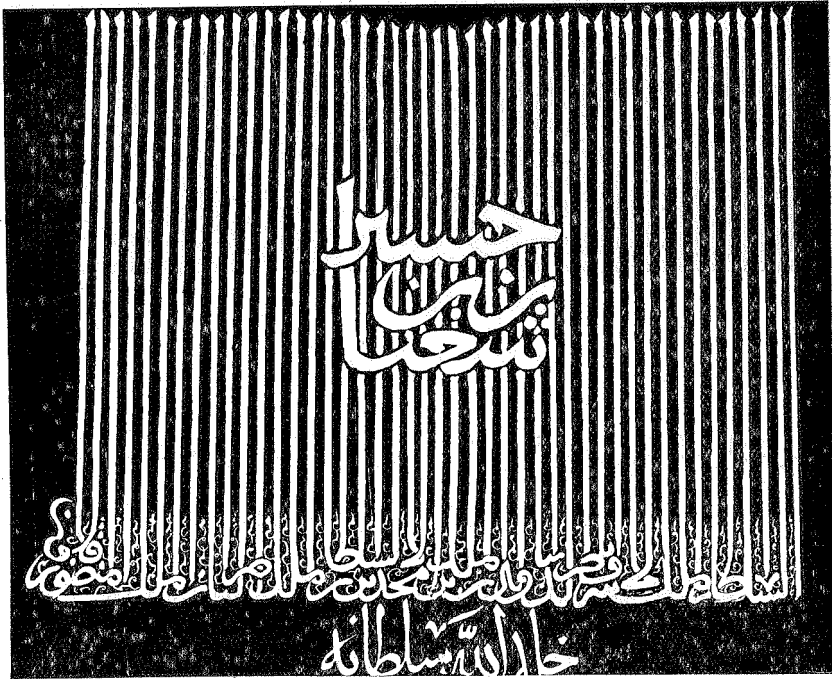
وهذه نسخة طغرئي منشور أيضاً بألقاب السلطان الملك الأشرف
شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ، مضمونها .

« السلطان الملك الأشرف ناصر الدنيا والدين آبن الملك الأجد آبن السلطان

الملك الناصر آبن الملك المنصور قلاوون » .

وعدد منتصباتها من الألفات وما في معناها خمسة وأربعون منتصبا، بقلم جليل
الثُلث، بين كلُّ مُنتصبينِ قدرٌ منتصبٍ مرتينِ بياضاً، وطولها ثلثُ ذراعٍ وربعٌ
ذراعٍ بالذراع المقدم ذكره، وعرضها كذلك؛ وأسمُّ السلطان بأعاليها بقلم الطُّومار
بالحبر قاطع ومقطوع كما أشار إليه في التعريف .

مثاله : شعبان بن حسين - الشين والعين والباء والألف سطر، والنون
من شعبان وأبن سطر مركب فوق الشين والعين، وحسين سطر مركب فوق ذلك؛
وطول ألف شعبان تقدير سدس ذراع، وقد قطعت النون الألف وخرجت عنها
بقدر يسير، وأقول الأسم بعد المنتصب السادس عشر من المنتصبات، وآخر النون
من حسين البارزة عن ألف شعبان إلى جهة اليسار بعدها أحد عشر منتصبا من
جهة اليسار، وهي هكذا :



الجملة الخامسة

(في ذكر طرف من نسخ المناشير التي تكتب في الإقطاعات في زماننا)

قد تقدم الكلام في الجملة الثالثة على صورة ما يكتب في المناشير وما تفتح [به] وذكر ترتيبها ، واختلاف حالها باختلاف حال مراتب أصحابها صوداً وهبوطاً ، فأغنى عن ذكر إعادته هنا .

وأعلم أن الأحسن بالمناشير أن تكون مبتكرة الإنشاء ، ليراعى فيها حال المكتوب له في براعة الاستهلال وغيرها من المناسبات والمطابقات . فإن تعدد ذلك فلا أحسن أن تكون براعة الاستهلال منقولة في الأسم والكينية واللقب ونحوها ليكون ذلك أقرب إلى الغرض المطلوب . فإن تعدد ذلك فينبغي أن تكون براعة الاستهلال قاصرة على معنى الإقطاع وما ينبئ إليه من ذكر كرم السلطان ومنه وإحسانه إلى أخصائه ، وما يتخبط في دنا السلك .

ثم نسخ المناشير على ثلاثة أنواع :

النوع الأول

(ما يفتح بـ «الحمد لله» ، وهو على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(مناشير أولاد الملوك)

وهذه نسخ مناشير من ذلك :

نسخة منشورية ، كتب به عن الملك المنصور قلاوون لابنه الناصر محمد في سلطنة أبيه المذكور ، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ، وهي :

الحمد لله الذي زين سماء الملك بأنور كوكب بزغ، وأعز ملك نبغ، وأشرف سلطان بلغ إلى ما بلغ ذوو الأكتحال من اختيار شرف الحلال وما بلغ .

نحمده حمداً تزيد به النعماء وتبني، وتهمل به الآلاء وتمحي، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة من كل ريب، واقصة كل عيب، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بعثه الله تعالى بمكارم الأخلاق، ومعادة ذوى النفاق، وسأوى بين الصغير والكبير من أولى الاستحقاق، فى الإرفاد والإرفاق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه مارق نسيم وراق، وما خُصفت أوراق .

وبعد، فإن الهوائف أين ما تشدو، إذا حفت الرياض بها من كل جانب، والسماء أحسن ما تبدو، إذا تريت بالكواكب السيارة والشهب النواقب، والسعادة أحمد ما تحدو، إذا خصصت بمن إليه، وإلا ما تشد الركائب، وعليه، وإلا ما تثنى الحقائق والحقائب، ومن هو للملك فلذة كبد، ونور مقلته وساعد يده، ومن نتمن السلطنة بملاحظة جبينه الوضى، وتستنير بالأ نور المضى، ومن تغضب الدنيا لغضبه وترهى إذا رضى، ومن نشأ فى روض الملك من خير أصل زكى، وفاحت أزهاره بأعطر أريج وأطيب تشردكى، وطلع فى سماء السلطنة نجماً ما لليرين ماله من الإضاءة، ويزيد عليهما بحسن الوضاء، ومن تشوف النصر له من مهده، وتشوق الظفر إلى أنه يكون من جنده، وأستبشرت السلطنة بأن صار لها منه فرع باسق، وعقد متناسق، وزند وار وجناح وارف، وغفار تليد وعن طارف، وطرفان معلمان تشرف فيهما المطارف .

ولهذه المحاسن التى تشرب إلى قصدها آمال الخلاق المتجمعة - أفضى حسن البر الوصول، وشرف الإقبال والقبول، أن خرج الأمر العالى - لا برحت مر اسمه

مترينةً زينة السماء بكواكبها، ومزاجحةً سمك السماء بمنآكبها - أن يجرى في ديوان
الجناب العالى المرئوى، الملىكى، الناصرى

قلت : كما أن هذا المنشور منشور سلطان فهو فى البلاغة لحسن إنشائه سلطان
المناشير .

الضرب الثانى

(من نسخ المناشير المفتحة بالحمد مناشير الأمراء مقدمى الألوف)

وهذه نسخ مناشير منها .

نسخة منشور، كتب به للأمير بدر الدين بيدرا استادار الملك المنصور قلاوون،
من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر رحمه الله، وهى :

الحمد لله الذى جعل بدر الدين تماماً على الذى أحسن، وإماماً تقندى النجوم
منه بالضياء الأبين والثور الأزين، ونظاماً يجمع من شمل الدرى ما يغدو به حماء
الأخى وجنابه الأصون .

نحمده حمد من أعلى صوته وصيته أعلن، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة تغدو وتبدو عند الذب وفى القاب مكانها الأمكن، ونشهد أن محمداً عبده
ورسوله ونبيه الذى أوهى الله به بناء الشرك وأوهن . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
ورضى عمن آمن به وعمن آمن .

وبعد، فإن خير النعماء ما أتى به على التدريج، وأتى كما أتى الغيث بالقطر والقطر
لإنبات كل زوج بهيج، وأقبل كما تقبل الزيادة بعد الزيادة فيينا يقال : هذا خليج

يُمَدُّ الْبَحْرُ إِذْ يُقَالُ : هَذَا بَحْرٌ يَسْتَمِدُّ مِنْهُ كُلُّ خَيْبِجٍ ، وَبَيْنَا يُقَالُ : هَذَا الْأَمِيرُ ، إِذْ يُقَالُ : هَذَا الْمُحِيرُ ، وَبَيْنَا يُقَالُ : هَذَا الْهَلَالُ ، إِذْ يُقَالُ : هَذَا هُوَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ مِنْ هَذِهِ الدَّوْلَةِ بِوَضْعِ الْعُرَّةِ مِنَ الْجَيْشِ ، وَمَكَانِ الرَّاحَةِ مِنَ الْجَيْشِ ، وَهُوَ سَوَابِقُ خِدْمَةِ لَا يَزَاحِمُهُ أَحَدٌ فِي طُرُقِ طُرُوقِهَا ، وَلَا تُسْتَكْتَرَلُهُ زِيَادَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مُوجِبَاتِ حَقُوقِهَا ، وَهُوَ مِنَ التَّقْوَى بِالْمَحَلِّ الْأَسْمَى ، عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الطَّرَاقِ ، وَالْمَكَانِ الْأَخْمَى ، الَّذِي مَكَانُهُ مِنْهُ - وَإِنْ كَانَ أَمِيرَ مَجْلِسٍ - صَدْرُ الرُّوَقِ ، وَهُوَ الْكِرَامَاتُ الَّتِي تُرَى الْخُدُودُ لَهَا صُغْرٌ ، وَكَمْ سَقَّتْ مِنْ سُمِّ الْعِدَاةِ دَاقَةَ الدُّعْرِ ، وَكَمْ قَابِلُ نُورِهِ نَارًا فَصَارَتْ بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَكَمْ تَكَلَّمَ عَلَى خَاطِرٍ فَشَاهَدَ النَّاسُ مِنْهُ شَيْخًا مِنْ حَيْثُ الشَّبِيهَةِ أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَهُ غُلَامًا ، فَهُوَ الْمَجَاهِدُ لِلْكَفَّارِ ، وَهُوَ الْمَتَمَجِّدُ فِي الْأَشْخَارِ ، وَهُوَ حَاكِمُ الْفُقَرَاءِ وَإِنْ كَانَ سُلْطَانُهُ جَعَلَهُ أَسْتَادَ الدَّارِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْعِصَا الَّتِي أَصْبَحَ بِمَجْلَاهَا مِضَافَةً إِلَى السَّيْفِ يَنْشَرَفُ ، وَمُعْجِزًا لَا يُسْتَكْتَرَلُهُ أَنَّهُا لِكُلِّ حَيَّةٍ تَلْقَفُ ، وَهُوَ الَّذِي تَجَدُّ الْكُشُوفُ وَالسِّيُوفُ فِتْوَحَهُ وَفَتَحَهُ ، وَالَّذِي يُسْكِرُ يَدَهُ عِنَانُ كُلِّ سَاحِجٍ وَزِمَامُ كُلِّ سُبْحَةٍ ، وَكَمْ أَسَالُ بِيَدَيْهِ مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ مَاءً جَرَى ، وَغَمَلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ لِلْفُقَرَاءِ مَا جَرَى ، وَكَمْ وَلَّى لِلَّهِ خَفِيَّ شَخْصُهُ فَأَظْهَرَ مَحْضَهُ فَقَالَ الْوَلِيُّ : وَمَا أَدْرَى دَرًا لَوْلَا بَيِّنَاتُهَا - أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفُ أَنْ يَجْمَلَ إِحْسَانُ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ لَهُ عَمَلًا ، وَأَنْ يُحْسِنَ لَهُ عَلًّا وَهَسَلًا ، وَأَنْ يَخْتَارَ لَهُ إِذْ هُوَ صَاحِبُ الْعِصَا كَمَا آخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا .

وَنُجِرَ الْأَمْرُ الْعَالِي - لَا زَالَ ظُلْمُهُ ظَلِيلًا ، بِإِمْتِدَادِ النَّيِّءِ بَعْدَ النَّيِّءِ ، وَعِطَاؤُهُ جَزِيلًا ، بِتَنْوِيلِ الشَّيْءِ بَعْدَ الشَّيْءِ - وَهُوَ ذُو الْكَرَمِ وَالْكَرَامَاتِ ، وَصَاحِبُ الْعِصَا بِالْأَسْتَادَارِيَّةِ وَلَا يُسْتَكْتَرَلُ لِصَاحِبِهَا سِحْرُ الْحَيَاتِ .



وهذه نسخة منشور من ذلك لمن لقبه سيف الدين، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله، وهي :

الحمد لله الذي جرد في دولتنا القاهرة سيفاً ماضياً ، ووفق من جعل فعله
لمزيد النعم متقاضياً ، وأسعد بإقبالنا الشريف من أصبح به سلطاناً مرضياً
وعيشه راضياً .

نحمده على نعمه التي تسرُّ موالياً وتسوءُ معادياً، وتقدم من أوليائنا من يقوم مقامنا
إذا سمع منادياً ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كم أروت
في موارد الوريد من الرماح صادياً ، وأورت هادياً ، ورفعت من أعيان الأعلام
هادياً، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنزل القرآن بصفاته حالياً، وأحلنا ببركة
المشاركة في اسمه المحمدي مكاناً عالياً. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يبرح
كل لسان لها تالياً، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن صدقاتنا الشريفة لم تزل تُجدد إنعاماً، وتزيد إكراماً، ونضاعف
لكل من أضحى ناصرنا بحقيقة ولائه إجلالاً وإعظاماً ليترقى إلى أعلى الدرج ، ويعلم
أنه قد ورد البحر فيحدث عن كرمه ولا حرج ؛ ومن رأى التقرب إلى الله تعالى
بمراضينا الشريفة فتقرب إليها ؛ وأقبل بقلبٍ مُخلصٍ عليها ؛ وأشبه البدور في مواقفه
توسماً ، وحكى السيف بارق ثغره لما أومض في حومة الحرب متقسماً ، وأقدم حين
لم يجد بداً أن يكون مقدماً ، ووصفت الطعنات التي أطلعت أسننتها الكواكب بها
دريته ، والحمالات التي تقتر العدا لفعلاتها أنها بهادريه ؛ كم له من محاسن ، وكم عرفت
له من مكامن ؛ وكم له من صفات كالعقود يصدق بها من قال : الرجال معادن ؛

كم له من همة تترقى به إلى المعالي ، كم له من عزيمة يروى حديثها المسند عن العوالى ؛
 كم به أمور تتساقط ، وكم جمهور يحاط ؛ كم له من احتفاء واحتفال ، وكم له من
 قبول وإقبال ، وكم له من وثبات وثبات ، وكم له من صفات وصفات ، وكم له
 إماتة حجة ؛ كم له من مناقب تُصبح وتُسمى ، وكم له من معارف لما علم بها مملكه
 - خلد الله ملكه - قال الملك : آتوني به أستخلصه لنفسي .

فلذلك لا تزال آراؤنا العالية تعقد له في كل وقت رايه ، وتسعى به إلى أبعد غايه ،
 وتنبع له عنايه بعد عنايه ، حتى لا تخلو دولتنا الشريفة من سيف مشهور ، وعلم
 منشور ، وبطل لا يرد عن الصميم تصميم ، ولا تعدأ كبار الأمراء إلا ويكون على
 العساكر مقدما وعلى الجيوش زعيما : ليعلم كل مأمور وأمير ، وكل ثمائل ونظير ،
 أن حسن نظرنا الشريف يضاعف لمن تقرب إلينا بالطاعة إحسانا ، ويوجب على
 من وجد المنشور بهذا المنشور امتنانا : ﴿ لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدُّوا الَّذِينَ
 آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ .

ولما كان فلان هو المعنى بهذه المتناصد ، والخصوص بهذه المادح والمحامد ،
 والواحد الذى ما قدم على الألف إلا وكالألف ذلك الواحد .

فلذلك نرح الأمر الشريف - لا زالت أيامه موصولة الخلود ، موسومة بمزايا
 الخلود - أن يجرى في إقطاعه



وهذه نسخة منشور من ذلك لمن لقبه «شمس الدين» كتب به فى الدولة الناصرية

«محمد بن قلاوون» وهى :

الحمد لله الذي جعل دولتنا القاهرة . مَطَّلَعَ كُلَّ قَمَرٍ مُنِيرٍ ، وجمعَ كُلِّ مَأْمُورٍ
وأَمِيرٍ ، وموقعَ كُلِّ سَحَابٍ يَظْهَرُ بِهِ البرقُ في وجهِ السَّحَابِ المَطِيرِ ؛ الذي شَرَّفَ بنا
الأقْدَارَ ، وزادَ الأَقْتِدَارَ ، وجعلَ مَمَالِكَنَا الشريفةَ سَمَاءً تُشْرِقُ فِيهَا الشُّمُوسُ
والأَقْفَارُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي تَخْتَالُ أَوْلِيَاؤُنَا بِهَا فِي مَلَابِسِهَا ، وَتَخْتَصُّ بِنَفَائِسِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَجْرُدُّ سَيْفَ الدِّينِ لِإِقَامَتِهَا ، وَنُحَافِظُ بِوَقَائِعِهِ
فِي الحَرْبِ عَلَى إِدَامَتِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدَ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي خَصَّهُ بِمِزْيَةِ التَّقْرِيبِ ،
وَشَرَفَهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِالْمَكَانِ القَرِيبِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ عَظَّمَهُم بِقُرْبِهِ ،
وَكَرَّمَهُم بِحُبِّهِ ، وَقَدَّمَهُم فِي السَّلَفِ الصَّالِحِ إِذَا جَاءَ كُلُّ مَلِكٍ بِأَتْبَاعِهِ وَكُلُّ مَلِكٍ
بِصَحْبِهِ ، وَسَلَمَ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى الْأَوْلِيَاءِ أَنْ تَشْمَلَهُ صَدَقَاتُنَا الشَّرِيفَةُ بِحَسَنِ نَظَرِنَا الشَّرِيفِ ،
وَبِرْفَعَةِ قَدْرِهِ المُنِيفِ ؛ لِيَتِمَّ لَهُ إِحْسَانُهَا ، وَيَزِيدَ إِمكَانُهَا ؛ حَتَّى يَنْتَقِلَ هَلَالُهُ إِلَى أَكْمَلِ
مَرَاتِبِ البُدُورِ ، وَيَتَمَدَّدَ بِحُصْنِهِ المَسْتِظَلُّ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الجُهورِ ؛ وَيَتَقَدَّمَ فِي أَيَّامِنَا
الشَّرِيفَةِ إِلَى الغَايَةِ الَّتِي يَرْجُوهَا ، وَيَقْدَمُ قَدَمَهُ إِلَى مَكَانَةِ أَمْثَالِهِ الَّتِي حَلَّوْهَا ، وَنَتَكَلَّمُ
بِنَا نِعْمَةَ اللَّهِ : ﴿ وَإِنْ تُعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ - النَّاصِرِيُّ بِحَقِيقَةِ وِلَايَتِهِ ، البَهَادِرِيُّ
شِجَاعَةً فِي لِقَائِهِ ؛ مَنْ تَكَفَّلَتْ صَدَقَاتُنَا العَمِيمَةُ لَهُ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي أَمَلِهِ ، وَجَحَّتْ
حَايَتُنَا الشَّرِيفَةُ بِعَاطِفِهِ بِأَبْهَى مَا يَأْسِجُهُ الرِّبِيعُ مِنْ حُلَلِهِ ، وَتَوَسَّمتْنَا فِيهِ مِنْ مَعْرِفَةِ
تَقَرُّبِ إِلَى مَرَاضِينَا الشَّرِيفَةِ بِهَا دَرِيًّا ، وَهَمَّةٍ جَرَدْنَا بِهَا مِنْ سَيْفِهَا دَرِيًّا ، وَطَلَعَةٍ
أَطْلَعَتْ مِنْهُ بِالْبَهَاءِ كَوَجْأِ دَرِيًّا ؛ مَعَ مَا تَحْوَلُ فِيهِ مِنْ نِعْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ ، وَقَامَ بِهِ فِي أَبْوَابِنَا
العَالِيَةِ مِنْ أَحْسَنِ القِيَامِ فِي كُلِّ وَظِيفَةٍ .

ولما كان فلان هو الذي أشرنا إليه ، ونهنا مقلّ النجوم عليه . فاقنصت آراؤنا الشريفة أن نبلغه أقصى رتب السعاده ، ونعجل له بحظّ الذين أحسنوا الحسنى وزيادته ؛ ليعدّ في أكابر أمراء دولتنا الشريفة إذا ذكروا ، والمقدّمين على جيوشنا المنصورة إذا بادروا إلى مهمّ شريف أو ابتدروا ؛ ليعلم كلُّ أحد كيف يجازى كلُّ شكور ، وكيف يتحلّى بنعمنا الشريفة كلِّ سيف مشهور ، وكيف نذكر واحدا منهم فيغدو في زعماء المساكر المؤيّدّة وهو مذكور ؛ ليسدلّوا في خدمة أبواننا الشريفة جهدهم ، ويتوكلّوا على الله تعالى ثم على صدقاتنا العميمة التي تحقّق قصدهم .

فلذلك نرح الأمر الشريف



وهذه نسخة منشور من ذلك ، كتبت به في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» لمن لقبه «بدر الدين» وهي :

الحمد لله الذي زين أفق هذه الدّولة القاهرة بسدرها ، وسيره في درج أوجها ونصرها ، ونقله في بروج إشراقها ومنازل نقرها .

نحمده على نعمه المنهلة ببرها ، المتهدلة ببشرها ، المتريّدة كلبا زدنا في حمدها وشكرها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنطق بها القلوب في سرّها وجهرها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث إلى الأمم بأسرها . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تملأ الوجود بأجرها ، وتضمن لأمتها النجاة يوم حشرها .

وبعد ، فإن أولى من تعمت النعمى بتواليها عليه ومرّها ، وخير من استقرت الخيرات عنده في مستقرّها ، وأعلى من عمّته الأقاليم ببدايع نظمها ونثرها ،

وخصصته بمحمد تتأرج المناشير بنشرها - من كان للدولة القاهرة يشرح صدرها ،
بتيسير أمرها ، ويُسَدُّ أزرها ، بحَمَلِ وزرها ، ويتكفَّل بأداء فرائض إتمامها
ونصرها ، ويوصل حَمَل ما يفتحه من الحصون الضيقة إلى مصرها .

ولما كان فلان هو بدر هذه السماء ومُنِير زهرها ، ونير نجوم هذه المقاصد ومُبْتَدَأ
نجرها ، وفريدة عقد هذه الفلائد ويلمعة دُرِّها ، وصاحب هذه الأنغاز ومفتاح
سِرِّها - آقتضت الآراء الشريفة أن تُرَفَّ إليه عرائس العوارف ، ما بين عوانها
وبكرها ، وترَفَّ عليه نفائس اللطائف ، ما بين شفعتها ووترها ، وتهادى إليه الهدايا
ما بين صفرها ومحرها ، وتتوالى عليه الآلاء ما بين ثمرها وزهرها ، وأن تزداد عدته
المباركة في كميتها وقدرها ، وأن تكمل عشرينه التسع بعشرها ، ليعلم أنه لا يبرح
في خلدتها وسرِّها ، وأنها لا تُخلِّيه ساعة من سعيد فركها .

فذلك خرج الأمر العالى - لا زالت الأقدار تحض دولته القاهرة بإطابة ذكرها ،
وإطالة عمرها ، ولا برح الأمل كفضيلة بنصرها ، بمضاء يبضها وإعمال سمرها -
أن يجرى



وهذه نسخة منشور من ذلك كُتِب به في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون»
لمن لقبه «صلاح الدين» وهى :

الحمد لله الذى أتحف الممالك الشريفة من سعيد تديرنا ، بصلاحها ، وصرف
حميد تأميرنا ، بإنجاب الأولياء وإنجاحها ، وأسعف طرائح أمانتهم : من اقتربهم من
خواطرنا الشريفة فى بئداهم وتدانيمهم باجابة سُؤالنا وإصابة اقتراحها .

نحمده على أن جعل نصر دواتنا الثمينة قريبا من نصاحها ، ونشكره على أن
وصل أراجيحهم بإزباحها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُحسن

المآل والعاقبة لذوي الإخلاص كما أحسنت في ابتدائها وافتتاحها، ويؤذن لحسن
اعتنائها لأحوال أولى الأختصاص بإصلاحها، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله
الذي عمّت مواهبه، بإبراق سماءها وإغداق سماءها، وسمت مناقبه، بإتلاق غمرها
وإشراق أوضاعها، وأمّت مواكبها، ديار العدا فشدت عليهم شهور قراعها ومنصور
كفاحها . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أصابت أكتفهم في السلم بمسغفات
أقلامها وصالت أيديهم في الحرب بمهفات رماحها، ماجرت الأقدار بمتاحها،
وسرت الميازمتتاحها، وظهرت أنار الإقبال التام على من له بخدمتنا أهتام واحتفال
فلاح على مقاصده معهود فلاحها . وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن أولى من لمحّة نظرنا الشريف حيث كان، ورجحه فكرنا الحسن
الجميل فمنحه الإجمال والإحسان، من لم يزل شكره أرجا بكل مكان، وذكره بهجاً
تسرى به الركائب وتسير به الرجان، وصدّره الرحيب مستودع الأسرار فلا تُصاب
إذ كانت فيه نصاب، وقدره عندنا المحفوظ المكانية، فإن بعد فهو قريب دان، وأمره
منا المحفوظ بالإعانة، فلا تزال نولية البروعلى له الشان .

ولما كان فلان



وهذه نسخة منشور، كتب به للأبير سعد الدين مسعود بن الخطيرى، من إنشاء
الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء، وهو :

الحمد لله على نعمه التي زادت سعودا، وضاعفت صعودا، وكرّمت في أيامنا من
لا حاجب له عن أن تمنحه من إندامنا مزيدا، وقدمت بين أيدينا الشريفة من
أولياتنا من غدا قدره عندنا خطيرا وحظه لدينا مسعودا .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ أُنْجِزَ لِأَصْفِيائِنَا مِنْ وَفَائِنَا وَعُودَا، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَحْمَدُ لِمُخْلِصِهَا صُدُورًا وَوُرُودًا، وَتَلْقَى مُؤْمِنَهَا بِالْبِشْرِ إِذَا جَمَعَ الْمَوْقِفُ وَوُودَا، وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَرَّفَ بِإِنْجَادِهِ مَطْرُودًا، وَأَرْدَفَ بِالْمَلَائِكَةِ جُنُودًا، وَأَوْصَلَ بِهِ حُقُوقًا وَأَقَامَ حُدُودًا، وَحَجَّبَ بِبَرَكَاتِهِ الْأَسْوَاءَ فَعَدَا الْعَدْلُ مَوْجُودًا، وَأَصْحَى الْحُكْمُ مَقْصُودًا . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا وَعَلَى الْمَشْرِكِينَ شَدِيدًا .

أما بعدُ ، فَنِعْمَنَا إِذَا أَوْلَتْ وَلِيًّا ، مَنَحَهَا وَالْتَ ، وَإِذَا قَدَمْتَ صَفِيًّا ، وَهَبْتَهُ مَنَزِيدَهَا وَأَنَالَتْ ، وَإِذَا أَقْبَلْتَ بَوَجْهِ إِقْبَالِهَا عَلَى مُخْلِصٍ تَتَابَعْتَ إِلَيْهِ الْمَسَرَّاتِ وَأَنْتَالَتْ ، لَا سِيَّيَا مِنْ أَطَابِ الْأَلْسِنَةِ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَأَطَالَتْ ، وَجِلَّتْ سَجَايَاهُ عَلَى الْعَدْلِ وَالْمَعْرِفَةِ فَمَا حَافَتْ وَلَا مَالَتْ ، وَأَوْصَلَتْ رَأْفَتَهُ مِنَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ وَعَلَى الْمَجْرُمِينَ سَطْوَتُهُ صَالَتْ ؛ فَيَسْمُنُ مَقَاصِدَهُ هَائِتِ الْخَطُوبُ وَإِنْ كَانَتْ فَنَكَاتُهُ فِي الْحُرُوبِ كَمْ هَائِتْ ، وَهَمَمُهُ فِي السَّلَامِ قَدْ جَلَّتْ وَيَوْمَ الرَّوْعِ كَمْ جَالَتْ ، وَعِزَائِمُهُ كَمْ غَارَتْ فَأَغَارَتْ وَلِلْعَتِيدِينَ كَمْ غَالَتْ ، وَكَمْ سَبَقَ إِلَى خِدْمَتِنَا صَاحِبُ الشَّمْسِ وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الْبَدْرُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَزُلْ وَإِنْ هِيَ زَالَتْ .

وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي نَقَلْنَاهُ فِي دَرَجَاتِ التَّقْدِيمِ حَتَّى كَمَلَ بَدْرُهُ ، وَوَقَلْنَاهُ فِي مَرَاتِبِ التَّكْرِيمِ حَتَّى أَصْبَحَ وَهُوَ الْمَسْمُودُ حِطَّةَ الْحَمُودِ ذِكْرُهُ ، وَخَوَّلْنَاهُ مَوَاهِبَ جُودِنَا الْعَمِيمَةِ فَاسْتَدَّ بَاعَهُ وَأَشْتَدَّ أَرْزُهُ .

فَلذَلِكَ نَحْرَجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ - لَا بَرَحَ إِنْعَامُهُ يَجِلُّ عَنِ الْحَضَرِ ، وَدَوْلَتُهُ يَخْدُمُهَا الْعِزُّ وَالنَّصْرُ ، وَإِكْرَامُهُ يَقْضِي بِمَسَرَّاتِ الْأَوْلِيَاءِ بِالْجَمْعِ وَيُقْضَى إِلَى أَعْمَارِ الْأَعْدَاءِ بِالْقَضْرِ -



وهذه نسخة منشور، كُتِبَ به لعلاء الدين إيدغمش أمير اخور الناصري [كُتِبَ به في الدولة الناصرية] محمد بن قلاوون، من إنشاء الشريف، وهو :

الحمد لله الذي زادَ علاءَ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةَ ، وَأَفَادَ النِّعْمَاءَ النَّامَّةَ مِنْ قَامَ بَيْنَ أَيْدِينَا أُمَّتِمْ قِيَامٍ فِي أُمَّتِمْ وَظِيْفِهِ ، وَأَجَادَ الْآلَاءَ الْمُتَوَالِيَةَ بِمَنْ أَعْنَتِ الْجِيَادِ بِإِشَارَتِهِ مُصْرَفَةً وَمِنَّةَ الْجُودِ بِسِفَارَتِهِ مَصْرُوفَهُ ، وَأَرَادَ الْأَصْطَفَاءَ لِأَعَزِّ هُمَامٍ : فِي قُلُوبِ الْأَوْلِيَاءِ لَهُ مَحَبَّةٌ وَفِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ مِنْهُ خِيْفَةٌ ، وَأَبَادَ أَوْلِيَّ الْعِيَادِ بِفَتْكَاتِهِ الَّتِي بَهَا الْعَوَائِلُ مَكْفِيَةٌ وَالطَّوَائِلُ مَكْفُوفَةٌ ، وَشَادَ الْمُلُوكَ الْأَعَزَّ بِإِرْفَادِ وَلِيِّ لَهُ الشُّجَاعَةَ الْمَشْكُورَةَ وَالطَّاعَةَ الْمَعْرُوفَةَ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ جَعَلَ آخِثَارَاتِنَا بِالتَّسْهِيدِ مَحْفُوظَةً وَبِالتَّأْيِيدِ مَحْفُوفَةً ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً السَّرَائِرِ لِإِخْلَاصِهَا الْوَفَافَةِ ، وَالضَّمَائِرِ عَلَى آخْتِصَاصِهَا مَعْظُوفَةً ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي نَسَلَهُ مِنَ النَّبَعَةِ الْمُنِيِّفَةِ ، وَأَرْسَلَهُ بِالشَّرْعَةِ الْحَنِيفَةِ ، وَفَضَّلَهُ بِالرَّفْعَةِ عَلَى ظَهْرِ الْبُرَاقِ إِلَى السَّمْعِ الطَّبَاقِ وَجُنُودِ الْأَمْلَاقِ بِهِ مُطِيفَهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ذَوِي الْهَمَمِ الْعَالِيَةِ وَالشِّيمِ الْعَفِيفَةِ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدٌ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدَّةَ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ ، صَلَاةً تَبِيضُ بِالْأَجُورِ الصَّحِيفَةَ ، وَتَعَوِّضُ بِالْوُفُورِ مِنْ مَبْرَاتِنَا الْجَلِيلَةِ بِفِكْرَتِنَا الْجَمِيلَةِ اللَّطِيفَةِ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَا بَعْدُ ، فَكُرْمِنَا يُسْبِغُ الْمَوَاهِبَ وَالْمَنَائِحَ ، وَنِعْمِنَا تُبَلِّغُ الْمَأْرِبَ وَالْمَنَاجِحَ ؛ فَلَا نَبْرَحُ نَنْقُلُ فِي دَرَجَاتِ الصُّعُودِ مَنْ هُوَ فِي خِدْمَتِنَا لِإِيْرَاحِ ، وَتِيكْفَلُ صَالِحُ نَظَرِنَا الشَّرِيفِ صَلَاحَ حَالِ مَنْ أَجْمَلَ النَّصَائِحَ وَأَثَلَ الْمَصَالِحَ ؛ فَكَمْ رَاضٍ لَنَا مِنْ جَائِحِ ، وَخَاضَ بَحْرَ الْوَعْيِ عَلَى ظَهْرِ سَائِحِ ، وَحَمَى رُوقَ الْإِسْلَامِ مِنْ رُعْبِهِ بِذَبِّ وَرَمَى

أعناق الكفار من غضبه بذابح ، وأصمى المقاتل بكل نابل يستجن في الجوانح ،
 وأنتهى إلى سعادة سلطاننا الناصر الفاتح ، وسمّا عزّم إعلائه بتقريبه وإدناؤه إلى
 السماك الرامح . طامك مس الكفار الضر إذ مساهم بالعاديات الضوايح ، وأحس كل
 منهم بالدمار لما ظن أنه لخر به يكابد ولخر به يكافح ، وصبحهم بإغارته على الموريات
 قدحاً فأغرى بهم الخطوب الفوادح ، وطرحهم بالفتكات إلى الهلكات فصاحت
 [رقابهم] رقاب الصفايح ، وأخلى من أهل الشرك المسارب والمسارح ، وأجلى أهل
 الإفك عن المطارد والمطارح .

ولما كان فلان هو الذى استثار إليه شأن هذه المدائح ، وسار بذكره وشكره كل
 غادٍ ورأح .

خرج الأمر الشريف - لا بريح سبيل هداة الواضع ، وجزيل نداءه يندو كالغواذى
 بالعائيد والبادى من فضله وهو الناصح ،



وهذه نسخة منشورة ، كتبت به للأمر شمس الدين سننقر البكتوتى الشهرير
 بالمساح ، وهى :

الحمد لله الذى أجزل المواهب ، وجدد من النعم ما لا تزال الألسنة تتحدث
 عن بحرها بالعجاب ، وأطلع فى أفق الدولة الشريفة شمساً تستمد من أنوارها
 الكواكب .

(١)
 نحمده على نعم يتوالى درها توالى السحاب ، ويغالى درها عن أن تطوق به الأذنان
 والترائب ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تختص قائلها من

(١) المراد بالتطويق هنا مطلق التحلية وكان الأولى « أن تقرط به الأذنان وتطوق به الأعناق وتحلى به الترائب » .

درجات القبول والإقبال بأسمى الدرجات وأسنى المراتب ؛ ونشهد أن محمداً عبده
ورسوله الذي أصطفاه من لؤى بن غالب ، وصان ببعثته الشريفة رداء النسك
عن كل جاذب ، وخصه بأشرف المواهب ، وصير الإيمان بنور هدايته واضح
السبل والمداهب . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يمضي جزء من الدهر
إلا ووجودها فيه وجود الفرض الراتب ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أحق من حلى من النعماء بأفضل العقود ، وخص بأضنى ملايس
الإقبال وأضنى مناهل الإفضال : فاستعذب من هذه الورود ، واختال من هذه
في أجمل البرود ، ومنح من الإقبال بكل غادية تحجل السحاب إذ يجود ، وإن
رقت بها الأفلام سطوراً في طروس أزرت بالزهر اليناع والروض المجود ، ونقل
قدره من منزل عز إلى منزل أعز فكان كالشمس تنقل في منازل الشرف والسعود -
من ظهرت مكارم سماته ، وأشتهرت محاسن صفاته ، وطلعت في سماء العجاج نجوم
خرصانه ولمعت في دجى النقع بروق طبائنه ، وقدم على الجيوش والجحافل فظهرت
نتائج التأييد والتسديد من تقدمه وتقدماته ، وهزم جيوش الأعداء ، في مواقف
الهيحاء ، ببات أقدامه في إقدامه ووثباته ، وتجرد في المهمات والملمات تجرد
الماضيين : من سيوفه وعزماته .

ولما كان فلان هو الموصوف بهذه الأوصاف الجميلة ، والمنعوت بهذه المحاسن
الجميلة ، والمشار إليه بهذه المحامد والمآدح التي ترهق على زهر الكواكب ، وتسمو
بماله من جميل المآثر والمناقب - أوجب له الاختيار المزيد ، وقضى له الأمتنان
بتخويله نعماً وتوويله منناً : تُضحى هذه عقداً في كل جيد ، وتسمى هذه مقربة له من

الآمال كل بعيد — وأقتضى حسن الرأي الشريف أن يمنح بهذا المنشور : ليخص
من الأولياء بالسعد الجديد والحد سعيد .
فلذلك نخرج الأمر الشريف



وهذه نسخة منشور، كتب به للأمر خاص ترك في الروك الناصري، وهي :
الحمد لله على نعمه التي سرت إلى الأولياء ركايتها ، وهمت على رياض الأصفياء
سحائبها ، وتوالت إلى من أخلص في الطاعة بغرائب الاحسان رغائبها ، وتكفلت لمن
خص بأسنى رتب البر الحسان مكارمها العميمة ومواهبها ، وغمرت بحار كرمها الزاهرة
من يحدث عن شجاعته ولا حرج كما يحدث عن البحور التي لا تقى عجائبها .

نجده على نعمه التي إذا أغبتنا سحاب الندى أعقت سحاب ، وخصت الخواص
من درج الأمتنان بمراتب تراجمها الكواكب على نهر المحرّة بالنسك ، ونشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يزال الجهاد يرفع ألويتها ، والجلاد يعمر
بوفود الإخلاص أنديتها ، والإيمان يُشيد في الآفاق أركانها الموطدة وأبنتها ، ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله الذي أيده الله بنصره ، وخصه بمزية التقدم على الأنبياء مع
تأخر عصره ، وآتاه من المعجزات ما تكفل السنة الأعلام عن إحصائه وحصره .
صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حاطوا دينه بالمحافظة على جهاد أعدائه ، وأيدوا
ملته بإعادة حكم الجلاد في سبيل الله وإبدائه ، صلاة لا يزال الإيمان يُقيم فرضها ،
والإيقان يملأ بها طول البسيطة وعرضها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من ضوعفت له النعم ، ووطدت له الرتب التي لا تُدرَك غاياتها
إلا بسوابق الخدم ، وأشرقَت به مطالع السعود ، وحُققَت له مطالب الاعتلاء

والصعود؛ ورفَعته مواقع الإحسان إلى أسنى المراتب التي هو مَلِيٌّ بارتقائها، وتولّت له هَوَامِعُ البرِّ والامْتِنانِ آنتقاءَ فرائدِ النِّعمِ التي هو حَقِيقٌ باختيارها وآنْتقائها؛ وبلَغته العِنايةُ بأجلِّ مما مَضَى قَدْرًا، وآسْتقبَلته الرعايَةُ من أُنْفُقِ الإقبالِ بما إذا حَقَّقَ التأمُّلُ ووجد هِلاَّهُ بَدْرًا - مَنْ رُبِّيَ فِي ظِلِّ خِدْمَتِنَا التي هي مَنَشَأُ الآسادِ، ومَرْبِي فُرْسَانِ الجِهادِ، وغرينُ ليوثِ الوَعْيِ التي آجَاهُها عِوَالِي الصَّعادِ؛ وبرائِئِها مِوَاضِي السُّيُوفِ الحِدادِ، وفرائِئِها نُجُجَةُ أَهْلِ الكُفْرِ وُحْمَاةُ أَرْبابِ العِنادِ؛ فكم له في الجِهادِ من مِواقِفِ أَعزَّتِ الدِّينَ، وأدَلَّتِ المَعْتَدِينَ؛ وزلَّزَتِ أَقدامَ الأبطالِ، وزَحزَحَتِ دَوِيَّ الإقدامِ عن مِواقِفِ المِجالِ؛ وحقَّكَتِ صَفاتِهِ في القِعمِ، وأنبَتَتِ صِفاحَهُ في مَنابِتِ الحِمَمِ؛ وفَرَّقَتِ ما لأهلِ الكُفْرِ من صُفُوفِ، وأرَتَمَهُم كَيْفَ تُعَدُّ الأُوفُ الرِجالُ بالأحادِ وآحادُها بالأُوفِ .

ولما كان فلان هو الذي أُشيرَ إلى مناقبه، ونَبَّهَ على شِهرَةِ إقدامِهِ في كلِّ مِوقِفِ يَمُنُّ عِواقِبِهِ، وأوَمِيَّ إلى خِصائِصِ أوصافِهِ التي ما زالِ النِصرُ يَلحُظُها في مِشاهِدِ الجِهادِ بَعينِ مِلاحِظِهِ ومُراقِبِهِ - آقْتَصَتِ آراؤُنا الشَريفَةَ أنْ تُجَدِّدَ آعتِلاءَ مِجْدِهِ، وَزَيِّدَ في أُنْفُقِ الآرتِقاءِ إِضاءَةَ إقبالِهِ وإِنازَةَ سَعِدِهِ .

فلذلك نرحج الأمر الشريف لا زال :



وهذه نسخة منشور كُتِبَ به في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون لجمال الدين أفوش الأشرقي، المعروف بنائب الكرك عند خروجه من الحب، وهي :

الحمد لله مفرح القلوب، ومفرح الكروب، ومبهرج النفوس بذهاب غيآهيب الخطوب، ومبلغ من تقادم عهده في حفظ ولائنا نهاية المرغوب، وغاية المطلوب؛ الذى أعاد إلى الخالصين في طاعتنا النعمة بعد شرودها، وعوَضهم عن تقطيب الأيام بائسائها وعن نُحوْلها بسعودها، وألقى على الأول منهم جمالا لا يسع الأذهان أن نتصّف بإنكار حقوقه وبُجودها .

نحمده على ما وهبنا من الأناة والحلم، وخصّ به دولتنا من المهابة التي تُخشى يوم الحرب والمواهب التي تُرجى يوم السلم؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكفّلت بالنجاة لِقائِها، وأغنّت من حافظ عليها عن ضراعات النفوس ووسائلها؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث برعاية الذم، والمنعوت بحسن الرأفة التي هي شعار أهل الوفاء والكرم، [صلى الله عليه] وعلى آله وصحبه ما تلافيت الأقدار نفوسا من العدم، وتوافق الأمانى والمناسج فأظفرت من أخاص نيتته الجميلة برد ضلالة النعم، صلاة تُضفي على الأولياء حُلل القبول والرضا، وتُضفي من الأكدار مناهل سُورهم فكان الخطب أبردق وأومض فضي، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من انتظمت بعد الشبّات عُقود مساره، وأبتسمت بعد القُطوب نُغور مباره، وأشتمت عواطفنا عليه بجلبت أسباب منافعه وسلبت جلاب مضاره، وأحتفلت عوارفنا بالملاحظة لعهد الوثيق العرا، والمحافظة على سالف خدمته التي ما كان صدق ولائها حديثا يُفترى؛ وسبق له من الاختصاص في الإخلاص ما يرفع من خاطرنا مكانة عالية الذرا - من أضحى من السابقين الأولين في الطاعة، والباذلين في أداء الخدمة والنصيحة لدولتنا جُهد الأسطاعة، والمالكين للمالِك بحسن الخلة وجميل الأعتام؛ والمحافظين على تشييد قواعد الملك

بآرائه وراياته التي لا تُسامى ولا تُسام ، وأمسى هو الولي الذي لا يُشاركه أحد
 في إخلاص الضمير في موالاتنا وصفاء النيّة ، ولا يُساهمه وليّ فيما آسّمه عليه من
 صدق التعبد وجميل الطويّة ، والخُلص الذي انفرد بخصائص الحقوق السابقة
 والآتية ، وأمتاز بموجبات خديم لا يُجحد محافظتها التالدة والطارفة ، وطلعت شمس
 سعادته في سماء مملكتنا فلم يُسبها الغروب ، وأضاء بدره في أفق عزّه فكان سراره
 مذهباً لأعين الخطوب .

ولما كان فلان

الضرب الثالث — مما يفتح بالحمد مناشيرُ أمراء الطبليخانا .

وقد تقدّم أنّها كناشير مقدّمة الألوّف في الترتيب إلا أنّها أخصّر منها .

وهذه نسخ مناشير من ذلك :

نسخة منشور كُتب به لبعض الأمراء ، وهي :

الحمد لله رافع الأقدار، ومُجزل المبار، وجاعل يمين كرمنا مبسوطةً باليسار .

نحمده على غير فضله الدار، ونشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
 سرت الأسرار، وأذهب نورها ما كان للشرك من سرار، ونشهد أنّ محمدا عبده
 ورسوله الذي أنجد له في نصر الحق وأغار، وأرهف من سيف النصر الفرار .
 صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من كان ثاني اثنين في الغار، ومنهم من
 سبق له دعوة سيد المرسلين من سالف الأقدار، ومنهم من كرم الله وجهه فكان له
 من أعظم الانتصار .

وبعد، فإنَّ العطايا أيسرُ ما يكونُ تنوُّيلُها، وأسرُّ ما يُلْفَى تحوُّيلُها، إذا وَجَدَتْ مَنْ هو لرايتها متلقِّيا، وفي ذرِّ الطاعة مترقِّيا، ومنَّ إذا صدحتُ حمائمُ التأييدِ كانتِ رماحُه الأغصانَ، وألويتهُ الأفنانَ، ومنَّ تردى ثيابَ الموتِ حُرما فما يأتي لها الليلُ إلا وهى بالشهادةِ مُحضَّرةٌ من سُندسِ الجنانِ، وإذا شهِرَ عَضْبُه، أرضى رَبَّه، وإذا هزَّ رُجْحُه، حَمَى سَرْحُه؛ وإذا أطلقَ سَهْمُه، قَتَلَ شَهْمُه؛ وإذا جَرَدَ حُسَامُه، كانَ حَسَامُه؛ وإذا سافرتُ عزائمُه لتَطْلُبَ نَصْرُه، حَلَّتْ سُيُوفُه بقاءتُ بالأوجالِ جمعا وبالأجالِ قَصْرُه .

ولما كانَ فلانٌ هو الذى جَمَعَ هذه المناقبَ الجمَّةَ، وأمتازَ بالصَّرامةِ وعُلُوِّ الهِمَّةِ، استَحَقَّ أن يُنظَرَ إليه بعينِ العِنايةِ، وأن يُجْعَلَ آبتدأؤُه فى الإِمره دالًّا على أسعدِ نِهايِه .

فذلكَ خرجَ الأمرُ الشريْفُ - لا زال يرفعُ الأقدارَ، ويُجْزِلُ المَبازَ، أن يُجْرَى فى إاقطاعِ



وهذه نسخة منشور لمن لقبه زين الدين، وهى :

الحمدُ لله الذى وهبَ هذه الدولةَ من أوليائها أحسنَ زينَ، ومنَحَها منهم من يشكُرُ السيفَ والعِنانَ منه اليدينَ، ومنَّ يملأُ ولاؤُه القلبَ وشاؤُه السَّمعَ وبهاؤُه العَيْنَ .

نجمه على نِعَمه التى نَفَتْ عن نُورِ المُلْكِ كلَّ شَيْءٍ من شَيْنٍ، وأبَقَتْ له من كُتاتِه ومُحاتِه مَنْ لا فى إخلاصِه رَيْبٌ ولا فى محافظتِه مَيْنٌ؛ ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له شهادةً متبرِّئٍ من اتِّخاذِ المُسَيِّئِ اثْنينَ؛ ونشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولُه شهادةً متمسِّكٍ من هِذِه وهِذِه بعُروتينِ . صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصَحْبِه صلاةً دائمةً

ما جمع المسافرين من الصلوات بين الأختين ، وما جلس خطيب بين خطبتين ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن خير من رقى خطيبه إلى أرفع رتبة ، وأنجح في تحويل النعم على كل طلبية ورغبة ، لا بل أهديت إليه عرائس النعماء وقد ابتدأت هي بالخطبة ، وكثر له في معروف أصبح ببذله معروفاً ، وأعين على جود أمسى به موصوفاً ، وذلت له فطوف إحسان كم ذلل الأولياء [من أجله] في مراضى الدولة ومحابها فطوفاً فطوفاً - من خلف الملك أحسن الخلف ، ومن له بفعل الخير أعظم كلف ؛ ومن يشهد له بالشجاعة الخليل والليل والبداء ، والسيف والرمح والأعداء ، فلا غزوة إلا له فيها تأثير وأثر ، ولا ندوة إلا وبها من وصفه بالذكر الجميل سمر ، تتشوف إلى ملاحظة غرته كل عين ويتبين لحياطته في الوجود كل أثر ، ما أنار وجهه في نهار سلم إلا وقيل الشمس ولا بدا في ليل خطب إلا وقيل القمر .

ولما كان فلان هو بدر هذه الهاله ، وجل هذه الجلالة ، ونور هذه المقله ، ولايس هذه الحله - اقتضى حسن الرأي الشريف أن تكثر لديه النعم وأن يجرى بتمية الإحسان هذا القلم .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا بريح يجود ، وبالخيرات يعود - أن يجرى في إقطاعه



وهذه نسخة منشور من ذلك ، وهي :

الحمد لله الذي أيد دولتنا القاهرة بكل راية تُعقد ، وأمير يؤمر وجنود يُجنّد ، وكل بطل إذا جرد عزمه سلم إليه المهند ، وأشقبه الرج بمعاطفه فلم يدر أيهما تأود .

نَحْمَدُهُ كَمَا يُجِبُّ أَنْ يُحْمَدَ ، وَنَمْدَحُهُ بِمَا لَا يُمَائِلُهُ الدُّرُّ الْمُنْتَضِدُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَفْضَلَ مَا بِهِ نَشْهَدُ ، وَنُصَلِّيُ عَلَى نَبِيِّهِ وَعَبْدِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ .
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ فِي كُلِّ مَقَالٍ يَتَجَدَّدُ ، صَلَاةً فِيهَا الْأَقْلَامُ لَا تَتَرَدَّدُ فِيهَا
تَتَرَدَّدُ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ وَسَلَّمْ وَكْرَمْ وَمُجَّدْ ، مَا غَرَبَ فَرَقْدٌ وَطَلَعَتْ شَمْسٌ
ثُمَّ مَا غَرَبَتْ شَمْسٌ وَطَلَعَ فَرَقْدٌ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ لآرَائِنَا الْعَالِيَةَ الْمَزِيدَ فِي كُلِّ مَا تَقْتَضِيهِ ، وَفِي كُلِّ مَنْ تَرْتَضِيهِ ، مِنْ
جَمِيعِ أَوْلِيَائِنَا ، لِجَمِيلِ آلِيَانَا ، مِمَّنْ فَاقَ أَبْنَاءَ جَنْسِهِ ، وَكَانَ فِي أَمْثَالِهِ وَحِيدًا لِأَنَّهُ
لَا يُوجَدُ لَهُ نَظِيرٌ وَهُوَ كَثِيرٌ بِنَفْسِهِ ، وَتَسَابَقَتْ الْخَيْلُ إِلَى أَرْتِقَائِهِ عَلَى صَهَوَاتِهَا ،
وَالْتَطَمَّتْ بِحَارِ الْوَعْغَى لِمَا أَلْقَى لَهُ كُلُّ سَابِحٍ فِي غَمْرَاتِهَا ، وَأَفْتَحَتِ الْقَيْسَى بَمَدِّهِ الَّذِي
لَا تَخْرُجُ بِهِ الْأَقْمَارُ عَنْ هَالَاتِهَا ، وَالسُّيُوفُ لِأَنَّهُ إِذَا اشْتَرَكْتَ مَعَهُ فِي لَقَبٍ كَانَ أَسْمَى
مَسْمِيَّتِهَا ، وَالرَّمَاحُ لِأَنَّهُ كَمَّ لَهُ عَلَيْهَا مِنْ مَنَّةٍ لَمَّا أَطْلَقَهَا فِي الْحُرُوبِ مِنْ أَعْتِقَالِ رَايَاتِهَا ؛
وَتَجَدَّدَتِ الْأَسْنَةُ فِيمَا يَتَلَوُّهُ مِنْ سُورَاتِ الْفُرْسَانِ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ آيَاتِهَا ، وَهُوَ الَّذِي أَنْتَضَمَتْ
بِهِ الْمَعَالِي وَالْعَوَالِي قَصْدَهَا الَّذِي بِهِ يَرَى غَمْرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ
إِهَالَاتِهَا ، مَعَ مَالِهِ فِي خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ مِنْ سَوَابِقِ لَاتُجَارَى فِي سَبِيلِ ، وَلَا يَلْحَقُ لَهَا
شَأْوًا أَشْهَبُ الصَّبْحِ وَلَا أَدْهَمُ اللَّيْلِ وَلَا أَشْقَرُ الْبَرْقِ وَلَا أَصْفَرُ الْأَصِيلِ . فَاقْتَضَتْ
صِدْقَاتِنَا الشَّرِيفَةَ لَهُ الْإِحْسَانَ ، وَتَقَاضَتْ عَوَارِفُنَا الْحِسَانَ ، فَرَفَعَتْ لَهُ رَتَبَةً لَا يَبْلُغُهَا
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا بِاللِّسَانِ ، وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي حَسُنَ وَصَفَا ، وَشَكَرَتْ مَسَاعِيهِ
سَبْجَايَاهُ وَهُوَ أَوْفَرُ وَأَوْفَى .

فَلذَلِكَ نَحْرَجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ

(١) يريد من هولها ولكن السجع أضطرها إلى أن يجارى العوام في لغتهم .



وهذه نسخة منشور، وهي :

الحمد لله على نعمه التي أسنت المواهب ، وأغنت الأولياء بالأيام عن دَوْمِ الدِّيمِ
وسبح السحاب .

نحمده على غرائب الرغائب ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
تتكفل لقائلها ببلوغ المآرب ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أفتخرت
باسمه المناقب ، وانتصرت بعزمه المقانِب ، وقهر بياسه كل جانٍ وعمر بناسه كل
جانِب ، وكشف الله ببركته الأواء ، وغلب بفتكاته الأعداء ، وكيف لا وهو سيّد
لؤي بن غالب . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أذلّ بجهادهم المحارب ، وسلم
تسلية كثيرا .

وبعد ، فإنّ أولى من أعدبنا نَهله ، وأنجحنّا أمّله ، وأجرلنا [له] من هبات
جودنا [وأغدقنا عليه من مَن عطاءنا ورفدنا - من نازل الأعداء يوم الوغى فراح^(١)
إلى أعلامهم فنكسها وإلى أعناقهم فوقصها ، وحكم سيفه في أشلائهم وأرواحهم :
فهذه أقتناها وهذه أقتنصها ، ما فوق يوم الرّوع سهمه إلا أصاب المقاتل ، ولا شمر
سيفه إلا قهر بياسه كل باسل ، ولا سارت عقبان رايته إلى معترك الحرب صُحّي إلا
ظلل بعقبان طير في الدماء نواهل .

ولما كان فلان هو الذي يُشير إليه بنانُ هذا المدح ، ويسير إليه إحسانُ
هذا المنح .

(١) زدنا هذه الكلمات لاحتياج المقام إليها .

(٢) في الأصل "فكصها" وهو لا يفيد ما يريد .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا برحت ظلال كرمه وارفه، وسحاب نعمه
واكفه - أن يُجرى في إقطاعه



وهذه نسخة منشور تصلح لمن مات أبوه، وهي :

الحمد لله الذي جعل سماء كرمنا، على الأولياء هامية السحاب، وعوارف نعمنا،
جميلة العقبي للأعقاب، وعواطف أيماننا الشريفة تجزل العطاء وتجبر المصاب .

نحمده على نعمه التي ما سخنت العيون إلا أقرتها، ولا آكتابت النفوس بملمة إلا
سرتها؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يزال ربح الأئس بها
معمورا، وصدع النفس بها مجبورا؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أصبح
شعث الإيمان به مأموما، وحزب الطغيان به مهزوما، وداء البهتان بجسامه محسوما .
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كان [هو] بدر السيادة وكانوا نجوما ، صلاة
لا يبرح ذكرها في صحائف القبول مرقوما، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من درت أخلاف جودنا خلفه، ورعى كرمنا خدام سلفه ،
ونقلنا هلاله من تقربنا إلى منازل شرفه، وأجراه إحساننا على جميل عوائده، وسوغه
نوالنا أعدب موارده، وجمع له إنعامنا بين طارفه وتالده، من آستمسك من سبب
إخلاصنا بآكده، وحدنا في ولائنا أحسن حدو ولاغرو أن يجحدوا الفتى حدو والده،
وأشتهر بالشهامة التي أغنت بمفردها عن الألوف ، وعريف بالإقدام الذي طالما
فرق الجموع وأخترق الصنفوف، مادنا من الأعداء إلا دنت منهم الحتوف، ولا أظلم
ليل النقع إلا جلته أنجم الصعاد وأهله السيوف .

ولما كان فلان هو الممدوح بجليل هذه الشيم ، والممنوح جزيل هذه النعم ، والشبيهة في مولاتنا بأبيه ومن أشبه أباه فما ظلم .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا برحت سحب كرمه هائلة الأنواء ، شاملة الآباء والأبناء - أن يُجرى في إقطاعه

النوع الثاني

(من المناشير ما يفتتح بـ «أما بعد» ويختص بأمر العشرات ومن في معناهم :

كأمر العشرينات ونحوهم ممن لم يبلغ شأواً الطبائعات)

وهي على ضربين :

الضرب الأول

(في مناشير العشرات كائنًا ذلك الأمير من كان)

وهذه نسخة مناشير من ذلك :

نسخة منشور من ذلك ، وهي :

أما بعد حمد الله على نعمه التي يبديها ويعيدها ، ويفيها ويفيدها ، ويديها على من شكر ويزيدها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نزلت لنصره ملائكة السماء وجنودها ، وأخذت على الإقرار بنبوته مواثيق الأملاك وعهودها ، وعلى آله وصحبه الذين هم أمناء هذه الأمة وشموؤها - فإن أحق من تقلب في إناصنا ، وتقدم في أيامنا ، وتوالت اليه الأؤنا تترى ، وتكررت عليه نعاؤنا مرة بعد أخرى ، من ظهرت آثار خدمته ، وصحت أخبار تجدته ، وشكرت مساعيه الجليله ، ومحمدت

دَوَاعِيهِ الْجَمِيلَةِ ، وَكَانَ لَهُ مِنْ صِفَاتِهِ الْحُسْنَى ، مَا يُبَيِّنُهُ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْأَعْلَى وَمِنَ الْمَطَالِبِ الْأَسْنَى .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ مِّنْ زَانَتِهِ طَاعَتُهُ ، وَقَدَّمَهُ إِقْدَامُهُ وَشِجَاعَتُهُ ، وَشَهِدَتْ لَهُ مَوَاقِفُ الْحُرُوبِ ، أَنَّهُ مُجَلِّي الْكُرُوبِ ، وَأَقْرَبُ لِيَوْمِ الْوَعْدِ ، بِإِبَادَةِ مَنْ بَغَى ، وَكَانَ لَهُ مَعَ الشَّهَامَةِ الرَّأْيِ الثَّاقِبِ ، وَالسَّهْمِ الصَّابِ ، يُصِيبُ وَلَا يُصَابُ ، جَدْعُ الْقَرِيحِ ، رَابِطُ الْجَأَشِ عِنْدَ تَغْيِيرِ الْأَذْهَانِ الصَّحِيحَةِ - أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تُرْفَعَ دَرَجَتُهُ ، وَتُعْلَى رُتْبَتُهُ ، وَيُنْتَظَمَ فِي عَقُودِ الْأَمْرَاءِ ، وَيُسَلِّكَ بِهِ جَادَّةَ الْكِبْرَاءِ ، لِتَرْقِيَهُ فِي دَرَجِ السَّعَادَةِ ، وَتَبْلُغَ بِهِ رُتْبَةَ السِّيَادَةِ .

فَلِذَلِكَ نَحَرَجَ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ - لَا بَرَحَتْ هَامِيَةً غَوَادِي آلَائِهِ ، سَابِغَةً مَلَابِسَ نَعْمَائِهِ - أَنْ يُجْرَى فِي إِقْطَاعِهِ



وهذه نسخة منشور من ذلك، وهي :

أَمَا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعْمَتِهِ الَّتِي فَسَّحَتْ فِي كَرَمِهَا مَجَالَ الْمَطَالِبِ ، وَفَتَّحَتْ لِحَدْمِهَا أَبْوَابَ مُنْجِ الْمَتَارِبِ ، وَحَقَّقَتْ فِي عَوَارِفِهَا آمَالَ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهَا مِنَ الْخِدْمَةِ وَالطَّاعَةِ بِأَنْجِحَ مَا تَقَرَّبَ الرَّاعِبُ إِلَى الرَّغَائِبِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي زَوَى اللَّهُ لَهُ [الْأَرْضَ] لِيَرَى مَا تَنْتَهَى إِلَيْهِ الْكَوَاكِبِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ آسْتَسْهَلُوا فِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ الْمَصَاعِبِ ، وَرَمَى اللَّهُ مِنْ الْحَدِّ فِي دِينِهِ مِنْ سَطَوَاتِهِمْ بَعْدَابٍ وَاصِبٍ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ تَلَقَّتهُ وَجُوهَ النَّعْمِ السَّوَابِرِ ، وَأَسْتَقْبَلَتْهُ نِعَمَ الْعَوَارِفِ الَّتِي هِيَ مِنْ غَيْرِ الْأَكْفَاءِ نَوَافِرِ ، وَأَنْتَهُ السُّعُودِ الْمُقْبِلَةِ ، وَوَأَنْتَهُ الْآلَاءِ الْمُقِيمَةُ وَالْمُسْتَقْبَلَةُ ، مَنْ صَحَّتْ شِجَاعَتُهُ فِي مَوَاقِفِ الْجِهَادِ الْمُدْهِمَةِ ، وَتَمَحَّتْ شَهَامَتُهُ فِي الْوَعْدِ بِجِجَالِ السُّيُوفِ الْمُرْهَفَةِ

عن أحمد . وذهب أبو حنيفة إلى أنه الحلف على الماضي من غير قصد الكذب في يمينه ، مثل أن يظن شيئا فيحلف عليه ؛ وهو الرواية الثانية عن أحمد ، وحكى عن مالك أن هذه هي اليمين الغموس .

الطرف الثاني

(في التحذير من الوقوع في اليمين الغموس)

أما اليمين الغموس فإنها من أعظم الجائر، وناهيك أنها تعمس صاحبها في الإثم . وقد قال تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ . وقال جل وعز : ﴿ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ . وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان » . وقد قيل إن التوحيد (وهو : الذي لا إله إلا هو) إنما أوصل في اليمين رفقاً بالخالف كئى لا يهلك لوقته ، فقد روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : « إذا حلف الخالف بالله الذى لا إله إلا هو ، لم يعاجل لأنه قد وحد الله تعالى » .

ويروى أن جعفر بن محمد عليه السلام : أَدْعَى عَلَيْهِ مَدَّعٍ عِنْدَ قَاضٍ ، فَأَحْلَفَهُ جَعْفَرٌ بِاللَّهِ ، لَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ ، فَهَلَكَ ذَلِكَ الْحَالِفُ لَوَقْتِهِ ، فَقَالَ الْقَاضِي وَمَنْ حَضَرَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : إِنْ يَمِينَهُ بِمَا فِيهِ تَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ وَمَدْحٌ يُؤَخِّرُ الْعُقُوبَةَ كَرَمًا مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ وَتَفَضُّلاً . وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « أَحْلَفُوا الظَّالِمَ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ ، فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِبًا عَوَّجَلٌ » .

ومن غريب ما يحكى في ذلك أن عبد الله بن مصعب الزبيرى سعى يحيى بن عبد الله بن الحسن إلى الرشيد، بعد قيام يحيى بطلب الخلافة، بجمع بينهما وتوافقاً، ونسب يحيى إلى الزبيرى شعراً يقول منه :

قَوْمُوا ببيعَتِكُمْ نَهَضَ بطاعتها * إِنَّ الخِلافةَ فيكم يا بنى حَسَنَ

فأنكر الزبيرى الشعر، فأحلفه يحيى، فقال : قل قد برئت من حول الله وقوته، وأعتصمت بحولى وقوتى، وتقلدت الحول والقوة من دون الله أستجاراً على الله، وأستغناء عنه، وأستعلاءً عليه، فامتنع . فغضب الرشيد وقال : إن كان صادقاً فليحلف، وكان للفضل بن الربيع فيه هوى، فرفسه برجله، وقال : ويحك احلف ! خالف وجهه متغير وهو يرعد، فابرح من موضعه حتى أصابه الجُدَامُ فتقطع ومات بعد ثلاثة أيام، ولما حمل إلى قبره ليوضع فيه أنخسف به حتى غاب عن أعين الناس، وخرجت منه غبرة عظيمة، وجعلوا كلما هالوا عليه التراب أنخسف به فسقفوه وأنصرفوا .

الباب الثاني

من المقالة الثامنة

(في نسخ الأيمان الملوكية، وفيه فصلان)

الفصل الأول

في نسخ الأيمان المتعلقة بالخلفاء، وهي على نوعين

النوع الأول

(في الأيمان التي يُخلف بها على بيعة الخليفة عند مبايعته ،

وهي الأصل في الأيمان الملوكية بأسرها)

وأول من رتبها الحجاج بن يوسف حين أخذه البيعة لعبد الملك بن مروان على أهل العراق، ثم زيد فيها بعد ذلك، وتنقحت في الدولة العباسية وتنضدت . وكان عادتهم فيها أن يجرى القول فيها بكاف الخطاب ، كما في مكاتباتهم يومئذ ، وربما أتى فيها بلفظ المتكلم .

وهذه نسخة يمين أوردتها أبو الحسين الصابي في كتابه "غُرر البلاغة" وهي :

تبايع عبد الله أمير المؤمنين فلاناً : ببيعة طوع وأختيار، وتبرع وإيثار، وإعلان وإسرار، وإظهار وإضمار، وصحة من غير نغل ، وسلامة من غير دغل ؛ وثبات من غير تبديل ، ووفاء من غير تأويل ؛ وأقرار بما فيها من اجتماع الشمل ، واتصال الحبل ، وانتظام الأمور ، وصلاح الجمهور ؛ وحقن الدماء ، وسكون الدهماء ، وسعادة الخاصة والعامة ، وحسن العائدة على أهل الملة والذمة - على أن عبد الله فلاناً

أمير المؤمنين عبد الله الذي أصطفاه ، وأمينة الذي أرتضاه ؛ وحليفته الذي جعل طاعته جاريةً بالحق ، وموجبةً على الخلق ؛ وموردةً لهم مورد الأمن ، وعاقدةً لهم معاقدة اليمن ؛ وولايته مؤذنةً بجميل الصنع ، ومؤديةً لهم إلى جزيل النفع ، وإمامته التي اقترن بها الخير والبركة ، والمصلحة العامة المشتركة ؛ وأمل فيها فجع المُلحد الجاحد ، وردُّ الجائر الجائد ، ووقم العاصي الخالع ، وعطف الغاوي المنازع . وعلى أنك وليُّ أوليائه ، وعدوق أعدائه : من كلِّ داخلٍ في الجملة ، وخارجٍ عن الملة ؛ وعائذٍ بالحوزة ، وحائذٍ عن الدعوه ؛ ومتمسكٍ بما بذلته عن إخلاص من رأيك ، وحقيقته من وفائك ؛ لا تتقصُّ ولا تتكث ، ولا تُخلف ولا تُورى ولا تُحادع ، ولا تُداجى ولا تُحتال ؛ علايتك مثل نيتك ، وقولك مثل طويتك . وعلى أن لا ترجع عن شيء من حقوق هذه البيعة وشروطها على ممر الأيام وتطاولها ، وتغير الأحوال وتقلُّها ، واختلاف الأوقات وتقلُّها . وعلى أنك في كلِّ ذلك من أهل الملة الإسلامية ودعاتها ، وأعوان الملائكة العباسية ورعاتها ، لا يتداخل قولك مواربة ولا مُداهنة ، ولا يعترضه مغالطة ولا يتعقبه مخالفه ؛ ولا تُحبس به أمانه ، ولا تنقله خيانه ؛ حتى تلقى الله تعالى مقبياً على أمرك ، ووفياً بعهدك ؛ إذ كان مباعوا ولاة الأمر وخلفاء الله في الأرض ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

عليك بهذه البيعة التي أعطيت بها صفة يدك ، وأصفيت فيها سريرة قلبك ؛ والتزمت القيام بها ما طال عمرك ، وأمتد أجلك - عهد الله إنَّ عهد الله كان مشئولاً ، وما اخذه على أنبيائه ورسله ، وملائكته وحملة عرشه : من أيَّمانٍ مغلظة وعهود مؤكده ، ومواثيق مشدده ؛ على أنك تسمع وتُصغى ، وتطيع ولا تعصى ؛ وتعتمد

ولا تَمِيد، وَتَسْتَقِيمُ وَلَا تَمِيلُ، وَتَنِيحُ وَلَا تَغْدُرُ، وَتَثْبُتُ وَلَا تَتَغَيَّرُ؛ فَهِيَ زُلَّتْ عَنْ هَذِهِ الْحَجَّةِ خَافِرًا لِأَمَانَتِكَ، وَرَافِعًا لِذِيَانَتِكَ؛ فَجَحَدْتَ اللَّهُ تَعَالَى رُبُوبِيَّتَهُ، وَأُنْكَرْتَ وَحْدَانِيَّتَهُ، وَقَطَعْتَ عِصْمَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ وَجَدَدْتَهَا، وَرَمَيْتَ طَاعَتَهُ وَرَاءَ ظَهْرِكَ وَنَبَذْتَهَا، وَلَقِيتَ اللَّهَ يَوْمَ الْحَشْرِ إِلَيْهِ، وَالْعَرِضَ عَلَيْهِ، مَخَافًا لِأَمْرِهِ، وَنَاقِضًا لِعَهْدِهِ؛ وَمَقِيمًا عَلَى الْإِنْكَارِ لَهُ، وَمُضِرًّا عَلَى الْإِشْرَاقِ بِهِ؛ وَكُلُّ مَا حَلَّلَهُ اللَّهُ لَكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكَ، وَكُلُّ مَا تَمَلِكُهُ يَوْمَ رَجُوعِكَ عَنْ بَدَلِكَ، وَأَرْتَجِعُكَ مَا أَعْطَيْتَهُ فِي قَوْلِكَ:

مِنْ مَالٍ مَوْجُودٍ وَمَذْخُورٍ، وَمَصْنُوعٍ وَمَضْرُوبٍ، وَسَارِحٍ وَمَرْبُوطٍ، وَسَائِمٍ وَمَعْقُولٍ؛ وَأَرْضٍ وَضَيْعَةٍ، وَعَقَارٍ وَعُقْدَةٍ، وَمَمْلُوكٍ وَأَمَةٍ، صَدَقَةً عَلَى الْمَسَاكِينِ، مُحَرَّمَةً عَلَى مَرِّ السِّنِينَ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ أَهْلُكَ تَمَلِكُ شَعْرَهَا وَبَشَرَهَا، وَأُخْرَى تَتَرَوَّجُهَا مِنْ بَعْدِهَا طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَانًا، طَلَاقِ الْحَرْجِ وَالسَّنَةِ، لَا رَجْعَةَ فِيهَا وَلَا مَشْوِيَّةً؛ وَعَلَيْكَ الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ الَّذِي بِمَكَّةَ ثَلَاثِينَ دَفْعَةً حَاسِرًا حَافِيًا، وَرَاجِلًا مَاشِيًا، نَذْرًا لِأَزْمَا، وَوَعْدًا صَادِقًا؛ لَا يُبْرَأُكَ مِنْهَا إِلَّا الْقَضَاءُ لَهَا، وَالْوَفَاءُ بِهَا؛ وَلَا قَبِيلَ مِنْكَ تَوْبَةٌ وَلَا رَجْعَةٌ، وَلَا أَقَالِكَ عَثْرَةً وَلَا صَرَعَةً؛ وَخَدَّكَ يَوْمَ الْأَسْتِنْصَارِ بِجَوْلِهِ، وَأَسْلَمَكَ عِنْدَ الْأَعْتِصَامِ بِجَبَلِهِ؛ وَهَذِهِ الْيَمِينُ قَوْلُكَ قَلْتَهَا قَوْلًا فَصِيحًا، وَسَرَدْتَهَا سَرْدًا صَرِيحًا؛ وَأَخْلَصْتَ فِيهَا سِرَّكَ إِخْلَاصًا مُبِينًا، وَصَدَقْتَ بِهَا عَزْمَكَ صِدْقًا يَقِينًا؛ وَالنِّيَّةُ فِيهَا نِيَّةُ فُلَانٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ نِيَّتِكَ، وَالطَّوِيَّةُ دُونَ طَوِيَّتِكَ؛ وَأَشْهَدْتَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِكَ بِذَلِكَ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظًا وَرَقِيبًا.



وهذه نسخة يمين بيعة أوردتها ابن حمدون في "تذكرة" وأبو الحسن بن سعد في "ترسله"؛ تواردت مع البيعة السابقة وأيمانها في بعض الألفاظ، وخالفت في أكثرها، وهي:

تُبَاعِ الإمام أمير المؤمنين بِيَعَةِ طَوْعٍ وَإِثَارٍ، وَرِضًا وَأَخْتِيَارًا، وَأَعْتِقَادٍ وَإِضْمَارًا،
وإِعْلَانٍ وَإِسْرَارًا، وَإِخْلَاصٍ مِنْ طَوِيَّتِكَ، وَصِدْقٍ مِنْ نَيْتِكَ، وَأَنْشِرَاحِ صَدْرِكَ
وَصِحَّةِ عَزْمِيَّتِكَ، طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ، وَمُتَقَادًا غَيْرَ مُجْبَرٍ، مُقَرَّرًا بِفَضْلِهَا، مُدْعِنًا بِحَقِّهَا،
مُعْتَرِفًا بِرِكَتِهَا، وَمُعْتَدًّا بِحُسْنِ عَائِدَتِهَا، وَعَالِمًا بِمَا فِيهَا، وَفِي تَوْكِيدِهَا مِنْ صَالِحِ
الكَافَّةِ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَلَمْ الشَّعْتِ، وَأَمِنَ الْعَوَاقِبِ، وَسَكُونِ
الدَّهْمَاءِ، وَعِزِّ الْأَوْلِيَاءِ، وَقَفْعِ الْأَعْدَاءِ - عَلِيٌّ أَنْ فَلَانًا عَبْدُ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ، وَالْمَفْتَرَضِ
عَلَيْكَ طَاعَتِهِ، وَالوَاجِبِ عَلَى الْأُمَّةِ إِقَامَتِهِ وَوِلَايَتِهِ، الْأَلْزِمِ لَهُمُ التَّيَامُ بِحَقِّهِ، وَالْوَفَاءِ
بِعَهْدِهِ، لَا تُشْكُ فِيهِ، وَلَا تَرْتَابُ بِهِ، وَلَا تُدَاهِنِ فِي أَمْرِهِ وَلَا تَمِيلُ بِهِ، وَأَنْكَ وَلِيٌّ وَلِيَّهُ،
وَعَدُوٌّ عَدُوٌّ: مِنْ خَاصٍّ وَعَامٍّ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ، وَحَاضِرٍ وَغَائِبٍ، مُتَمَسِّكٌ فِي بَيْعَتِهِ
بِوَفَاءِ الْعَهْدِ، وَذِمَّةِ الْعَقْدِ، سَرِيرَتِكَ مِثْلَ عَلَانِيَّتِكَ، وَظَاهِرِكَ فِيهِ مِثْلَ بَاطِنِكَ،
وَبَاطِنِكَ فِيهِ وَفَقِ ظَاهِرِكَ. عَلِيٌّ أَنْ إِعْطَاكَ اللَّهُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ مِنْ نَفْسِكَ، وَتَوْكِيدَكَ
إِيَّاهَا فِي عُنُقِكَ، لِفَلَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ سَلَامَةٍ مِنْ قَلْبِكَ، وَأَسْتِقَامَةٍ مِنْ عَزْمِكَ،
وَأَسْتِمْرَارٍ مِنْ هَوَاكَ وَرَأْيِكَ. عَلِيٌّ أَنْ لَا تَتَأَوَّلَ عَلَيْهِ فِيهَا، وَلَا تَسْعَى فِي تَقْضِي شَيْءٍ
مِنْهَا، وَلَا تَقْعُدَ عَنْ نُصْرَتِهِ فِي الرَّخَاءِ وَالشَّدَّةِ، وَلَا تَدْعَ النَّصْرَ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ رَاهِنَةٍ
وَحَادِثَةٍ، حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى مُوْفِيًا بِهَا، مُؤَدِّيًا لِلْأَمَانَةِ فِيهَا إِذْ كَانَ الَّذِينَ يَبَايَعُونَ
وَلَاةَ الْأَمْرِ وَخُلَفَاءَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ
فَأِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾.

عليك بهذه البيعة التي طوقتها عنقك، وبسطت لها يدك، وأعطيت بها صفقتك،
وما شرط فيها من وفاء وموالاتة، ونصح ومشايعة، وطاعة وموافقة، واجتهاد
ومبالغة - عهد الله إن عهد الله كان مسئولا، وما أخذ الله على أنبيائه ورسله عليهم

السلام، وأخذ على عباده من وكيدات موثيقه، ومحكات عهديه؛ وعلى أن
تتمسك بها ولا تبدل، وتستقيم ولا تميل .

وإن نكثت هذه البيعة، أو بدلت شرطاً من شروطها، أو عفتت رسماً من
رسومها، أو غيرت حكماً من أحكامها، مُعلناً أو مُسراً، أو محتالاً أو متاولاً، أو زغت
عن السبيل التي يسلكها من لا يخفر الأمانه، ولا يستحل الغدر والخيانة؛ ولا يستجيز
حل العقود - فكل ما تملكه من عين أو ورق أو آنية أو عقار أو زرع أو ضرع
أو غير ذلك من صنوف الأملاك المعتقده، والأموال المدخرة، صدقة على المساكين،
محرمة عليك أن ترجع من ذلك، إلى شيء من مالك، بحيلة من الحيل، على وجه
من الوجوه وسبب من الأسباب، أو مخرج من مخرج الأيمان؛ وكل ما تُفديه
في بقية عمرك: من مال يقل خطره أو يحل، فذلك سبيله إلى أن تتوفك منبتك،
ويأتيك أجلك . وكل مملوك لك اليوم أو تملكه إلى آخر أيامك أحرار سائون
لوجه الله تعالى، ونسأؤك يوم يلزمك الحنث، ومن تترج بعدهن مدة بقائك
طوالق ثلاثاً بتاتاً، طلاق الحرج والسنة، لا مثنوية فيها ولا رجعة، عليك المشي
إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة حافية حاسراً راجلاً، لا يرضى الله منك إلا
بالوفاء بها، ولا يقبل الله منك صرفاً ولا عدلاً، وخذلك يوم تحتاج إليه، وبرآك
الله من حوله وقوته، وأجأك إلى حوئك وقوتك، والله تعالى بذلك شهيد
﴿ وكفى بالله شهيداً ﴾ .

(١) أى التي اعتقدها صاحبها ملكاً، انظر القاموس .

الضرب الثاني

(الأيمن التي يُحلفُ بها بالخلفاء)

وقلّ من تعرّض لها القلّة وقوعها ، إذ الخليفة قلماً يُحلفُ : لعلو رتبته ، وأرتفاع محله . ومدار تحليف الخلفاء بعد القسم بالله على التعليق بوقوع المحذور عليهم ، ولزومه لهم ، مثل البراءة من الخلافة والانخلاع منها ، وما يجرى مجرى ذلك . ولم أقف على ذلك إلا في ترسل الصّابي ، وذلك حين كان الأمر معدّوقاً بالخلفاء .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة الثامنة

(في نسخ الأيمان المتعلقة بالملوك ، وفيه خمسة مهائج)

المهيج الأول

(في بيان الأيمان التي يُحلفُ بها المسلمون ، وهي على نوعين)

النوع الأول

(من الأيمان التي يُحلفُ بها المسلمون أيماناً أهل السنة)

وهي الأيمان العامة التي يُحلفُ بها أهل الدولة : من الأمراء والوزراء والنواب ، ومن يجرى مجراهم .

وهذه نسخة يمينٍ أوردتها في "التعريف" وهي :

أقول وأنا فلان : واللهُ واللهِ واللهِ ، وباللهِ وباللهِ وباللهِ ، وتاللهِ وتاللهِ وتاللهِ ، والله العظيم الذي لا إلهَ إلا هو ، الباريُّ الرحمنُ الرحيمُ ، عالمُ الغيبِ والشهادة ، والسرِّ

والعلانية، وما تُخفي الصدور؛ القائم على كل نفس بما كسبت، والمجازي لها بما عملت . وحق جلال الله، وقدره الله، وعظمة الله، وكبرياء الله، وسائر أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا إنني من وقفي هذا، وما مد الله في عمري، قد أخلصت نيتي، ولا أزال مجتهداً في إخلاصها، وأصفت طوبيتي، ولا أزال مجتهداً في إصفاها، في طاعة مولانا السلطان فلان الفلاني - خلد الله ملكه - وخدمته ومحبتته، وأمثاله مراسيمه، والعمل بأوامره . وإنني والله العظيم [حرب لمن حاربه، سلم لمن سلمه، عدو لمن عاداه؛ ولي لمن وآاه من سائر الناس أجمعين . وإنني والله العظيم] لا أضمر لمولانا السلطان فلان سوءاً ولا غدرًا، ولا خديعةً ولا مكراً، ولا خيانةً في نفسي ولا مال، ولا ساطنة، ولا قلاع ولا حصون، [ولا بلاد ولا غير ذلك] ولا أسعى في تفريق كلمة أحد من أمرائه، ولا بماليكه، ولا عساكره، ولا أجناده، ولا عمرانه ولا تُركانه ولا أكراده، ولا أستماله طائفة منهم لغيره، ولا أوافق على ذلك بقول ولا فعل ولا نية ولا بمكاتبة [ولا مراسلة]، ولا إشارة ولا رمي، ولا كناية ولا تصريح . وإن جاني كتاب من أحد من خلق الله تعالى بما فيه مضرّة على مولانا السلطان أو أهل دولته لا أعمل به، ولا أضغى إليه، وأحمل الكتاب إلى ما بين يديه الشريفتين هو ومن أحضره إن قدرت على إمساكه .

وإنني والله العظيم أفي لمولانا السلطان بهذه اليمين من أولها إلى آخرها، لا أتقضاها ولا شيئاً منها، ولا أستثنى فيها ولا في شيء منها، ولا أخالف شرطاً من شروطها؛ ومتى خالفها أو شيئاً منها، أو تقضتها أو شيئاً منها، أو استثنيت فيها أو في شيء منها طلباً لتقضها، فكل ما أملكه : من صاميت وناطق صدقة على الفقراء والمساكين،

وَكُلُّ زَوْجَةٍ فِي عَقْدِ نِكَاحِهِ أَوْ يَتَرَوَّجُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَهِيَ طَالِقٌ [ثَلَاثًا بَتَانًا عَلَى سَائِرِ الْمَذَاهِبِ] ^(١) ، وَكُلُّ عَيْبِدَى وَإِمَائِي أَحْرَارٌ لَوَجَّهَ اللَّهُ ، وَعَلَيْهِ الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ الْمُعَظَّمَةِ ، وَالْوَقُوفُ بِعَرَفَةَ ثَلَاثِينَ حَجَّةً مُتَوَالِيَاتٍ مُتَابِعَاتٍ كَوَامِلٍ ، حَافِيًا مَاشِيًا ، وَعَلَيْهِ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ إِلَّا الْمُنْهَى عَنْهُ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُفَكَّ أَلْفَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ أَسْرِ الْكُفَّارِ ، وَيَكُونُ بَرِيئًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ إِنْ خَالَفتْ هَذِهِ الْيَمِينَ أَوْ شَرَطًا مِنْ شُرُوطِهَا .

وهذه اليمينُ يميني وأنا فلان، والنيةُ فيها بأسرها نيةُ مولانا السلطان فلان، ونيةُ مُسْتَحْلِيٍّ لَهُ بِهَا ، لَا نِيَّةَ لِي فِي بَاطِنِي وَظَاهِرِي [سواها] ، أَشْهَدُ اللَّهُ عَلَيَّ بِذَلِكَ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا أَقُولُ وَيَكِلُ .

قلتُ : عَجِيبٌ مِنَ الْمُقَرَّرِ الشَّهَائِدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا أَتَى بِهِ فِي نُسخَةِ هَذِهِ الْيَمِينِ ، فَإِنَّهُ أَتَى بِهَا بِلَفْظِ التَّكْلِيمِ إِلَى قَوْلِهِ : « وَكُلُّ زَوْجَةٍ » فَعَدَلَ عَنِ التَّكْلِيمِ إِلَى الْغَيْبَةِ ، وَقَالَ فِي نِكَاحِهِ ، وَكَذَلِكَ مَا بَعْدَهُ إِلَى قَوْلِهِ « مِنْ أَسْرِ الْكُفَّارِ وَيَكُونُ بَرِيئًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ خَالَفتْ هَذِهِ الْيَمِينِ » وَأَتَى بِصِيغَةِ التَّكْلِيمِ إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ . فَإِنْ كَانَ قَرَأَ فِي قَوْلِهِ : وَكُلُّ زَوْجَةٍ فِي نِكَاحِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقُولَ فِي نِكَاحِي فَتَنَطَّلَقَ زَوْجَتُهُ هُوَ ، فَلَا وَجْهَ لَهُ : لِأَنَّ الْحَاكِمِيَّ لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الطَّلَاقُ ، وَكَذَا مَا بَعْدَهُ مِنَ الْعِتْقِ وَغَيْرِهِ .

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ قَوْلُهُ : وَيَكُونُ بَرِيئًا مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ إِنْ خَالَفتْ ، بِجَمْعِ بَيْنِ الْغَيْبَةِ وَالتَّكْلِيمِ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ ! ! . عَلَى أَنْ مَا ذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْغَيْبَةِ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا سَطَّرَهُ فِي النُّسخَةِ . أَمَا إِذَا كُتِبَتْ الْيَمِينُ

(١) الزيادة من "التعريف" صفحة ١٤٧ .

التي يُخَلِّفُ بها ، فإنها لا تكونُ في الجميع إلا بلفظ التكلم ، فما المعنى في أنه خاف من الوقوع في المحذور عند حكاية القول ، ولم يخف مثل ذلك فيما يكتبه في نفس أيمن ؟ .

وقد ذكر صاحبُ "التثقيف" جميع ذلك بلفظ التكلم ، مع المخالفة في بعض الألفاظ وزيادة ونقص فيها .

وهذه نسختها ، وهي :

أقول وأنا فلانُ بن فلان : والله والله والله ، وبالله وبالله وبالله ، وتالله وتالله وتالله ، والله الذي لا إله إلا هو ، الباريُّ الرحمن الرحيمُ ، عالمُ الغيب والشهادة ، والسر والعلانية ، وما تُخفي الصدور ؛ القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسبت ، والمجازي لها بما احتسبت . وحقُّ جلال الله ، وعظمة الله ، وقُدرة الله ، وكبرياء الله ، وسائر أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلىا ، وحقُّ هذا القرآن الكريم ومن أنزله ، ومن أنزل عليه - إني من وقَّي هذا ، ومن ساعَى هذه ، وما مدَّ الله في عمري قد أخلصتُ نيتي ، ولا أزال مجتهداً في إخلاصها ، وأصفيتُ طوبىي ، ولا أزال مجتهداً في إصفاها - في طاعة السُّلطانِ الملكِ الفلانيِّ ، فلانِ الدنيا والدِّينِ فلان - خَلدَ اللهُ مُلكه - وفي خِدْمَتِهِ وَحَبَّتِهِ وَنُصْحِهِ ، وأكونُ ولياً لمن والاه ، عدواً لمن عاداه ، سائماً لمن سالمه ، حرباً لمن حاربه : من سائر الناس أجمعين ؛ لا أضمرُ له سوءاً ولا مكرأً ، ولا خديعةً ولا خيانةً في نفسٍ ، ولا مالٍ ، ولا مُلكٍ ، ولا سُلْطَنَةٍ ، ولا عَسَاكراً ، ولا أجنادٍ ، ولا عُربانٍ ، ولا تُرُكْمانٍ ، ولا أكرادٍ ، ولا غير ذلك ؛ ولا أسعى في تفریق كلمةٍ أحدٍ منهم عن طاعته الشريفة . وإني والله العظيم أبذلُ جهدي وطاقتي في طاعة مولانا السلطان الملك الفلانيِّ ، فلانِ الدنيا والدِّينِ المشار إليه . وإن كاتبني أحدٌ من سائر الناس أجمعين بما فيه مَضَرَّةٌ على مُلكه لا أوافقُ على ذلك بقولٍ

ولا فعيل ولا نية ؛ وإن قدرت على إمساك الذي جاءني بالكتاب أمسكته ،
وأحضرتُه لمولانا السلطان الملك الفلاني المشار إليه ، أو النائب القريب مني .
وإنني والله العظيم أفني لمولانا السلطان المشار إليه بهذه اليمين من أولها إلى آخرها ،
لا أستثنى فيها ولا في شيء منها ، ولا أستفتي فيها ولا في شيء منها . وإن خالفتها
أو شيئاً منها ، أو استثنيت منها ، أو استفتيت طلباً لتقصها أو نقض شيء منها ،
فيكون كل ما أملكه من صاميت وناطق صدقة على الفقراء والمساكين من المسلمين ؛
وتكون كل زوجة في عقد نكاحي أو أتزوجها في المستقبل طالقاً ثلاثاً بتاتاً على سائر
المذاهب ، وتكون كل أمة أو مملوك في ملكي الآن أو أملكه في المستقبل أحراراً
لوجه الله تعالى ؛ ويلزمني ثلاثون حجة متواليات متابعات ، حافياً حاسراً ؛ وعلى
صوم الدهر بمجلبته إلا الأيام المنهي عن صومها .

وهذه اليمين يميني ، وأنا فلان بن فلان ، والنية في هذه اليمين بأسرها نية مولانا
السلطان الملك الفلاني المشار إليه ، ونية مستحلفي له بها ، لانية لي في غيرها ،
ولا قصد لي في باطني وظاهري سواها . أشهد الله على ذلك ، وكفى بالله شهيداً ،
والله على ما أقول وكيل .

قلت : وربما كان للسلطان ولي عهد بالسلطنة فيقع التحليف للسلطان ولولده
جميعاً ، وهي على نحو ما تقدم ، لا يتغير فيها إلا نقل الضمير من الأفراد إلى التثنية .



وهذه نسخة يمين حلف عليها العساكر للسلطان الملك المنصور "قلاوون" في سنة
ثمان وسبعين وستائة له ولولده ولي عهده الملك الصالح علاء الدين "علي" ، وأوردتها
أبن المكرم في تذكرته ، وهي :

وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ ، وَبِاللَّهِ وَبِاللَّهِ وَبِاللَّهِ ، وَتَاللَّهِ وَتَاللَّهِ وَتَاللَّهِ ، وَاللَّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، الطَّالِبُ الْغَالِبُ ، الْمُدْرِكُ الْمُهْلِكُ ، الضَّارُّ النَّافِعُ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَالسَّرُّ وَالْعَلَانِيَةُ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَالْمُجَازِي لَهَا بِمَا أَحْتَقَبَتْ . وَحَقَّ جَلَالِ اللَّهِ ، وَعِزَّةِ اللَّهِ ، وَعِزَّةِ اللَّهِ ، وَعِزَّةِ اللَّهِ ، وَسَائِرُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنِيَّ ، وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا - إِنِّي مِنْ وَقْتِي هَذَا ، وَمِنْ سَاعَتِي هَذِهِ ، وَمَا مَدَّ اللَّهُ فِي عُمْرِي قَدْ أَخْلَصْتُ النَّيَّةَ ، وَلَا أَزَالُ مُجْتَهِدًا فِي إِخْلَاصِهَا ، وَأُضْفِيَتْ طَوِيقِي وَلَا أَزَالُ مُجْتَهِدًا فِي إِصْفَائِهَا ، فِي طَاعَةِ السُّلْطَانِ فَلَانٍ ، وَطَاعَةِ وَلَدِهِ وَلِيِّ عَهْدِهِ فَلَانٍ ، وَخِدْمَتِهِمَا وَمُؤَالَاتِهِمَا ، وَأَمْتَالِ مَرَاتِمِهِمَا ، وَالْعَمَلِ بِأَمْرِهِمَا . وَإِنِّي وَاللَّهِ الْعَظِيمِ حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمَا ، سَلْمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمَا ، عَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمَا ، وَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاهُمَا . وَإِنِّي وَاللَّهِ الْعَظِيمِ لَا أَسْعَى فِي أَمْرٍ فِيهِ مَضَرَّةٌ عَلَى مَوْلَانَا السُّلْطَانِ ، وَلَا فِي مَضَرَّةٍ وَلَدِهِ ، فِي نَفْسٍ وَلَا سُلْطَنَةٍ ، وَلَا أَسْتِمَالَةٍ لغيرِهِمَا ، وَلَا أُوَافِقُ أَحَدًا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ ، وَلَا مَكَاتِبَةٍ وَلَا مُشَافَهَةٍ ، وَلَا مُرَاسَلَةٍ ، وَلَا تَصْرِيحٍ . وَإِنِّي وَاللَّهِ الْعَظِيمِ لَا أَدْحُرُّ عَنِ السُّلْطَانِ وَلَا عَنِ وَلَدِهِ نَصِيحَةً فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ مُلْكِهِمَا الشَّرِيفِ ، وَلَا أَخْفِيهَا عَنْ أَحَدِهِمَا ، وَأَنْ أَعْلِمَهُ بِهَا فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ يُمْكِنُنِي الْإِعْلَامُ لَهُ بِهَا ، أَوْ أَعْلِمَ مِنْ يُعْلِمُهُ بِهَا ، وَأَنْ أَلْخُ ... (١)

(١) كذا في الأصل ولعله ترك الباقي اتكالا على ما سبق في الأيمان قبله .

النوع الثاني

(من الأيمان التي يُحَلِّفُ بها المسلمون أيمانُ أهلِ البِدْعِ .
والذين منهم بهذه المملكةِ ثلاثُ طوائفِ)

الطائفة الأولى

(الخوارجُ)

وَهُمْ قَوْمٌ مِمَّنْ كَانُوا مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حَمَلُوهُ عَلَى أَنْ رَضِيَ بِالْتَّحْكِيمِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُعَاوِيَةَ ، وَأَشَارُوا بِإِقَامَةِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ حَكَمًا عَنْ عَلِيٍّ ، وَإِقَامَةِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ حَكَمًا عَنْ مُعَاوِيَةَ ، نَخَّدَعُ عَمْرٍو أَبَا مُوسَى : بِأَنْ أَتَّفَقَ مَعَهُ عَلِيٌّ أَنْ يَخْلَعَا عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ جَمِيعًا ، وَيُقِيمَ الْمُسْلِمُونَ لَهُمْ خَلِيفَةً يَخْتَارُونَهُ ، فَتَقَدَّمَ أَبُو مُوسَى وَأَشْهَدَ مَنْ حَضَرَ أَنَّهُ خَلَعَهُمَا ، فَوَافَقَ عَمْرٍو عَلَى خَلْعِ عَلِيٍّ ، وَلَمْ يَخْلَعْ مُعَاوِيَةَ ، وَبَقِيَ الْأَمْرُ لِمُعَاوِيَةَ . فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ حِينَئِذٍ ، وَرَفَضُوا التَّحْكِيمَ ، وَمَنْعُوا حُكْمَهُ ، وَكَفَرُوا عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا بِصَفِيٍّ ، وَقَالُوا : لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَخَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ ، فَسُمُّوا الْخَوَارِجَ ، ثُمَّ فَارَقُوهُ وَذَهَبُوا إِلَى النَّهْرَوَانِ فَأَقَامُوا هُنَاكَ ، وَكَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ غَوَّاءَ لَا رَأْسَ لَهُمْ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَاتَلَهُمْ ، فَلَمْ يُقْلِتْ سِوَى تِسْعَةِ أَنْفُسٍ : ذَهَبَ مِنْهُمْ اثْنَانِ إِلَى عُثْمَانَ ، وَاثْنَانِ إِلَى كُرْمَانَ ، وَاثْنَانِ إِلَى بَيْحِسْتَانَ ، وَاثْنَانِ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَوَاحِدٌ إِلَى الْيَمَنِ ، فَظَهَرَتْ بِدْعَتُهُمْ بِتِلْكَ الْبِلَادِ وَبَقِيَتْ بِهَا .

ثُمَّ مِنْ مَدْهَبِهِمْ مَنَعَ التَّحْكِيمَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، وَتَخَطَّطُ عَلِيٌّ وَأَصْحَابِيهِ ، وَمُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِيهِ بِصَفِيٍّ فِي أَعْتَادِهِمْ إِيَّاهُ ، بَلْ تَكْفِيرُهُمْ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، وَمِنْهَا أَمْتِنَاعُ ذَلِكَ عَنْ رِضَا أَصْلًا (٩) وَأَنَّهُمْ يَمْنَعُونَ التَّأْوِيلَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : إِنَّ سُورَةَ

يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامَ لَيْسَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنَّمَا هِيَ قِصَّةٌ مِنَ الْقِصَصِ، وَمَنْ
أَدْخَلَهَا فِي الْقُرْآنِ فَقَدْ زَادَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، عَلَى مَا سَيَأْتِي ذِكْرَهُ. وَيَقُولُونَ:
إِنَّ إِمَارَةَ بَنِي أُمَيَّةٍ كَانَتْ ظُلْمًا، وَإِنَّ قَضَاءَهُمُ الَّذِي رَتَّبُوهُ عَلَى التَّحْكِيمِ بَاطِلٌ.
وَيَذْهَبُونَ إِلَى تَحْطِئَةِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فِيمَا اتَّفَقَا عَلَيْهِ عِنْدَ
تَحْكِيمِهِمَا، وَيُسْتَعْنُونَ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ، وَيَقُولُونَ: اسْتَبَاحُوا الْفُرُوجَ وَالْأَمْوَالَ
بِغَيْرِ حَقٍّ.

ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِالْكَبَائِرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِالْإِصْرَارِ عَلَى الصَّغَائِرِ بِخِلَافِ الْكِبَائِرِ
مِنْ غَيْرِ إِصْرَارٍ عَلَى مَا يَأْتِي ذِكْرَهُ. وَيَصُوبُونَ فَعْلَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمٍ فِي قَتْلِهِ عَلِيًّا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ، لَا سِوَى مَنْ ذَهَبَ مِنَ الشَّيْعَةِ إِلَى
أَنَّ ذَلِكَ كُفْرٌ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ شَاعِرُهُمْ:

يَا ضَرْبَةً مِنْ وَلِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا * إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا

إِنِّي لَأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسَبُهُ * أَوْفَى الْخَلِيقَةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا

وَكَذَلِكَ يَصُوبُونَ فِعْلَ عَمْرٍو بْنِ بَكْرِ الْخَارِجِيِّ فِي قَتْلِ خَارِجَةَ بْنِ أَبِي حَبِيبَةَ صَاحِبِ
شُرْطَةِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ بِمَضْرٍ، حِينَ قَتَلَهُ عَلَى ظَنِّ أَنَّهُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ، لَمَّا لَمْ
عِنْدَهُ مِنَ الْإِحْنِ وَالضَّغَائِنِ. وَأَنْهُمْ يَصُوبُونَ فِعْلَ قَطَامِ زَوْجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمٍ
فِي وَأَنْهُمْ يَسْتَعْظَمُونَ خَلْعَ طَاعَةِ رُءُوسِهِمْ، وَأَنْهُمْ يُجَوِّزُونَ كَوْنَ الْإِمَامِ غَيْرِ

(١) فِي الْمَلَلِ ص ٦٩ "مَنْ مَنِيْب" وَفِي كَامِلِ ابْنِ الْأَثِيرِ ج ٣ ص ١٧١ «مَنْ شَقِيَ».

(٢) فِي الْأَصْلِ حَنِيفَةٌ وَهِيَ تَصْجِيفٌ وَالتَّصْحِيحُ مِنْ كَامِلِ ابْنِ الْأَثِيرِ ج ٣ ص ١٧٠.

(٣) بِيَاضٍ بِالْأَصُولِ وَلَعَلَهُ «فِي اشْتِرَاطِهَا عَلَى ابْنِ مُلْجَمٍ حِينَ خَطَبَهَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقِيْنَةً وَقَتْلَ عَلِيٍّ»

أَنْظَرَ كَامِلُ ابْنِ الْأَثِيرِ ج ٣ ص ١٦٨ وَ ١٦٩.

قُرَيْشِيٌّ ، بَلْ هُمْ يَجُوزُونَ إِمَامَةَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ جَمِيعًا ، وَيَنْسُبُونَ مِنْ خَالِفِهِمْ إِلَى الْخَطِإِ ، وَيَسْتَبِيحُونَ دِمَاءَهُمْ بِمُقْتَضَىٰ ذَلِكَ .

واعلم أن ما تقدم ذكره من معتقدات الخوارج هو مُقْتَضَىٰ ما رتبته من يمينهم في "التعريف" على ماسياتي ذكره . على أن بعض هذه المعتقدات يختص بها بعض فرق الخوارج دون بعض على ماسياتي بيانه ، ولكل منهم معتقدات أخرى تزيد على ما تقدم ذكره .

وهنا أذكر بعض فرقهم ، وبعض ما اختلفت [به] كل فرقة منهم ، ليبيّن على ذلك من أراد ترتيب يمين لفرقة منهم :

فمنهم الحَكَمَةُ - وهم الذين ينعون التحكيم .

ومنهم الأزارقة - وهم أتباع نافع بن الأزرق ، وهم الذين خرجوا بفارس وكرمان أيام ابن الزبير ، وقتلهم المهلب بن أبي صفرة ، وهم الذين يكفرون علياً مع جمع من الصحابة ، ويصوبون فعل ابن ملجم ، ويكفرون القعدة عن القتال مع الإمام وإن قاتل أهل دينه ، ويبيحون قتل أطفال المخالفين ونساءهم ، ويسقطون الرجم عن الزاني المحصن ، وحدّ القذف عن قاذف الرجل المحصن دون قاذف المرأة المحصنة ، ويخرجون أصحاب الكباير عن الإسلام ، ويقولون : التقيّة غير جائزة .

ومنهم النجدات - وهم أصحاب نجدة بن عامر ، يكفرون بالإصرار على الصغائر دون فعل الكباير من غير إصرار ، ويستحلّون دماء أهل العهد والذمة وأموالهم في دار التقيّة ، ويتبرّعون ممن حرّمها .

ومنهم البيهسية - وهم أصحاب أبي بهس بن خالد، يرون أنه لآحرام إلا ما وقع عليه النص بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية . ويكفرون الرعية بكفر الإمام .

ومنهم المعجزة - وهم الذين ينكرون كون سورة يوسف من القرآن ، ويقولون : إنما هي قصة من القصص ، ويوجبون التبري من الطفل فإذا بلغ دعي إلى الإسلام .

ومنهم الميمونية - وهم فرقة يقولون : إن الله تعالى يريد الخير دون الشر ، ويحوزون نكاح بنات البنات وبنات أولاد الإخوة والأخوات .

ومنهم الإباضية - يرون أن مرتكب الكبيرة كافر للنعمة لأشرك ، ويرون أن دار مخالفهم من المساميين دار توحيد ، ودار السلطان منهم دار بغي .

ومنهم الثعالبة - يرون ولاية الطفل حتى يظهر عليه إنكار الحق فيتبرءون منه .

ومنهم الصفرية - يرون أن ما كان من الجائر فيه حد كالزنا لا يكفر به ، وما كان منها ليس فيه حد : كتترك الصلاة يكفر به .

وكان الذي أورده في "التعريف" متفق عليه عندهم ، أو هو قول أكثرهم فاكنتى به .

وقد رتب في "التعريف" تخليفهم على مقتضى ما ذكره من اعتقادهم فقال :

وَأَيَّمَانُهُمْ أَيْمَانُ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَيَزَادُ فِيهَا : وَإِلَّا أَبْجَزْتُ التَّحْكِيمَ ، وَصَوَّبْتُ قَوْلَ الصَّرِيقَيْنِ فِي صِفَتَيْنِ ، وَأَطَعْتُ بِالرِّضَا مَنْ حَكَمَ أَهْلَ الْجَوْرِ ، وَقُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ

(١) كذا بالأصول ، والذي في "القاموس" و"الملل والنحل" للشهرستاني أن أبا بهس اسمه "الهيصم ابن جابر" ولعل ما في الأصول تصحيف .

بالتأويل : وأدخلت في القرآن ما ليس منه . وقلت : إن إمارة بنى أمية عدلٌ ، وإن قضاءهم حقٌ ، وإن عمرو بن العاص أصاب ، وإن أبا موسى ما أخطأ ، وأسْتَبَحْتُ الأموال والفروج بغير حق ، وأجترحتُ الكبائر والصغائر ، ولقيتُ الله مثقلاً بالأوزار ، وقلت : إن فعلة عبد الرحمن بن ملجم كُفِرَ ، [وإن قاتل خارجة آثم ، وبرئت من فعلة قطام ^(١)] وخلعت طاعة الرؤوس ، وأنكرت أن تكون انخلافة إلا في قریش ، وإلا فلا رويت سيني ورُحِي من دماء الخُطيين .

الطائفة الثانية (الشَّيْمَةُ)

وهم الذين شايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقالوا بإمامته وخلافته : نصاً ووصايةً : [إماماً] جليلاً أو خفياً ، وإن الامامة لا تخرج عنه وعن بيته إلا بظلم من غير ذلك الإمام ، أو بتقية منه لغيره .

قال الشهرستاني في " النحل والملل " : ويجمعهم القول بوجوب التعيين للأمام والتنصيب عليه ممن قبله ، وثبوت عصمة الأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر ، والقول بالتولي للأئمة والتبري من غيرهم .

وقال في " التعريف " : يجمعهم حبُّ علي رضي الله عنه ، وتختلف فرقتهم فيمن سواه .

فأما مع إجماعهم على حبه فهم مختلفون في اعتقادهم فيه ، فمنهم أهل غلو مفرط وعوزائد : ففهم من أدى به الغلو إلى أن اتخذ علياً الهاً وهم النصيرية . قال : ومنهم

(١) الزيادة من " التعريف " ص ١٦٢ .

(٢) عبارة الشهرستاني « بظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده » وهي أوضح .

من قال : إنه النبي المرسل وإن جبريل غلط . ومنهم من قال : إنه شريك في النبوة والرسالة . ومنهم من قال : إنه وصي النبوة بالنص الجلي ، ثم تخالفوا في الإمامة بعده وأجمعوا بعده على الحسن ثم الحسين . وقالت فرقة منهم : وبعدهما محمد بن الحنفية .

ثم قد ذكر في "التعريف" أن الموجود من الشيعة في هذه المملكة خمس فرق :

الفرقة الأولى

(الزيدية)

وهم القائلون بإمامة زيد بن علي بن الحسين السبط ، ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو الذي رأسه مدفون بالمشهد الذي بين كيان مصر ، جنوبي الجامع الطولوني ، المعروف بمشهد الرأس ، فيما ذكره القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر في خطط القاهرة . قال في "التعريف" : وهم أقرب القوم إلى القصد الأمم . قال : ولهم إمام باقي اليمن إلى الآن ، وصنعاء داره ، وأمرأ مكة المعظمة منهم . ثم قال : وحدثني مبارك بن عطيفة بن أبي نمي : أنهم لا يدينون إلا بطاعة ذلك الإمام ، ولا يرون إلا أنهم نوابه ، وإنما يتقون صاحب مصر لخوفهم منه وللاقطاع ، وصاحب اليمن لمداراته لواصل الكارم ورؤسوم الأنعام . ومن ثم عدّهم في جملة من بهذه المملكة من طوائف البدع .

وكان من مذهب زيد هذا جواز إمامة المفضل مع قيام الأفضل ، ويقول : إن علياً رضي الله عنه كان أفضل الصحابة رضوان الله عليهم ، إلا أن الإمامة فوضت إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لمصلحة رأوها ، وقاعدة دينية راعوها : من تسكين نائرة الفتنة ، وتطبيب قلوب العامة ، مع تفضيل علي على الشيخين عندهم في أوانهم .

وأتباعه يعتقدون أنّ هذا هو المعتقّد الحقّ، ومن خالفه نرجح عن طريق الحقّ،
وضل عن سوائِ السَّبِيل .

وهم يقولون : إن نصّ الأذانِ بَدَل الحَيْعَلَيْنِ : «حَيَّ عَلِيَّ خَيْرَ الْعَمَلِ» يقولونها
في أذانهم مرّتين بدل الحَيْعَلَيْنِ، وربّما قالوا قبل ذلك : «مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ خَيْرَ الْبَشَرِ»،
وعترتهما خَيْرِ الْعِترِ « ومن رأى أن هذا بِدْعَةٌ فقد حاد عن الجادّة .

وهم يسوقون الإمامة في أولادِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ من فاطمة رضى الله عنها،
ولا يُجوزون ثبوت الإمامة في غير بنيهما، إلا أنّهم جَوَّزُوا أن يكون كلُّ فاطميٍّ
عالمٍ زَاهِدٍ شجاعٍ نَجْرَج لطلب الإمامة إماماً مَعْصوماً واجِب الطاعة، سواء كان من
ولدِ الحَسَنِ أو الحُسَيْنِ عليهما السلام، ومن خلع طاعته فقد ضلَّ . وهم يرون أن
الإمام المَهْدِيَّ المُتَنظِّر من ولدِ الحُسَيْنِ رضى الله عنه دون ولدِ الحَسَنِ، ومن خالف
في ذلك فقد أخطأ . ومن قال : إنّ الشيخينِ أبا بَكْرٍ وعُمَرَ رضى الله عنهما أفضلُ
من عَلِيٍّ وبنِيهِ فقد أخطأ عندهم وخالف زَيْدًا في مُعْتَقَدِهِ . ويقولون : إن تسليم
الحَسَنِ الأمرِ لمعاويةَ كان لمصالحَةِ آقتضاها الحال، وإن كان الحقُّ له .

قال في "التعريف" : "وَأَيَّمُهُمْ أَيْمَانُ أَهْلِ السُّنَّةِ، يعنى فيحلفون كما تقدم،
ويزاد فيها : وإلَّا بَرِئْتُ من مُعْتَقَدِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، ورأيتُ أن قَوْلِي في الأذانِ : «حَيَّ
عَلِيَّ خَيْرَ الْعَمَلِ» بِدْعَةٌ، وخَلَعْتُ طاعة الإمام المعصومِ الواجِبِ الطَّاعَةَ، وأدَّعَيْتُ
أن المَهْدِيَّ المُتَنظِّر ليس من ولدِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ، وقلتُ : بتفضيل الشيخينِ علي
أمير المؤمنينِ عَلِيٍّ وبنِيهِ، وطعنْتُ في رأى ابنِ الحَسَنِ لما آقتضته المصالحَةُ،
وطعنْتُ عليه فيه .

الفرقة الثانية (من الشيعة الإمامية)

وهم القائلون بإمامة اثني عشر إماما : أولهم أمير المؤمنين علي المرتضى ، ثم ابنه الحسن المجتبي ، ثم أخوه الحسين شهيد كربلاء ، ثم ابنه علي السجاد زين العابدين ، ثم ابنه محمد الباقر ، ثم ابنه جعفر الصادق ، ثم ابنه موسى الكاظم ، ثم ابنه علي الرضا وهو الذي عهد إليه المأمون بالخلافة ومات قبل أن يموت المأمون ، ثم ابنه محمد التقي ، ثم ابنه علي النقي ، ثم ابنه الحسن الزكي المعروف بالعسكري ، ثم ابنه محمد الحجة ، وهو المهدي المنتظر عندهم ، يقولون إنه دخل مع أمه صغيرا سردابا بالحلة على القرب من بغداد فمقد ولم يعد ، فهم ينتظرونه إلى الآن ، ويقال : إنهم في كل ليلة يقفون عند باب السرداب ببغلة مشدودة ملجمة من الغروب إلى مغيب الشفق ينادون : أيها الإمام ! قد كثرت الظلم ! وظهر الجور فأخرج إلينا ! ثم يرجعون إلى الليلة الأخرى ، وتلقب هذه الفرقة بالاثني عشرية أيضا ، لقولهم بإمامة اثني عشر إماما ، وبالموسوية لقولهم بانتقال الخلافة بعد جعفر الصادق إلى ابنه موسى الكاظم المقدم ذكره دون أخيه إسماعيل إمام الإسماعيلية الآتي ذكره ، وبالقطعية لقولهم بموت إسماعيل المذكور في حياة أبيه الصادق والقطع بانتقال الإمامة إلى موسى .

قال في "التعريف" : وهم مسلمون ، إلا أنهم أهل بدعة كبيرة سبابة .

وهم يقولون : بإمامة علي رضي الله عنه نصا ظاهرا ، وتعيينا صادقا ، احتجاجا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من يبايعني على ماله ، فبايعه جماعة» ، ثم قال :

من يبايعني على رُوحه وهو وصيُّي ووليُّ هذا الأمر من بعدي ، فلم يبايعه أحدٌ ، حتى مدَّ أمير المؤمنين عليُّ عليه السلام يده إليه فبايعه على رُوحه ووفى بذلك .

قال في "العبر" : وهذه الوصية لا تُعرف عن أحدٍ من أهل الأثر ، بل هي من موضوعاتهم ؛ ويخصونه بوراثة علم النبي صلى الله عليه وسلم .

ويروون أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم غدِرخم : «من كنت مولاه فعليُّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأدر الحق على لسانه كيفما دار» ويرون أنَّ بيعة الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة غير صحيحة : حين اجتمع الأنصار بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم على سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة ليبايعوه ، وذهب إليهم أبو بكر رضي الله عنه ومعه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة ، وروى لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا يصلح هذا الأمر إلا لهذا الحَيِّ من قريش» فرجعوا إلى قوله وبايعه عمر ، ثم بايعه الناس على ما تقدم ذكره في الكلام على مبايعات الخلفاء في المقالة الخامسة ، وأنَّ القائم فيها مجتمراً لا سيما أول بادٍ بذلك . ويقولون : إن الحق كان في ذلك لعليِّ بالوصية . ويقولون : إن القيام على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وحصره في الدار كان واجباً لأعتقادهم عدم صحة خلافته مع وجود عليِّ رضي الله عنه ، وإن المتأخر عن حصره كان مُحطاً . ويرون جواز التقيية خوفاً على النفس ، وأنَّ علياً رضي الله عنه إنما تأخر عن طلب الإمامة عند قيام من [كان] قبله بها تقيية على نفسه . ويرون أنَّ من أعان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الخلافة كان مُحطاً : لبطلان خلافته بترتيبها على خلافة أبي بكرٍ ووجود عليِّ الذي هو أحقُّ بها . ويزعمون أنَّ الصديق رضي الله عنه منع فاطمة رضي الله عنها حقها من إرثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم تعدياً ، وأنَّ

مَنْ سَاعَدَ فِي تَقْدِيمِ تَيْمٍ بِخِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، أَوْ تَقْدِيمِ عَدِيٍّ بِخِلَافَةِ عُمَرَ ، أَوْ تَقْدِيمِ
أُمَيَّةَ بِخِلَافَةِ عُثْمَانَ كَانَ مُخْطِئًا . وَيَزْعُمُونَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُصَبِّ فِي جَعَلِ
الْأَمْرِ سُورَى بَيْنَ بَقِيَّةِ الْعَشْرَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَسْتَحْقَاقِ
تَقْدِيمِ عَلِيٍّ عَلَى الْجَمِيعِ .

وَيَصَوِّبُونَ قَوْلَ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا كَانَ مِنْ مَوَاقِفِهِ فِي حَدِيثِ
الإفكِ فِي حَقِّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَلَا يَرَوْنَ تَكْذِيبَهُ فِي ذَلِكَ . وَيَرَوْنَ أَنَّ عَائِشَةَ
أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ مُخْطِئَةً فِي قِيَامِهَا عَلَى عَلِيٍّ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَأَنَّ مَنْ قَامَ
مَعَهَا كَانَ مُخْطِئًا لِلْوَاقِفَةِ عَلَى الْخَطِإِ .

وَيَقُولُونَ إِنَّ مَنْ قَامَ مَعَ مَعَاوِيَةَ عَلَى عَلِيٍّ بِصِفِّينَ وَشَهْرِ السِّيفِ مَعَهُ عَلَيْهِ فَقَدْ
أَرْتَكَبَ مَحْظُورًا . وَيُنْكِرُونَ مَا وَقَعَ مِنْ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ مِنَ الدَّعْوَى الْبَاطِلَةِ . وَذَلِكَ
أَنَّهُ بَعْدَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَهَّزَ جَيْشًا إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ مَعَ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
فَقَتَلُوا وَسَبُّوا وَبَايَعُوا مِنْ تَبِعِهِمْ عَلَى أَنَّهُمْ خَوْلُ لِيَزِيدَ .

وَيَقُولُونَ : بِيْطْلَانَ حُكْمِ أَبِي مَرْجَانَةَ . وَيَعْتَدُونَ مِنَ الْعِظَائِمِ قِيَامَ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ
فِي قِتَالِ الْحُسَيْنِ ، وَحَقِيقٌ أَنْ يُنْكِرُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ وَيَسْتَعْظِمُوهُ ! فَقَدْ قِيلَ : لِأَنَّهُ بَعْدَ
قَتْلِهِ أَمَرَ جَمَاعَةً فَوَطَّئُوا صَدْرَ الْحُسَيْنِ وَظَهَرَهُ بِالْحَيْلِ ، وَكَانَ يَزِيدُ قَاتِلَهُ اللَّهُ
قَدْ أَمَرَهُ بِذَلِكَ .

وَيَرَوْنَ أَنَّ الْأَمْرَ صَارَ بَعْدَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَخِيهِ الْحُسَيْنِ ، وَيَقُولُونَ :
إِنَّ الْإِمَامَةَ عِنْدَ الْحُسَيْنِ مُسْتَوْدَعَةٌ لِأَمْسْتَقْرَرَةٍ ، وَلِذَلِكَ لَمْ تَثْبُتْ فِي بَيْتِهِ . وَيَعْتَدُونَ
مِنَ الْعِظَائِمِ فِعْلَ شَمْرِ بْنِ [ذِي] الْجَوْشَنِ : وَهُوَ الَّذِي أَحْتَرَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ ، وَأَنَّ
مَنْ سَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ مَرَّتِكِبٌ أَعْظَمَ مَحْظُورَاتٍ بِأَشَدِّ بَلَاءَةٍ ، وَحَقِيقٌ ذَلِكَ أَنْ
يَسْتَعْظِمُوهُ ! فَأَيُّ جَرِيْمَةٍ أَعْظَمُ مِنْ قَتْلِ سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ .

وقد ذكر صاحب "نظم السمط في خبر السبب" : أنه وُجد في حجر مكتوب قبل البعثة بألف سنة ما صورته :

أترجو أمة قتلت حسيناً * شفاعته جده يوم الحساب؟

ويقال : إن الذي أحتر رأس الحسين إنما هو سنان بن أنس النخعي . ويعُدون من العظام أيضاً سبي معاوية أهل البيت عند غلبة علي رضي الله عنه بصفيين وسوقهم معه إلى دمشق سوقاً بالعصي . ويرون أن خلافة يزيد بن معاوية كانت من أعظم البلايا ، وأن المغيرة بن شعبة أخطأ حيث أشار على معاوية بها . ويقولون بالتبري من عمرو بن العاص رضي الله عنه لأنتمائه إلى معاوية ، وخديمته أبا موسى الأشعري يوم الحكمين حتى خلع علياً ، وإن من ظاهره أو عاضده كان مُحطناً .

وكذلك يتبرءون من بسر بن [أبي] أرطاة : لأن معاوية بعثه إلى الحجاز في عسكر فدخل المدينة وسفك بها الدماء ، وأسكره الناس على البيعة لمعاوية ، وتوجه إلى اليمن بعد ذلك فوجد صبيين لعبيد الله بن عباس عاملين على اليمن ققتلهما .^(١)

ويرون تحطئة عقبة بن عبد الله المزني ، ويقدحون في رأي الخوارج : وهم الذين نخرجوا على علي رضي الله عنه بعد حرب صفين ، على ما تقدم ذكره [في الكلام] على أيمن الخوارج : وهو مفارقهم علياً رضي الله عنه ، وتحطتهم له في الغنائم .

ويقولون : إن الامامة انتقلت بعد الحسين السبط عليه السلام في أبنائه إلى تمام الأئمة عشر . فانتقلت بعد الحسين إلى ابنه زين العابدين ، ثم إلى ابنه محمد

(١) صوابه "عامل علي على اليمن" والصبيان هما قثم وعبد الرحمن أبنا عبيد الله انظر ج ٣ ص ١٦٦ من الكامل لابن الأثير .

الباقرة، ثم إلى ابنه جعفر الصادق، ثم إلى ابنه موسى الكاظم، ثم إلى ابنه علي الرضا، ثم إلى ابنه محمد النقي، ثم إلى ابنه علي النقي، ثم إلى ابنه الحسن الزكي، ثم إلى ابنه محمد الحجة، وهو المهدي المنتظر عندهم، على ما تقدم ذكره في أول الكلام على هذه الفرقة، وإن من خالف ذلك فقد خالف الصواب .

ويستعمون دلالة من دلّ بني أمية وبني العباس على مقاتل أهل البيت .
أما دلالة بني أمية، فبعد غلبة معاوية بصفيين . وأما دلالة بني العباس، فعند تنازع بني العباس وأهل البيت في طلب الخلافة، زمن أبي جعفر المنصور وما بعده .
ويقولون : ببقاء حكم المتعة : وهي النكاح المؤقت الذي كان في صدر الإسلام .
ويُسْنَعُونَ على نجدة بن عامر الحنفي الخارجي حيث زاد في حدّ النجر، وغلظ فيه تغليظاً شديداً، كما حكاه الشهرستاني عنهم .

ويستعظمون البراءة من شيعة أمير المؤمنين على رضي الله عنه، وأتباع أهوية أهل الشام من متابعي بني أمية والغوغاء القائمين بالنهر وان : وهم الخوارج الذين خالفوا علياً بعد قضية التحكيم بصفيين، وأقاموا بالنهر وان من العراق لقتال علي، ورئيسهم يومئذ عبد الله بن وهب، فسار اليهم علي وكانوا أربعة آلاف فقتلوا عن (١) آحدهم، ولم يقتل من أصحاب علي سوى سبعة أنفس .

ويرون أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه أخطأ في موافقته عمرو بن العاص رضي الله عنه : حيث حكم بخلع علي ولم يخلع عمرو معاوية .

ويعتمدون في القرآن الكريم على مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، دون المصحف الذي أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم، فلا يثبتون ما لم يثبت فيه قرأنا .

(١) أي ولم يبق منهم سوى تسعة تفرقوا في الجهات كما تقدم .

ويتبرءون من فعل ابن مُلجَم في قتله أمير المؤمنين رضى الله عنه ، وحق لهم التبرى من ذلك .

ويرون أن مولاة ابن مُلجَم وإسماعفه في صداق زوجته قطام جريرة .

ويرون محبة قبيلة همدان من المحبوب المطلوب : لمشايعتهم علياً رضى الله عنه ومحبتهم أهل البيت كما هو المشهور عنهم ؛ حتى يُحكى أن أمير المؤمنين علياً رضى الله عنه صعد يوماً المنبر وقال : ألا لا يُنكحن أحد منكم الحسن بن علي فإنه مطلق ، فنهض رجل من همدان وقال : والله لننكحنه ثم لننكحنه ! إن أمهر أمهر كشيفاً ، وإن أولد أولد شريفاً ! . فقال علي رضى الله عنه حينئذ :

لو كنتُ بواباً على باب جنة * لقلتُ لهمدان أدخل بسلام!

ويقولون باشرط العصمة في الأئمة ، فلا يكون من ليس بمعصوم عندهم إماماً .

وقد رتب في " التعريف " يمينهم على هذه العقائد ، فقال : وهؤلاء يمينهم هي :
 إني والله والله العظيم ، الرب الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، وما اعتقده من صدق محمد صلى الله عليه وسلم ونصه على إمامة ابن عمه ووارث علمه علي بن أبي طالب رضى الله عنه يوم غدِير خُم ، وقوله : « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه ! وعاد من عاداه ! وأدر الحق على لسانه كيف دار ! » . وإلا كنت مع أول قائم يوم السقيفة ، وآخر متأخر يوم الدار ، ولم أقل بجواز التقيّة خوفاً على النفس ، وأعتت ابن الخطاب ، وأضطهدت فاطمة ، ومنعتها حقها من الإرث ، وساعدت في تقديم تيم وعدي وأمية ، ورضيت بحكم الشورى ، وكذبت حسان بن

ثابت يوم عائشة، وقت معها يوم الجمل، وشهرت السيف مع معاوية يوم صفين،
 وصدقت دعوى زياد، ونزلت على حكم ابن مرجانة؛ وكنت مع عمر بن سعد
 في قتال الحسين، وقلت: إن الأمر لم يصبر بعد الحسن إلى الحسين، وساعدت شمر
 ابن [ذى] الجوشن على فعل تلك البلية، وسببت أهل البيت وسقتهم بالعصى إلى
 دمشق، ورضيت بإمارة يزيد، وأطعت المغيرة بن شعبة، وكنت ظهيرا لعمر بن
 العاص، ثم لبسرتن [أبي] أرطاة، وفعلت فعل عقبة بن عبد الله [الزبي] ^(١) وصدقت رأى
 الخوارج، وقلت: إن الأمر لم ينتقل بعد الحسين بن علي في أبنائه إلى تمام الأمة،
 إلى الإمام المهدي المنتظر، ودللت على مقاتل أهل البيت بني أمية وبني العباس،
 وأبطلت حكم التمتع، وزدت في حد الخمر ما لم يكن، وحرمت بيع أمهات الأولاد،
 وقلت: برأى في الدين، وبرئت من شيعة أمير المؤمنين، وكنت مع هوى أهل الشام
 والقوغاء القائمة بالهروان، وأتبعته خطأ أبي موسى، وأدخلت في القرآن ما لم يثبت
 ابن مسعود، وشركت ابن ملجم وأسعدته في صداق قطام، وبرئت من محبة
 همدان، ولم أقل باشرط العصمة في الإمام، ودخلت مع أهل النصب الظلام.
 قلت: قد ذكر في "التعريف" فرقة الإمامية هذه من الشيعة الذين بهذه المملكة،
 ولم أعلم أين مكانهم منها.

الفرقة الثالثة

(من الشيعة الإسماعيلية)

وهم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، وأن الأمامة انتقلت إليه بعد
 أبيه دون أخيه موسى الكاظم المقدم ذكره في الكلام على فرقة الإمامية. وهم

(١) الزيادة من "التعريف" (ص ١٥٩).

يوافقون الإمامية المتقدم ذكرهم في سوق الامامة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
رضى الله عنه إلى جعفر الصادق، ثم يعدلون بها عن موسى الكاظم الذي هو الامام
عند الإمامية إلى إسماعيل هذا، ثم يسوقونها في بنيه، فيقولون: إن الامامة
انتقلت بعد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى ابنه الحسن، ثم إلى أخيه الحسين،
ثم إلى ابنه علي زين العابدين، ثم إلى ابنه محمد الباقر، ثم إلى ابنه جعفر الصادق،
ثم إلى ابنه إسماعيل - الذي تُنسب إليه هذه الفرقة - بالنص من أبيه. فمن قائل:
إن أباه مات قبله، وانتقلت الامامة إليه بموته. ومن قائل: إنه مات قبل أبيه.
وفائدة النص ثبوتها في بنيه بعده. ثم يقولون: إنها انتقلت من إسماعيل المذكور
إلى ابنه محمد المكتوم، ثم إلى ابنه جعفر الصدوق، ثم إلى ابنه محمد الحبيب، ثم إلى
ابنه عبيد الله المهدي أول خلفاء الفاطميين ببلاد المغرب، وهو جد الخلفاء الفاطميين
بمصر؛ ثم إلى ابنه القائم بأمر الله أبي القاسم محمد: ثاني خلفاء الفاطميين ببلاد
المغرب؛ ثم إلى ابنه المنصور بالله أبي الطاهر إسماعيل: ثالث خلفاء الفاطميين
ببلاد المغرب؛ ثم إلى ابنه المعز لدين الله أبي تميم معد: أول خلفاء الفاطميين
بمصر بعد قيامه ببلاد المغرب (وهو باني القاهرة)؛ ثم إلى ابنه العزيز بالله أبي المنصور
نزار: ثاني خلفائهم بمصر؛ ثم إلى ابنه الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور: ثالث
خلفائهم بمصر؛ ثم إلى ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن علي: رابع خلفائهم
بمصر؛ ثم إلى ابنه المستنصر بالله أبي تميم معد: خامس خلفائهم بمصر.
ثم من هاهنا أفرقت الإسماعيلية إلى فرقتين: مستعلوية ونزارية.
فأما المستعلوية فيقولون: إن الامامة انتقلت بعد المستنصر بالله المتقدم ذكره
إلى ابنه المستعلي بالله، أبي القاسم أحمد: سادس خلفائهم بمصر، ثم إلى ابنه الأمير

(١) كذا في الأصول ووقع في العبر «الصادق».

بأحكام الله أبي علي المنصور : سابع خلفائهم بمصر ؛ ثم إلى ابنه الحافظ لدين الله (١) أبي الميمون عبد الحميد بن أبي القاسم : ثامن خلفائهم بمصر ؛ ثم إلى ابنه الظافر بأمر الله أبي المنصور إسماعيل ، تاسع خلفائهم بمصر ؛ ثم إلى ابنه الفائز بنصر الله أبي القاسم عيسى بن الظافر : عاشر خلفائهم بمصر ؛ ثم إلى العاصم لدين الله أبي محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ : حادي عشر خلفائهم بمصر ، وهو آخرهم حتى مات .

وأما النزارية فانهم يقولون : إن الإمامة انتقلت بعد المستنصر إلى ابنه نزار بالنص من أبيه دون ابنه المستعلي ؛ ويستندون في ذلك إلى أن الحسن بن الصباح كان من تلامذة أحمد بن غطاش صاحب قلعة أصفهان وألموت ، وكان شهماً عالمياً بالتعاليم والتنجيم والسحر ، فأتهمه ابن غطاش بالدعوة للفاطميين خلفاء مصر ، فخاف وهرب منه إلى مصر في خلافة المستنصر المتقدم ذكروه ، فأكرمه وأمره بدعاية الناس إلى إمامته ، فقال له ابن الصباح : من الإمام بعدك ؟ فقال له : أبن نزار ، فعاد ابن الصباح من مصر إلى الشام والجزيرة وديار بكر وبلاد الروم ، ودخل نجرسان ، وعبر إلى ما وراء النهر ، وهو يدعو إلى إمامة المستنصر وأبنه نزار بعده . قال الشهرستاني في "النحل والملل" : وصعد قلعة ألموت في شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وأستظهر وتمحصن .

ثم النزارية يزعمون أن نزاراً المذكور خرج من الإسكندرية حَمَلًا في بطن جارية ، تقيّة على نفسه ، وخاض بلاد الأعداء حتى صار إلى ألموت . ورأيت في المغرب

(١) الصواب «ثم إلى الحافظ» وفي المقرئ ج ١ ص ٣٥٧ «ومن بعده الحافظ ... ابن الأمير أبي القاسم محمد» ووقع في ج ٣ ص ٤٣١ من هذا المطبوع «ثم ولي بعده ابن عمه الحافظ ... عبد الحميد بن الأمر أبي القاسم محمد الخ» وفيه بعض التصحيف فغلبه .

لأَبْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ إِذَا صَارَ مِنْ عَقِيهِ مَنْ وَصَلَ إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ ، وَصَارَتِ الْإِمَامَةُ فِي بَيْتِهِ هُنَاكَ .

والمستعلوية يُنكرون ذلك إنكاراً ، ويقولون : إنه قُتِلَ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ : سار إليه الأفضلُ بنُ أمير الجيوشِ وَزَيْرُ المُستعلي وحاصره بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ ، ثم ظفِرَ به وأتى به إلى المُستعلي ، فبقي عليه حائطين فسات ، ثم فرَّ بعضُ بني نزارٍ إلى بلادِ المشارِقِ (٢) وأقام بالمغرب ، والقائمون بها الآن من ولده ، وهو الذي تشهدُ به كُتُبُ التواريخ : كمُغْرِبِ أبْنِ سَعِيدٍ وَغَيْرِهِ .

ثم الإسماعيليةُ في الجملة : من المُستعلوية والنزارية يسمون أنفسهم أصحابَ الدَّعوةِ الهاديَّةِ ، تبعاً لإمامهم إسماعيلَ المذكور ، فإنه كان يسمي صاحبَ الدَّعوةِ الهاديَّةِ .

قال في "التعريف" : وهم وإن أظهرُوا الإسلامَ وقالوا بقولِ الإمامية ، ثم خلفوهم في موسى الكاظم وقالوا : إنَّ الامامةَ لم تصرْ إلا إلى أخيه إسماعيلَ ، فإنهم طائفةٌ كافرَةٌ يعتقدون التناسخَ والحلولَ .

وذكر في "مسالك الأَبصار" : أن مُلَخَّصَ مُعْتَقِدِهِمُ التَّنَاسُخَ . ثم قال : ولقد سألتُ المُقَدِّمَ عليهم والمُشارَ إليه فيهم : (وهو مُباركُ بنِ علوان) عن مُعْتَقِدِهِمُ وَجاذِبَتِهِ الحَدِيثَ في ذلك مَرَّاراً ، فظهِرَ لي مِنْهُ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْأَرْوَاحَ مَسْجُونَةٌ في هذه الأَجْسَامِ المُكَلَّفَةِ بِطَاعَةِ الْإِمَامِ المُطَهَّرِ عَلَى زَعْمِهِمْ . فإذا أُنْتَقَلَتْ عَلَى الطَّاعَةِ

(١) لعل الصواب «فرالى الاسكندرية» ليستقيم الكلام بعد وقد ذكر المقرئى خبره ج ١ ص ٢٣٤

على وجه الصحة فتنبه .

(٢) كذا بالأصل ولعل مراده بلاد مشارق أفريقيا كما سيأتى .

كانت قد تخلّصت وانتقلت للألوار العلوية ، وإن أنتقلت على العصيان هوت في الظلمات السفلية .

وذكر في "العبر" : أن منهم من يدعى ألوهية الإمام بنوع الحلول ، ومنهم من يدعى رجعة من مات من الأئمة بنوع التناسخ والرجعة ، ومنهم من ينتظر مجيء من يقطع بموته ، ومنهم من ينتظر عود الأمر إلى أهل البيت .

ثم المستعلوية والنزارية يتفقون في بعض المعتقدات ويختلفون في بعضها .

فأما ما يتفقون عليه من الاعتقاد ، فهم يتفقون على أنه لا بد من إمام معصوم : ظاهر أو مستور . فالأئمة الظاهرون هم الذين يُظهرون أنفسهم ويدعون الناس إلى إمامتهم ، والمستورون هم الذين يستترون ويظهرون دعواتهم . وآخر الظاهرين عندهم إسماعيل الذي ينسبون إليه ، وأول المستورين ابنه المكنوم . ومن معتقدتهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه أو لم يكن في عنقه بيعة إمام ، مات ميتة جاهلية . ويرون أن العلم لا يكون إلا بالتعليم من الأئمة خاصة ، وأن الأئمة هم هداة الناس . ويقولون : إن للأئمة أدواراً في كل دورٍ منها سبعة أئمة : ظاهرين أو مستورين . فإن كان أهل الدور ظاهرين يسمّى ذلك الدور دور الكشف ، وإن كانوا مستورين يسمّى دور السّر . ويقولون بوجوب موالاة أهل البيت ، ويتبرءون ممن خالفهم ، وينسبونهم إلى الأخذ بالباطل ، والوقوف في الضلال ، لاسيما النواصب ، وهم الطائفة المعروفة بالناصبية أتباع^(١) ، ويرمونهم بالعظائم ، وينسبونهم إلى اعتماد المحال والأخذ به . ومن خرج عن القول بانتقال الإمامة بعد الحسن

(١) بياض في الأصول .

السَّبَط عليه السلام ، ثم أخيه الحُسَيْن ، ثم في أُمَّتِهِم المتقدم ذكْرهم ، إلى إمامهم
إسماعيل الذي يُنسَبون إليه بالنَّصِّ الجَلِيِّ ، فقد حادَّ عن الحَقِّ . وهم يعظمون
ويستعظمون القَدْح فيه ، وأن من وقع في ذلك فقد ارتكب خطأً كبيراً .

ولدعاة الأئمَّة المستورين عندهم من المَكَاة وعلو الرتبة الرتبة العُظمى ، لا سيَّما
الداعي القائمُ بذلك أوَّلاً : وهو الداعي إلى محمد المكتوم أوِّق أُمَّتِهِم المستورين على
ما تقدَّم ذكره ، فإن له من الرتبة عندهم فوق ما لغيره من الدعاة القائمين بعده .

ومَّا أشتهر من أمرِ الدعاة لأُمَّتِهِم المستورين أنه كان مَن يُنسَب إلى التَّشيع
رجُلٌ اسمه رمضان ، ويقال : انه صاحب كتاب "الميزان" في نُصرة الزندقة ، فولد
له ولدٌ يقال له : ميمونٌ ، نشأ على أهبة في التَّشيع والعلم بأسرار الدعاء لأهل البيت ،
ثم نشأ لميمونٍ ولدٌ يقال له : عبدالله ، وكان يعالج العيون ويقدها ، فسمى القَدَّاح ،
وأطاع على أسرار الدعوة من أبيه ، وسار من نواحي كَرْخ وأصبهان إلى الأهواز
والبصرة وسامية من أرض الشام يدعو الناس إلى أهل البيت ، ثم مات ونشأ له ولدٌ
يسمى أحمد فقام مقام أبيه عبد الله القَدَّاح في الدعوة ، وصحبه رجلٌ يقال له رستم
أبن الحسين بن حوشب النجَّار من أهل الكوفة ، فأرسله أحمد إلى اليمن ، فدعا
الشيعة باليمن إلى عبد الله المهدي فأجابوه ، وكان أبو عبد الله الشيعي من أهل صنعاء
من اليمن ، وقيل من أهل الكوفة ، يصحبُ ابن حوشب ، فخطب عنده وبعثه إلى
المغرب . ومن نسب أحدًا من هذه الدعاة إلى ارتكاب محظورٍ أو احتقَابٍ إثمٌ فقد
ضلَّ وخرج عن جادة الصواب عندهم . ويرون تحطُّة من مالاً على الإمام عبيد الله
المهدي : أوَّل أُمَّتِهِم القائمين ببلاد الغرب على ما تقدَّم ، وأرتكابه المحظور وضلاله عن

(١) بياض في الأصول ولعله « امامهم إسماعيل » .

طريق الحق؛ وكذلك من خذل الناس عن أتباع القائم بأمر الله بن عبید الله المهديّ
ثاني خلفائهم ببلاد المغرب، أو نقض الدولة على المعزّ لدين الله: أوّل خلفائهم
بمصر؛ ويرون ذلك من أعظم العظام، وأكبر الجائر.

ومن أعيادهم العظيمة الخطر عندهم يوم غدِيرِخُم (بفتح الغين المعجمة وكسر
الذال المهملة وسكون المثناة تحت وراء مهملة في الآخر، ثم خاء معجمة مضمومة
بعدها ميم): وهو غيضة بين مكة والمدينة على ثلاثة أيام من الحجة. وسبب جعلهم
له عيداً أنهم يذكرون أنّ النبي صلى الله عليه وسلم نزل فيه ذات يوم فقال لعليّ
رضي الله عنه: «اللّهم من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم والٍ من وآله، وعاد
من عاداه، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله، وأدير الحقّ معه حيث دار» على
ما تقدم نحوه في الكلام على يمين الإمامية.

وقد كان للخلفاء الفاطميين بمصر بهذا العيد اهتمام عظيم، ويكتبون بالبيشارة به
إلى أعمالهم، كما يكتبون بالبيشارة بعيد الفطر وعيد النحر ونحوهما. ويعتقدون
في آئمتهم أنهم يعلمون ما يكون من الأمور الحادثة.

وقد ذكر المؤرخون عن عبید الله المهديّ جدّ الخلفاء الفاطميين بمصر أنه
حين بنى المهديّة بمشارق أفريقيا من بلاد المغرب طلع على سورها ورعى بسهم
وقال إلى حدّ هذه الرمية ينتهي صاحب الحمار، نخرج بالمغرب خارجي يعرف بأبي
يزيد صاحب الحمار، وقصد المهديّة حتى انتهى إلى حدّ تلك الرمية؛ فرجع ولم
يصل المهديّة.

وكان الحاكم بأمر الله أحد خلفاء مصر من عقب المهديّ المذكور يدعى علم
الغيب على المنبر بالجامع المعروف به على القرب من باب الفتوح بالقاهرة، فكتبوا
له بطاقة فيها:

بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ قَدْ رَضِينَا * وليس بالكُفْرِ وَالْحَمَاقَةِ

إِنْ كُنْتَ أُوْتِيتَ عِلْمَ غَيْبٍ * بَيْنَ لَنَا كَاتِبِ الْبِطَاقَةِ

فترك ما كان يقوله ولم يعد إليه ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ .

وهم يقْدحون في عيَّاش بن أبي الفُتوح الصنْهَاجِيّ وزيرِ الظَّافِرِ : أحدِ الخلفاء الفاطميّين بمِصرَ . وذلك أنّه كان له وَلَدٌ حَسَنُ الصُّورَةِ اسْمُهُ نَصْرٌ ، فَأَحَبَّهُ الظَّافِرُ المذكورُ حتّى كان يأتي إليه لَيْلاً إلى بَيْتِهِ ، فَرَمَى عيَّاشُ الظَّافِرَ بِأَبْنِهِ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَسْتَدْعِيَهُ فاستدعاه ، فَأَتَى إليه لَيْلَةً على العادة ، فَأَجْتَمَعَ عيَّاشُ بن السلار هو وَأَبْنُهُ نَصْرٌ على الظَّافِرِ وَقَتْلَاهُ ، وهربا إلى الشام ، فَأَسْرَهُمَا الفَرْنَجُ ، ثُمَّ فِدَى أَبْنَهُ وَصَلَبَ على باب زويلة .

وهم يقْدحون في عيَّاشِ المذكورِ ويرمونه بالنِّفاقِ بسببِ ما وقع منه في حقِّ الظَّافِرِ من رَمِيهِ بابنه وقتله إياه .

قلتُ : وعيَّاشُ هذا هو الذي أشار إليه في "التعريف" في صُورَةِ يَمِينِ الإسماعيلية بأبنِ السلار . وهو وهمٌ منه ، إذ ليس عيَّاشُ بأبنِ السلار ، وإنما أبنُ السلار هو زَوْجُ أُمِّ عيَّاشِ المذكورِ ، وكان قد وُزِرَ للظَّافِرِ المذكورِ قبلَ رَيْبِهِ عيَّاشٌ وتلقَّبَ بالعدل ، وَأَسْتَوَى على الأمرِ حتّى لم يَكُنْ للظَّافِرِ معه كلامٌ ، ثُمَّ دَسَّ عليه رَيْبُهُ

(١) كذا في الأصول بالمشناة التحتية والشين المعجمة ووقع في ابن الأثير والمقرزي بالموحدة والسين المهملة .

(٢) سيأتي بعد أسطر التنبية على هذه النسبة .

(٣) عبارة ابن الأثير (ج ١١ ص ٧٩) باختصار: فقتل عياشا الفرنج وأسروا ابنه ثم فداه الملك الصالح طلائع بن رزيك منهم وطلبه على باب زويلة .

عِيَّاشُ مَنْ قَتَلَهُ ، وَوَزَّرَ لِلظَّافِرِ بَعْدَهُ . فابنُ السُّلَارِ هُوَ الْعَادِلُ وَزَيْرُ الظَّافِرِ أَوْلَا
لَا عِيَّاشُ رَبِّبُهُ .

ومن أكبر الجائر عندهم وأعظم العظائم أن يُرمَى أحدٌ من آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلم لاسمِ الأئمةِ بكبيرة ، أو ينسبها [أحد] إليهم ، أو يُوالى لهم عدواً
أو يُعادى ولياً .



وأما ما يختص به المُستعلوية ، فانهم يُنكرون إمامة نزار بن المُستنصر المُقدم ذكروه ،
ويكذبون التُّزاريَّة في قولهم : إن نزاراً خرجَ حَمَلًا في بَطْنِ جاريةٍ حتى صار إلى بلاد
الشَّرقِ . ويقولون : إنه مات بالإسكندرية ميتةً ظاهرة . ويقولون : إنه نازع
الحقَّ أهلَه وجاذب (١) من حيث إن الحقَّ في الإمامة والخلافة كان لإمامهم
المُستعلي بالله فادعاه لنفسه . ويقولون : إن شيعته على الباطل ، وموافقتهم
في اعتقادهم إمامته خطأ . ويرون من الضلال أتباع الحسن بن الصباح داعية نزارٍ
والتأقيل عن المُستنصر النَّصَّ على إمامته ، ويرون الكونَ في جملة التُّزاريَّة من أعظم
الأضاليل ، لا سيما من كان فيهم آخر أدوار الأئمة التي هي في كلِّ دورٍ سبعة أئمة ،
على ما تقدم ذكره في صدر الكلام على أصل معتقد هذه الفرقة .

ثم هم يعظُمون راشد الدين سنان : وهو رجلٌ كان بقلاع الدعوة بأعمال طرابلس
من البلاد الشامية في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، انتهت
رياستهم إليه . قال في "مسالك الأبصار" : وكان رجلاً صاحب سيميا ، فأراهم بها
ما أضلَّ به عقولهم : من تحييل أشخاص من مات منهم على طاعة أئمتهم في جنات
النعم ، وأشخاص من مات منهم على عصيان أئمتهم في النار والحجيم ، فثبت ذلك

(١) بياض بالأصول ولعله : الخلافة ربها ، كما سيأتي نقلاً عن التعريف .

عندهم وأعتقدوه حقًا . ومن قدح في ذلك فقد دَخَلَ في أَهْلِ الضلال . وَيَقْدَحُونَ في ابنِ السُّلارِ المُقَدِّمِ ذِكْرَهُ وَيَسْفَهُونَ رَأْيَهُ فِيمَا كَانَ مِنْهُ : من إِزَالَةِ الخُطْبَةِ لِلْفَاطِمِيِّينَ وَحَطِّ رَأْيَتِهِم الصِّفْرَاءَ وَالخُطْبَةَ لِنَبِيِّ العَبَّاسِ وَرَفْعِ رَأْيَتِهِم السُّودَاءَ ، وما كان مِنْهُ من الفَعْلَةِ التي أَسْتَوْلَى بها على قَصْرِ الفَاطِمِيِّينَ وَمَنْ فِيهِ ، وأخَذَ أَمْوَالِهِمْ بعدَ مَوْتِ العاضد .



وأما ما يختص به التُّزَارِيَّةُ ، فانهم يقولون : إنَّ الأَمْرَ صارَ إلى نِزَارٍ بعدَ أبيهِ المُسْتَنْصِرِ على ما تقدّم ذكره ، وإنَّ مَنْ بَحَّدَ إمامتَهُ فقد أخطأ ، ويزعمون أنه خرج من الإسكندرية حملاً في بطنِ أُمِّهِ وخاضَ بلادَ أعدائِهِ الذين هم المُسْتَعْلَوِيَّةُ بِمِصْرَ حتّى صارَ إلى بلادِ الشرقِ . ويقولون : إنَّ الأسمَ يغيرُ الصورةَ بمعنى ؛ ويروون أن الطَّعْنَ على الحَسَنِ بنِ الصَّبَّاحِ المُقَدِّمِ ذِكْرَهُ فيما نقله عن المُسْتَنْصِرِ من قوله : الإِمامَةُ بَعْدِي في وِلْدِي نِزَارٍ من أعظمِ الآثامِ ، ويعظّمون دِلاءَ الدِّينِ صاحبِ قلعةِ أَلْمُوتِ ، وهي قلعةٌ بالطَّائِقَانِ بناها السلطانُ مَلِكُ شَاهِ السَّجُوقِيُّ . وذلك أنه أَرَسَلَ عُقَاباً فَبَرَزَ في مَكَانِهَا ؛ فَلَمَّا وَافَى مَكَانَهَا بَنَى فِيهِ هَذِهِ القَلْعَةَ وَسَمَّاهَا أَلْمُوتَ ، ومعناه تَعْلِيمُ العُقَابِ .

وعلاءُ الدِّينِ هذا هو ابنُ جلالِ الدِّينِ الحَسَنِ الملقَّبِ بِالإِكْبَا ، وهو من عُقبِ الحَسَنِ بنِ الصَّبَّاحِ المُقَدِّمِ ذِكْرَهُ ، وكان أبوه جلالُ الدِّينِ قد أظهرَ شعائرَ الإسلامِ ، وكتبَ بذلك إلى سائرِ بلادِ الإِسْماعِيلِيَّةِ بالعجمِ والشَّامِ فأقيمتَ فيها ، ثم توفّيَ بقلعةِ أَلْمُوتِ المذكورةِ في سنة ثمانِ عشرةٍ وستمائةٍ ، فاستولى أبْنُهُ علاءُ الدِّينِ هذا على قلعةِ

(١) لعل الصواب « ويسفّهون رأى صلاح الدين يوسف بن أيوب » فانه هو الذي عمل ذلك العمل كما يشير إلى ذلك في العيمن الآتى والا فابن السُّلارِ قتل في زمن الظاهر .

ألموت المذكورة، وخالف رأى أبيه المذكور إلى مذهب الزارية، وصار رأساً من رؤوسهم، والتبرى منه عندهم من أشد الخطأ .

وأعلم أنّ أصل هذه الفرقة كانت بالبحرين في المائة الثانية وما بعدها ، ومنهم كانت القرامطة الذين خرجوا من البحرين حينئذ ، نسبة إلى رجلٍ منهم اسمه قرمط ، خرج فيهم وأدعى النبوة وأنه أنزل عليه كتاب ، ثم ظهروا بالمشرق "بأصبهان" : في أيام السلطان ملكشاه السلجوقي ، وأشتهروا هناك بالباطنية : لأنهم يُبطنون خلاف ما يُظهرون ، وبالملاحدة : لأن مذهبهم كله إلحاد ، ثم صاروا إلى الشام ، ونزلوا فيما حوّل طرابلس ، وأظهروا دعوتهم هناك ، وإليهم تُنسب قلاع الإسماعيلية المعروفة بقلاع الدعوة ، فيما حوّل طرابلس ، كصيف ، واخوایی ، والقدموس ، وغيرها .

ولما أفرقوا إلى مُستعَلوية ويزارية كما تقدم ، أخذ من منهم ببلاد المشرق بمذهب الزارية ، عملاً بدعوة ابن الصباح المقدم ذكره ، وأخذ من منهم بالشام بقلاع الإسماعيلية بمذهب المُستعلوية ، وصاروا شيعة لمن بعد المُستعلي من خلفاء الفاطميين بمصر ، وأشتهروا باسم الفداوية ، ووثبوا على السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالشام مراتٍ وهو راكب ليقْتلوه فلم يتمكنوا منه . ثم صالحهم بعد ذلك على قلاعهم بأعمال طرابلس في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، ثم انتموا إلى ملوك مصر في أيام الظاهر بيبرس ، وأشتهروا باسم الفداوية لمفاداتهم بالمال على من يقتلونه . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" نقلاً عن مقدمهم : مبارك بن علوان : أن كل من ملك مصر كان مظهرًا لهم . ولذلك يرون إتلاف نفوسهم في طاعته : لما ينتقلون إليه من النعيم الأكبر في زعمهم . ورأيت نحو ذلك في "أساس السياسة" لابن ظافر ، وذكر أنهم يرون أن ملوك مصر كالنواب لأئمتهم : لقيامهم مقامهم .

أما آيماهم التي يُخلفون بها فقد قال في "التعريف" جرياً على معتقدهم المتقدم :
 إن اليمين الجامعة لهم أن يقول : إِنِّي وَاللَّهِ وَاللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، الْفَرْدِ الصَّمَدِ ،
 الْقَادِرِ الْقَاهِرِ ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَحَقَّ أَمَّةَ الْحَقِّ ، وَهُدَاةَ الْخَلْقِ ، عَلِيٌّ وَبِنِهِ أَمَّةُ
 الظُّهُورِ وَالْخَفَاءِ ، وَإِلَّا بَرِئْتُ مِنْ صَحِيحِ الْوَلَاءِ ، وَصَدَقْتُ أَهْلَ الْأَبَاطِيلِ ، وَقُمْتُ
 مَعَ فِرْقَةِ الضَّلَالِ ، وَأَنْتَصَبْتُ مَعَ النَّوَاصِبِ فِي تَقْرِيرِ الْمَحَالِّ ، وَلَمْ أَقُلْ بِأَنْتِقَالِ الْإِمَامَةِ
 إِلَى السَّيِّدِ الْحُسَيْنِ ، ثُمَّ إِلَى بَنِيهِ بِالنَّصِّ الْجَلِيِّ ، مَوْصُولَةً إِلَى جَعْفَرِ الصَّادِقِ ؛ ثُمَّ إِلَى
 ابْنِهِ إِسْمَاعِيلِ صَاحِبِ الدَّعْوَةِ الْهَادِيَةِ ، وَالْآثَرَةِ الْبَاقِيَةِ ، وَإِلَّا قَدَحْتُ فِي الْقَدَّاحِ ،
 وَأَتَمَّمْتُ الدَّاعِيَ الْأَوَّلَ ، وَسَعَيْتُ فِي اخْتِلَافِ النَّاسِ عَلَيْهِ ، وَمَالَاتُ عَلَى السَّيِّدِ
 الْمَهْدِيِّ ، وَخَدَلْتُ النَّاسَ عَنِ الْقَائِمِ ، وَتَقَضَّيْتُ الدَّوْلَةَ عَلَى الْمُعْزِ ، وَأَنْكَرْتُ أَنْ يَوْمَ
 غَدِيرِ حُمٍّ لَا يُعْتَدُ فِي الْأَعْيَادِ ، وَقُلْتُ : أَنْ لَا يَعْلَمَ لِلْأَمَّةِ بِمَا يَكُونُ ، وَخَالَفْتُ مَنْ أَدَّعَى
 لَهُمُ الْعِلْمَ بِالْحَدِيثَانِ ، وَرَمَيْتُ آلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ بِالْعِظَامِ ، وَقُلْتُ فِيهِمْ بِالْكَبَائِرِ ، وَوَالَيْتُ
 أَعْدَاءَهُمْ ، وَعَادَيْتُ أَوْلِيَاءَهُمْ .

قال : ثم من هنا تُزادُ التَّزَارِيَةُ : وَإِلَّا بَخَحَدْتُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ صَارَ إِلَى نِزَارٍ ،
 وَأَنَّهُ أَتَى حَمَلًا فِي بَطْنِ جَارِيَةٍ لَخَوْفِهِ خَوْضَ بِلَادِ الْأَعْدَاءِ ، وَأَنْ الْأَسْمَ لَمْ يَغَيَّرِ
 الصُّورَةَ . وَإِلَّا طَعَنْتُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَّاحِ ، وَبَرِئْتُ مِنَ الْمَوْلَى عَلَاءِ الدِّينِ
 صَاحِبِ الْأَمْوَاتِ ، وَمَنْ نَاصِرِ الدِّينِ سِنَانِ الْمَلَقِّ بِرَاشِدِ الدِّينِ ، وَكُنْتُ أَوَّلَ
 الْمُعْتَدِينَ ؛ وَقُلْتُ : إِنَّ مَارَوْهَ كَانَ مِنَ الْأَبَاطِيلِ ، وَدَخَلْتُ فِي أَهْلِ الْفِرْقِيَةِ
 وَالْأَضَالِيلِ .

قال : وَأَمَّا مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْمُنْكَرِينَ لِإِمَامَةِ نِزَارٍ ، فَيُقَالُ لَهُمْ عِوَضُ
 هَذَا : وَإِلَّا قُلْتُ : إِنَّ الْأَمْرَ صَارَ إِلَى نِزَارٍ ، وَصَدَقْتُ الْقَائِلِينَ أَنَّهُ نَحْرَجَ حَمَلًا فِي بَطْنِ

جارية، وأنكرت ميثته الظاهرة بالإسكندرية، وأدعت أنه لم ينزع الحق أهله،
ويجاذب الخليفة ربهما، ووافقت شيعته، وتبع الحسَن بن صباح، وكنت
في النزارية آخر الأدوار.

قال: ثم يجمعهم آخر اليمين أن يقال: وإلا قلت مقالة ابن السَّار في النفاق
وسدَّدت رأى ابن أيوب، وألقت بيدي الراية الصفراء، ورفعت السوداء، وفعلت
في أهل القصر تلك الفعال، وتمحلت مثل ذلك المحال.

قلت: ما ذكره في "التعريف" فيما تزايدت النزارية: «ومن ناصر الدين سنان
الملقب براشد الدين» وهم: فإن سنانا المذكور إنما هو من إسماعيلية الشام الذين
هم شيعة المستعلوية لأن الإسماعيلية النزارية الذين هم ببلاد المشرق، على ما تقدم
ببانه. فكان من حقه أن يلحق ذلك بيمين من سواهم من الإسماعيلية الذين هم
المستعلوية. وكذلك قوله: ثم يجمعهم آخر اليمين أن يقال: «وإلا قلت مقالة
ابن السَّار في النفاق، وسدَّدت رأى ابن أيوب» إلى آخره، فإن ذلك مما يختص
بالمستعلوية، لأن ابن السَّار كان وزير الظافر كما تقدم، والظافر من جملة الخلفاء
القائمين بمصر بعد المستعلي، الذين خالفت النزارية في إمامتهم. وكذلك قضية ابن
أيوب إنما كانت مع العاضد آخر حلقائهم بمصر، وكل ذلك مختص بإسماعيلية الشام
الذين هم شيعة المستعلوية دون النزارية، وحينئذ فكان من حقه أن يقتصر في زيادة
يمين النزارية على آخر «وبرئت من المولى هلاء الدين صاحب الموت» ويزيد في يمين
من سواهم من الإسماعيلية بعد قوله آخر الأدوار: «وإلا برئت من ناصر الدين
سنان الملقب براشد الدين، وكنت أول المعتدين، وقلت: إن ما رآه كان من
الأباطيل، ودخلت في أهل الفرية والأضليل» ثم يقول بعد ذلك: «وإلا قلت

مقالة ابن السَّلار في النِّفاق ، وسَدَّدْتُ رَأْيَ ابْنِ أَيُّوبَ ، وألْقَيْتُ بِيَدِي الرِّأْيَةَ الصَّفْرَاءَ ، ورفَعْتُ السَّوداءَ ، وفعلتُ في أهلِ القَصْرِ تلكَ الفِعالَ ، وتمحَّلتُ مثل ذلكِ الحالِ » .

الفرقة الرابعة (من الشيعة الدرزية)

قال في "التعريف" : وهم أتباعُ أبي محمدِ الدرزي . قال في "التعريف" : وكان من أهلِ موالاةِ الحاكمِ أبي عليِّ المنصورِ بنِ العزيزِ خليفةِ مصر . قال : وكانوا أولاً من الإسماعيلية ، ثم خرجوا عن كلِّ ما تمحلُّوه ، وهَدَمُوا كلَّ ما أنلَّوه ، وهم يقولون برَجعةِ الحاكمِ ، وأن الألوهِيةَ انتهتْ إليه وتديرتْ ناسوتَه ، وهو يَغيبُ ويُظهِرُ بهيئتهِ ويُقتلُ أعداءَه قَتْلَ إبادةٍ لامعادَ بعده ، بل ينكرون المعادَ من حيثُ هو ، ويقولون نحو قولِ الطبايعية : إن الطبايع هي المولدة ، والموتُ بقاءُ الحرارةِ الغريزية ، كأنطفأ السراجُ بفسادِ الزيتِ إلا من اعتبطُ ، ويقولون : دهرٌ دائمٌ ، وعالمٌ قائمٌ ؛ أرحامٌ تدفعُ ، وأرضٌ تبلى ؛ بعد أن ذكر أنهم يستبيحون فروجَ المحارمِ وسائرَ الفروجِ المحرَّمةِ ، وأنهم أشدُّ كُفراً ونفاقاً من النصيريةِ الآتيةِ ذكرهم ، وأبعدُ من كلِّ خيرٍ وأقربُ إلى كلِّ شرٍّ .

ثم قال : وأصلُ هذه الطائفة هم الذين زادوا في البسملةِ أيامَ الحاكمِ ، فكتبوا : باسمِ الحاكمِ اللهُ الرَّحمنُ الرَّحيمُ ، فلما أنكر عليهم كتبوا : باسمِ اللهُ الحاكمِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، فجعلوا في الأولِ اللهُ صِفةً للحاكمِ ، وفي الثاني العكس . وذكر أن منهم أهلَ كسروانٍ ومن جاورهم . ثم قال : وكان شيخنا ابنُ تيميةَ رحمه اللهُ تعالى يرى

أَنَّ قِتَالَهُمْ وَقِتَالَ النَّصِيرِيَّةِ أَوْلَىٰ مِنْ قِتَالِ الْأَرْمَنِ : لِأَنَّهُمْ عَدُوٌّ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ وَشَرٌّ بِقَائِهِمْ أَضَرُّ .

وقد رتب علي هذا المعتقد أيمانهم في "التعريف" فقال : وهؤلاء أيمانهم .
 إنني والله وحق الحاكم ، وما أعتقده في مولاي الحاكم ، وما أعتقده أبو محمد
 الدرزي الحجة الواضحة ، وراه الدرزي مثل الشمس اللائحة ؛ وإلا قلت : إن مولاي
 الحاكم مات وبلي ، وتفترقت أوصاله وفني ؛ وأعتقدت تبديل الأرض والسماء ،
 وعود الرّم بعد الفناء ؛ وتبعّت كلّ جاهل ، وحظرت على نفسي ما أبيع لي ، وعملت
 بيدي على ما فيه فساد بدني ، وكفرت بالبيعة المأخوذة ، وألقيتها ورأيت منبوذة .

الفرقة الخامسة

(من الشيعة النصيرية بضم النون وفتح الصاد المهملة)

قال في "إرشاد القاصد" : وهم أتباع نصير غلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
 رضى الله عنه ، وهم يدعون ألوهية علي رضى الله عنه مغلاة فيه . قال الشهرستاني :
 [ولهم جماعة ينصرون مذهبهم ويؤوبون عن أصحاب مقالاتهم] ^(١) قال : وبينهم خلاف
 في كيفية إطلاق الألوهية على الأئمة [من أهل البيت] ^(١) واختلافهم راجع ^(٢)

(١) الزيادة من «الملل والنحل» للشهرستاني ص ١٠٩ .

(٢) بياض في الأصول مقدار ثلاثة أسطر .

ويزعمون أن مسكن عليّ السحاب ، وإذا مرّ بهم السحاب قالوا : السلام عليك يا أبا الحسن ، ويقولون : إن الرعد صوته ، والبرق ضحكك ، وهم من أجل ذلك يعظمون السحاب ؛ ويقولون : إن سلمان الفارسيّ رسولهُ ، وإن كشف الحجاب عمّا يقوله من أيّ كتابٍ بغير إذن ضلالٌ ، ويحبون ابن ماجة قاتل عليّ رضي الله عنه ، ويقولون : إنه خلص اللاهوت من الناسوت ، ويخطئون من يلعنه .

قال في "التعريف" : ولهم خطابٌ بينهم ، من خاطبوه به لا يعودُ يرجع عنهم ولا يُذيعه ولو ضرب عُنقه . قال : وقد جرب هذا كثيرا ، وهم ينكرون إنكاره .

قال في "إرشاد القاصد" : وهم يخفون مقاتلهم ، ومن أذاعها فقد أخطأ عندهم ، ويرون أنهم على الحق ، وأن مقاتلهم مقالة أهل التحقيق ، ومن أنكر ذلك فقد أخطأ .

قال في "التعريف" : ولهم [اعتقاد] في تعظيم النحر ، ويرون أنها من النور . ولزمهم من ذلك أن عظموا شجرة العنب التي هي أصل النحر حتى استعظموا قلعها . ويزعمون أن الصديق وأمير المؤمنين عمر وأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنهم تعدوا عليه ومنعوه حقه من الخلافة ؛ كما تعدى قاييل^(١) بن آدم عليه السلام عليّ أخيه هابيل ، وكما أعدى الثمود على الخليل عليه السلام ، وكما يقوم كل فرعون من الفراعنة عليّ نبيّ من الأنبياء عليهم السلام .

قال في "التعريف" : وهي طائفة ملعونة مردولة مجوسية المعتد ؛ لا تحرم البنات ولا الأخوات ولا الأمهات . قال : ويحكى عنهم في هذا حكايات .

وقد رتب في "التعريف" حلقهم عليّ مقتضى هذا المعتقد ، فقال : وإيمانهم : إنني وحقّ العليّ الأعلى ، وما أعتقده في المظهر الأسنى ؛ وحقّ النور وما نشأ منه ،

(١) الضمير راجع إلى "علي بن أبي طالب" وإن لم يذكر .

والسحاب وساكنه . وإلا برئت من مولاى على العلي العظيم ، وولائى له ، ومظاهر الحق ، وكشفت حجاب سلمان بغير إذن ، وبرئت من دعوة الحجّة نصير ، وخضت مع الخائضين فى لعنة ابن ملجم ، وكفرت بالخطاب ، وأذعت السر المصون ، وأنكرت دعوى أهل التحقيق ، وإلا قلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدي حتى أجتت أصولها وأمنع سبيلها ، وكنت مع قابيل على هايسل ، ومع التمرود على إبراهيم ، وهكذا مع كل فرعون قام على صاحبه ، إلى أن ألقى العلي العظيم وهو على ساخط ، وأبرأ من قول قنبر ، وأقول : إنه بالنار ما تطهر .

الطائفة الثالثة

(من أهل البدع القدرية)

وهم القائلون بأن لا قدر سابق ، وأن الأمر أنف : يعنى مستأنفاً ، ولكنهم لما سمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم « القدرية مجوس هذه الأمة » ، قَبِلُوا الدليل وقالوا بموجب الحديث ، وقالوا : القدرية اسم لمن يقول بسبق القدر . ثم غلب عليهم اسم المعتزلة بواسطة أن وأصل بن عطاء أحد أئمتهم كان يقرأ على الحسن البصرى فأعتزله بمسألة خالقه فيها . وهم يُسمون أنفسهم أهل التوحيد [وأهل العدل] ويعنون بالتوحيد نفى الصفات القديمة عن الله تعالى : كالحياة والعلم والإرادة والقُدرة ؛ وأنه تعالى حتى بذاته ، [عالم بذاته] مُريد بذاته ، قادر بذاته ، لا بحياة وعلم وإرادة وقُدرة ؛ ويعنون بالعدل أنهم يقولون : إنَّ العبد إنما يستحق الثواب والعقاب بفعله الطاعة والعصيان ، باعتبار أنه الخالق لأفعال نفسه دون الله تعالى ، تزيهاً له تعالى عن أن يضاف إليه خلق الشر : من كفر ومعصية . وإذا كان العبد هو الخالق لأفعال نفسه الموجد لها فليس قدر سابق .

ولهم أئمة كثيرة، لهم مصنقات في الأصول والفروع : منهم وأصل بن عطاء، وأبو الهديل العلاف، وإبراهيم النّظام، وإسْرُ بن المعتَمِر، ومَعْمَر بن عَبَّاد، وأبو عثمان الجاحظ، [وأبو عليّ الجبائي] ^(١) وابنه أبو هاشم، وغيرهم . وعندهم أنه لا قدر سابق بل الأمر أنف، وأن الله تعالى إنما يخلق الأفعال والمشئبة، وأن العبد هو المكتسب لأفعاله كما تقدم .

ومَنْ عَلَتْ رُتْبَتُهُ فِيهِمُ الْجَعْدُ بنِ دِرْهَمٍ ، أَجْتَمَعَ عَلَى مَرْوَانَ بنِ مُحَمَّدٍ آخِرِ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَأَخَذَ عَنْهُ مَرْوَانُ مَذْهَبَهُ فِي الْقَوْلِ بِالْقَدْرِ وَخَلَقِ الْقِرَاءِ ، وَعَلَتْ رُتْبَتُهُ عِنْدَهُ ، وَبِهِ سُمِّيَ مَرْوَانُ الْمَذْكَورُ الْجَعْدِيُّ . وَكَانَتْ لَهُ وَاقِعَةٌ مَعَ هِشَامِ بنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ مَرْوَانَ . وَيَسْتَعْظَمُونَ الْإِيمَانَ بِالْقَدْرِ : خَيْرِهِ وَشَرَّهُ ، وَيَتَّبِعُونَ مِنْهُ ، وَيَتَكْرَهُونَ الْقَوْلَ بَأَنَّ مَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ . وَيَقُولُونَ : إِذَا كَانَ أَمْرٌ مَفْرُوعٌ مِنْهُ فَفِيمَ يُسَدِّدُ الْإِنْسَانُ وَيُقَارِبُ ؟ . وَيَطْعَنُونَ فِي رِوَاةِ حَدِيثٍ : « أَعْمَلُوا فِكْلَ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ » . وَيَتَأَوَّلُونَ قَوْلَهُ تَعَالَى : (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ) . وَيَسْتَعْظَمُونَ الْبِرَاءَةَ مِنْ أَعْتِقَادِهِمْ ، وَلِقَاءَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْأَمْرَ غَيْرُ أَنْفٍ .

وقد رتب في "التعريف" أيماهم على هذا المعتقد، فقال :

وَيَمِينُهُمْ : وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ الْعَظِيمِ ذِي الْأَمْرِ الْأَنْفِ ، خَالِقِ الْأَفْعَالِ وَالْمَشِئْبَةِ . وَإِلَّا قُلْتُ : بِأَنَّ الْعَبْدَ غَيْرُ مُكْتَسِبٍ ، وَأَنَّ الْجَعْدَ بنِ دِرْهَمٍ مُحْتَقِبٌ ، وَقُلْتُ : إِنْ هِشَامُ بنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَصَابَ دَمًا حَلَالًا مِنْهُ ، وَإِنْ مَرْوَانَ بنِ مُحَمَّدٍ كَانَ ضَالًّا فِي اتِّبَاعِهِ ، وَآمَنْتُ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرَّهُ ، وَقُلْتُ : إِنْ مَا أَصَابَنِي لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَنِي

(١) الزيادة عن «خط المقرئ» ج ٢ ص ٣٤٨ .

وما أخطأني لم يكن ليصيني ، ولم أفل : إنه إذا كان أمرٌ قد فرغ منه فقيم أسدّد وأقارب ، ولم أظعن في رُوةٍ حديث « آعملوا فكلُّ ميسرٌ لما خُلق له » ولم أتأولُ معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ . وبرئت مما أعتقد ، ولقيتُ الله وأنا أقول : إِنَّ الْأَمْرَ غَيْرُ أَنْفٍ . وبالله التوفيق والعصمة .

المهيع الثاني

(في الأيمان التي يُخلف بها أهل الكُفر ممن قد يُحتاج إلى تحليفه ، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(من زعم منهم التمسك بشريعة نبيٍّ من الأنبياء عليهم السلام ، وهم أصحاب ثلاث ملل)

الملة الأولى

(اليهود)

وأشتقاقها من قولهم : هَادَ إِذَا رَجَعَ . ولزمها هذا الأسمُ من قول موسى عليه السلام : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ أي رجعنا وتضرعنا . ومثّلها اليهود المتمسكون بشريعة موسى عليه السلام . قال السلطان عمادُ الدين صاحبُ حماة في تاريخه : وهم أعمُّ من بني إسرائيل : لأن كثيراً من أجناس العرب والروم وغيرهم قد دخلوا في اليهودية وليسوا من بني إسرائيل . وكتابهم الذي يتمسكون به "التوراة" وهو الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام .

قال أبو جعفر النَّحَّاسُ ، في "صناعة الكُتَّاب" : وهي مُشْتَقَّةٌ من قولهم : وَرَّتْ نَارِي وَوَرِيَّتْ ، وَأُورِيَّتُهَا إِذَا اسْتَخْرَجْتَ ضَوْءَهَا : لأنه قد اسْتَخْرَجَ بِهَا أَحْكَامَ شَرْعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ النَّحَّاسُ يَمْنَحُ إِلَى أَنْ لَفِظَ التَّوْرَةَ عَرَبِيًّا ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ عِبْرَانِيٌّ مُعَرَّبٌ : لِأَنَّ لُغَةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ الْعِبْرَانِيَّةَ ، فَنَاسِبٌ أَنْ تَكُونَ مِنْ لُغَتِهِ الَّتِي يَفْهَمُهَا قَوْمُهُ ، قَالَ الشَّهْرَسْتَانِيُّ فِي "النَّحْلِ وَالْمِلَلِ" : وَهِيَ أَوَّلُ مُتْرَبٍ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ سُمِّيَ كِتَابًا ، إِذْ مَا قَبْلَهَا مِنَ الْمَتَرَلِ إِنَّمَا كَانَ مَوَاعِظَ وَنَحْوَهَا . قَالَ صَاحِبُ حَمَاةَ : وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْقِيَامَةِ وَلَا الدَّارِ الْآخِرَةِ وَلَا بَعْثٍ وَلَا جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ ، وَكُلُّ وَعِيدٍ يَقَعُ فِيهَا إِنَّمَا هُوَ بِمَجَازَاةٍ دُنْيَوِيَّةٍ ، فَيُوعَدُونَ عَلَى مَجَازَاةِ الطَّاعَةِ بِالنَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَطُولِ الْعُمُرِ ، وَسَعَةِ الرِّزْقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ؛ وَيُوعَدُونَ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ بِالمَوْتِ وَمَنْعِ الْقَطْرِ وَالْحَمِيَّاتِ وَالْحَرْبِ ، وَأَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ بَدَلِ الْمَطْرِ الْغُبَارُ وَالظُّلْمَةُ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، يَشْهَدُ لِمَا قَالَهُ تَعَالَى : ﴿ فَيُظْلِمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ . الْآيَةَ ، بِفِعْلِ الظُّلْمِ سَبَبًا لِلتَّحْرِيمِ . قَالَ : وَلَيْسَ فِيهَا أَيْضًا ذَمُّ الدُّنْيَا ، وَلَا طَلَبُ الرَّهْدِ فِيهَا ، وَلَا وَظِيفَةُ صَلَوَاتٍ مَعْلُومَةٍ ، بَلْ فِي التَّوْرَةِ الْمَوْجُودَةِ بِأَيْدِيهِمُ الْآنَ نَسَبَةٌ أُمُورٍ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنَ الْأَسْبَاطِ وَغَيْرِهِمْ لَا تَحِلُّ حِكَايَتُهَا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ التَّوْرَةَ عَلَى خَمْسَةِ أَسْفَارٍ :

أُولَاهَا — يَشْتَمِلُ عَلَى بَدْءِ الْخَلْقِ وَالتَّارِيخِ مِنْ آدَمَ إِلَى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وِثَانِيهَا — فِيهِ اسْتِخْدَامُ الْمُصْرِيِّينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَظُهُورُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِمْ ، وَهَلَاكُ فِرْعَوْنَ ، وَنَصْبُ قُبَّةِ الزَّمَانِ وَهِيَ قُبَّةُ [كَانَ يَنْزِلُ عَلَى مُوسَى فِيهَا الْوَحْيُ] وَأَحْوَالُ النَّبِيِّ ، وَإِمَامَةُ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَنَزُولُ الْعَشْرِ كَلِمَاتٍ فِي الْأُولَاحِ

(١) بياض في الأصل والتصحيح مما سيأتي قريباً . انظر ص ٢٥٨ من هذا الجزء .

على موسى عليه السلام ، وهى شبه مختصر مما فى التوراة يشتمل على أوامر ونواهٍ وسماع القوم كلام الله تعالى . وقد أخبر الله تعالى عنها بقوله : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ . قال مجاهد : وكانت الألواح من زمردة خضراء ، وقال ابن جبير : من ياقوتة حمراء ، وقال أبو العالمة : من زبرجد ، وقال الحسن : من خشب نزلت من السماء ، ويقال : إنها كانت لوحين . وإنما جاءت بلفظ الجمع : لأن الجمع قد يقع على الاثنين ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ والمراد آثان .

وثالثها — فيه كيفية تقريب القرابين على سبيل الإجمال .

ورابعها — فيه عدد القوم ، وتقسيم الأرض بينهم ، وأحوال الرسل الذين بعثهم موسى عليه السلام من الشام ، وأخبار المن والسلوى والغمام .

وخامسها — فيه أحكام التوراة بتفصيل المجمال ، وذكر وفاة هرون ثم موسى عليهما السلام ، وخلافة يوشع بن نون عليه السلام بعدهما .

ثم قد ذكر الشهرستانى وغيره أن فى التوراة البشارة بالمسيح عليه السلام ، ثم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ قد ورد ذكر المشيخا فى غير موضع ، وأنه يخرج واحد فى آخر الزمان ، هو الكوكب المضى الذى تشرق الأرض بنوره . وغير خاف على ذى لب أن المراد بالمشيخا المسيح عليه السلام ، وأن المراد بالذى يخرج فى آخر الزمان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، بل ربما وقعت البشارة بهما جميعا فى موضع واحد ، كما فى قوله : إن الله تعالى جاء من طور سيناء وظهر من ساعير وعان بقاران .

(١) كذا فى الشهرستانى أيضا وفى معجم البلدان لياقوت : وأشرق من ساعير وأستعلن الخ .

وساعير هي جبال بيت المقدس حيث مظهر المسيح عليه السلام، وفاران جبال مكة حيث ظهر النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الشهرستاني : وما كانت الأسرار الإلهية ، والأنوار الربانية ، في الوحي والتنزيل ، [والمناجاة والتأويل] ^(١) على ثلاث مراتب : مبدأً ووسطاً وكالاً ، وكان المحيى أشبه شئاً بالمبدأ ، والظهور أشبه بالوسط ، والعلن أشبه بالكال ، عبر في التوراة عن ظهور صبح الشريعة [والتنزيل] ^(١) بالمحيى [على طور سيناء] ^(١) ، وعن طلوع شمسها بالظهور [على ساعير] ، وعن بلوغ درجة الكمال [والأستواء] بالعلن [على فاران] ^(١) ، وقد عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم بوصفه في التوراة حق المعرفة : ﴿ فَمَا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ . وقد ذكر المفسرون عن ابن عباس رضي الله عنه أن موسى عليه السلام لما ألقى الألواح عند رجوعه إلى قومه ، تكسرت فلم يبق منها إلا سُدسها . ويروى أن التوراة كانت سبعين وسقاً بعير ^(٢) وأنها رُفِعَ منها ستة أسباعها وبقي السبع ، ففي الذي بقي الهدى والرحمة ، وفي الذي رُفِعَ تفصيل كل شئ .

وليعلم أن اليهود قد آفروا على طوائف كثيرة ، المشهور منها طائفتان :

الطائفة الأولى

(المستفق على يهوديتهم ، وهم القراءون)

وهم وإن كانوا فرقتين ، فإنهم كالفرقة الواحدة ، إذ تورأتهم واحدة ، ولا خلاف في أصل اليهودية بينهم . وقد اتفق الجميع على استخراج ستمائة وثلاث عشرة

(١) الزيادة عن « الملل والنحل » للشهرستاني (ص ١٢٥) .

(٢) بياض بأصله .

(٣) أي قرآئين وربانيين بدليل ما يأتي .

فَرِيضَةً مِنَ التَّوْرَةِ يَتَعَبَّدُونَ بِهَا . ثُمَّ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى نُبُوَّةِ مُوسَى وَهَرُونَ وَيُوشَعَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَعَلَى نُبُوَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ : وَهُوَ إِسْرَائِيلُ ، وَالْأَسْبَاطُ : وَهُمْ بَنُوهُ الْاِثْنَا عَشَرَ الْآتِي ذِكْرَهُمْ آخِرًا . وَهُمْ يَنْفَرِدُونَ عَنِ الطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ الْآتِي ذِكْرُهَا : وَهِيَ السَّامِرَةُ بِنُبُوَّةِ أَنْبِيَاءَ غَيْرِ مُوسَى وَهَرُونَ وَيُوشَعَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَيَنْقَلِبُونَ عَنِ يُوشَعَ تِسْعَةَ عَشَرَ كِتَابًا زِيَادَةً عَلَى التَّوْرَةِ يَعْبَرُونَ عَنْهَا بِالنَّبَوَاتِ تَعْرِفُ بِالْأَوَّلِ .

ثُمَّ الرَّبَّانِيُّونَ يَنْفَرِدُونَ عَنِ الْقَرَّائِينَ بِشُرُوحِ مَوْضُوعَةٍ لِفَرَاغِ التَّوْرَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ ، وَضَعَهَا أَحْبَابُهُمْ ، وَتَفْرِيغَاتٍ عَلَى التَّوْرَةِ يَنْقَلِبُونَهَا عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَيَتَّفِقُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْقَرَّاءُونَ عَلَى أَنَّهُمْ يَسْتَقْبِلُونَ صَخْرَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي صَلَاتِهِمْ ، وَيُوجِّهُونَ لَهَا مَوْتَاهُمْ ، وَعَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى طُورِ سَيْنَاءَ : وَهُوَ جَبَلٌ فِي رَأْسِ بَحْرِ الْقَلْزَمِ فِي جِهَةِ الشَّمَالِ عَلَى رَأْسِ جَزِيرَةٍ فِي آخِرِهِ ، دَاخِلٌ بَيْنَ ذِرَاعَيْنِ يَكْتَنِفَانِهِ .

وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي أَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا — الْقَوْلُ بِالظَّاهِرِ وَالْجُنُوحِ إِلَى التَّأْوِيلِ . فَالْقَرَّاءُونَ يَقْفُونَ مَعَ ظَوَاهِرِ أَصْوَابِ التَّوْرَةِ ، فَيَحْمِلُونَ مَا وَقَعَ فِيهَا مَنْسُوبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى : مِنْ ذِكْرِ الصُّورَةِ ، وَالتَّكْلِمْ ، وَالْأَسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ ، وَالتَّرْوِيلِ عَلَى طُورِ سَيْنَاءَ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ عَلَى ظَوَاهِرِهِ ، كَمَا تَقُولُهُ الظَّاهِرِيَّةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيُنَجِّرُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْقَوْلِ بِالتَّشْبِيهِ ، وَالْقَوْلِ بِالْجِهَةِ . وَالرَّبَّانِيُّونَ يَذْهَبُونَ إِلَى تَأْوِيلِ مَا وَقَعَ فِي التَّوْرَةِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، كَمَا تَفْعَلُ الْأَشْعَرِيَّةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

الثاني — القول بالقدر . فالرَّبَّانِيُّونَ يقولون بأن لا قدرَ سابق وأن الأمرُ أنفُ كما تقولهُ القَدْرِيَّةُ من المسلمين . والقراءون يقولون بسابق القدر كما تقولهُ الأشعريَّةُ . أما ما عدا ذلك فكلُّ القاريقين يقولون : إن الله تعالى قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ وَاحِدٌ قَادِرٌ ، وإنهُ تعالى بعث موسى بالحق ، وشَدَّ أزرَهُ بأخيه هرون . ويعظُمون التوراة التي هي كتابهم أتمَّ التعظيم ، حتَّى إنهم يُقسِمون بها كما يُقسِم المسلمون بالقُرآن ، وكذلك العشر كلمات التي أنزلت على موسى عليه السلام في الألواح الجوهريَّة ، وقد تقدّم أنها مختصّرة ما في التوراة ، مشتملة على أوامرٍ ونواهٍ وسماع كلام الله تعالى ، وهم يخلفون بها كما يخلفون بالتوراة ، ويعظُمون قُبَّةَ الزَّمان وما حوته : وهي القُبَّة التي كان ينزل على موسى فيها الوحي .

ومن أعظم أنواع الكُفر عندهم تَعَبُّدُ فِرْعَوْنَ وهامان لعنهما الله . (وكان اسمُ فِرْعَوْنَ موسى فيما ذكره المفسرون الوليد بن مُصعب ، وقيل : مُصعب بن الرِّيان . وأختلف فيه : فقيل كان من العالقة . وقيل من النَّبط . وقال مجاهد : كان فارسياً وهامان وزيره) والتَّبْرِيُّ من إسرائيل (وهو يعقوب عليه السلام) ومعنى إسرائيل فيما ذكره المفسرون « عبد الله » كأنَّ « إسرأ » عبد ، و« إيل » اسم الله تعالى بالعبرانية . وقيل : إسرأ من السَّر ، وكانَّ إسرائيل هو الذي شدَّه الله وأتقن خلقه .

ومن أعظم العظائم عندهم الأخذُ بيدِ النَّصرانية ، وتصديقُ مريم عليها السلام في دعواها أنها حملت من غير أن يمسها بشرٌ ، ويرمونها بأنها حملت من يوسف النَّجَّار ، وهو رجلٌ من أقاربها كان يخدم البيت المقدَّس معها ، ويرون تبرُّتها من ذلك جريرةً تقترف .

ويستعظمون الوُقوعَ في أمورٍ :

(١) لعله من الأسر كما يفيدُه ما بعده .

منها - القول بإنكار خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام وسماعه له .

ومنها - تعمد طور سيناء الذى كلم الله تعالى موسى عليه بالقادورات، ورعى صخرة بيت المقدس التى هى قبلتهم بالنجاسة، ومشاركة بختنصر فى هدم بيت المقدس وقتل بنى إسرائيل، وإلقاء العذرة على مظان أسفار التوراة .

ومنها - الشرب من النهر الذى آبتى به قوم طالوت ملك بنى إسرائيل، والميل إلى جالوت ملك الكنعانيين: وهو الذى قتله داود عليه السلام، ومفارقة شيعة طالوت الذين قاموا معه على جالوت. وذلك أنه لما رفعت التوراة وتسلط على بنى إسرائيل عدوهم من الكنعانيين الذين ملكهم جالوت، كانت النبوة حينئذ فيهم في شمعون، وقيل في شمويل، وقيل في يوشع بن نون، فقالوا له: إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً تقاتل في سبيل الله، فقال لهم ما أخبر الله تعالى به: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ ولم يكن من سبط الملك، إذ كان الملك من سبط معروف عندهم، فقيل: كان سقاءً، وقيل: كان دباغاً، فأنكروا ملكه عليهم، وقالوا كما أخبر الله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ الآية؛ فلما فصل طالوت بالجنود أراد الله تعالى أن يريه من يطيعه فى القتال ممن يعصيه، فسלט عليهم العطش وأبتلاهم بنهر من حولهم، قيل: هو نهر فلسطين، وقيل: نهر بين الأردن وفلسطين، فقال لهم طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ إلى قوله: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ .

ومنها - إنكار الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى إليهم: وهم موسى وهرون ويوشع ومن بعدهم: من أنبيائهم عليهم السلام، ومن قبلهم: من إبراهيم وإسحق ويعقوب صلوات الله عليهم، والأسباط الاثني عشر الآتى ذكرهم، والدلالة على دانيال

النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قُتِلَ ، وَإِخْبَارُ فِرْعَوْنَ مِصْرَ بِمَكَانِ إِرْمِيَاءِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ اخْتِفَائِهِ بِهَا ، وَالْقِيَامُ مَعَ الْبَغِيِّ وَالْفَوَاحِرِ يَوْمَ يَحْيَىٰ بِنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي الْمُسَاعَدَةِ عَلَيْهِ .

ومنها - القَوْلُ بِأَنَّ النَّارَ الَّتِي أَضَاءَتْ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ شَجَرَةِ الْعَوْسِجِ بِالطَّرِيقِ عِنْدَ مَسِيرِهِ مِنْ مَدْيَنَ حَتَّى قَصَدَهَا وَكَانَتْ وَسِيلَةً إِلَىٰ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَىٰ لَهُ نَارُ إِفْكٍ لَا وُجُودَ لَهَا ؛ وَكَذَلِكَ أَخَذَ الطَّرِيقَ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ تَوَجُّهِهِ إِلَىٰ مَدْيَنَ فَأَرَأَىٰ مِنْ فِرْعَوْنَ ، وَالْقَوْلُ فِي بَنَاتِ شُعَيْبِ اللَّاتِي سَقَىٰ لَهْنًا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْعِظَائِمِ وَرَمِيَهُنَّ بِالْقَيْحِ .

ومنها - الإِجْلَابُ مَعَ سَحْرَةِ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْقِيَامُ مَعَهُمْ فِي غَلْبَتِهِ ، وَالتَّبَرُّيُّ مِنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ومنها - قَوْلُ مَنْ قَالَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ : اللَّحَاقَ اللَّحَاقَ : لِنُدْرِكَ مِنْ فِرَّ : مِنْ مُوسَىٰ وَقَوْمِهِ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ .

ومنها - الإِشَارَةُ بِتَخْلِيفِ تَابُوتِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمِصْرَ حِينَ أَرَادَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَقْلَهُ إِلَى الشَّامِ لِيُدْفِنَهُ عِنْدَ آبَائِهِ : إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ : وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا تَابُوتَهُ فِي أَحَدِ شِقَى النَّيْلِ فَأَخْصَبَ وَأَجْدَبَ الْجَانِبُ الْآخَرَ ، فحَوَّلُوهُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ فَأَخْصَبَ ذَلِكَ الْجَانِبُ وَأَجْدَبَ الْجَانِبُ الْأَوَّلُ ، فحَوَّلُوهُ وَسَطَ النَّيْلِ فَأَخْصَبَ جَانِبَاهُ جَمِيعًا ، إِلَى أَنْ كَانَ زَمَنُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَضُرِبَ النَّيْلَ بَعْصَاهُ فَأَنْفَلَقَ عَنِ التَّابُوتِ . فَأَخَذَ فِي نَقْلِهِ إِلَى الشَّامِ لِيُدْفِنَهُ عِنْدَ آبَائِهِ كَمَا تَقَدَّمَ . فَأَشَارَ بَعْضُهُمْ بِبَقَائِهِ بِمِصْرَ فَوَقَعَ فِي مَحْطُورٍ لِمُخَالَفَةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا يُرِيدُهُ .

ومنها - التَّسْلِيمُ لِلسَّامِرِيِّ وَتَصَدِيقُهُ عَلَى الحِوَادِثِ الَّتِي أَحَدَتْهَا فِي اليَهُودِيَّةِ عَلَى مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي الكَلَامِ عَلَى السَّامِرَةِ فِي الطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ اليَهُودِ .

ومنها - نُزُولُ أَرِيحَا : مَدِينَةِ الجَبَّارِينَ مِنْ بِلَادِ فِلَسْطِينَ .

ومنها - الرِّضَا بِفِعْلِ سَكْنَةِ سَدُومَ مِنْ بِلَادِ فِلَسْطِينَ أَيْضًا وَهَمَّ قَوْمُ لُوطٍ .

ومنها - مَخَالَفَةُ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ الَّتِي وَرَدَ [الحَثُّ] فِيهَا عَلَيْهَا .

ومنها - اسْتِبَاحَةُ السَّبْتِ بِالْعَمَلِ فِيهِ وَالْمَدْوِ فِيهِ : إِذَا اسْتَبَاحَتْهُ عِنْدَهُمْ تَوْجِبُ هَدْرَ دَمٍ مُسْتَبِيحِهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مَسِيخٌ مِنْ مَسِيخٍ بِاسْتِبَاحَتِهِ قِرْدَةً وَخَنَازِيرًا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ .

ومنها - إِنْكَارُ عِيدِ المِظْلَةِ وَهُوَ [سَبْعَةُ أَيَّامٍ أَوَّلَهَا الخَامِسُ عَشْرَ مِنْ تَشْرِى] وَعِيدِ الحَنْكَةِ وَهُوَ [ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ يَوْقِدُونَ فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى مِنْ لَيْلِيهِ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهِمْ سَرَاجًا وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ سَرَاجِينَ وَهَكَذَا حَتَّى يَكُونَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّامِنَةِ ثَمَانِيَةَ سَرَجٍ] وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ أَعْيَادِهِمْ .

ومنها - القَوْلُ بِالْبَدَاءِ عَلَى اللَّهِ فِي الْأَحْكَامِ ، وَهُوَ أَنْ يَخْطِرَ لَهُ غَيْرُ الخَاطِرِ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ تَعَالَى مُتَزَهٌّ عَنْ ذَلِكَ ، وَرَتَّبُوا عَلَيْهِ مَنَعَ نَسْخِ الشَّرَائِعِ ، وَيَزَعْمُونَ أَنَّ النِّسْخَ يَسْتَلْزِمُ البَدَاءَ ، وَهُوَ مِمَّا اتَّفَقَ كَافَّةُ اليَهُودِ عَلَى مَنَعِهِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ أَوَّلًا .

ومنها - أَعْتِقَادُ أَنَّ المَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ المَوْعُودُ بِهِ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، المَذْكَورَ بِلَفْظِ المَشِيحَا وَغَيْرِ ذَلِكَ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ .

ومنها - الأَنْتِقَالُ مِنْ دِينِ اليَهُودِيَّةِ إِلَى مَا سِوَاهَا مِنَ الأَدْيَانِ ، إِذْ عِنْدَهُمْ أَنَّ شَرِيعَةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هِيَ الَّتِي وَقَعَ بِهَا الإِبْتِدَاءُ ، وَبِهَا وَقَعَ الأَخْتِمَامُ .

(١) بياض بالأصول والتصحيح من ج ٢ ص ٤٢٦ و ٤٢٨ من هذا المطبوع

(٢) هو عين ما بعده في المعنى .

ومنها - الانتقال من اليهودية إلى ما عداها من الأديان : كالإسلام والنصرانية وغيرهما ، فإنه يكون بمثابة المُرْتَدَّ عند المسلمين .

ومنها - استباحة لحم الجمل : فإنه محرمٌ عندهم ، ومن استباحه فقد ارتكب محظوراً عظيماً عندهم ، وقد دخل ذلك في عموم قوله تعالى إخباراً بما حرم عليهم : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ . يعني ما ليس بمنفرج الأصابع كالإبل وما في معناها .

ومنها - استباحة أكل الشحم خلا شحم الظهر ، وهو ما علا فإنه مباح لهم ؛ وعن ذلك أخبر الله تعالى بقوله : ﴿ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَتِ ظُهُورُهُمَا ﴾ .

ومنها - استباحة أكل الحوايا . قال ابن عباس وغيره : هي المباعس . وقال أبو عبيدة : هي ما تحوى من البطن أى استدار ، والمراد شحم الثرب . وكذلك استباحة ما اختلط من الشحم بعظم وهو شحم الآلية ، وعنه أخبر تعالى بقوله : ﴿ أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ عطفاً على الشحوم المحرمة . على أن بعض المفسرين قد عطف قوله تعالى : ﴿ أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ على المستثنى في قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَمَتِ ظُهُورُهُمَا ﴾ . فحمله على الاستباحة ، والموافق لما يدعونه الأول ، وبرون أن سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا لم يحرم علينا شيء إنما حرم إسرائيل على نفسه الثرب وشحم الآلية فجنح حرمه ، فنزلت . على أن اليهود القرائن والربانيين يحملونها فيبيعونها ويأكلون ثمنها ، ويتأولون أن أكل ثمنها غير آكل منها ، وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : « قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ ! حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوهَا ثَمَنُهَا » والسامرة مخالفون في ذلك ، ويقولون بتحریم الثمن أيضاً ، على ما سيأتى ذكره .

وَيُعْلَمُ أَنَّ الْقَرَّائِينَ وَالرَّبَّانِيِّينَ يُحْرَمُونَ مِنَ الذَّبِيحَةِ كُلِّ مَا كَانَتْ رِثْتُهُ مُلْتَصِقَةً بِقَلْبِهِ
أَوْ يَضْلَعُهُ ، وَالسَّامِرَةَ لَا يُحْرَمُونَ ذَلِكَ .

(١)

ومنها - مقالة أهل بابل في إبراهيم عليه السلام ، وهى قولهم (١) .

ومنها - أن يُحْرَمَ الْأَحْبَارُ الَّذِينَ هُمْ عُلَمَاؤُهُمْ عَلَى الْوَاحِدِ مِنْهُمْ ، بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يَمْنَعُونَهُ
مِنْ مُبَاحَاتِهِمْ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالنِّكَاحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ حُرْمَةً يَجْعُونَ عَلَيْهَا ، وَنَتَأَكَّدُ
بِقَلْبِ حُصْرِ الْكُتَّاسِ عَلَيْهَا ؛ إِذْ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا حَرَّمُوا عَلَى شَخْصٍ وَأَرَادُوا التَّشْدِيدَ
عَلَيْهِ قَلَبُوا حُصْرَ الْكُتَّاسِ عِنْدَ ذَلِكَ التَّحْرِيمِ تَغْلِيظًا عَلَى الْمَحْرَمِ عَلَيْهِ .

ومنها - الرَّجُوعُ إِلَى التَّيِّبِ بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنْهُ ، فَإِنَّهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَيْهِ عِنْدَ سُخْطِ
اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِمُخَالَفَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ امْتِنَاعِهِمْ عَمَّا أَمَرُوا بِهِ مِنْ قِتَالِ
الْجَبَّارِينَ ، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيمُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ : وَكَانَ تَيْمُهُمْ
سِتَّةَ فَرَاسِخٍ فِي أَرْبَعَةِ فَرَاسِخٍ ، يَمْشُونَ كُلَّ يَوْمٍ وَيَبْتَئُونَ حَيْثُ يُصْبِحُونَ ، فَأَمَرَ اللَّهُ
تَعَالَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَضْرَبَ الْحَجْرَ بِعَصَاهُ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ آيَاتُ عَشْرَةِ عَيْنًا ،
وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ سَبْطًا لِكُلِّ سَبْطٍ عَيْنٌ ، فَإِذَا أَخَذُوا حَاجَتَهُمْ مِنَ الْمَاءِ أَحْتَسِبُ
وَحَمَلُوا الْحَجْرَ مَعَهُمْ ، وَكَانَتْ ثِيَابُهُمْ فِيمَا يُرَوَى لَا تُحْرَقُ وَلَا تُتَدَنَسُ ، وَتَطُولُ كَمَا
طَالَ الصَّيَّانُ .

ومنها - تَحْرِيمُ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى الَّذِي آمَنَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِهِ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ بِقَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴾ وَيُقَالُ إِنَّهُ التَّرَجِيمُ .
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَالْمَرَادُ بِالْمَنِّ الَّذِي يَسْقُطُ عَلَى الشَّجَرِ وَهُوَ مَعْرُوفٌ . قَالَ قَتَادَةُ :
كَانَ الْمَنُّ يَسْقُطُ عَلَيْهِمْ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ كَسُقُوطِ النَّجْمِ ، فَيَأْخُذُ

(١) بياض بالأصول ولعله « انه لمن الظالمين في تكسير أصنامهم » .

الرجل منهم ما يكفيه ليومه، فان أخذاً أكثر من ذلك فسَد . وأما السَّلوى، فقيل :
هي طائرٌ كالسَّماني، وقال الضَّحَّاك : هي السَّماني نَفْسُها، وقال قتادة : هو طائرٌ إلى
الحُمْرة كانت تحسره عليهم الجنوب .

ومنها - التبرؤ من الأسباب : وهم أولاد يعقوب عليهم السلام، وعددهم اثنا عشر
سبباً : وهم يوسف، وبليامين، ونفتالي، ورؤييل، ويهوذا، وشمعون، ولاوي،
ودان، وزبولون، ويشجر، وجاد، وأشر، ومنهم تفرع جميع بني إسرائيل ولد كل
منهم أمة من الناس . ومثوا أسباطاً أخذاً من السبب وهو التابع، إذ هم جماعة
متتابعون . وقيل : من السبب وهو الشجر، فالسبب الجماعة الراجعون إلى
أصل واحد .

ومنها - القعود عن حرب الجبارين مع القُدرة على حريمهم : وذلك أنهم أُسروا
بدخول الأرض المقدسة : وهي بيت المقدس فيما قاله ابن عباس والسدي وغيرهما،
والشام فيما قاله قتادة، ودمشق وفلسطين وبعض الأردن فيما قاله الزجاج، وأرض
الطور فيما قاله مجاهد، وكان فيها قوم جبارون من العالقة كما أخبر الله تعالى، والجبار
هو المتعظم المنتفع من الدل والقهر أخذاً من الإجبار : وهو الإكراه كأنه يجبر غيره
على ما يريد .

قال ابن عباس : لما بعث موسى عليه السلام من قومه اثني عشر نقيباً ليخبروه
خبرهم، رآهم رجل من الجبارين فأخذهم في كفه مع قاكهة كان قد حملها من بستانه
وجاء بهم إلى الملك فنثرهم بين يديه، وقال : إن هؤلاء يريدون قتالنا، وكان من
أمرهم ما قصه الله تعالى في كتابه بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَدْخَلُوا

(١) كذا في الكشاف للزمخشري (ج ١ ص ٣٨٠) وفي الأصل «نفتاي» .

(٢) في الأصل : ربولى، والتصحيح من الخطيب الشربيني (ج ٢ ص ٩١) .

الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا
يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا
دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيَّمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا
دَخَلْتُمُوهُ فَانكروا غَالِبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا
أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ
إِلَّا نَفْسِي وَآخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ . فكان في قعودهم عن حرب
الجبارين مع القدرة والنشاط مخالفة لما أمرُوا به .

وقد رتب في "التعريف" "إيمان اليهود على هذا المقتضى" ، فقال : ويمينهم .

إِنِّي وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ ، الْقَدِيمِ الْأَزَلِيِّ الْقَرْدِ الصَّمَدِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْمُدْرِكِ
الْمُهْلِكِ ، بَاعِثِ مُوسَىٰ بِالْحَقِّ ، وَشَادَّ أَزْرَهُ بِأَخِيهِ هَارُونَ ، وَحَقَّ التَّوْرَةَ الْمَكْرَمَةَ وَمَا
فِيهَا وَمَا تَضَمَّنَتْهُ ، وَحَقَّ الْعَشْرَ كَلِمَاتِ الَّتِي أَنْزَلْتَ عَلَىٰ مُوسَىٰ فِي الصُّحُفِ الْجَوْهَرِ ،
وَمَا حَوَتْهُ قُبَّةَ الزَّمَانِ ، وَإِلَّا تَعَبَدْتُ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ، وَبَرَّيْتُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ،
وَدِنْتُ بِدِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَصَدَّقْتُ مَرْيَمَ فِي دَعْوَاهَا ، وَبَرَّيْتُ يُوسُفَ النَّجَّارَ ،
وَأَنْكَرْتُ الْخَطَابَ ، وَتَعَمَّدْتُ الطُّورَ بِالْقَادُورَاتِ ، وَرَمَيْتُ الصَّخْرَةَ بِالنَّجَاسَةِ ،
وَشَرَكْتُ بِجُحَنَنْصَرَ فِي هَدْمِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَقَتْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَلْقَيْتُ الْعَذْرَةَ عَلَىٰ
مَظَانِّ الْأَسْفَارِ ، وَكُنْتُ مِمَّنْ شَرِبَ مِنَ النَّهْرِ وَمَالَ إِلَىٰ جَالُوتَ ، وَفَارَقْتُ شَيْعَةَ
طَالُوتَ ، وَأَنْكَرْتُ الْأَنْبِيَاءَ ، وَدَلَلْتُ عَلَىٰ دَانِيَالَ ، وَأَعْلَمْتُ جَبَّارَ مِصْرَ بِمَكَانِ إِرْمِيَاءَ ،
وَكَنْتُ مَعَ الْبَغِيِّ وَالْفَوَاحِشِ يَوْمَ يَحْيَىٰ ، وَقُلْتُ : إِن النَّارَ الْمُضِيئَةَ مِنْ شَجَرَةِ الْعَوْسِجِ نَارُ
إِنِّكَ ، وَأَخَذْتُ الطَّرِيقَ عَلَىٰ مَدْيَنَ ، وَقُلْتُ بِالْعِظَائِمِ فِي بَنَاتِ شُعَيْبَ ، وَأَجَلَبْتُ مَعَ
السَّحْرَةَ عَلَىٰ مُوسَىٰ ، ثُمَّ بَرَّيْتُ مِنْ آمَنَ مِنْهُمْ ، وَكُنْتُ مَعَ مَنْ قَالَ : اللَّحَاقَ اللَّحَاقَ

لندرك من فرّ، وأشرتُ بتخليف تابوت يوسف في مصر، وسلمت إلى السامريّ، ونزلت أريحا مدينة الجبارين، ورضيتُ بفعل سَكَنَةِ سَدُومَ، وخالفتُ أحكام التّوراة، وأستبحتُ السَّبْتَّ وعدوتُ فيه، وقلتُ إن المظالمة ضلال، وإن الحنكة محال، وقلتُ بالبداء على الله تعالى في الأحكام، وأجزتُ نسخ الشرائع، واعتقدتُ أنّ عيسى بن مريم المسيح الموعودُ به على لسان موسى بن عمران، وأنتقلتُ عن اليهودية إلى سواها من الأديان، وأستبحتُ لحم الجمل والشحم والحوايا أو ما أختلط بعظم، وتأولتُ أنّ آكل ثمنه غير آكله، وقلتُ مقالة أهل بابل في إبراهيم، وإلا أكون محرماً حرمةً يجمع عليها الأخبار، وتقلبُ عليها حصر الكنائس، ورُددتُ إلى التّيه، وحرمتُ المنّ والسّلوى، وبرّيتُ من كلّ الأسباط، وقعدتُ عن حرب الجبارين مع القُدرة والنشاط.

قلتُ : قوله في هذه اليمين في حرمة الشحم وما في معناه : وتأولتُ أنّ آكل ثمنه غير آكله، بمعنى أنه يستعظم الوقوع في تأول ذلك، وهو خلاف معتقدهم : لأنهم يتأولون أنّ آكل ثمنه غير آكله كما تقدم عنهم، وإنما تمنع ذلك السامرة، فكان من حقّه أن يُورد ذلك في يمين السامرة وأن يقول هنا : ولم أتأول أنّ آكل ثمنه غير آكله فتنبه لذلك .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ مَا اسْتُحْدِثَتْ هَذِهِ الْإِيمَانُ لِأَهْلِ دِينِ الْيَهُودِيَّةِ فِيمَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْمَدَائِنِيُّ فِي كِتَابِ " الْقَلَمِ وَالذَّوَاةِ " فِي زَمَنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ وَزَيْرِ الرَّشِيدِ ، أَحَدِثَهَا كَاتِبٌ لَهُ قَالَ لَهُ : كَيْفَ تُحَاكِّفُ الْيَهُودِيَّ قَالَ : أَقُولُ لَهُ : وَإِلَّا بَرَّيْتُ مِنْ إِلَهِكَ الَّذِي لَا تَعْبُدُ غَيْرَهُ وَلَا تَدِينُ إِلَّا لَهُ ، وَرَغَبْتَ عَنْ دِينِكَ الَّذِي آرْتَضِيْتَهُ ، وَجَحَدْتَ التَّوْرَةَ وَقُلْتَ : إِنَّ حِمَارَ الْعَزِيزِ رَاكِبٌ بِحَمَلِ مُوسَى ، وَلَعْنِكَ ثَمَامَةُ

حَبَّرَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَمَسَّخَكَ اللَّهُ كَمَا مَسَّخَ أَصْحَابَ السَّبْتِ ،
 فَعَمِلَ مِنْهُمْ الْقَرَدَّةَ وَالْحَنَازِيرَ ، وَخَالَفَتْ مَا دَوَّنَهُ دَانِيَالُ وَأَسْلَمُوا وَيُوحَنَّا ،
 وَتَقَبَّتْ اللَّهُ بَدَمَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ، وَهَدَمَتِ الطُّورَ صَخْرَةَ صَخْرَةَ ، وَضَرَبَتِ بِالنَّاقُوسِ
 فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَتَبَرَأَ مِنْكَ الْأَسْبَاطُ وَأَبَاؤُهُمْ : إِسْرَائِيلُ ، وَإِسْحَاقُ ، وَإِبْرَاهِيمُ ،
 وَغَمَسَتِ حَيَّةَ الْجَائِلِيَّ فِي مَعْمُودِيَّةِ النَّصَارَى ، وَأَتَقَلَّبَتِ عَنِ السَّبْتِ إِلَى الْأَحَدِ ،
 وَإِلَّا قَدَّرَ اللَّهُ لَكَ أَنْ تَلْقَى الَّذِي يُخْرِجُ مِنَ الْمَاءِ لَيْلَةَ السَّبْتِ ، وَصَيَّرَ اللَّهُ طَعَامَكَ لَحْمَ
 الْخَنزِيرِ وَكُرُوشَ الْجَمَالِ وَمِعَدَّ الْخَنَازِيرِ ، وَسَاطَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِكَ بِخَتْنِصْرٍ ثَانِيَةً
 يَقْتُلُ الْمُقَاتِلَةَ وَيَسْبِي الذَّرِيَّةَ وَيَحْرَبُ الْمَدَائِنَ ، وَأَرَاكَ اللَّهُ الْأَيْدَى الَّتِي تَبَالُ الرُّكْبَ
 مِنْ قَبِيلِ الْأَسْبَاطِ ، وَأَخَذَكَ اللَّهُ بِكُلِّ لِسَانٍ جَمَدَتَهُ وَبِكُلِّ آيَةٍ حَرَّقَهَا ، وَقَلَّتْ
 فِي مُوسَى الزُّورَ ، وَإِنَّهُ فِي مَحَلِّ ثُبُورٍ ، وَفِي دَارِ غُرُورٍ ، وَجَمَدَتْ إِهْيَا أَشْرَاهِيَا^(١)
 أَصْبُوتُ آلِ شَدَاءَ . وَهَذِهِ الْيَمِينُ لِأَزْمَةِ لَكَ وَلِبَيْتِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

قُلْتُ : هَذِهِ الْيَمِينُ فِي غَايَةِ الْإِيْتِمَانِ وَالتَّشْدِيدِ ، إِلَّا أَنَّ قَوْلَهُ : وَأَخَذَكَ اللَّهُ بِكُلِّ
 لِسَانٍ جَمَدَتَهُ وَبِكُلِّ آيَةٍ حَرَّقَهَا غَيْرُ مَنَاسِبٍ لِتَحْلِيْفِهِمْ : لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنْ لَا إِثْمَ عَلَيْهِمْ
 فِي الْجَمْدِ وَلَا يَعْتَرِفُونَ بِالتَّحْرِيفِ بَلْ يُنْكِرُونَهُ . عَلَى أَنْ أَكْثَرَهَا غَيْرُ مُتَوَارِدٍ عَلَى الْيَمِينِ
 الَّتِي أوردَهَا فِي "التعريف" : فَلَوْ أَلْحَقَهَا بِهَا مُلْحَقٌ فِي آخِرِهَا عَلَى صِيغَةِ الْيَمِينِ الْأُولَى
 مِنْ إِيْرَادِهَا بِصِيغَةِ التَّكْلِيمِ ، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ : وَإِلَّا بَرَّتْ مِنْ إِلْهِى الَّذِى لَا أَعْبُدُ
 غَيْرَهُ وَلَا أَدِينُ إِلَّا لَهُ ، وَإِلَّا رَغِبْتُ عَنْ دِينِى الَّذِى آرْتَضِيْتُهُ ، وَعَلَى ذَلِكَ فِي الْبَاقِ ،
 لَكَانَ حَسَنًا .

(١) هكذا ضبطها في القاموس ، ثم قال : ويقولون إهيا شراها وهو خطأ ، على ما رجمه أخبار اليهود .

الطائفة الثانية

(من اليهود السامرة)

وهم أتباع السامري الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله في سورة الأعراف :
 ﴿ وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ . قال بعض المفسرين : وأسمه موسى بن ظفر ، وكان أصله
 من قوم يعبدون البقر فرأى جبريل عليه السلام مرة وقد جاء إلى موسى راكباً على
 قرس الحياة ، فأخذ قبضة من تراب من تحت حافر فرسه . وكان بنو إسرائيل
 قد خرجوا معهم حلبي [استعاروه] من القبط ، فأمرهم هرون أن يحفروا حفرة
 ويلقوا فيها ذلك الحلبي حتى يأتي موسى فيرى فيه رأيه ، فجمعوا ذلك الحلبي كله
 وألقوه في تلك الحفرة ، فجاء السامري فألقى ذلك التراب عليه ، وقال له : كن عجلاً
 جسداً له خوار ، فصارك ذلك . قال الحسن : صار حيواناً لحمًا ودمًا . وقيل :
 بل صار يحور ولم تتقلب عينه . فقال لهم السامري : هذا إلهكم وإله موسى ،
 فعكفوا على عبادته ، ونهاهم هرون فلم ينتهوا ^(١) . وحرق العجل وذراه في اليم
 كما أخبر الله تعالى عنه بقوله : ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا
 لَنُحْرِقَنَّكَ نَحْرُقَهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ . فأمروا بقتل أنفسهم كما أخبر تعالى بقوله :
 ﴿ فَتَوَبُّوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ الآية . فقتل منهم سبعون ألفاً ثم رفع عنهم
 القتل بعد ذلك .

وقد اختلف في السامرة : هل هم من اليهود أم لا؟ والقراءون والربانيون
 ينكرون كون السامرة من اليهود . وقد قال أصحابنا الشافعية رحمهم الله : إنهم إن
 وافقت أصولهم أصول اليهود فهم منهم حتى يقرؤوا بالحزبية وإلا فلا .

(١) بياض بالأصل ولعله "جاء موسى وحرق الخ" .

ثم السامرة لهم توراة تخصهم غير التوراة التي بيد القرائين والربانيين ، والتوراة التي بيد النصارى ؛ وهم ينفردون عن القرائين والربانيين بإنكار نبوة من بعد موسى ما عدا هرّون ويوشع عليهما السلام ، ويخالفونهم أيضا في استقبال صحرة بيت المقدس ، ويستقبلون طور نابلس ويوجهون إليه موتاهم ، زاعمين أنه الذي كلم الله تعالى موسى عليه ، ويزعمون أن الله تعالى أمر داود عليه السلام ببناء بيت المقدس عليه ، فخالف وبناه بالقدس : قاتلهم الله أنى يؤفكون . وهم قائلون أيضا : إن الله تعالى هو خالق الخلق البارئ لهم ، وإنه قادر قاهر قديم أزلي . ويوافقون على نبوة موسى وهرّون عليهما السلام ، وأن الله تعالى أنزل عليه التوراة ، إلا أن لهم توراة تخصهم تخالف توراة القرائين والربانيين المتقدمة الذكر ، وأنه أنزل عليه أيضا الألواح الجوهر المتضمنة للعشر كلمات المتقدمة الذكر ، ويقولون أن الله تعالى هو الذي أتقذ بني إسرائيل من فرعون ونجّاهم من الغرق ، ويقولون : إنه نصب طور نابلس المقدم ذكره قبلة للتعبّد .

وليستعظمون الكفر بالتوراة التي هم يعترفون بها ، والتبرّى من موسى عليه السلام دون غيره من بني إسرائيل ، ويعظمون طورهم طور نابلس المقدم ذكره ؛ وليستعظمون دكّه وقلع آثار البيت الذي حُمر به ؛ وليستعظمون استباحة السبت كغيرهم من اليهود ؛ ويوافقون القرائين في الوقوف مع ظواهر نصوص التوراة ؛ ويمنعون القول بالتأويل الذاهب إليه الربانيون من اليهود ؛ وينكرون صحّة توراة القرائين والربانيين ، ويجعلون الأعتدال على توراتهم ؛ ويقولون : لا مَسَّس : بمعنى أنه لا يمَسُّ أحدا ولا يمسه . قال في "الكشاف" : كان إذا مسَّ أحدا أو مَسَّه أحدٌ حصلت الحمى للمسَّ والمَسُّوس . وقد أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام للسامريّ ﴿ أَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَّاسَ ﴾

وَيُحْرَمُونَ مِنَ الذَّابِحِ ^(١) ، وَيُحْرَمُونَ أَكْلَ اللَّحْمِ مُخْتَلَطًا بِلَبَنٍ ، زَاعِمِينَ أَنَّ
فِي تَوَارِيثِهِمُ النَّهْيَ عَنِ أَكْلِ لَحْمِ الْجَدْيِ بِلَبَنِ أُمِّهِ ، وَيَسْتَعْظِمُونَ السَّعْيَ إِلَى الْخُرُوجِ
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي حُرِّمَ عَلَيْهِمْ سُكُوتُهَا وَهِيَ مَدِينَةُ أَرِيحَا .

وَمَنْ أَكْبَرَ الْجَبَائِرِ عِنْدَهُمْ وَطَءَ الْمَرْأَةَ الْخَائِضَ ، وَالنَّوْمُ مَعَهَا فِي مَضْجَعٍ وَاحِدٍ ،
لَا سِيَّيَا إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ مُسْتَبِيحًا لَهُ . وَمَنْ أَعْظَمَ الْعِظَامِ عِنْدَهُمْ إِنْكَارُ خِلَافَةِ هَرُونَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْأَنْفَةُ مِنْ كَوْنِهَا .

وَقَدْ رَتَّبَ فِي "التعريف" : يَمِينَهُمْ عَلَى مَقْتَضَى ذَلِكَ ، فَذَكَرَ أَنَّ يَمِينَهُمْ :

إِنِّي وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ ، الْبَارِيَّ ، الْقَادِرِ ، الْقَاهِرِ ، الْقَدِيمِ ، الْأَزَلِيِّ ، رَبِّ
مُوسَى وَهَرُونَ ، مُنَزِّلِ التَّوْرَةِ وَالْأَلْوَابِ الْجَوْهَرِ ، مُنْقِذِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَنَاصِبِ الطُّورِ
قِبْلَةً لِلتَّعْبِيدِ . وَإِلَّا كَفَرْتُ بِمَا فِي التَّوْرَةِ ، وَبَرِئْتُ مِنْ نُبُوَّةِ مُوسَى ، وَقُلْتُ : إِنَّ
الْإِمَامَةَ فِي غَيْرِ بَنِي هَرُونَ ، وَدَكَّيْتُ الطُّورَ ، وَقَلَعْتُ بِيَدِي أَثَرِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ،
وَأَسْتَبِيحُ حُرْمَةَ السَّبْتِ ، وَقُلْتُ بِالتَّأْوِيلِ فِي الدِّينِ ، وَأَقْرَرْتُ بِصِحَّةِ تَوْرَةِ الْيَهُودِ ،
وَأَنْكَرْتُ الْقَوْلَ بِأَنَّ لَامِسَّاسَ ، وَلَمْ أَتَجَنَّبْ شَيْئًا مِنَ الذَّابِحِ ، وَأَكَلْتُ الْجَدْيَ بِلَبَنِ
أُمِّهِ ، وَسَعَيْتُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْأَرْضِ الْمَحْظُورِ عَلَى سَكْنِهَا ، وَأَتَيْتُ النِّسَاءَ الْحَيْضَ
زَمَانَ الطَّمْثِ مُسْتَبِيحًا لَهُنَّ ، وَبِتُّ مَعَهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَكُنْتُ أَوَّلَ كَافِرٍ بِخِلَافَةِ
هَرُونَ ، وَأَنْفَتُ مِنْهَا أَنْ تَكُونَ .

(١) بياض بالأصل .

الفِرْقَةُ الثَالِثَةُ

(مَنْ تَدْعُو الضَّرُورَةَ إِلَى تَحْلِيفِهِ - النَّصْرَانِيَّةُ)

وقد اختلف في اشتقاقها، ف قيل : أخذًا من قول المسيح للحواريين : ((من أنصاري إلى الله)) وقول الحواريين : ((نحن أنصار الله)) . وقيل : من نزوله هو وأمه - بعد عودها به من مصر - بالناصرة : وهي قرية من بلاد فلسطين من الشام : وقيل غير ذلك .

والنصارى - هم أمة عيسى عليه السلام ، وكاتبهم الإنجيل . وقد اختلف في اشتقاقه على ثلاثة مذاهب حكاه أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" :

أحدها - أنه مأخوذ من قولهم : نجت الشيء إذا أخرجته ، بمعنى أنه خرج به دأرس من الحق .

والثاني - أنه مأخوذ من قولهم : تناجل القوم إذا تنازعوا ، لأنه لم يقع في كتاب من الكتب المنزلة [مثل] التنازع الواقع فيه . قاله أبو عمرو الشيباني .

والثالث - أنه مأخوذ من التجل بمعنى الأصل : لأنه أصل العلم الذي أطلع الله تعالى فيه خليقته عليه ، ومنه قيل للوالد تجل : لأنه أصل لولده .

ثم ذكر هذه الاشتقاقات جنوح من قائلها إلى أن لفظ الإنجيل عبري ، والذي يظهر أنه عبراني : لأن لغة عيسى عليه السلام كانت العبرانية ، وقد قال صاحب "إرشاد القاصد" : إن معنى الإنجيل عندهم البشارة .

وأعلم أن النصارى بجماعتهم مجعون على أن مريم حملت بالمسيح عليه السلام ، وولده بيوت لحم من بلاد القدس من الشام ، وتكلم في المهد ، وأن اليهود حين

أنكروا على مريمَ عليها السلام ذلك فَرَّتْ بالمسيح عليه السلام إلى مِصرَ، ثم عادتْ به إلى الشام، وعمره اثنتا عشرة سنة، فنزلت به القرية المسماة ناصرة المقدم ذكرها، وأنه في آخر أمره قبض عليه اليهود وسعوا به إلى عامل قيصر ملك الروم على الشام، فقتله وصلبه يوم الجمعة، وأقام على الخشبة ثلاث ساعات، ثم أستوهبه رجل من أقارب مريم اسمه يوسف النجار من عامل قيصر، ودفننه في قبر كان أعدّه لنفسه في مكان الكنيسة المعروفة الآن بالقمامة بالقدس، وأنه مكث في قبره ليلة السبت ونهار السبت وليلة الأحد، ثم قام من صبيحة يوم الأحد، ثم رآه بطرس الحواري وأوصى إليه؛ وأن أمه جمعت له الحواريين فبعثهم رسلاً إلى الأقطار للدعاية إلى دينه، وهم في الأصل اثنا عشر حواريًا: بطرس ويقال له: سمعان، وشمعون الصفا أيضا. وأندراوس وهو أخو بطرس المقدم ذكره، ويعقوب بن زبدي، ويوحنا الإنجيلي، وهو أخو أندراوس، وفيلبس، وبرثلوماوس، وتوما؛ ويعرف بتوما الرسول، ومتى ويعرف بمتى العشار، ويعقوب بن حلفاء، وسمعان القناني ويقال له شمعون أيضا، وبولس ويقال له تداوس، وكان اسمه في اليهودية شاول، ويهوذا الاسخريوطي (وهو الذي دلَّ يهود على المسيح حتى قبضوا عليه بزعمهم) وقام مقامه بنيامين، ويقولون: إنه بعد أن بعث من بعث من الحواريين صعد إلى السماء. وهم متفقون على أن أربعة من الحواريين تصدوا للكتابة الإنجيلي: وهم بطرس، ومتى، ولوقا، ويوحنا^(٢). فكتبوا فيه سيرة المسيح من حين ولادته إلى حين رفعه، وكتب كل منهم نسخة على ترتيب خاص بلغته من اللغات.

(١) سيأتي قريباً كما في "العبر" (ج ٢ ص ١٤٧) أن يوحنا الإنجيلي أخو يعقوب بن زبدي وكذلك في "المقريري" ج ٢ ص ٤٨٣.

(٢) كذا في "الملل والنحل" أيضا ولكن لم يرد في الحوار بين المذكورين قبل هذا الاسم.

فكتب بطرس إنجيله باللغة الرومية في مدينة رومية قاعدة بلاد الروم، ونسبه إلى تلميذه مرقس أول بطاركة الإسكندرية، ولذلك يعرف بمرقس الإنجيلي، وقيل: إن الذي كتبه مرقس نفسه. وكتب متى إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس، ونقله بعد ذلك يوحنا بن زبدي إلى اللغة الرومية. وكتب لوقا إنجيله بالرومية وبعث به إلى بعض أكابر الروم، وقيل: بل كتبه باليونانية بمدينة الإسكندرية. وكتب يوحنا إنجيله باليونانية بمدينة أفسس، وقيل مدينة رومية.

قال الشهرستاني: وخاتمة إنجيل متى: «إني أرسلكم إلى الأمم كما أرسلني أبي إليكم فاذهبوا وأدعوا الأمم بأسم الأب والابن وروح القدس» ثم اجتمع برومية من توجه إليها من الحواريين ودونوا قوانين دين النصرانية على يد أقليمس تلميذ بطرس الحوارى، وكتبوا عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بمقتضاها، وهي عدة كتب: منها الأناجيل الأربعة المتقدمة الذكر، والتوراة التي بأيديهم، وجملة كتب من كتب الأنبياء الذين قبل المسيح عليه السلام، كيشوع بن نون، وأيوب، وداود، وسليمان عليهم السلام، وغيرهم.

ثم لما مات الحواريون أقام النصارى لهم خلاف، عبر عنهم بالبطاركة جمع بطرك، وهي كلمة يونانية مركبة من لفظين، أحدهما بطر ومعناه، والثانية يرک ومعناه، ورأيت في ترسل العلاء بن موصلايا: كاتب القائم بأمر الله العباسي "فطرك" ببدال الباء فاء، والعامية يقولون: "بترک" ببدال الطاء تاء، وهو عندهم خليفة المسيح، والقائم بالدين فيهم.

(١) في المقرئ ص ٤٨٣ ج ٢ "قليموس" وفي العبرج ٢ ص ١٤٨ "أقليمس".

(٢) بياض الأصول، وكذلك بيض له فيما تقدم عند الكلام على ألقاب وظائف النصارى انظر (ج ٥ ص ٤٧٣) من هذا المطبوع.

وقد كان لبطاركتهم في القديم ^(١)خمسة كراسي، لكل كرسي منها بطرك. الأول منها بمدينة رومية، والقائم به خليفة بطرس الحواري المتوجه إليها بالإشارة. والثاني بمدينة الإسكندرية. والقائم به خليفة مرقس تلميذ بطرس الحواري المقدم ذكره وخليفته بها. والثالث بمدينة بزنتية: وهي القسطنطينية. والرابع بمدينة أنطاكية من العواصم التي هي في مقابلة حاب الآن. والخامس بالقدس. وكان أكبر هذه الكراسي الخمسة كرسي رومية لكونه محل خلافة بطرس الحواري، ثم كرسي الإسكندرية، لكونه كرسي مرقس خليفته.

ثم أصطلحوا بعد ذلك على أسماء وضعوها على أرباب ووظائف دياناتهم، فعبروا عن صاحب المذهب بالطريق، وعن نائب البطرک بالأسقف، وقيل الأسقف عندهم بمنزلة المفتي، وعن القاضي بالمطران، وعن القارئ بالقسيس، وعن صاحب الصلاة وهو الإمام بالخانليق، وعن قيم الكنيسة بالشماس، وعن المنقطع إلى المولى للعبادة بالراهب.

وكانت الأساقفة يسمون البطرک أبا، والقسوس يسمون الأسقف أبا، فوقع الأشتراك عندهم في اسم الأب، فوقع اللبس عليهم، فاخترعوا لبطرك الإسكندرية اسم الباب، ويقال فيه الباباً بزيادة ألف، والبابه بإبدال الألف هاء، ومعناه عندهم أبو الآباء: لتمييز البطرک عن الأسقف، فاشتهر بهذا الاسم، ثم نقل اسم الباب إلى بطرك رومية لكونه خليفة بطرس الحواري، وبقي اسم البطرک على بطرك الإسكندرية وغيره من أصحاب الكراسي.

(١) تقدم في (ج ٥ ص ٤٧٣) من هذا المطبوع أنها أربعة ولم يذكر كرسي بزنتية.

وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصَارَى مُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ بِالْجَوْهَرِ ثَلَاثَةٌ بِالْأَقْنُومِيَّةِ ؛ وَيُفَسِّرُونَ الْجَوْهَرَ بِالذَّاتِ وَالْأَقْنُومِيَّةَ بِالصِّصْفَاتِ : كَالْوُجُودِ وَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ ؛ وَيَعْبُرُونَ عَنِ الذَّاتِ مَعَ الْوُجُودِ بِالْأَبِّ ، وَعَنِ الذَّاتِ مَعَ الْعِلْمِ بِالْأَبْنِ ؛ وَيَعْبُرُونَ عَنِ الذَّاتِ مَعَ الْحَيَاةِ بِرُوحِ الْقُدُسِ ؛ وَيَعْبُرُونَ عَنِ الْإِلَهِ بِاللَّاهُوتِ ، وَعَنِ الْإِنْسَانِ بِالنَّاسُوتِ ؛ وَيُطْلِقُونَ الْعِلْمَ عَلَى الْكَلِمَةِ الَّتِي أُتِّقِيَتْ إِلَى مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَحَمَلَتْ مِنْهَا بِالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَيُحْصِنُونَهُ بِالْإِتِّحَادِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَقَانِيمِ .

وَأَجْتَمَعَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانِيَةٌ عَشْرًا ، وَقِيلَ وَسَبْعَةٌ عَشْرًا سَقْفًا مِنْ أَسَافِقَتِهِمْ بِمَدِينَةِ نَيْقِيَّةَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ بِحَضْرَةِ قُسْطَنْطِينَ مَلِكِ الرُّومِ عِنْدَ ظَهْوَرِ أَرِيُوشِ الْأَسْقَفِ وَقَوْلِهِ : إِنَّ الْمَسِيحَ مَخْلُوقٌ ، وَإِنَّ الْقَدِيمَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَلْفُوا عَقِيدَةَ اسْتِخْرَاجِ جَوْهَا مِنْ أُنَاجِيهِمْ لِقَبُولِهَا بِالْأَمَانَةِ ، مِنْ نَخْرَجَ عَنْهَا نَخْرَجَ عَنِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ؛ وَنَصَّهَا عَلَى مَا ذَكَرَهُ الشَّهْرَسْتَانِيُّ فِي "النَّحْلِ وَالْمِلَلِ" وَأَبْنُ الْعِمِيدِ مُؤَرِّخُ النَّصَارَى فِي تَارِيخِهِ مَا صُورَتْهُ .

تُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْإِبِّ ، مَالِكِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَصَانِعِ مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى ، وَبِالْأَبْنِ الْوَاحِدِ أَيشوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللَّهِ ؛ بِكُرِّ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا ، وَلَيْسَ بِمُصْنُوعٍ ؛ إِلَهُ حَقٌّ مِنْ [إِلَهُ حَقٍّ مِنْ] جَوْهَرِ أَبِيهِ الَّذِي بِيَدِهِ أُتْقِنَتِ الْعَوَالِمُ وَكُلُّ شَيْءٍ ، الَّذِي مِنْ أَجْلِنَا [مِنْ] أَجْلِ خَلَاصِنَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَتَجَسَّدَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، وَوُلِدَ مِنْ مَرْيَمَ الْبَتُولِ ، وَصَلَبَ أَيَّامَ فِيلَاطُوسَ ، وَدُفِنَ ثُمَّ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ وَصَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ ، وَجَلَسَ عَنِ يَمِينِ أَبِيهِ ، وَهُوَ مُسْتَعِدٌّ لِلْجِيءِ تَارَةً أُخْرَى لِلْقَضَاءِ بَيْنِ الْأُمَمَاتِ

(١) الَّذِي فِي "الْمِلَلِ وَالنَّحْلِ" لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ (ص ١٣٢) وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثَةٌ عَشْرَ رِجَالًا . وَفِي "الْعِبَرِ"

ج ٢ ص ١٥٠ أَنَّهُمْ كَانُوا أَلْفَيْنِ وَأَرْبَعِينَ أَسْقَفًا وَاتَّفَقُوا مِنْهُمْ عَلَى ثَلَاثَةِ وَثَمَانِيَةِ عَشْرَ .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنَ الْعِبَرِ (ج ٢ ص ١٥٠) .

والأحياء . وَتُؤْمِنُ بِرُوحِ الْقُدُسِ الْوَاحِدِ الْحَيِّ الَّذِي يُخْرِجُ مِنْ أَبِيهِ ، وَبِمَعْمُودِيَّةِ
وَاحِدَةٍ لِعُفْرَانِ الْخَطَايَا ، وَبِجَمَاعَةِ [وَاحِدَةٍ] قُدْسِيَّةٍ مَسِيحِيَّةٍ جَانَلِيكِيَّةٍ ، وَبِقِيَامِ
أَبْدَانِنَا ، وَبِالْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ أَبَدِ الْآبِدِينَ .

ووضعوا معها قوانين لشرائعهم سموها الهيمانوت ^(١) . ثم اجتمع منهم جمع
بُقْسَطُنِيَّةٍ عند دَعْوَى مقدونيوس المعروف بعدوُّ رُوحِ القدس ، وقوله : إِنْ رُوحُ
الْقُدُسِ مَخْلُوقٌ ، وَزَادُوا فِي الْأَمَانَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرَ مانصه : « وَتُؤْمِنُ بِرُوحِ الْقُدُسِ
الْحَيِّ الْمُنْتَبِئِ مِنَ الْآبِ » ، ولعنوا من يزيدُ بعد ذلك على كلام الأمانة أو ينقص منها .
وأفترق النصارى بعد ذلك إلى فِرَقٍ كثيرة ، المشهور منها ثلاثُ فِرَقٍ :

الفِرقة الأولى (المَلَكَانِيَّة)

قال الشَّهْرَسْتَايُّ : وهم أتباع مَلَكَانَ الذي ظهر ببلاد الرُّومِ ؛ ومقتضى ذلك أنهم
منسوبون إلى مَلَكَانَ صاحب مَذَهَبِهِمْ . ورأيتُ في بعض المصنِّفات أنهم منسوبون
إلى مَرَّكَانٍ قَيْصَرَ أَحَدِ قِيَاصِرَةِ الرُّومِ ، من حيثُ إنَّهُ كَانَ يَقُومُ بِعُسْرَةِ مَذَهَبِهِمْ ، فَقِيلَ
لَهُمْ مَرَّكَانِيَّةٌ ، ثُمَّ عَرَّبَ مَلَكَانِيَّةٌ ؛ وَمُعْتَقِدُهُمْ أَنَّ جُزْءًا مِنَ اللَّاهُوتِ حَلَّ فِي النَّاسُوتِ ،
ذَاهِبِينَ إِلَى أَنَّ الْكَلِمَةَ وَهِيَ أَقْنُومُ الْعِلْمِ عِنْدَهُمْ اتَّحَدَتْ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ وَتَدَرَّعَتْ بِنَاسُوتِهِ
وَمَا زَجَّتْهُ مُمَازَجَةَ الْخَمْرِ [اللَّبَنِ] أَوْ الْمَاءِ اللَّبَنِ ؛ وَلَا يُسَمُّونَ الْعِلْمَ قَبْلَ تَدَرُّعِهِ أَبْنَاءً ،
بَلِ الْمَسِيحُ وَمَا تَدَرَّعَ بِهِ هُوَ الْآبُنُ ؛ وَيَقُولُونَ : إِنْ الْجَوْهَرُ غَيْرُ الْأَقَانِيمِ كَمَا فِي الْمُوصُوفِ
وَالصِّفَةِ ، مَصْرَحِينَ بِالتَّثْلِيثِ ، قَائِلِينَ بِأَنَّ كَلَّمَا مِنَ الْآبِ وَالْآبِنِ وَرُوحِ الْقُدُسِ إِلَهُ ،
وَالِيَهُمْ وَقَعَتِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ .

(١) في "العبر" : الهيمانون .

وهم يقولون : إن المسيح قديم أزلي من قديم أزلي ، وإن مريم ولدت إلهًا أزليًا ، فيطلقون الأبوة والبنوة على الله تعالى وعلى المسيح حقيقة ، متمسكين بظاهر ما يزعمون أنه وقع في الإنجيل من ذكر الأب والابن : « تكاد السموات تنفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً » .

ثم هم يقولون : إن المسيح ناسوت كل لا جزئي ، وإن القتل والصلب وقعا على الناسوت والآهوت معا كما نقله الشهرستاني في « النحل والممال » وإن كان الشيخ شمس الدين بن الأکفاني في كتابه « إرشاد القاصد » قد وهم فنقل عنهم القول بأن الصلب وقع على الناسوت دون الآهوت .

ومن معتقدهم أيضا أن المعاد والحشر يكون بالأبدان والأرواح جميعا ، كما تضمنته الأمانة المتقدمة ، وأن في الآخرة التلذذات الجسمانية بالأكل والشرب والنكاح وغير ذلك كما يقوله المسلمون .

ومن فروعهم أنهم لا يَحْتَنُونَ ، وربما أكل بعضهم الميتة . وممن تذهب بمذهب الملكانية الروم والفرنجية ومن والأهم .

والملكانية يدينون بطاعة الباب : وهو بطرك رومية المقسم ذكره ، قال في «الروض المعطار» : من قاعدة الباب أنه إذا اجتمع به ملك من ملوك النصارى ينطح على بطنه بين يديه ، ولا يزال يقبل رجله حتى يكون هو الذي يأمره بالقيام .

الفِرْقَةُ الثَّانِيَّةُ (الْيَعْقُوبِيَّةُ)

وهم أتباع ديسقرس بطرك الإسكندرية في القديم : وهو الثامن من بطاركتها من حين بطركية مرقس الإنجيلي نائب بطرس الحواري بها . قال ابن العميد في تاريخه : وسمى أهل مذهبه يعقوبية : لأن اسمه كان في الغلمانية يعقوب . وقيل : بل كان له تلميذ اسمه يعقوب فنسبوا إليه . وقيل : بل كان شاو يرش بطرك أنطاكية على رأى ديسقرس ، وكان له غلام اسمه يعقوب فكان يبعثه إلى أصحابه : أن أثبتوا على أمانة ديسقرس فنسبوا إليه . وقيل : بل نسبوا إلى يعقوب البردغاني تلميذ سويرس بطرك أنطاكية ، وكان راهباً بالقسطنطينية فكان يطوف في البلاد ويدعو إلى مذهب ديسقرس . قال ابن العميد : وليس كذلك فإن العاقبة ينسبون إلى ديسقرس قبل ذلك بكثير ، ومعتقدهم أن الكلمة أنقلبت خطأ ودماً فصار الإله هو المسيح .

ثم منهم من قال إن المسيح هو الله تعالى . قال المؤيد صاحب حماة : ويقولون مع ذلك إنه قتل وصلب ومات وبقى العالم ثلاثة أيام بلا مدبر . ومنهم من يقول : ظهر اللاهوت بالناسوت ، فصار ناسوت المسيح مظهر الحق لا على طريق حلول جزء فيه ، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة ، بل صار هو هو ، كما يقال : ظهر الملك بصورة إنسان ، وظهر الشيطان بصورة حيوان ، وكما أخبر التنزيل عن جبريل عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ قَتَمَثَلَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ .

وأكثرهم يقول : إن المسيح جوهر واحد إلا أنه من جوهرين ، وربما قالوا : طبيعة واحدة من طبيعتين . بجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث تركب

النفس والبدن فصارا جوهراً واحداً أقنوماً واحداً وهو إنسانٌ كهُ وإلهٌ كهُ، فيقال :
 الإنسان صار إلهاً ولا ينعكس ، فلا يقال : الإله صار إنساناً ، كالفحمة تطرح
 في النار فيقال : صارت الفحمة ناراً، ولا يقال : صارت النار فحمةً ، وهى فى الحقيقة
 لا نارٌ مطلقة ولا فحمةٌ مطلقة ، بل هى جمره .

ويقولون : إن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئى لا الكلى ، وربما عبروا عن
 الاتحاد بالامتزاج والأدراع والحلول ، كحلول صورة الإنسان فى المرأة .

ومنهم من يقول : إن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئاً لكنها مرت بها كمرور
 الماء بالميزاب ، وإن ما ظهر من شخص المسيح عليه السلام فى العين هو كالحيال
 والصورة فى المرأة ، وإن القتل والصلب إنما وقعا على الحيال .

وزعم آخرون منهم أن الكلمة كانت تُدخلُ جسد المسيح أحياناً فتصدرُ عنه
 الآيات : من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وتفارقهُ فى بعض الأوقات
 فتردُ عليه الآلام والأوجاع . ثم هم يقولون : إن المعاد إنما هو روحانى فيه لذة
 وراحةٌ وسرورٌ ، ولا أكل ولا شرب ولا نكاح .

ومن فروعهم أنهم يَحْتَنُونَ ، ولا يأكلون الحيوان إلا بعد التدكية . وقد حكى
 ابنُ العميد مؤرخُ النصارى أن ديسقُرس صاحبَ مذهبِ اليعقوبية حين ذهبَ
 إلى ما ذهب : من مذهبه المتقدم ذكره ، رُفِعَ أمره إلى مَرَّكان قيصرَ ملكِ الروم
 يومئذ ، فطلبه إلى مدينة خالقدونية من بلاد الرُّوم ، وجمع له ستمائة وأربعة وثلاثين
 أسقفًا ، وناظره بحضور الملك فسقط فى المناظرة ، فكلمته زوجة الملك فأساء الردَّ
 فاطمته بيدها ، وتناولوه الحاضرون بالضرب ، وأمرَ باخراجه ، فسار إلى القدس ،

(١) كذا فى "العبر" أيضا باثبات مشاة تحية بعد النون والذى فى معجم ياقوت مجذفها .

فأقام به واتبعه أهل القدس وفلسطين ومصر والإسكندرية ، وقد آتبعه على ذلك أيضا النوبة والحبشة ، وهم على ذلك إلى الآن .

الفِرقة الثالثة

(النسطورية)

ومقتضى كلام ابن العميد أنهم أتباع نسطور يوس بطرك القسطنطينية . ويحكى عنه أن من مذهبه أن مريم عليها السلام لم تلد إلهاً ، وإنما ولدت إنساناً ، وإنما أتحد في المشيئة لافي الذات ، وأنه ليس إلهاً حقيقة بل بالموهبة والكرامة . ويقولون بجوهريين وأقنوميين ، وإن كرلس بطرك الإسكندرية و بطرك رومية خالفاه في ذلك ، فجمع لهم مائتي أسقف بمدينة أفسس وأبطلوا مقالة نسطور يوس وصرحوا بكفره ، فنفي إلى إناحيم من صعيد مصر ومات بها ، فظهر مذهبه في نصارى المشرق : من الجزيرة الفراتية والموصل والعراق وقارس .

والذي ذكره الشهرستاني في "النحل والملل" أنهم منسوبون إلى نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون ، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود والعلم والحياة ؛ وإن هذه الأقانيم ليست بزائدة على الذات ولا هي هي ، وإن الكلمة اتحدت بجسد المسيح عليه السلام لاعلى طريق الأمتزاج ، كما ذهب إليه الملكانية ، ولا على طريق الظهور كما قالته اليعقوبية ،

(١) عبارة ابن خلدون في العبر (ج ٢ ص ١٥٢) وبلغت مقالة نسطور يوس إلى كرلس بطرك الإسكندرية ، فكتب إلى بطرك رومية وهو اكليمس ، وإلى يوحنا وهو بطرك أنطاكية ، وإلى يوناوس أسقف بيت المقدس ، فكتبوا إلى نسطور يوس ليدفعوه عن ذلك بالحجة فلم يرتجع ولم يلتفت إلى قولهم ، فاجتمعوا في مدينة افسيس في مائتين أسقفاً الخ .

ولكن كاشراق الشمس في كوة ، أو كظهور النقش في الخاتم : قال الشهرستاني :
 ويعنى بقوله إنه واحد بالجوهر أنه ليس مركباً من جنس بل هو بسيط واحد .
 ويعنى بالحياة والعلم أقنومين جوهرين أى أصليين مبدئين للعالم . قال : ومنهم من
 يثبت لله تعالى صفات زائدة على الوجود والحياة والعلم : كالقدرة والإرادة ونحوهما .
 ومنهم من يطلق القول بأن كل واحد من الأقسام الثلاثة حتى ناطق إله . ومنهم من
 يقول : إن الاله واحد ، وإن المسيح ابتداء من مريم عليها السلام ، وإنه عبد صالح
 مخلوق ، خلقه الله تعالى وسماه ابناً على التبنى لا على الولادة والاتحاد . ثم هم يخالفون
 في القتل والصلب مذهب الملكانية واليعقوبية جميعاً ، فيقولون : القتل والصلب
 وقعا على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته : لأن الإله لا تحله الآلام .
 قال صاحب حماة : وهم عند النصارى كالمعتزلة عندنا .

ويعلم أن للنصارى أشياء يعظمونها و [أشياء] يستعظمون الوقوع فيها .

فأما التي يعظمونها فإنهم يعظمون المسيح عليه السلام حتى انتهوا فيه إلى ما انتهوا :
 من دعوى الألوهية والبنوة لله سبحانه ، تعالى الله عما يشركون ، وأسمه عندهم
 أيسوع فخر عيسى . وإنما سمي المسيح لكونه ممسوح القدمين لأنحص له .
 ويعظمون مريم عليها السلام لولادتها المسيح عليه السلام ، ويعبرون عنها
 بالسيدة ، وبالتول ، وبالعدراء .

ويعظمون مريمنا المعمدان ، وهو عندهم يحيى بن زكريا عليه السلام ، ومعنى
 مريم السيد ، ويحنا بمعنى يحيى ، ويسمونه المعمدان لأنهم يزعمون أن مريم عليها
 السلام حين عودها من مصر إلى الشام ومعها السيد المسيح تلقاه يحيى عليه السلام
 فعمده في نهر الأردن من بلاد فلسطين ، يعنى غمسه فيه ، ويعملون ذلك أصلاً

للمعمودية : وهو الماء الذي يغمسون فيه عند تنصرتهم ، ويقولون : إنه لا يصح تنصرتنصراني دون تعمّد . ولما المعمودية بذلك عندهم من التعظيم مالا فوقه . وبعضهم يقول : إن المراد بمرئحنا المعمدان غير يحيى بن زكريا عليهما السلام .

ويعظمون الحواريين : وهم أصحاب المسيح عليه السلام . وقد تقدم أن عدتهم اثنا عشر حوارياً ، ومعنى الحواري الخاص ، ومنه قيل للدقيق الناصع البياض دقيق حواري ، سموا بذلك لأن المسيح عليه السلام استخلصهم لنفسه .

ويعظمون البطارقة لأنهم خلفاء الدين عندهم ، ويرون لهم من الحرمة مالمالدين النصرانية عندهم من الحرمة ، بل يجعلون أمر التحليل والتحرير منوطاً بهم ، حتى لو حرم البطررك على أحدهم زوجته لم يقربها حتى يحلها له . وسياقياً مالبطررك^(١) اليعقوبية عند صاحب الحبشة من الحرمة عند ذكر المكتبة إليه فيما بعد ، إن شاء الله تعالى .

وكذلك يعظمون أرباب الوظائف الدينية عندهم : من البطريرق ، والأسقف ، والمطران ، والقسيس ، والشماس ، والراهب ، وقد تقدم تفسيرهم فيما مرّ .

ويعظمون يوسف النجار : وهو قريب لمريم عليها السلام ، يقال : إنه ابن عمها ، كان معها في خدمة بيت المقدس ، وهو الذي استوهب المسيح بعد الصلب بزعمهم حتى دفنه . واليهود يؤمنون بمريم عليها السلام معه بالفجور على ما تقدم .

ويعظمون مريم المجدلانية المقدم ذكرها ، ويزعمون أنها^(٢) أخرج منها سبعة شياطين ، وأنها أول من رأى المسيح حين قام من قبره .

(١) سبق الكلام على المكتبة اليه في ج ٨ ص ٣٩ فهذا الوعد سهو عما سبق .

(٢) بياض بالأصول .

ومن عادتهم أنه إذا مات منهم أحدٌ ممن يعتقدون صلاحه صوروا صورته
في حيطان كنائسهم ودياراتهم يتبركون بها .

ويعظمون قُسطنطين بن قُسطنطين ملك الروم ، وذلك أنه أول من أخذ بدين
النصرانية من الملوك وحمل على الأخذ به . وقد اختلف في سبب ذلك فقيس :
إنه كان يُحارب أمة البرجان بجوارِه وقد أعجزه أمرهم ، فرأى في المنام كأن ملائكة
نزلت من السماء ومعها أعلامٌ عليها صليبان ، فعمل أعلاماً على مثالها وحاربهم بها
فظهر عليهم . وقيل : بل رأى صورة صليب في السماء . وقيل : بل حملته أمه هيلاني
على ذلك .

ويعظمون هيلاني أم قُسطنطين المقدم ذكره ، ويقولون : إنها رحلت من
قُسطنطينية إلى القدس ، وأتت إلى محل الصليب بزعمهم ، فوفقت وبكت ،
ثم سألت عن خشبة الصليب ، فأخبرت أن اليهود دفنوها وجعلوا فوقها القمامات
والنجاسات ، فاستعظمت ذلك ، وأستخرجتها وغسلتها وطيبتها وغشستها بالذهب ،
وألبستها الحرير ، وحملتها معها إلى القُسطنطينية للتبرك ، وبنت مكانها كنيسة ، وهي
المسماة الآن بالقمامة ، أخذت من اسم القمامة التي كانت موضوعة هناك .

ويعظمون من الأمكنة بنت لحم حيث مولد المسيح عليه السلام ، وكنيسة قمامة
حيث قبره ، وموضع خشبة الصليب التي أستخرجتها هيلاني أم قُسطنطين بزعمهم .
وكذلك يعظمون سائر الكنائس : وهي أمكنة عباداتهم كالمساجد للمسلمين .
وأصلها في اللغة مأخوذٌ من قولهم : كئس الظبي : وهو المكان الذي يستتر فيه ،
سميت بذلك لاستتارهم فيها حال عبادتهم عن أعين الناس . وكذلك يعظمون
الديارات : وهي أمكنة التخلى والاعتزال كالزوايا للمسلمين .

ويعظمون المذبح : وهو مكان يكون في الكنيسة يقربون عنده القرابين
ويذبحون الذبائح، ويعتقدون أن كل ما ذبح عليه من قربان صار لحمه ودمه هو لحم
المسيح ودمه حقيقة .

ويعظمون من الأزمنة أعيادهم الآتي ذكرها عند ذكر أعياد الأمم : كعيد
الغطاس من أعيادهم الجكار، وموقعه في الحادي عشر من طوبه من شهر القبط .
وعيد السيدة من أعيادهم الصغار . وموقعه في الحادي والعشرين من بشونة منها .
وعيد الصليب . وموقعه عندهم في السابع عشر من ثوت ، إلى غير ذلك من الأعياد
الآتي ذكرها مع أعياد الأمم ، في الكلام على الأزمنة من هذه المقالة ، إن شاء
الله تعالى .

وأما الأشياء التي [يتعبدون] بها ، فإنهم يصلون سبع صلوات في اليوم والليلة ،
وهي : الفجر، والضحى ، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، ونصف الليل ؛
ويقرءون في صلواتهم بمزامير داود عليه السلام كما تفعل اليهود . والسجود في صلواتهم
غير محدود العدد ، بل قد يسجدون في الركعة الواحدة خمسين سجدة . وهم
لا يتوضئون للصلاة ، ولا يغتسلون من الجنابة ، وينكرون الظهر للصلاة على المسلمين
وعلى اليهود ، ويقولون : الأصل طهارة القلب . وإذا أرادوا الصلاة ضربوا
بالنأقوس ، وهو خشبة مستطيلة نحو الذراع يضرب عليها بخشبة لطيفة فيجتمعون .
وهم يستقبلون في صلواتهم المشرق ، وكذلك يوجهون إليه موتاهم . قال الرنحشري :
ولعل ذهابهم إلى ذلك لأخذ مريم عليها السلام عنهم مكاناً شرقياً كما أخبر تعالى
بقوله : ﴿ إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ .

(١) لم يذكر شيئاً من الأعياد في هذه المقالة وقد سبق ذكر ذلك في الفصل الثالث من المقالة الأولى
فها هنا سهو .

ولهم صياماتٌ في أوقاتٍ مُتفرقة .

منها - صَوْمُهُمُ الْكَبِيرُ : وهو سِتُونُ يَوْمًا أَوْطَا يَوْمَ الْاِثْنِينَ . وموقع أوله في شباط أو آذار من شهور السريان ، بحسب ما يقتضيه حسابهم ، يُفْطِرُونَ فِي خِلَالِهَا يَوْمَ الْاِحْدِ ، تَبَقَى مَدَّةَ صِيَامِهِمْ مِنْهَا تِسْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ يَوْمًا .

ومنها - [صَوْمُهُمُ الصَّغِيرُ] : وهو سِتَّةٌ وَأَرْبَعُونَ يَوْمًا يَصُومُونَهَا بَعْدَ الْفِصْحِ الْكَبِيرِ بِخَمْسِينَ يَوْمًا ، أَوْطَا يَوْمَ الْاِثْنِينَ أَيْضًا ، وَعِنْدَهُمْ فِيهِ خِلَافٌ .

ومنها - صَوْمُ الْعَدَارِيِّ : وهو ثَلَاثَةٌ أَيَّامًا ، أَوْطَا يَوْمَ الْاِثْنِينَ الْكَاثِنِ بَعْدَ كَانُونِ الثَّانِي ، فِي صِيَامَاتٍ أُخْرَى يَطْوِلُ ذِكْرُهَا ، وَلَكِنَّهُ صِيَامُهُمْ قِيلَ : إِذَا حَدَّثَتْ أَنْ نَصْرَانِيًّا مَاتَ مِنَ الْجُوعِ فَصَدَّقَ .

وأما ما يَحْرَمُونَهُ ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ بِتَحْرِيمِ لَحْمِ الْجَمَلِ وَلَبَنِهِ كَمَا يَقُولُهُ الْيَهُودُ ، وَيَقُولُونَ : بِحَلِّ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ خِلَافًا لِلْيَهُودِ ، وَهُوَ مِمَّا يُنْكِرُهُ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَخَالَفَةِ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ .

ويحرمون صَوْمَ يَوْمِ الْفِصْحِ الْأَكْبَرِ ، وَهُوَ يَوْمٌ فِطْرِهِمْ مِنْ صَوْمِهِمُ الْأَكْبَرِ .

ويحرمون على الرجل أن يتزوج امرأتين في قرآنٍ واحدٍ .

ويحرمون طلاقَ الزوجةِ بل إذا تزوج أحدهم امرأةً لا يكون له منها فراقٌ إلا بالموت .

وأما الأشياء التي يستعظمون الوقوع فيها :

فمنها - جحود كون المسيح هو المُبَشَّرُ بِهِ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ومنها - إنكار قتل المسيح عليه السلام وصدِّه ، فإنهم يعتقدون أن ذلك كان سبباً لخلاص اللاهوت من الناسوت ، فمن أنكر عندهم وقوع القتل والصلب على المسيح

خرج عن دين النصرانية ، بل إنكار رؤيته مصلوباً عندهم ارتكابٌ محظور . على أنهم ينكرون على اليهود ارتكابهم ذلك ، ويستعظمون مشاركتهم في ذلك ، فيألف من عقول أضلها بارئها ! .

ومنها - كسر صليب الصلوات ، وهو الخشبة التي يزعمون أن المسيح عليه السلام صاب عليها . وقد تقدم أن هيلاني أم قسطنطين أستخرجتها من القمامة وغسلتها وطيبتها وغشها بالذهب وألبستها الحرير وحملتها معها للتبرك .

ومنها - الرجوع عن متابعة الحوار بين الذين هم أصحاب المسيح عليه السلام .
ومنها - الخروج عن دين النصرانية أو التبري منه ، والقول بدين التوحيد أو دين اليهودية .

ومنها - الوقوع في حق قسطنطين وأمه هيلاني : لقيامهما في إقامة دين النصرانية أولاً على ما تقدم ذكره . وكذلك الاستهانة بالبطاركة أو أحد من أرباب الديانات عندهم : كالأساقفة ونحوهم ممن تقدم ذكره .

ومنها - القعود عن أهل الشعانين : وهم أهل التسييح الذين كانوا حول المسيح عليه السلام حين ركب الحمار بالقدس ودخل صهيون يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهم حوله يسبحون الله تعالى ويقدمونه .

ومنها - صوم يوم الفصح الأكبر ، وصرف الوجه في الصلاة عن الشرق ، وأستقبال صحرة بيت المقدس موافقة لليهود .

ومنها - هدم كنيسة قسامة : لكونها عندهم في محل القبر بزعمهم . وكذلك غيرها من الكنائس والديرة .

ومنها - تكذيب أحد من نقلة الإنجيل الأربعة الذين كتبوه كمتى وغيره ،
أو تكذيب أحد من القسوس : وهم الذين يقرءون الإنجيل والمزامير ، وتكذيب مريم
المجدلانية فيما أخبرت به عن المسيح من قيامه من قبره الذى كان دُفِنَ فيه بزعمهم ،
فإنهم يزعمون أنها أول من رآه عند قيامه .

ومنها - القول بنجاسة ماء المعمودية : وهو الماء الذى يتغمسون فيه عند
تنصيرهم .

ومنها - عدم اعتقاد أن القربان الذى يُذبح فى المذبح لا يصير لحمه ودمه هو لحم
المسيح ودمه ، ولعمري إن هذه لعقول ذاهبة .

ومنها - أستباحة دماء أهل الديارات ، والمشاركة فى قتل الشمامسة الذين هم
خدام الكنائس .

ومنها - خيانة المسيح فى وديعته . وذلك أنهم يزعمون أن كل ما خلقت فيه فرقة
من الفرق الثلاث الفرقة الأخرى كقول الملكانية بأن المعاد جسماني ، وقول
اليعقوبية : إن المعاد روحاني ، فإن الفرقة الأخرى يستعظمون الوقوع فيما ذهب
إليه مخالفاً ، وكذلك كل ماجرى هذا المجرى .

وقد رتب الكتاب إيمان النصارى على هذه المعتقدات . قال محمد بن عمر المدائني
فى كتاب "القلم والدواة" : وقد يذهب على كثير من الكتاب ما يستخلف به اليهود
والنصارى عند الحاجة إلى ذلك منهم ، فيستخلفون بإيمان الإسلام وهم مستحلون
للحرام ، ومجتربون على الآثام ، ويتأتمون من أيمنهم ، والأستقسام بأديانهم .
ثم أشار إلى أن أول ما رُتبت الأيمان التى يخلف بها النصارى على هذه الطريقة
فى زمن الفضل بن الربيع ، فخكى عن بعض كتاب العراق أنه قال : أراد الفضل

أَبْنُ الرَّبِّيعِ : يَعْنِي وَزِيرَ الرَّشِيدِ أَنْ يَسْتَحْلِفَ كَاتِبَهُ "عَوْنَا النَّصْرَانِي" فَلَمْ يَدْرِ
 كَيْفَ يَسْتَحْلِفُهُ ، فَقُلْتُ : وَلَيْتِي أَسْتَحْلِفُهُ ، قَالَ : دُونَكَ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَحْلِفْ
 بِالْهَلِكِ الَّذِي لَا تَعْبُدُ غَيْرَهُ ، وَلَا تَدِينُ إِلَّا لَهُ ، وَإِلَّا خَلَعْتَ النَّصْرَانِيَّةَ ، وَبَرِئْتَ مِنَ
 الْمَعْمُودِيَّةِ ، وَطَرَحْتَ عَلَى الْمَذْبُوحِ خِرْقَةَ حِيْضَةٍ يَهُودِيَّةٍ ، وَقُلْتَ فِي الْمَسِيحِ مَا يَقُولُهُ
 الْمُسْلِمُونَ ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ . وَإِلَّا فَلَعَنَكَ
 الْبَطْرِيكُ الْأَكْبَرُ ، وَالْمَطَارِنَةُ ، وَالشَّامِسَةُ ، وَالْقَمَامَسَةُ ، وَالْدِيرَانِيُّونَ ، وَأَصْحَابُ
 الصَّوَامِعِ عِنْدَ مَجْتَمَعِ الْخَنَازِيرِ وَتَقْرِيْبِ الْقُرْبَانِ ؛ وَبِمَا اسْتَعَاثَتْ بِهِ النَّصْرَانِيُّ لِيَسُوعَ ،
 وَإِلَّا فَعَلَيْكَ جُرْمٌ ثَلَاثَاةٌ وَثَمَانِيَةٌ عَشْرًا سَقْفًا الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ نِيْقِيَّةَ حَتَّى أَقَامُوا عُمُودَ
 النَّصْرَانِيَّةِ ، وَإِلَّا فَشَقَّقْتَ النَّاقُوسَ وَطَبَخْتَ بِهِ لَحْمَ جَمَلٍ وَأَكَلْتَهُ يَوْمَ الْأَثْنِينَ مَدْخَلَ
 الصَّوْمِ وَأَحْمَمْتَ مِنْ كُلِّ بَرَكَةٍ يَوْمًا (؟) وَرَمَيْتِ الشَّاهِدَ بَعَشْرِينَ حَجْرًا جَا حِدًا بِهَا ،
 وَهَدَمْتَ كَنِيسَةً لَدُنَّ ، وَبَنَيْتَ بِهَا كَنِيسَةَ الْيَهُودِ ، وَخَرَقْتَ غِفَارَةَ مَرْيَمَ وَكَهْنُونَ دَاوُدَ ،
 وَأَنْتَ حَنِيفٌ مُسْلِمٌ ؛ وَهَذِهِ الْيَمِينُ لِأَزْمَةٍ لَكَ وَلِعَقِيكَ مِنْ بَعْدِكَ . قَالَ فَقَالَ عَوْنٌ :
 أَنَا لَا أَسْتَحِلُّ أَنْ أَسْمَعَ هَذِهِ فَكَيْفَ أَقُولُهَا ! وَخَرَجَ مِنْ جَمِيعِ مَا طَالَبَهُ بِهِ الْفَضْلُ ،
 فَأَمَرَ بِهَا الْفَضْلُ فَكُتِبَتْ نُسْخًا وَفُرِّقَتْ عَلَى الْكُتَّابِ وَأَمَرَهُمْ بِحِفْظِهَا وَتَحْلِيفِ
 النَّصْرَانِيِّ [بِهَا] .

قُلْتُ : وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ مِنْ تَرْيِيبِ نُسْخِ الْإِيْمَانِ لِتَحْلِيفِ النَّصْرَانِيِّ ، فَمِنْ
 مُطَنِّبٍ وَمِنْ مُوَجِّهِ ، عَلَى آخْتِلَافِ مَقَاصِدِهِمْ فِيمَا يَقَعُ بِهِ التَّحْلِيفُ وَيُوَافِقُ آرَاءَهُمْ
 فِيهِ . وَقَدْ رَتَّبَ الْمُقَرُّ الشَّهَابِيُّ أَبْنَ فَضْلِ اللَّهِ فِي "التَّعْرِيفِ" لَمْ أَيْمَانًا عَلَى مُقْتَضَى
 آرَاءِ فِرْقَتِهِمُ الثَّلَاثِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ : مِنَ الْمَلَكَانِيَّةِ ، وَالْيَعْقُوبِيَّةِ ، وَالنَّسَاطِرَةِ .

فأما الملكانية، فقال : إن يمينهم : والله والله العظيم ، وحق المسيح عيسى
 ابن مريم ، وأمه السيدة مريم ، وما اعتقده من دين النصرانية ، والملة المسيحية .
 وإلا أبرأ من المعمودية ، وأقول : إن ماءها نجس ، وإن القرابين رجس ، وبرئت
 من مريختي المعدان والأنجيل الأربعة ، وقلت : إن متى كذوب ، وإن مريم
 المجدلانية باطلة الدعوى في إخبارها عن السيد يسوع المسيح ، وقلت في السيدة
 مريم قول اليهود ، ودنت بدينهم في الجحود ، وأنكرت اتحاد اللاهوت بالنسوت ،
 وبرئت من الأب والابن وروح القدس ، وكذبت القسوس ، وشاركت في ذبح
 الشمامس ، وهدمت الديارات والكائس ، وكنت ممن مال على قسطنطين بن
 هيلاني ، وتعمد أمه بالعظام ، وخالفت الجامع التي أجمعت الأساقفة برومية
 والقسطنطينية ، ووافقت البردعاني بأنطاكية ، وجمدت مذهب الملكانية ،
 وسفقت رأي الرهبان ، وأنكرت وقوع الصلب على السيد يسوع ، وكنت مع اليهود
 حين صلبوه ، وحدت عن الحوارين ، وأستبحت دماء الديرانيين ، وجذبت رداء
 الكبرياء عن البطريرك ، وخرجت عن طاعة الباب ، وضمت يوم الفصح الأكبر ،
 وقعدت عن أهل الشعانيين ، وأبئت عيد الصليب والفطاس ، ولم أحفل بعيد
 السيدة ، وأكلت لحم الجمل ، ودنت بدين اليهود ، وأبحت حرمة الطلاق ، وخنث
 المسيح في وديعته ، وتزوجت في قرن باهرأتين ، وهدمت بيدي كنيسة قمامة ،
 وكسرت صليب الصلبوت ، وقلت في البتوة مقال نسطورس ، ووجهت إلى الصخرة
 وجهي ، وصدت عن الشرق المنير حيث كان المظهر الكريم ، وإلا برئت من
 النورانيين والشعشعانيين ، ودنت غير دين النصارى ، وأنكرت أن السيد يسوع أحيا
 الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص ، وقلت بأنه مربوب ، وأنه ما رؤى وهو مصلوب ،
 وأنكرت أن قربان المقدس على المنبح ما صار لحم المسيح ودمه حقيقة ، وخرجت

في النصرانية عن لاجِبِ الطريقة ، وإلَّا قُلْتُ بِدِينِ التَّوْحِيدِ ، وتعبَدْتُ غَيْرَ الأربابِ ، وَقَصَدْتُ بالمَظَانِيحِ غَيْرَ طَرِيقِ الإِخْلَاصِ ، وَقُلْتُ : إِنَّ المَعَادَ غَيْرُ رُوحَانِيٍّ ، وَإِن بَنِي المَعْمُودِيَّةِ لَا تَسِيحُ فِي فِسِيحِ السَّمَاءِ ، وَأُثْبِتُ وُجُودَ الحُورِ العِينِ فِي المَعَادِ ، وَأَن فِي الدَّارِ الآخِرَةِ التَّلَذُّذَاتِ الجُسَمَانِيَّةِ ؛ وَخَرَجْتُ خُرُوجَ الشَّعْرَةِ مِنَ العَجِينِ مِنْ دِينِ النِّصْرَانِيَّةِ ، وَأَكُونُ مِنْ دِينِي مَحْرُومًا ، وَقُلْتُ إِن جَرِحَسَ لَمْ يُقْتَلْ مَظْلُومًا .

وأما اليعاقبة ، فقال : إِنَّهُ يُبَدَّلُ قَوْلُهُ : اتِّحَادِ الأَلْهُوتِ بِالنَّاسُوتِ بِقَوْلِهِ : مُمَاسَّةِ الأَلْهُوتِ لِلنَّاسُوتِ . وَيُبْطَلُ قَوْلُهُ : وَوَأَقَمْتُ البَرْدَعَانِيَّ بِأَنْطَاكِيَّةِ ، وَجَحَدْتُ مَذْهَبَ المَلَكِيَّةِ وَيُبدَلُ بِقَوْلِهِ : وَكَدَّبْتُ يَعْقُوبَ البَرْدَعَانِيَّ ، وَقُلْتُ : إِنَّهُ غَيْرُ نِصْرَانِيٍّ ، وَجَحَدْتُ اليَعْقُوبِيَّةَ ، وَقُلْتُ إِن الحَقَّ مَعَ المَلَكِيَّةِ . وَيُبْطَلُ قَوْلُهُ : وَخَرَجْتُ عَنِ طَاعَةِ البَابِ ، وَيُبدَلُ بِقَوْلِهِ : وَقَاتَلْتُ بِيَدِي عَمْدَشِيونَ ، وَخَرَبْتُ كَنِيسَةَ قُمَامَةَ وَكُنْتُ أَوَّلَ مَفْتُونٍ .

وَإِن كَانَ مِنَ النِّسَاطِرَةِ أُبْدِلَ القَوْلَيْنِ وَأَبْقِيَ مَا سِوَاهُمَا ، وَقَالَ عَوْضُ مِمَاسَّةِ الأَلْهُوتِ لِلنَّاسُوتِ : إِشْرَاقِ الأَلْهُوتِ عَلَى النَّاسُوتِ ، وَيُزَادُ بَعْدَ مَا يُحَذَفُ : وَقُلْتُ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ سُسْطُورِسَ وَمَا تَضَمَّنَهُ الإِنْجِيلُ المَقَدَّسَ .



وهذه نسخة يمين حُفَّتْ عَلَيْهَا مَلِكُ النُّوبَةِ لِلسُّلْطَانِ المَلِكِ المَنْصُورِ « قِلاوون »
عند استقراره نائِبًا عَنْهُ فِي بِلَادِ النُّوبَةِ ، وَهِيَ :

وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ ، وَحَقَّ النَّالُوثِ المَقَدَّسِ ، وَالإِنْجِيلِ الطَّاهِرِ ، وَالسَّيِّدَةِ الطَّاهِرَةِ
العَدْرَاءِ أُمِّ النُّورِ ، وَالْمَعْمُودِيَّةِ ، وَالْأَنْبِيَاءِ ، وَالرُّسُلِ ، وَالْحَوَارِيِّينَ ، وَالقَدِيسِينَ ،

والشهداء الأبرار، وإلا أجمد المسيح كما جمده بودس؛ وأقول فيه ما يقول اليهود، وأعتقد ما يعتقدونه؛ وإلا أكون بودس الذي طعن المسيح بالحربة - إني أخضت يدي وطويته من وقتي هذا وساعتي هذه للسلطان الملك فلان، وإني أبذل جهدي وطاقتي في تحصيل مرضاته، وإني ما دمت نائبه لا أقطع المقرر عليّ في كل سنة تمضي: وهو ما يفضّل من مشاطرة البلاد على ما كان يتحصل لمن تقدّم من ملوك النوبة، وأن يكون النصف من المتحصل للسلطان مخلصاً من كل حق، والنصف الآخر مرصداً لعمارة البلاد وحفظها من عدو يطرقها، وأن يكون عليّ في كل سنة كذا وكذا. وإني أقرر على كل نفر من الرعية الذين تحت يدي في البلاد من العقلاء البالغين ديناراً عينا. وإني لا أترك شيئاً من السلاح ولا أخفيه، ولا أمكن أحداً من إخفائه. ومتى خرجت عن جميع ما قررتُه أو عن شيء من هذا المذكور أعلاه كله، كنت بريئاً من الله تعالى ومن المسيح ومن السيدة الطاهرة، وأخسر دين النصرانية، وأصلي إلى غير الشرق، وأكسر الصليب، وأعتقد ما يعتقد اليهود. وإني مهما سمعت من الأخبار الضارة والنافعة طالعت به السلطان في وقته وساعته، ولا أنفرد بشيء من الأشياء إذا لم يكن مصلحة. وإني ولي من وإلى السلطان وعدو من عاداه، والله على ما نقول وكيل.

قلت: وسياتي ذكر أيمان الفرنج على الهدنة عند ذكر ما أهمله في "التعريف":

من نسخ الأيمان في آخر الباب، إن شاء الله تعالى.

المِلَّةُ الثَّلَاثَةُ

(المَجُوسِيَّةُ : وهى المِلَّةُ التى كان عابها الفُرسُ ومن دَانَ بدينهم)

وهم ثلاثُ فِرَقٍ :

الفِرقةُ الأولى - الكِيُومَرِيَّةُ - نسبةً إلى كِيُومَرْت ، ويقال : كِيُومَرْتُ بالجيم بدل الكاف . وهو مَبْدَأُ النَّسْلِ عندهم كَادَمَ عليه السلامِ عِنْدَ غَيْرِهِمْ ، وَرَبِّمَا قِيلَ : إن كِيُومَرْتُ هو آدَمُ عليه السلام . وهؤلاءُ أَتَّبَعُوا إلهًا قَدِيمًا وَسَمَّوهُ يزدان ، ومعناه النُّور ، يعنون به اللهَ تَعَالَى ، وإلهًا مَخْلُوقًا سَمَّوهُ أَهرمن ، ومعناه الظُّلْمَةُ ، يعنون به إبليس . ويزعمون أن سَبَبَ وُجُودِ أَهرمن أن يزدان فَكَّرَ فى نَفْسِهِ أنه لو كان له مُنَازَعٌ كيف يكون ، فحَدَثَ من هذه الفِكرَةِ الرِّدِيَّةِ أَهرمن ، مَطْبُوعًا على الشَّرِّ والْفِتْنَةِ والْفَسَادِ والضَّرَرِ والإِضْرَارِ ، فخرَجَ على يزدان وخَالَفَ طَبِيعَتَهُ ، فَخَرَّتْ بَيْنَهُمَا مُحَارَبَةٌ كان أحر الأَمْرِ فيها على أن أَصْطَلَحَا أن يكون العَالَمُ السُّفْلِيُّ لِأهرمن سبعةَ آلافِ سَنَةٍ ، ثم يَحُلِّيَ العَالَمَ وَيُسَامَهُ ليزدان . ثم إنه أَبَادَ الَّذِينَ كانوا فى الدُّنْيَا قَبْلَ الصَّلْحِ وَأَهْلَكَهُمْ ، وبدأ بِرَجُلٍ يُقالُ له كِيُومَرْتُ ، وَحَيَوَانٍ يُقالُ له النُّورُ ، فكان من كِيُومَرْتِ البَشَرُ ومن النُّورِ البَقَرُ وَسائِرُ الحَيَوَانِ .

وقاعدةٌ مَدَّهَبِهِمُ تَعْظِيمُ النُّورِ ، والتَّحَرُّزُ مِنَ الظُّلْمَةِ ، ومن هنا أَتَّبَعُوا إلى النارِ فَعَبَدُوهَا : لما أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ من النُّورِ . ولَمَّا كان النُّورُ هو أَصْلُ الحَيَوَانِ عندهم المُصَادِفِ لوجودِ كِيُومَرْتِ ، عَظَّمُوا البَقَرَ حَتَّى تَعَبَدُوا بِأَبوابِهَا .

الفِرقةُ الثَّانِيَةُ - الشَّوِيَّةُ - وهم على رَأْيِ الكِيُومَرِيَّةِ فى تَفْضِيلِ النُّورِ والتَّحَرُّزِ مِنَ الظُّلْمَةِ ، إلا أَنَّهُمْ يَقولون : إن الأَثْنينِ اللذَيْنِ هما النُّورُ والظُّلْمَةُ قَدِيمَانِ .

الفِرْقَةُ الثَّلَاثَةُ — الزَّرَادَشْتِيَّةُ الدَّائِنُونَ بِدِينِ الْمَجُوسِيَّةِ — وَهْمُ أَتْبَاعِ زَرَادَشْتِ
الَّذِي ظَهَرَ فِي زَمَنِ كَيْسْتَسِيفِ السَّابِعِ مِنْ مُلُوكِ الْكِيَانِيَّةِ ، وَهْمُ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مُلُوكِ
الْفُرسِ ، وَأَدَّعَى النُّبُوَّةَ وَقَالَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا ضِدَّ
وَلَا نِدَّ ، وَأَنَّهُ خَالِقُ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ وَمُبْدِعُهُمَا ، وَأَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَالصَّلَاحَ وَالْفَسَادَ إِنَّمَا
حَصَلَ مِنْ آمْتَرَا جِهَمَا ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي مَزَجَهُمَا لِحِكْمَةٍ [رَأَاهَا] فِي التَّرْكِيبِ ،
وَأَنَّهُمَا لَوْ لَمْ يَمْتَرَجَا لَمَا كَانَ وُجُودٌ لِلْعَالَمِ ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ الْآمْتَرَا جُ حَتَّى يَغْلِبَ النُّورُ
الظُّلْمَةَ ، ثُمَّ يَخْلُصُ الْخَيْرُ فِي عَالِمِهِ وَيَخْطُ الشَّرُّ إِلَى عَالِمِهِ ، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ الْقِيَامَةُ .
وَقَالَ بِاسْتِقْبَالِ الْمَشْرِقِ حَيْثُ مَطَّلَعَ الْأَنْوَارُ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ،
وَأَجْتِنَابِ الْخَبَائِثِ . وَأَنَّى بِكِتَابٍ قِيلَ صَنَّفَهُ ، وَقِيلَ أُنزِلَ عَلَيْهِ . قَالَ الشَّهْرَسْتَانِيُّ :
أَسْمُهُ "زَنْدُوسْتَا" . وَقَالَ الْمَسْعُودِيُّ فِي "التَّنْبِيهِ وَالْإِشْرَافِ" : وَأَسْمُ هَذَا الْكِتَابِ
"الْإَيْسْتَا" ، وَإِذَا عُرِّبَ أَثْبَتَتْ فِيهِ قَافٌ فَقِيلَ : "الْإَيْسْتَاقُ" وَعَدَدُ سُورِهِ إِحْدَى
وَعِشْرُونَ سُورَةً ، تَفْعُ كُلُّ سُورَةٍ فِي مَائَتِي وَرَقَةٍ ، وَعَدَدُ حُرُوفِهِ سِتُّونَ حَرْفًا ، لِكُلِّ
حَرْفٍ سُورَةٌ مُفْرَدَةٌ ، فِيهَا حُرُوفٌ تَتَكَرَّرُ فِيهَا حُرُوفٌ تَسْقُطُ . قَالَ : وَزَرَادَشْتِ
هُوَ الَّذِي أَحْدَثَ هَذَا الْخَطَّ وَالْمَجُوسُ تَسْمِيَهُ : دِينَ تَبَرَهُ ، أَي كِتَابَ الدِّينِ .

وَذَكَرَ أَنَّهُ كُتِبَ بِاللُّغَةِ الْفَارِسِيَّةِ الْأُولَى فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ جِلْدٍ ثَوْرٍ بِقَضْبَانِ
الذَّهَبِ حَفْرًا ، وَأَنَّ أَحَدًا الْيَوْمَ لَا يَعْرِفُ مَعْنَى تِلْكَ اللُّغَةِ ، وَإِنَّمَا تَقَلُّ لَهُمْ إِلَى هَذِهِ
الْفَارِسِيَّةِ شَيْءٌ مِنَ السُّورِ فِي أَيْدِيهِمْ يَقْرَءُونَهَا فِي صَلَوَاتِهِمْ : فِي بَعْضِهَا الْخَبَرَ عَنْ مُبْتَدِ
الْعَالِمِ وَمَنْتَاهَا ، وَفِي بَعْضِهَا مَوَاعِظٌ . قَالَ : وَعَمِلَ زَرَادَشْتِ لِكِتَابِ "الْإَيْسْتَا"
شَرْحًا سَمَّاهُ "الزَنْدُ" وَمَعْنَاهُ عِنْدَهُمْ : تَرْجُمَةُ كَلَامِ الرَّبِّ ، ثُمَّ عَمِلَ لِكِتَابِ "الزَنْدُ"
شَرْحًا سَمَّاهُ : "بَادَزَنْدُ" وَعَمَلَتْ عَلَيْهِمْ لَذَلِكَ الشَّرْحَ شَرْحًا سَمَّاهُ : "يَا زَنْدُ" .

ومن حيث اختلاف الناس في كتاب زرادشت المقدم ذكره هذا : نُزِلَ عليه
أو صَنَّفَهُ قال الفقهاء : إنَّ لِلْجُوسِ شُبُهَةً كِتَابٍ : لِأَنَّهُ غَيْرُ مَقْطُوعٍ بِكَوْنِهِ
كِتَابًا مُنْزَلًا .

وَأَتَى زَرَادُشْتَ كَيْسْتَا سَفَ الْمَلِكِ بِمُعْجَزَاتٍ .

منها - أنه أتى بدائرة صحيحة بغير آلة، وهو ممتنع عند أهل الهندسة .

ومنها - أنه مرَّ على أعمى، فأمرهم أن يأخذوا حَشِيشَةً سَمًّاها وَيَعْصِرُوهَا
فِي عَيْنَيْهِ، فَأَبْصَرَ . قال الشَّهْرَسْتَانِيُّ : وليس ذلك من المعجزة في شيء، إذ يحتملُ
أنه كان يعرف خاصَّة الحَشِيشَةِ .

وهم يقولون : إن الله تعالى خلق في الأوَّلِ خَلْقًا رُوحَانِيًّا ، فلبا مَضَتْ ثَلَاثَةُ
آلَافِ سَنَةٍ أَنْفَذَ اللهُ تَعَالَى مَشِيئَتَهُ فِي صُورَةٍ مِنْ نُورٍ مُتَلَايٍ عَلَى [تَرْكِيْبِ] صُورَةِ
الْإِنْسَانِ ، وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ وَالْأَرْضَ (وَبَنَى آدَمَ حِينَئِذٍ غَيْرُ
مَتَحَرِّكِينَ) فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ سَنَةٍ .

ثمَّ الْجُوسُ يَفْضَلُونَ الْفُرْسَ عَلَى الْعَرَبِ وَسَائِرِ الْأُمَمِ ، وَيَفْضَلُونَ مَالِمْ : مِنْ مَدُنٍ
وَأَبْنِيَةٍ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْأَبْنِيَةِ ، فَيَفْضَلُونَ إِقْلِيمَ بَابِلَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَقْلِيمِ ، وَمَدِينَتَهُ عَلَى
سَائِرِ الْمَدِينِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ أَوْشَمَهِنَجَ أَوَّلَ طَبَقَةِ الْيَكَانِيَةِ مِنْ مُلُوكِ الْفُرْسِ هُوَ الَّذِي
بَنَاهَا ؛ وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ ، وَلَيْسَ النَّاجِ ، وَرَفَعَ الْأَعْمَالَ ،
وَرَبَّ الْخِرَاجَ ؛ وَكَانَ مُلْكُهُ بَعْدَ الطُّوفَانِ بِمِائَتِي سَنَةٍ ، وَقِيلَ : بَلْ كَانَ قَبْلَ
الطُّوفَانِ .

وَيَفْضَلُونَ الْكِتَابَةَ الْفَهْلَوِيَّةَ وَهِيَ الْفَارْسِيَّةُ الْأُولَى عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْخَطُوطِ ، وَيَزْعُمُونَ
أَنَّ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَهَا طَهْمُورْتُ : وَهُوَ الَّذِي مَلَكَ بَعْدَ أَوْشَمَهِنَجِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ .

ويجحدون سياسة بني ساسان ، وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس منسوبون
إلى ساسان . ويسخظون [على] الروم ، لغزؤهم الفرس وتسلطهم عليهم ببلاد
بابل . ويعبدون النار ، ويرون أن الأفلاك فاعلة بنفسها ، ويستبيحون فروج
المحارم من البنات والأمهات ، ويرون جواز الجمع بين الأختين إلى غير ذلك
من عقائدهم .

ويعظمون النيروز : وهو أول يوم من سنتهم وعيدهم الأكبر . وأول من
رتبه جمشيد أخو ظهثورث . ويعظمون أيضا المهرجان : وهو عيد مشهور
من أعيادهم .

ويسخظون [على] بيوراسب : وهو رابع ملوكهم : وهو الضحاك يقال له
بالفارسية : الدهاش ، ومعناه عشر آفات . وكان ظلوما غشوما ، سار فيهم بالجور
والعسف ، وبسط يده بالقتل ، وسن العشور والمكوس واتخذ المغنين والملاهي ،
وكان على كفيه ساعتان مستورتان بثيابه يحرثهما إذا شاء ، فكان يدعي أنهما
حياتان ، تهويلا على ضعفاء العقول ، ويزعم أن ما يأخذه من الرعية يطعمه لهما
ليكفهما عن الناس ، وأنهما لا يشبعان إلا بأدمغة بني آدم ، فكان يقتل في كل
يوم عددا كثيرا من الخلق بهذه الحجمة . ويقال : إن إبراهيم الخليل عليه السلام
كان في آخر أيامه .

وكان من شأنه أنه لما كثر جورُه وظلمه على الناس ، ظهر بأصمهان رجل اسمه
كابي ، ويقال : كابيان من سفلة الناس ، قيل حداد ، كان الضحاك قد قتل له ابنين
فاخذ كابي المذكور درفسا وهو الحربة وعلق بأعلاها قطعة نطع كان يتقي بها النار ،

(١) في "العبر" ج ٢ ص ١٦٩ أنها الرابعة .

ونادى في الناس بحاربة الضحَّاك ، فأجابه خلقٌ كثيرٌ ، وأستفحل أمرُه ، وقصدَ الضحَّاكُ بمن معه ، فهرب الضحَّاكُ منه ، فسأله الناسُ أن يملك عليهم ، فامتنع لكونه من غير بيتِ المُلِك ، وأشار بتولية إفريدون من عقب جمشيد المقدم ذكره ، فوَلَّوه ، فتبع الضحَّاكُ فقبضَ عليه وقتلَه ، وسار فيهم بسيرة العدلِ وردَّ ما اغتصبه الضحَّاكُ إلى أهلِه ، فصار لكاتبِ المذكورِ عندهم المقامُ الأعلى ، وعظَّموا درفَسَه الذي علق به تلك القطعة من النطع ، وكللوه بالجواهر ، ورضعوه بالواقيت ، ولم يزل عند ملوكهم يستفتحون به في الحروب العظيمة حتى كان معهم أيام يزيدِ حرد آخر ملوكهم عند محاربة المسلمين لهم في زمن عثمان ، فغلبهم المسلمون وأقتلعوه منهم .

وهم يعظمون إفريدون ملكهم المقدم ذكره ، لقيامه في هلاك الضحَّاك وقتلَه .
وفي أول ملك إفريدون هذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام . ويقال : إنه ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم .

وهم يعظمون أيضا من ملوكهم سابور الملَّقب بذي الأكتاف ، لأخذه بشار العجم من العرب . وذلك أنه كان يتبع العرب بالجزيرة الفُراتية وما جاورها ، وسار في طلبهم حتى بلغ البحرين ، لئيلكهم قتلا ، لا يقبلُ من أحدٍ منهم فداءً ، ثم أخذَ في حُلج أكتافهم ، فلذلك سُمي ذا الأكتاف .

(١)
ويعظمون ماني بن فائق : وهو رجلٌ ظهر في زمن سابور بن أردشير بعد عيسى عليه السلام ، وأدعى النبوة وأحدث دينًا بين المجوسية والنصرانية . وكان يقول : نبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام ، وقال : إن العالم

(١) في "الملل" ابن فائق بالكاف .

مَصْنُوعٌ مِنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ ، وَإِنَّمَا لَمْ يَزَلَا قَدِيمِينَ حَسَّاسِينَ سَمِيعِينَ بَصِيرِينَ . وَلَهُ
أَتْبَاعٌ يَعْرِفُونَ بِالْمَانَوِيَّةِ .

وَيَتَّبِعُونَ مِنْ مَزْدَكٍ : وَهُوَ رَجُلٌ مَشْهُورٌ مَنْسُوبٌ عِنْدَهُمْ إِلَى الزَّنْدَقَةِ أَيْضًا ،
ظَهَرَ فِي زَمَنِ قُبَادَ أَحَدِ مُلُوكِ الْفُرْسِ مِنَ الْأَكَّاسَةِ ، وَأَدَّعَى النَّبُوَّةَ وَنَهَى عَنِ الْخِلَافَةِ
وَالْمُبَاغِضَةِ ، وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِسَبَبِ النِّسَاءِ وَالْمَالِ ، فَأَمَرَ بِالْأَشْتِرَاكِ
وَالْمَسَاوَاةِ فِيهِمَا ، وَتَبِعَهُ قُبَادُ عَلَى ذَلِكَ ، فَتَوَصَّاتِ سِفْلَةَ الرِّجَالِ إِلَى أَشْرَافِ النِّسَاءِ ،
وَحَصَلَ بِذَلِكَ مَفْسَدَةٌ عَظِيمَةٌ . وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّ النُّورَ عَالِمٌ حَسَّاسٌ ، وَالظُّلَامَ
جَاهِلٌ أَعْمَى ، وَالنُّورُ يَفْعَلُ بِالْقَصْدِ وَالْإِخْتِيَارِ ، وَالظُّلْمَةُ تَفْعَلُ عَلَى الْخَبْطِ وَالْإِنْتِفَاقِ ،
وَإِنَّ أَمْتَرَجَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ كَانَ بِالْإِنْتِفَاقِ وَالْخَبْطِ دُونَ الْقَصْدِ وَالْإِخْتِيَارِ ، وَكَذَلِكَ
الْخِلَاصُ . وَلَهُ أَتْبَاعٌ يُقَالُ لَهُمُ الْمَزْدَكِيَّةُ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ شَرَوَّانُ بْنُ قُبَادَ
هُوَ وَأَتْبَاعُهُ ، وَقَتَلَ مَعَهُمُ الْمَانَوِيَّةَ أَتْبَاعَ مَا نِي الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ ، وَعَادَتِ الْفُرْسُ إِلَى
الْمَجُوسِيَّةِ الْقَدِيمَةِ .

وَقَدْ رَتَّبَ فِي "التعريف" لِلْمَجُوسِ يَمِينًا عَلَى مَقْتَضَى مَا عَلَيْهِ عَقِيدَةُ الْمَجُوسِ أَتْبَاعَ
زَرَادَشْتِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ ، وَهِيَ :

إِنِّي وَاللَّهِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ ، الْقَدِيمِ ، النُّورِ ، الْأَقْلِ ، رَبِّ الْأَرْبَابِ ، وَإِلَهِ الْأِلَهَةِ ،
مَا حَى آيَةَ الظُّلْمِ ، وَالْمَوْجِدِ مِنَ الْعَدَمِ ، مُقَدِّرِ الْأَفْلَاقِ وَمُسَيِّرِهَا ، وَمُنُورِ الشُّهُبِ
وَمُصَوِّرِهَا ، خَالِقِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَمُنْبِتِ النُّجُومِ وَالشَّجَرِ ، وَالنَّارِ وَالنُّورِ ، وَالظَّلِّ
وَالْحُرُورِ ، وَحَقِّ جِيُومَرْتِ وَمَا أَوْلَدَ مِنْ كَرَائِمِ النَّسْلِ ، وَزَرَادَشْتِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ
الْفَصْلِ ، وَالزَّنْدِ وَمَا تَضَمَّنَهُ ، وَالْخَطِّ الْمُسْتَدِيرِ وَمَا بَيْنَ . وَإِلَّا أَنْكَرْتُ أَنَّ زَرَادَشْتِ
لَمْ يَأْتِ بِالْدَائِرَةِ الصَّحِيحَةِ بغير آله ، وَأَنَّ مَلَكَةَ إِفْرِيدُونَ كَانَتْ ضَالَّةً ، وَأَكُونُ

قد شاركت بيوراسب فيما سنك طعمًا لحيتيه ، وقلت إن كايان لم يُسلط عليه ؛
 وحرقت بيدي الدرفس ، وأنكرت ما عليه من الوضع الذي أشرقت عليه أجرام
 الكواكب ، وتمازجت فيه القوى الأرضية بالقوى السماوية ، وكذبت ماني وصدقت
 مزدك ، وأسبحت فضول الفروج والأموال ، وقلت بانكار الترتيب في طبقات
 العالم ، وأنه لا مرجع في الأبوّة إلا إلى آدم ، وفضأت العرب على العجم ، وجعلت
 الفرس كسائر الأمم ، ومسحت بيدي خطوط الفهلوية ، وجمدت السياسة
 الساسانية ، وكنت ممن غزا الفرس مع الروم ، ومن خطأ سابور في خلع أكتاف
 العرب ، وجلبت البلاء إلى بابل ، ودين بنيردين الأوائل ؛ وإلا أطفأت النار ،
 وأنكرت فعل الفلك الدوار ، ومالأت فاعل الليل على فاعل النهار ، وأبطلت حكم
 النيروز والمهرجان ، وأطفأت ليلة الصدق مصابيح النيران ؛ وإلا أكون ممن حرم
 فروج الأمهات ، وقال بأنه لا يجوز الجمع بين الأخوات ؛ وأكون ممن أنكر صواب
 فعل أردشير ، وكنت لقومي بئس المولى وبئس العشير .

المهييع الثالث

(في الأيمان التي يُخلف بها الحكماء)

وهم المعبر عنهم بالفلاسفة ، جمع فيلسوف ؛ ومعناه باليونانية محب الحكمة .
 وأصله فيلاسوف ، فقيلًا معناه محب ، وسوف معناه الحكمة ، وهم أصحاب الحكم
 الغريزية والأحكام السماوية ، فمنهم من وقف عند هذا الحد ، ومنهم من عرف الله
 تعالى وعبده بأدب النفس .

قال الشهرستاني : وهم على ثلاثة أصناف :

الصنف الأول — البراهمة ، وهم لا يُقرون بالنبوات أصلاً ، ولا يقولون بها .

[الصِّنفُ الثَّانِي - حِكْمَاءُ الْعَرَبِ] ^(١) ، وَهُمْ شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ ، وَأَكْثَرُ حِكْمَتِهِمْ
فَاتَاتُ الطَّعْبِ ، وَخَطَرَاتُ الْفِكْرِ ، وَهَؤُلَاءِ رَبَّمَا قَالُوا بِالنَّبَوَاتِ .

[الصِّنفُ الثَّالِثُ - حِكْمَاءُ الرُّومِ] ^(١) ، وَهُمْ عَلَى ضَرْبَيْنِ :

الضرب الأول

(القدماء منهم الذين هم أساطين الحكمة)

^(٢) وَهُمْ سَبْعَةٌ حِكْمَاءُ : ثَالِيسُ الْمَلَطِي ، وَأَنْكَسَاغُورَسُ ، وَأَنْكَسِمَانِسُ ، وَأَنْبَادِيْقَلَسُ ،
وَفَيْثَاغُورَسُ ، وَسُقْرَاطُ ، وَأَفْلَاطُونُ . وَمَذَاهِبُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ ، وَبَعْضُهُمْ عَاصِرُ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ
عَالِمُهُمُ السَّلَامُ ، وَتَلَقَّفَ مِنْهُ ، كَأَنْبَادِيْقَلَسِ : كَانَ فِي زَمَنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَضَى
إِلَيْهِ وَتَلَقَّى عَنْهُ ، وَأَخْتَلَفَ إِلَى لُقْمَانَ وَأَقْتَبَسَ مِنْهُ الْحِكْمَةَ . وَكَذَلِكَ فَيْثَاغُورَسُ : كَانَ
فِي زَمَنِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَخَذَ الْحِكْمَةَ مِنْ مَعْدِنِ النَّبِوَةِ .

الضرب الثاني

(المتأخرون منهم ، وهم أصحاب أرسطاطاليس ، وهم ثلاث طوائف)

طَائِفَةٌ مِنْهُمْ تُعْرَفُ بِالْمَشَائِينِ : وَهُمْ الَّذِينَ كَانُوا يَمَشُونَ فِي رِكَابِهِ يقرءون عليه
الْحِكْمَةَ فِي الطَّرِيقِ وَهُوَ رَاكِبٌ . وَطَائِفَةٌ تُعْرَفُ بِالرُّوَاقِيِّينَ : وَهُمْ الَّذِينَ كَانَ يَجْلِسُ
لِتَعْلِيمِهِمُ بِالرُّوَاقِ . وَالطَّائِفَةُ الثَّلَاثَةُ فَلَاسِفَةُ الْإِسْلَامِ : وَهُمْ حِكْمَاءُ الْعَجَمِ . أَمَا قَبْلَ
الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنِ الْعَجَمِ مَقَالَةٌ فِي الْفَلَسَفَةِ ، بَلْ حِكْمَتُهُمْ كُلُّهَا كَانَتْ مُسْتَفَادَةً

(١) الزيادة عن الشهرستاني بالمعنى ليستقيم الكلام .

(٢) في الملل والنحل : انبذقلس .

من النبوت : إما من الملة القديمة ، وإما من غيرها من الملل . ومعتقدهم أن الله تعالى واجب الوجود لذاته ، وأنه ليس بجوهر ولا عرض ، وأن ما سواه صادر عنه على ترتيب ، وأنه تعالى واحد فرد ، ليس له شريك ولا نظير ، باق أبدي سرمدي ، وأنه الذي أوجد الأشياء وكونها ، ويعبرون عنه بعلّة العال ، وأنه قادر ، يفعل إن شاء ولا يفعل إن لم يشأ ، فاعل بالذات ليس له صفة زائدة على ذاته ، سرمد ، له إرادة وعناية لا تزيد على ذاته ، وأنه أول لا بداية له ، آخر لا نهاية له ، وأنه يستحيل أن يتغير ، منزّه عن أن يكون حادثاً أو عرضاً للحوادث ، حتى متصف بصفات البقاء السرمديّة ، وأنه حكيم بمعنى أنه جامع لكل كمال وجلال ، وأنه خالق الأفلاك بقدرته ، ومدبرها بحكته ، ويقولون : إن الأرض ثابتة لا تتحرك ، والماء مُحيط بها من سائر جهاتها على ما اقتضته الحكمة الإلهية ، وكشف بعض أعلاها لسكنى الخلق فيه ، فهي كبطيخة مقلّاة في بركة ماء ، ويحيط بالماء الهواء ، ويحيط بالهواء النار ، ويحيط بالنار فلك القمر وهو الأول ، ويحيط بفلك القمر فلك عطارد وهو الثاني ، ويحيط بفلك عطارد فلك الزهرة وهو الثالث ، ويحيط بفلك الزهرة فلك الشمس وهو الرابع ، ويحيط بفلك الشمس فلك المريخ وهو الخامس ، ويحيط بفلك المريخ فلك المشتري وهو السادس ، ويحيط بفلك المشتري فلك زحل وهو السابع ، ويحيط بفلك زحل فلك الكواكب وهو الثامن ، وهو الذي فيه الكواكب الثابتة بأسرها ، وهي ما عدا الكواكب السبعة التي في الأفلاك السبعة المقدم ذكرها : من البروج الأثني عشر ومنازل القمر الثمانية والعشرين وغيرها . ويحيط بالكواكب الفلك الأطلس وهو الفلك التاسع ، والأفلاك التسعة دائرة بما فيها من المشرق إلى المغرب ، بحيث تقطع في اليوم والليلّة دورة كاملة ، والكواكب السبعة

التي في الأفلاك السبعة الأولى ، وهي : زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ،
والزهرة ، وعطارد ، والقمر ، متحركة بالسَّير إلى جهاتٍ مخصوصة : الشمس والقمر
يسيران بين المشرق والمغرب وبقية الكواكب يختلف سيرها استقامةً ورجوعاً ،
والكواكب التي في الفلك الثامن ثابتة لا تتحرك ، والله تعالى هو الذي يسير هذه
الأفلاك والكواكب ويفيض القوى عليها .

ويقولون : إن الشمس إذا سخنت الأرض بواسطة الضوء صعد من الرطب
منها بخار ، ومن البارد الياس دخان . ثم بعضه يخرج من مسام الأرض فيرتفع
إلى الجو ، وبعضه يحتبس في الأرض بوجود ما يمنعه من الخروج منها : من جبل
ونحوه .

فأما ما يخرج من مسام الأرض ، فإن كان من البخار ، فما تصاعد منه في الهواء
يكون منه المطر والتلج والبرد وقوس قزح والهالة ؛ ثم ما ارتفع من الطبقة الحارة من
الهواء إلى الباردة تكاثف بالبرد وأنعقد غيماً ، وإن كان ضعيفاً أثرت فيه حرارة
الشمس فاستحال هواءً ، ومهما انتهى إلى الطبقة الباردة تكاثف وعاد وتقاطر وهو
المطر . فإن أدركها برد شديد قبل أن تجتمع ، جمدت ونزلت كالقطن المندوف وهو
التلج ، وإن لم تدركها برودة حتى اجتمعت قطرات من الجوانب أذهبت برودتها ،
أنعقدت برداً ، وإذا صار الهواء رطباً بالمطر مع أدنى صقالة ، صار كالمراة فيتولد من
ضوء الشمس الواقع في قفاه قوس قزح ، فإن كان قبل الزوال رؤى في المغرب ،
وإن كان بعد الزوال رؤى في المشرق ، وإن كانت الشمس في وسط السماء لم يمكن
أن يرى إلا قوساً صغيراً إن اتفق . وفي معنى ذلك الهالة المحيطة بالقمر ، إلا أن
الهالة إنما تحصل من مجرد برودة الهواء وإن لم يكن مطر .

وإن كان ما يخرج من مسام الأرض دُخانًا : فإن تصاعدَ وارتفع في وسط البخار وضربه الريحُ في ارتفاعه ، نُقلُ وانكسَ فحركه الهواءُ فحصل الريحُ . وإن لم يضربه الريحُ ، تصاعد إلى عنصِر النار واشتعلت النارُ فيه فصار منه نارٌ تشاهد ، وربما استطال بحسب طولِ الدخانِ فيسمى كوكبا منقضا . وإن كان الدخانُ كَثيفا واشتعل بالنار ولكنه لم يستحل على القرب ، بل بقي زمانا ، رُوى كأنه كوكبٌ ذو ذنبٍ . وإن بقي شيءٌ من الدخانِ في تضاعيف الغيمِ وبرد ، صار ريحًا في وسط الغيمِ فيتحركُ فيه بشدة فيحصل منه صوتٌ وهو الرعدُ ، فإن قويت حركته اشتعل من حرارة الحركة الهواءُ والدخانُ فصار نارًا مُضيئةً وهو البرقُ . وإن كان المُشتعلُ كَثيفا ثَقِيلا مُحرقًا ، اندفع بمصادفة الغيمِ إلى جهة الأرضِ وهي الصاعقة :

﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ .

ويقرون أن الله تعالى مُكوِّنُ الأكوانِ ، ومُمتلئُ المعادنِ والنباتِ والحيوانِ . فأما المعادنُ — فهي التي تتكوَّنُ فيها جواهرُ الأرضِ : من الذهبِ والفضةِ وغيرهما . وذلك أن البخارَ والدخانَ في الأرضِ فإنها [ان] تجتمعُ وتمترجُ ، فإن غلب الدخانُ كان الحاصلُ منه مثلُ النُشادرِ والكبريتِ ، وربما تغلبَ البخارُ في بعضه فيصيرُ كالماءِ الصافي المنعقدِ المتحجِّرِ ، فيكونُ منه الياقوتُ والبُلُورُ ونحوه مما لا يتطرقُ تحت المطارقِ . وإن استحكمت أمتراجُ الدخانِ منه بالبخارِ وقلت الحرارةُ المحققة في جواهرها ، انعقدت منه الذهبُ والفضةُ والنحاسُ والرصاصُ ونحوها مما يتطرقُ بالمطرقةِ .

وأما النباتُ — فانهم يقولون : إن العناصرُ قد يقعُ بها أمتراجٌ واختلاطٌ أتمُّ من أمتراجِ البخارِ والدخانِ المقدم ذكره ، وأحسنُ وأقربُ إلى الاعتدالِ ، فيحصلُ من ذلك الثمُّ الذي لا يكونُ في الجماداتِ .

وينشأ عن ذلك ثلاثة أمور :

أحدها — التغذيةُ بقوة مغذية : وهي قوةٌ محيَلةٌ للغذاء تتخلعُ عنها صورتُها وتكسوها صورة المتغذى ، فتنشر في أجزائه وتلتصق به وتسدُّ مسدًّا ما تتحلل من أجزائه .

وثانيها — التَّئِميةُ بقوة مُميِّة ، بأن يزيد الجسم بالغذاء في أقطاره على التناسب اللائق بالنامي حتى ينتهي إلى مُتَمِّى ذلك الشيء .

وثالثها — التَّوَلِيدُ بقوة مولدة : وهي التي تفصل جسمًا من جسمٍ شبيه به .

وأما الحيوان — فإنهم يقولون إن تكوُّنه من مزاجٍ أقرب إلى الاعتدال وأحسن من الذى قبله ، من حيث إن فيه قوة النباتية وزيادة قوتين ، وهما المُدْرِكة والمتحرِّكة ، ومهما حصل من الإدراك أنبعثت الشهوة والتزوع ، وهو إما لطاب ما يحتاج إليه في طلب الملائم الذى به بقاء الشخص : كالغذاء ، أو بقاء النوع : كالجماع ، ويسمى قوَّةً شهوانية . وإما للهرب ودفع المُناني ، وهي قوَّةٌ غضبيَّةٌ ، فإن ضعفت القوة الشهوانية فهو الكراهة ، وإن ضعفت القوة الغضبيَّة فهو الخوف .

والقوة المُدْرِكة تنقسم إلى باطنة : كالتحالية والمتوهمة والذَّاكرة والمفكِّرة ، وإلى ظاهريَّة : كالسمع والبصر والدُّوق والشمُّ واللمس . فالألس قوَّةٌ منبئةٌ في جميع البَشرة ، تُدرك الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والصلابة واللين والخشونة والملاسة والحِقة والتقل . والشمُّ في زائدتى الدماغ الشببيتين بحامتى التدى . والسمع في عَصبة في أقصى الصَّماخ . والدُّوق في عَصبة مفروشة على ظاهر اللسان بواسطة الرطوبة العذبة التي لا طعم لها ، المنبسطة على ظاهر اللسان . والإبصار يحصل عن انطباع مثل صورة المُدرك في الرطوبة الجليدية التي تُشبه البرد والجمد فإنها كالمرآة ، فاذا قابلها يكون انطباع فيها مثل صورته فتحصل الرؤية .

وَيَرَوْنَ أَنَّ النَّفْسَ مَحَلُّهَا الْعُلُومُ . وَيَقُولُونَ : إِنْ النَّفْسَ فِي أَوَّلِ الصَّبَا تَكُونُ عَالِمَةً
بِالْمَعْقُولَاتِ الْمَجْرَدَةِ وَالْمَعَانِي الْكُلِّيَّةِ بِالْقُوَّةِ ، ثُمَّ تَصِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ عَالِمَةً بِالْفِعْلِ .

ثُمَّ إِنْ سَعِدَتْ بِالْأَسْتِعْدَادِ لِلْقَبُولِ ، انْقَطَعَتْ حَاجَتُهَا عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْبَدَنِ
وَمُقْتَضَى الْحَوَاسِّ ، إِلاَّ أَنَّ الْبَدْنَ لَا يَزَالُ يَجَازِبُهَا وَيَشْغَلُهَا وَيَمْنَعُهَا مِنْ تَمَامِ الْإِتِّصَالِ
بِالْعُلُومَاتِ ، فَذَا انْحَطَّ عَنْهَا شُغْلُ الْبَدَنِ بِالْمَوْتِ أَرْتَفَعَ عَنْهَا الْحِجَابُ ، وَزَالَ الْمَانِعُ ،
وَدَامَ الْإِتِّصَالُ ، وَكُلُّ حَالِهَا بَعْدَ فِرَاقِ الْبَدَنِ ، وَالتَّدْتُّ بِهِ لَذَّةٌ لَا يُدْرِكُ الْوَصْفُ
كُنْهَهَا . وَإِنْ كَانَتِ النَّفْسُ مَحْجُوبَةً عَنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ فَقَدْ شَقِيَتْ .

وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُ إِذَا تَحَجَّبُ بِاتِّبَاعِ الشَّمَوَاتِ ، وَقَصُرِ الْهَمَّةِ عَلَى مُقْتَضَى الطَّبَعِ ،
وَبَاقَامَتِهِ فِي هَذَا الْعَالَمِ الْخَسِيسِ الْغَائِي ، فَتَرَسَّخَ فِي نَفْسِهِ تِلْكَ الْعَادَةُ وَيَتَأَكَّدُ شَوْقَهُ
إِلَيْهَا ، فَتَقْوَتْ بِالْمَوْتِ آلَةُ دَرِكِ ذَلِكَ الشَّوْقِ وَيَبْقَى التَّشَوُّقُ وَهُوَ الْأَلَمُ الْعَظِيمُ الَّذِي
لَا حَدَّ لَهُ ، وَذَلِكَ مَانِعٌ مِنَ الْوَصَالِ وَالْإِتِّصَالِ . وَهَذِهِ النَّفْسُ نَاقِصَةٌ بِفَقْدِ الْعِلْمِ ،
مَلْطَاطَةٌ بِاتِّبَاعِ الشَّمَوَاتِ ، بِخِلَافِ النَّفْسِ السَّابِقَةِ .

وَيَقُولُونَ : إِنْ الْهَيُولَى قَابِلَةٌ لِتَرْكِيْبِ الْأَجْسَامِ ، وَيُخَالِفُونَ أَهْلَ الطَّبِيعَةِ فِي قَوْلِهِمْ :
بِانْكَارِ الْمَعَادِ وَفَنَاءِ الْأَرْوَاحِ ، فَيَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ بَاقِيَةٌ وَأَنَّ الْمَعَادَ حَقٌّ .

وَيَرَوْنَ أَنَّ التَّحْسِينَ وَالتَّجْبِيْحَ رَاجِعَانِ إِلَى الْعَقْلِ دُونَ الشَّرْعِ ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ
الْمُعْتَرِلَةِ وَغَيْرِهِمْ .

وَيَقُولُونَ : إِنْ الْإِلَهِ تَعَالَى فَاعِلٌ بِالذَّاتِ لَيْسَ لَهُ صِفَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى ذَاتِهِ ، عَالِمٌ
بِذَاتِهِ وَبَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْمَوْجُودَاتِ وَأَجْنَاسِهَا ، لَا يَعْرُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ ، وَإِنَّهُ يَعْلَمُ
الْمَحْكَاتِ الْحَادِثَةَ .

ويقولون بأثبات النبوات لأن العالم لا ينتظم إلا بقانونٍ متبوعٍ بين كافة [الناس] يحكمون به بالعدل ، وإلا تقاتلوا وهلك العالم ، إذ النبي هو خليفة الله في أرضه ، بواسطته تنتهى إلى الخلق الهداية إلى مصالح الدنيا والآخرة ، من حيث إنه يتلقى عن الملك والملك يتلقى عن الله تعالى ، إلا أنهم يقولون : إن النبوات غير متناهية وإنما مكتسبة ينالها العبد بالرياضات . وهاتان المقاتلتان من جملة ما كفروا به : تجويز النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم الذى أخبر تعالى أنه حاتم النبيين ، وقولهم إنها تنال بالكسب .

وقد حكى الصلاح الصفدى في "شرح لامية العجم" أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إنما قتل عمارة اليمنى الشاعر ، حين قام فيمن قام بإحياء الدولة الفاطمية بعد انقراضها ، على ما تقدم ذكره في الكلام على ترتيب مملكة الديار المصرية في المقالة الثانية ، مستنداً في ذلك إلى بيت نسب إليه من قصيدة ، وهو قوله :

وكان مبدأ هذا الدين من رجل * سعى فأصبح يدعى سيّد الأمم

بفعل النبوة مكتسبة ^(١) على أن الله تعالى ليس بجسم ولا جسماني ، وأنه ليس في جهة ولا يدخل تحت الحد والمائية .



وهذه نسخة يمين رتبها لهم في "التعريف" وهي :

إني والله والله العظيم ^(٢) [العظيم] ، الذى لا إله إلا هو ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الأبدى ، السرمدى ، الأزلى ، الذى لم يزل علة العليل ، رب الأرباب ،

(١) يياض فى الأصل ، ولعله « وهم يجمعون على أن » الخ .

(٢) الزيادة من التعريف ص ١٦٢ .

ومُدَبِّرُ الكُلِّ [القدير] القَدِيم ؛ الأَوَّلُ بلا بَدَايَةٍ ، والآخِرُ بلا نِهَايةٍ ، المتَزَّه عن أن يَكُونَ حادثًا أو عَرَضًا للحوادث ، الحَيُّ الذي آتَّصَف بصفات البقاء والسرمدية والكمال ، والمتَرَدِّى برداء الكِبَرِيَاءِ والجَلال ؛ مَدَبِّرُ الأَفلاكِ ومُسَيِّرُ الشُّهُبِ ، مُفِيضُ القُوَى على الكواكب ، وِبائُ الأرواحِ في الصُّورِ ، مَكُونُ الكائِناتِ ، ومُمَيِّ الحَيوانِ والمَعَدِنِ والنباتِ . وإلَّا فلا رَقِيَتْ رُوحِي إلى مَكانِها ، ولا آتَّصَلتُ نَفْسي بِعالمِها ، وبَقِيْتُ في ظُلمِ الجَهالَةِ ومُجِبُّ الضَّلالةِ ، وفارَقْتُ نَفْسي غيرَ مُرْتَسِمَةٍ بالمعارفِ ولا مُمَكَّلَةٍ بِالِعلمِ ، وبَقِيْتُ في عَوَزِ النَقْصِ وتحتِ إمْرَةِ النَغيِّ ، وأخذتُ بِنِصِيبِ مِنَ الشَّرْكِ ، وأنكَرْتُ المَعادَ ، وقلتُ بِنِقاءِ الأرواحِ ، ورضيتُ في هذا بِمقالةِ أَهلِ الطَبِيعَةِ ، ودُمْتُ في قِيدِ المَرَجَّاتِ وشواغلِ الحَسِّ ، ولم أُدْرِكِ الحَقائِقَ على ما هِيَ عليه ؛ وإلا فقلتُ : إن المَيُولَى غيرُ قابِلَةٍ لِتَركِيبِ الأَجسامِ ، وأنكَرْتُ المادَّةَ والصُّورَةَ ، وخرَقْتُ النِوَاميسَ ، وقلتُ : إن التَّحْسِينَ والتَّفْصِيحَ إلى غيرِ العَقْلِ ، وخُلِدْتُ مع النَفوسِ الشَّرِّيرةِ ، ولم أُجدُ سَبيلًا إلى النِّجاةِ ، وقلتُ : إن الإلهَ لَيسَ فاعِلًا بالذاتِ ، ولا عالِمًا بالكُليَّاتِ ، ودِنْتُ بِأنِ النَبوَاتِ مُتَناهيةٌ وأنها غيرُ كَسِيةٍ ، وحَدَّثْتُ عَن طرائقِ الحِكماءِ ، ونَقَضْتُ تَقْريراتِ القَدَماءِ ، وخالفتُ الفِلاسِفةَ ، ووافقتُ على إفسادِ الصُّورِ للعبثِ ، وحَيَّرْتُ الرَّبَّ في جِهَةِ ، وأثبتُّ أَنَّهُ جِسمٌ ، وجَعَلتُهُ فيما يَدْخُلُ تَحْتِ الحَدِّ والمَهايَةِ [ورضيتُ بِالتَّقْلِيدِ في الأُولَهيَةِ] .^(١)

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٦٣ .

المهيمع الرابع

(في بيان المحلوف عليه ، وما يقع على العموم ، وما يختص به كل واحد من أرباب الوظائف مما يناسب وظيفته)

إعلم أن المحلوف عليه في الأيمان الملوكية تارة يشترك فيه جميع من يحلف من أهل الدولة ، وتارة يختلف باختلاف ما يمتاز به بعضهم عن بعض مما لا تقع الشركة بينهم فيه .

فأما ما يقع فيه الأشتراك ، كطاعة السلطان وما في معناها : من إخلاص النية وإصفاء الطوية ، وما يجري مجرى ذلك ، فذلك مما يشترك فيه كل حالف يحلف للسلطان على اختلاف عقائدهم : من مسلم : سني أو بدعي ، وكافر : يهودي أو نصراني ، أو غيرهما . فكل أحد يحلف بما تقتضيه عقيدته في التعظيم ، على ما تقدم بيانه في أيمان الطوائف كلها .

فاذا آتتهى إلى المحلوف عليه ، قال : إئتني من وقتي هذا ومن ساعتي هذه وما مد الله في عمري قد أخلصت نيتي ولا أزال مجتهدا في إخلاصها ، وأصفيت طوبيتي ولا أزال مجتهدا في إصفاها ، في طاعة مولانا السلطان المالك الملك الفلاني فلان الدنيا والدين فلان ، ابن السلطان السعيد الشهيد المالك فلان الدنيا والدين فلان خلد الله تعالى ملكه ، وفي خدمته ومحبتته ونصحه ، وأكون وليا لمن والآه ، عدوا لمن عاداه ، سائما لمن سالمه ، حربا لمن حاربه من سائر الناس أجمعين ، لا أضمر له سوءا ولا مكروها ولا خديعة ولا خيانة ، في نفس ولا مال ولا ملك ولا سلطنة ولا عساکر ولا جنود ولا عربان ولا تركان ولا أكراد ولا غير ذلك ، ولا أسعى في تفريق كلمة أحد منهم عن طاعته الشريفة . وإنتي والله العظيم أبذل جهدي

وَطَاقَتِي فِي طَاعَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ الْمَلِكِ فَلَانَ الدُّنْيَا وَالدِّينِ الْمَشَارِإِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَتْ بِي
أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ بِمَا فِيهِ مَضَرَّةٌ عَلَى مُلْكِهِ لَا أَوْافِقُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلٍ
وَلَا فِعْلٍ وَلَا عَمَلٍ وَلَا نِيَّةٍ ، وَإِنْ قَدَرْتُ عَلَى إِمْسَاكِ الَّذِي جَاءَنِي بِالْكِتَابِ أَمْسَكْتُهُ
وَأَحْضَرْتُهُ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانَ الْمَلِكِ فَلَانَ الْمَشَارِإِلَيْهِ أَوْلَانَيْهِ الْقَرِيبِ مِنِّي .

وَأَمَّا مَا يَقَعُ فِيهِ الْإِخْتِلَافُ فَمَا يَتَبَيَّنُ الْحَالُ فِيهِ بِإِخْتِصَاصِ رَبِّ كُلِّ وَظِيفَةٍ
بِمَا لَا يَشَارِكُهُ فِيهِ الْآخَرُ . وَقَدْ أَشَارَ فِي "التَّعْرِيفِ" إِلَى نُبُذَةِ مَنْ ذَلِكَ فَقَالَ :
وَقَدْ يُزَادُ نَوَاطِبُ الْقِلَاعِ وَتُقْبَأُوهَا وَالْوَزَرَءُ وَأَرْبَابُ التَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ وَالِدَوَادَارِيَّةِ
وَكُتَّابُ السَّرَرِيزَادَاتِ ، يَعْنِي عَلَى مَا تَقَدَّمَ .

فَأَمَّا نَوَاطِبُ الْقِلَاعِ وَتُقْبَأُوهَا فَيُزَادُ فِي تَحْلِيفِهِمْ : وَإِنِّي أَجْمَعُ رِجَالَ هَذِهِ الْقَلْعَةِ عَلَى
طَاعَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ فَلَانَ وَخِدْمَتِهِ فِي حِفْظِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ وَحِمَايَتِهَا وَتَحْصِينِهَا ، وَالذَّبَّ
عَنْهَا ، وَالْجِهَادِ دُونَهَا ، وَالْمُدَافَعَةَ عَنْهَا بِكُلِّ طَرِيقٍ . وَإِنِّي أَحْفَظُ حَوَاصِلَهَا وَذَخَائِرَهَا
وَسِلَاحَ خَانَاتِهَا عَلَى إِخْتِلَافِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالْأَسْلِحَةِ . وَإِنِّي لَا أُخْرِجُ
شَيْئًا مِنْهَا إِلَّا فِي أَوْقَاتِ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ الدَّاعِيَةِ الْمُتَعَيَّنِّ فِيهَا تَفْرِيقُ الْأَقْوَاتِ
وَالسَّلَاحِ ، عَلَى قَدْرِ مَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ . وَإِنِّي أَكُونُ فِي ذَلِكَ كَوَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ
هَذِهِ الْقَلْعَةِ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ يَتَّبِعُنِي كَوَاحِدٍ مِنْ يَتَّبِعُ أَتْبَاعَ رِجَالِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ ،
لَا أُحْصِصُ وَلَا أَمَكِّنُ مِنَ التَّخْصِيسِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ لَا أَفْتَحُ أَبْوَابَ هَذِهِ
الْقَلْعَةِ إِلَّا فِي الْأَوْقَاتِ الْجَارِيَةِ بِهَا عَادَةٌ فَتُحَاطَبُ أَبْوَابُ الْحِصُونِ ، وَأُغْلَقُهَا فِي الْوَقْتِ
الْجَارِيِ بِهَ الْعَادَةِ ، وَلَا أَفْتَحُهَا إِلَّا بِسْمِيسِ ، وَلَا أُغْلِقُهَا إِلَّا بِسْمِيسِ . وَإِنِّي أَطَالِبُ
الْحِرَاسَ وَالِدِرَاجَةَ وَأَرْبَابَ النُّوَبِ فِي هَذِهِ الْقَلْعَةِ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَوَائِدُ اللَّازِمَةُ لِكُلِّ
مِنْهُمْ مِمَّا فِي ذَلِكَ جَمِيعُهُ مَصْلِحَةٌ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانَ فَلَانَ . وَإِنِّي لَا أُسَلِّمُ هَذِهِ الْقَلْعَةَ إِلَّا

لمولانا السلطان فلان، أو بمرسومه الشريف وأمارته الصحيحة وأوامره الصريحة .
 وإني لا أستخدم في هذه القلعة إلا من فيه نفعها وأهلية الخدمة، لا أعمل في ذلك
 بغرض نفسي، [ولا أرخص فيه لمن يعمل بغرض نفسه له ^(١)] ، وإني أبدل
 في ذلك كله الجهد، وأشتر فيه عن ساعد الحد، قال : ويسمى القلعة التي هو فيها .
 وأما الوزراء وأرباب التصرف [في الأموال] فما يزداد في تخليفهم : وإني أحفظ
 أموال مولانا السلطان فلان - خلد الله ملكه - من التبذير والضبايح ، والحوثة
 وتفريط أهل العجز ، ولا أستخدم في ذلك ولا في شيء منه إلا أهل الكفاية
 والأمانة ، ولا أضمن جهة من الجهات الديوانية إلا من الأمانة الأتقياء القادرين ،
 أو من زاد زيادة ظاهرة وأقام عليه الضمان الثقات ، ولا أؤخر مطالبة أحد بما يتعين
 عليه بوجه حق من حقوق الديوان المعمور والموجبات السلطانية على اختلافها .
 وإني والله العظيم لا أرخص في تسجيل ولا قياس ، ولا أسأخ أحدًا بموجب
 يجب عليه ، ولا أخرج عن كل مصلحة تتعين لمولانا السلطان فلان ولدولته ،
 ولا أخلي كل ديوان يرجع إلى أمره ، ويعتدق بي أمر مباشرته من تصفح
 لأحواله ، وأجتهد في تميم أمواله ، وكف أیدی الخوثة عنه ، وغل أيديهم أن تصل
 إلى شيء منه ، ولا أدع حاضرًا ولا غائبًا من أمور هذه المباشرة حتى أجد فيه ،
 وأبدل الجهد الكلي في إجراء أموره على السداد وحسن الاعتماد . وإني لا أستجد
 على المستقر إطلاقه ما لم يرسم لي به إلا ما كان فيه مصلحة ظاهرة لهذه الدولة
 القاهرة ، ونفع بين هذه الأيام الشريفة . وإني والله أؤدى الأمانة في كل ما عدت بي
 ووليت : من القبض والصرف ، والولاية والعزل ، والتأخير والتقديم ، والتقليل
 والتكثير ، وفي كل جليل وحقير ، وقليل وكثير .

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٩ .

وأما الدَّوَادِرِيَّةُ وَكُتَابُ السَّرِّ فِيزَادُ فِيهِمَا : وَأَنْتِي مَهْمَا أَطْلَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِ
 مَوْلَانَا السُّلْطَانَ فَلَانٍ - خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ - وَنَصَائِحِهِ ، وَأَمْرٍ دَانِي مُلْكِهِ وَنَازِحِهِ ، أَوْصَلَهُ
 إِلَيْهِ ، وَأَعْرَضَهُ عَلَيْهِ ، وَلَا أَخْفِيهِ شَيْئًا مِنْهُ وَلَوْ كَانَ عَلَيَّ ، وَلَا أَكْتُمُهُ وَلَوْ خَفْتُ
 وَصُولَ ضَرَرِهِ إِلَيَّ .

ويفرد الدَّوَادِرُ : بِأَنِّي لَا أُؤَدِّي عَنْ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ رِسَالَةً فِي إِطْلَاقِ مَالٍ ، وَلَا
 اسْتِخْدَامِ مُسْتَحْدَمٍ ، وَلَا إِقْطَاعِ إِقْطَاعٍ ، وَلَا تَرْتِيبِ مُرْتَبٍ ، وَلَا تَجْدِيدِ مُسْتَجِدٍّ ،
 وَلَا شَادِّ شَاغِرٍ ، وَلَا فَصْلِ مُنَازَعَةٍ ، وَلَا كِتَابَةِ تَوْقِيعٍ وَلَا مَرْسُومٍ ، وَلَا كِتَابِ
 صَغِيرٍ كَانَ أَوْ كَبِيرًا إِلَّا بَعْدَ عَرْضِهِ عَلَيَّ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ فَلَانٍ وَمُشَاوَرَتِهِ ، وَمَعَاوِدَةِ
 أَمْرِهِ الشَّرِيفِ وَمُرَاجَعَتِهِ .

ويفرد كاتب السر : بِأَنَّهُ مَهْمَا تَأَخَّرَتْ قِرَاءَتُهُ مِنَ الْكُتُبِ الْوَارِدَةِ عَلَيَّ مَوْلَانَا
 السُّلْطَانَ فَلَانٍ مِنَ الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ ، يَعَاوِدُهُ فِيهِ فِي وَقْتِ آخَرٍ ، فَإِنْ لَمْ يَعَاوِدْهُ فِيهِ بِجَمْعٍ
 لَفْظِهِ ، لَطَوَلَهُ الطُّوْلَ الْمُلَّ ، عَاوَدَهُ فِيهِ بِمَعْنَاهُ فِي الْمَلَخَّصَاتِ ، وَأَنَّهُ لَا يُجَاوِبُهُ بِشَيْءٍ لَمْ
 يُنصَّ الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ فِيهِ بِنصِّ خَاصٍّ ، وَمَا لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِالنَّصِّ فِيهِ لَا يُجَاوِبُ
 فِيهِ إِلَّا بِأَكْمَلِ مَا يَرَى أَنْ فِيهِ مَصْلَحَةٌ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ فَلَانٍ وَمَصْلَحَةٌ دَوْلَتِهِ بِأَسَدِّ
 جَوَابٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَيَصِلُ أَجْتِهَادُهُ إِلَيْهِ . وَأَنَّهُ مَهْمَا أَمَكَّنَهُ الْمِرَاجَعَةُ فِيهِ لِمَوْلَانَا
 السُّلْطَانَ فَلَانٍ رَاجَعَهُ فِيهِ وَعَمِلَ بِنصِّ مَا يَرِسمُ لَهُ بِهِ فِيهِ . هَذَا مَا أَتَيْتُ بِهِ إِلَيْهِ كَلَامَهُ .

قال في "التتقيف" : وَيَزَادُ النَّوَابُ مِثْلَ قَوْلِهِ : وَلَا أَسْعَى فِي تَفْرِيقِ كَلِمَةٍ أَحَدٍ
 مِنْهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَعَلَى أَنْ أَبْدَلَ جُهْدِي وَطَاقِي فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَفِي حَفِظِ
 الْمَمْلُوكَةِ الَّتِي أَسْتَنْبِئُ فِيهَا ، وَصِيَانَتِهَا وَحِمَايَتِهَا ، وَمَا بَهَا مِنَ الْقِلَاعِ وَالثُّغُورِ وَالسُّوَاوِلِ .
 ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَهُ : وَإِنْ كَاتَبْتَنِي أَحَدٌ ائِخ .

(١) في "التتقيف" ص ١٥٠ «ولا سداد ناغر» .

قلتُ : والمراد أنه يُؤتى باليمين العامة التي يحلف عليها كلُّ أحدٍ ، ثم يزداد لكلِّ واحدٍ من أرباب الوظائف ما يُناسبه مما تقدّم ، ثم يؤتى على بقية اليمين من عند قوله : وإِنِّي أَفِي لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ بِهَذِهِ الْيَمِينِ ، إلى آخرها أو ما في معنى ذلك من أيمان أهل البدع وأصحاب الملل على ما تقدّم ذكره .

ثم قال في "التثقيف" : وقد تتجدد وقائع وأُمورٌ تحتاج إلى التَّحْلِيفِ ، بسببها تتغير صيغة المحلوف عليه بالنسبة إلى ما رسم به فيها . ثم أشار إلى أنه لم يرمدة مباشرة بديوان الإنشاء أحدًا ممن ذكره في "التعريف" : من أرباب الوظائف حلف ، وإنما ذكرها لاحتمال أن تدعو الحاجة إليها في وقت من الأوقات ، أو أنها كانت مستعملة في المتقدم ، فيكون في تركها إهمالٌ لبعض المصطلح .

قلت : وقد أهملوا في "التعريف" و"التثقيف" : ذكرَ يمينين مما رتبته الكُتَّابُ وحافقوا به في الزمن المتقدم مما لا غنى بالكاتب عنه .

الأولى — اليمين على الهدنة التي تتعقد بين ملكين أو نائبيهما ، أو ملكٍ ونائب ملكٍ آخر ، على ما سيأتي ذكره في المقالة التاسعة ، إن شاء الله تعالى .

وتقع اليمين فيها على ما فيه تأكيد عقْد الهدنة والتزام شروطها والبقاء عليها وعدم الخروج عنها أو عن شيء من ملزماتها ، وغير ذلك مما يدخل به التطرق إلى النقص والتوصل إلى الفسخ .



وهذه نسخة يمين حلف عليها السلطان الملك المنصور «قلاوون» على الهدنة الواقعة بينه وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها ، من الفرج الاستبارية ،

في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة، في مباشرة القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر كتابه السر، على ما أورده ابن مكرم في تذكرته، وهي :

أقول وأنا فلان : والله والله والله ، وبالله وبالله وبالله ، وتالله وتالله وتالله ، والله العظيم ، الطالب ، الغالب ، الضار ، النافع ، المدرك ، المهلك ، عالم ما بدأ وما خفى ، عالم السر والعلانية ، الرحمن الرحيم ، وحق القرآن ومن أنزله ومن أنزل عليه ، وهو محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، وما يقال فيه من سورة سورة ، وآية آية ، وحق شهر رمضان ، إنني أفي بحفظ هذه الهدنة المباركة التي استقرت بيني وبين مملكة عكا والمتقدمين بها على عكا وعثليت وصيدا وبلادها ، التي تضممتها هذه الهدنة ، التي مدتها عشر سنين كوامل ، وعشرة أشهر ، وعشرة أيام ، وعشر ساعات ، أولها يوم الخميس خامس ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة من أولها إلى آخرها ، وأحفظها وألترم بجميع شروطها المشروحة فيها ، وأجرى الأمور على أحكامها إلى انقضاء مدتها ولا أتأول فيها ولا في شيء منها ، ولا أستفتي فيها طلباً لتقصها مادام الحاكون بمدينة عكا وصيدا وعثليت - وهم كافل المملكة بعكا ، ومقدم بيت الروم ، ومقدم بيت الاستبار ، ونائب مقدم بيت الاستبار إلى الآن ، ومن تولى بعدهم في كفالة مملكة ، أو مقدم بيت بهذه المملكة المذكورة - وافين باليمين التي يخلقون عليها (في ولدي الملك الصالح ، ولأولاده ، على استقرار هذه الهدنة المحررة الآن) عاملين بها وبشروطها المشروحة فيها إلى انقضاء مدتها ، ملتزمين أحكامها ، وإن نكثت في هذه اليمين فيلزمي الحج إلى بيت الله الحرام بمكة حافياً حاسراً ثلاثين حجة ، ويلزمي صوم الدهر كله إلا الأيام المنهية عنها .

ويذكر بقية اليمين إلى آخرها ، ثم يقول : والله على ما تقول وكيل .



وهذه نسخة يمين حُلف عليها الفَرَجُ المعاقِدون على هذه الهدنة أيضا، في التاريخ
المقدم ذكره على ما أورده ابن مكرم أيضا، وهي :

والله والله والله ، وباللّٰه وباللّٰه وباللّٰه ، وتالله وتالله وتالله ، وحقّ المسيح وحقّ
المسيح ، وحقّ الصليب وحقّ الصليب ، وحقّ الأقانيم الثلاثة من جوهر واحد
المكثى بها عن الأب والأبْنِ وروح القدس إله واحد، وحقّ الصليب المكرّم الحالّ
في النَّسُوتِ ، وحقّ الإنجيل المطهّر وما فيه ، وحقّ الأناجيل الأربعة التي نقلها متى
ومرقس ولوقا ويوحنا ، وحقّ صلواتهم وتقديساتهم ، وحقّ التلامذة الاثني عشر ،
والاثني وسبعين ، والثمانمائة وثمانية عشر المجتمعين للبيعة ، وحقّ الصّوت الذي
نزل من السماء على نهر الأردن فزره ، وحقّ الله مُنزِل الإنجيل على عيسى بن مريم
روح الله وكلمته ، وحقّ السيدة مارية أمّ النور (ومارية مريم) ويوحنا المعمودى
ومرتمان ومرتماني ، وحقّ الصّوم الكبير ، وحقّ ديني ومعبودي وما اعتقده من
النصرانية ، وما تلقينته عن الآباء والأقساء المعمودية - إني من وقتي هذا وساعتي
هذه ، قد أخلصتُ نبيي ، وأصفيتُ طوبتي في الوفاء للملك المنصور ولولده
الملك الصالح ولأولادهما ، بجميع ما تضمته هذه الهدنة المباركة التي انعقد الصلح
عليها ، على مملكة عكا وصيدا وعنليت وبلادها الداخلة في هذه الهدنة ، المسماة فيها ،
التي مدتها عشر سنين كوايل ، وعشرة أشهر ، وعشرة أيام ، وعشر ساعات ، أولها
يوم الخميس ثالث حريان سنة ألف وخمسة وأربع وتسعين للإسكندر بن فيلبس
اليوناني ، وأعملُ بجميع شروطها شرطًا شرطًا ، وألتزم الوفاء بكلّ فصل في هذه الهدنة
المذكورة إلى آتضاء مدتها . وإني والله والله وحقّ المسيح ، وحقّ الصليب ،

وَحَقِّ دِينِي لَا أَتَعَرَّضُ إِلَى بِلَادِ السُّلْطَانِ وَوَلَدِهِ ، وَلَا إِلَى مَنْ حَوَّثَهُ وَتَحَوَّيَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَلَا إِلَى مَنْ يَتَرَدَّدُ مِنْهُمْ إِلَى الْبِلَادِ الْدَاخِلَةِ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ بِأَذِيَّةٍ وَلَا ضَرَرٍ فِي نَفْسٍ وَلَا فِي مَالٍ . وَإِنِّي وَاللَّهِ وَحَقِّ دِينِي وَمَعْبُودِي أَسْلُكُ فِي الْمَعَاهِدَةِ وَالْمُهَادَنَةِ وَالْمُصَافَاةِ وَالْمُصَادَقَةِ وَحِفْظِ الرَّعِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، الْمُرْتَدِّينَ فِي الْبِلَادِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَالصَّادِرِينَ مِنْهَا وَإِلَيْهَا - طَرِيقَ الْمَعَاهِدِينَ الْمُتَصَادِقِينَ الْمُلْتَمِثِينَ كَفَّ الْأَذِيَّةِ وَالْعُدْوَانِ عَنِ النَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ ، وَأَلْزَمُ الْوَفَاءَ بِمَجْمَعِ شُرُوطِ هَذِهِ الْهُدْنَةِ إِلَى أَنْقِضَائِهَا ، مَا دَامَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ وَأَقِيًا بِالْيَمِينِ الَّتِي حَلَفَ بِهَا عَلَى الْهُدْنَةِ ، وَلَا أَنْقُضَ هَذِهِ الْيَمِينَ وَلَا شَيْئًا مِنْهَا ، وَلَا أَسْتَنْبِي فِيهَا وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهَا طَلِبًا لِنَقْضِهَا ، وَمَتَى خَالَفْتُهَا وَنَقَضْتُهَا فَأَكُونُ بَرِيئًا مِنْ دِينِي وَأَعْتِقَادِي وَمَعْبُودِي ، وَأَكُونُ مُحَالِفًا لِلْكَنِيسَةِ ، وَيَكُونُ عَلَيَّ الْحُجُّ إِلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ ثَلَاثِينَ حَجَّةً حَافِيًا حَاسِرًا ، وَيَكُونُ عَلَيَّ فَكُّ أَلْفِ أَسِيرٍ مُسْلِمٍ مِنْ أَسْرِ الْفَرَنْجِ وَإِطْلَاقُهُمْ ، وَأَكُونُ بَرِيئًا مِنَ الْأَاهُوتِ الْحَالِّ فِي النَّاسُوتِ ، وَالْيَمِينِ يَمِينِي وَأَنَا فِلَانٌ ، وَالنِّيَّةُ فِيهَا بِأَسْرِهَا نِيَّةُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، وَنِيَّةُ وَوَلَدِهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وَنِيَّةُ مُسْتَحْلَفِي لَهَا بِهَا عَلَى الْإِنْجِيلِ الْكَرِيمِ ، لِأَنِّي لِي غَيْرُهَا ، وَاللَّهُ وَالْمَسِيحُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكَيْلٍ .

وَكَذَلِكَ كَتَبْتُ الْيَمِينَ ، مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْرُوسَ ، وَيَمِينِ صَاحِبِ بَيْرُوتَ وَحِصْنِ الْأَكْرَادِ وَالْمَرْقَبِ مِنَ الْفَرَنْجِ الْإِسْتَبَارِيَّةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ تَحْمِيسٍ وَسِتِينَ وَسِتْمِائَةَ .

قُلْتُ : وَمَقْتَضَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو الْمُكَرَّمِ فِي إِيرَادِ هَذِهِ الْإِيمَانِ أَنْ نُسَخَّةَ الْيَمِينَ تَكُونُ مُنْفَصِلَةً عَنِ نَسَخَةِ الْهُدْنَةِ كَمَا فِي غَيْرِهَا مِنَ الْإِيمَانِ الَّتِي يُسْتَحَافُ عَلَيْهَا ، إِلَّا أَنَّ مَقْتَضَى كَلَامِ "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : أَنَّ الْيَمِينَ تَكُونُ مُتَّصِلَةً بِالْهُدْنَةِ . وَالَّذِي يَنْجِيهِ أَنَّهُ

إن تيسر الحلف عقيب الهدنة - لوجود المتحالفين - كتبت في نفس الهدنة متصلاً بها ، وإلا أفرد كل واحد من الجانبين بنسخة يمين ، كما في غيرها من الأيمان . وربما جردت الهدنة عن الأيمان ، كما وقع في الهدنة الجارية بين الظاهر بيبرس وبين دون حاكم الريدأرغون ، صاحب برشلونه من بلاد الأندلس ، في شهر رمضان سنة سبع وستين وستمائة على مقتضى ما أورده ابن المكرم في تذكرته .
وأعلم أنه قد يكتفى باليمين عن الهدنة [باليمين] في عقد الصلح .

وقد ذكر القاضي تقي الدين ابن ناظر الحيش في "التتيف" : أنه رتب يميناً حلف عليها الفرنج بالأبواب السلطانية بالديار المصرية عند عقد الصلح معهم ، في سنة اثنتين وسبعين وسبعائة ، فيها زيادات على ما ذكره المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" وهي :

والله والله والله العظيم ، إله إبراهيم ، مالك الكحل ، خالق ما يرى وما لا يرى ،
صانع كل شيء ومثقبه ، الرب الذي لا يعبد سواه ، وحق المسيح ، وحق المسيح ،
وحق المسيح ، وأمه السيدة مريم ، وحق الصليب ، وحق الصليب ، وحق الصليب ،
وحق الإنجيل ، وحق الإنجيل ، وحق الإنجيل ، وحق الأب والأبْنِ وروح القدس
إله واحد من جوهر واحد ، وحق الآلهة المكرم ، الحال في الناسوت المعظم ، وحق
الأنجيل الأربعة التي نقلها متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، وحق الآلهة والناسوت
وصليب الصلבות ، وحق التلاميذ الاثني عشر ، والاثني وسبعين ، والثلاثمائة وثمانية
عشر المجتمعين على البيعة ، وحق الصوت الذي نزل على نهر الأردن فزجره ، وحق
السيدة مارية أم النور ، وحق بيعة وقديس وثالوث ، وما يقوله في صلواته كل معمداني ،
وحق ما اعتقده من ديز النصرانية ، والملة المسيحية - إنني أفعل كذا وكذا ، ومتى

خالفت هذه اليمين التي في عنق ، أو نقضتها أو نكثتها ، أو سعت في إبطائها بوجه
من الوجوه ، أو طريق من الطرق - برئت من المعمودية ، وقلت : إن ماءها نجس ،
وإن القرايين رجس ، وبرئت من مريحنا المعدادان ، والأناجيل الأربعة ، وقلت :
إن متى كذوب ، وإن مريم المجدلانية باطلة الدعوى في إخبارها عن السيد يسوع
المسيح ، وقلت في السيدة مريم قول اليهود ، ودنت بدينهم في الجحود ، وبرئت من
الثالوث ، ومجدت الأب ، وكذبت الأبن ، وكفرت بروح القدس ، وخلعت دين
النصرانية ، ولزمت دين الحنيفة ، ولطخت الهيكل بحضة يهودية ، ورفضت
مريم ، وقلت : إنها قرنت مع الأنخريوطي في جهنم ، وأنكرت اتحاد اللاهوت
والتأسوت ، وكذبت القسوس ، وشاركت في ذبح الشمامس ، وهدمت الديارات
والحناس ، وكنت ممن مال على قسطنطين بن هيلاني ، وتعمدت أمه بالعمائم ،
وخالفت المجامع التي اجتمعت عليها الأساقف برومية والقسطنطينية ، ومجدت
مذهب الملكانية ، وسفقت رأي الرهبان ، وأنكرت وقوع الصلب على السيد
يسوع ، وكنت مع اليهود حين صلبوه ، وحدت عن الحواريين ، وأسبخت دماء
الديرانيين ، وجذبت رداء الكبرياء عن البطريرك ، وخرجت عن طاعة الباب ،
وصممت يوم الفصح الأكبر ، وقعدت عن أهل الشمانين ، وأبيت عيد الصليب
والفطاس ، ولم أحفل بعيد السيدة ، وأكلت لحم الجمل ، ودنت بدين اليهود ،
وأبخت حرمة الطلاق ، وهدمت بيدي كنيسة قمامة ، وخنثت المسيح في وديعته ،
وتزوجت في قرن بامرأتين ، وقلت : إن المسيح كادم خلقه الله من تراب ، وكفرت
بإحياء العيازة ، ومجىء الفارقليط الآخر ، وبرئت من التلامذة الاثني عشر ، وحرمت
على الثلاثة وثمانية عشر ، وكسرت الصلبان ، ودست برجلي القربان ، وبصقت
في وجوه الرهبان عند قولهم : كير اليصمون ، وأعتقدت أن نعبه كفر الجون (؟)

وَأَنَّ يُوسُفَ النَّجَّارَ زَنَى بِأُمِّ الْيَسُوعَ وَعَهَرَ ، وَعَطَّطُ النَّاقُوسَ ، وَمَلَّتْ إِلَى مِلَّةِ
 الْمَجُوسِ ، وَكَسَرَتْ صَلِيبَ الصَّلْبُوتِ ، وَطَبِخَتْ بِهِ لَحْمَ الْجَمَلِ ، وَأَكَلَتْهُ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ
 مِنَ الصَّوْمِ الْكَبِيرِ ، تَحْتَ الْهَيْكَلِ بِحَضْرَةِ الْآبَاءِ ، وَقُلْتُ فِي الْبِنُوَّةِ مَقَالَ نُسْطُورَسَ ،
 وَوَجَّهْتُ إِلَى الصَّخْرَةِ وَجْهِي ، وَصَدَّيْتُ عَنِ الشَّرْقِ الْمُنِيرِ حَيْثُ كَانَ الْمَطْهَرُ
 الْكَرِيمُ . وَإِلَّا بَرِئْتُ مِنَ الثُّورَانِيِّينَ وَالشَّعْشَعَانِيِّينَ ، وَأَنْكَرْتُ أَنَّ السَّيِّدَ الْيَسُوعَ
 أَحْيَا الْمَوْتَى وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ، وَقُلْتُ : إِنَّهُ مَرْبُوبٌ ، وَإِنَّهُ مَا رُؤِيَ وَهُوَ
 مَصْلُوبٌ ، وَأَنْكَرْتُ أَنَّ الْقُرْبَانَ الْمَقْدَّسَ عَلَى الْمَذْبَحِ مَاصِرَ لَحْمِ الْمَسِيحِ وَدَمَهُ حَقِيقَهُ ،
 وَخَرَجْتُ فِي النَّصْرَانِيَّةِ عَنِ لَاحِبِ الطَّرِيقَةِ . وَإِلَّا قُلْتُ بِدِينِ التَّوْحِيدِ ، وَتَعَبَّدْتُ
 غَيْرَ الْأَرْبَابِ ، وَقَصَدْتُ بِالْمُظَانِيَّاتِ غَيْرَ طَرِيقِ الْإِخْلَاصِ ، وَقُلْتُ : إِنْ الْمَعَادَ غَيْرُ
 رُوحَانِيٍّ ، وَإِنْ بَنَى الْمَعْمُودِيَّةَ لِاتِّسِيحِ فِي فَسِيحِ السَّمَاءِ ، وَأَثَبْتُ وَجُودَ الْخُورِ الْعَيْنِ
 فِي الْمَعَادِ ، وَأَنَّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ التَّلَذُّذَاتِ الْجُسْمَانِيَّةِ ، وَخَرَجْتُ خُرُوجَ الشَّعْرَةِ مِنْ
 الْعَجِينِ مِنْ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَأَكُونُ مِنْ دِينِي مَحْرُومًا ، وَأَقُولُ : إِنْ جَرِحِدِسَ لَمْ يُقْتَلْ
 مَظْلُومًا ، وَخَرَقَتْ غَفَارَةُ الرَّبِّ ، وَشَارَكَتُ الشَّرَّ [بِرَ] فِي سَلْبِ ثِيَابِهِ ، وَأَحْدَثْتُ تَحْتَ
 صَالِيهِ ، وَتَجَمَّرْتُ بِجَسَدِي ، وَصَفَعْتُ الْجَائِلِيْنَ . وَهَذِهِ ائِمِّيْنُ يَمِينِي وَأَنَا فَلَآنُ ، وَالنَّبِيَّةُ
 [فِيهَا] بِأَسْرِهَا نَبِيَّةُ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ ، نَاصِرِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ «شُعْبَانَ» وَنَبِيَّةُ
 مُسْتَحْفِيٍّ ، وَالْإِلَهِ وَالْمَسِيحِ عَلَى مَا أَقُولُ وَيَكِلُ .

قُلْتُ : خَلَطُ فِي هَذِهِ الْيَمِينِ بَعْضَ يَمِينِ الْبِعَاقِبَةِ الْخَارِجَةِ عَنْ مُعْتَقِدِ الْفَرِيحِ الَّذِينَ
 حَلَفَهُمْ مِنْ مَذْهَبِ الْمَلَكِيَّةِ ، يُظْهَرُ ذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ مُعْتَقَدَاتِ
 النَّصْرَانِيَّةِ قَبْلَ تَرْتِيبِ آيْمَانِهِمْ . عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَتَى فِيهَا بِأَكْثَرِ مَرَاتِبِهِ الْمَقَرَّةِ الشُّهَابِيِّ بْنِ
 فَضْلِ اللَّهِ فِي تَحْلِيفِهِمْ عَلَى صِدْقَتِهِ ، وَزَادَ مَا زَادَ مِنَ الْيَمِينِ الْمُرْتَبَةِ فِي التَّحْلِيفِ عَلَى
 الْهُدْنَةِ السَّابِقَةِ وَغَيْرِهَا .

اليمن الثانية — مما أهمله في "التعريف" يمين أمير مكة .

والقاعدة فيها أن يحلف على طاعة السلطان، والقيام في خدمة أمير الركب ،
والوصية بالحجاج، والأحفاظ بهم .

وهذه نسخة يمين حلف بها الأمير نجم الدين أبو نعيم أمير مكة المشرفة، في الدولة
المنصورية قلاوون الصالحى، في شعبان سنة إحدى وثمانين وستمائة .

وُسِّخَتْهَا عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْمُكَرَّمِ فِي تَذَكُّرِهِ بَعْدَ اسْتِيفَاءِ الْأَقْسَامِ :

إِنِّى أَخْلَصْتُ نَبْتِي ، وَأَصْفَيْتُ طَوْبِي ، وَسَاوَيْتُ بَيْنَ بَاطِنِي وَظَاهِرِي فِي طَاعَةِ
مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، وَوَلَدِهِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وَطَاعَةِ أَوْلَادِهِمَا
وَأَرْثِي مُدْكِهِمَا ، لِأَضْرَافِهِمْ سُوءًا وَلَا عَدْرًا فِي نَفْسٍ وَلَا مَلِكٍ وَلَا سُلْطَنَةٍ . وَإِنِّى
عَدَّقْتُ لِمَنْ عَادَاهُمْ ، صَدِيقٌ لِمَنْ صَادَقَهُمْ ؛ حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ ، سَلْمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ . وَإِنِّى
لَا يُخْرِجُنِي عَنْ طَاعَتِهِمَا طَاعَةُ أَحَدٍ غَيْرِهِمَا ، وَلَا أَتَلَفْتُ فِي ذَلِكَ إِلَى جِهَةٍ غَيْرِ
جِهَتِهِمَا ، وَلَا أَفْعَلُ أَمْرًا مُخَالَفًا لِمَا اسْتَقَرَّ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ ، وَلَا أَشْرِكُ فِي تَحْكُمِهِمَا
عَلَى وَلَا عَلَى مَكَّةَ وَحَرَمِهَا وَمَوْقِفِ جِبَلِهَا زَيْدًا وَلَا عَمْرًا . وَإِنِّى أَلْتَزِمُ مَا اشْتَرَطْتُهُ
لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ وَلَوْلَدِهِ فِي أَمْرِ الْكُفُوفِ الشَّرِيفَةِ الْمَنْصُورِيَةِ الْوَاصِلَةِ مِنْ مِصْرَ
الْمَحْرُوسَةِ وَتَعْلِيْقِهَا عَلَى الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ ، وَأَنْ لَا يَعْلَوْهَا كُفُوفٌ غَيْرُهَا ،
وَأَنْ أَقْدِمَ عَامَهُ الْمَنْصُورِ عَلَى كُلِّ عَامٍ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ ، وَأَنْ لَا يَتَقَدِّمَهُ عِلْمٌ غَيْرِهِ .
وَإِنِّى أَسْهَلُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَيَّامَ مَوَاسِمِ الْحَجِّ وَغَيْرِهَا لِلزَّائِرِينَ وَالطَّائِفِينَ وَالْبَادِينَ
وَالْعَاكِفِينَ ، وَالْأَمِينَ لِحَرَمِهِ وَالْحَاجِّينَ وَالْوَاقِفِينَ . وَإِنِّى أَجْتَهِدُ فِي حِرَاسَتِهِمْ مِنْ
كُلِّ عَادٍ بَفِعْلِهِ وَقَوْلِهِ ، وَمُتَخَطِّفٍ لِلنَّاسِ مِنْ حَوْلِهِ . وَإِنِّى أُؤَمِّنُهُمْ فِي سِرِّيهِمْ ،
وَأَعِزُّهُمْ لِمَنْ هَلَّ شُرِّيهِمْ ؛ وَإِنِّى وَاللَّهِ أَسْتَمِرُّ بِتَفَرُّدِ الْخُطْبَةِ وَالسُّكَّةِ بِالْأَسْمِ الشَّرِيفِ

المنصوري ، وأفعلُ في الخدمةِ فَعَلَ المَخْلِصَ الوَلِيَّ . وإِنِّي واللهِ واللهِ أمتثلُ مراسيمه
أمتثالَ النَّائِبِ للمستناب ، وأكونُ لداعي أمرِهِ أوَّلَ سامعٍ مُجِيبٍ . وإِنِّي ألتزمُ
بشروطِ هذهِ اليمينِ من أولها إلى آخرها لا أنقضُها .

المهيع الخامس

(في صورةِ كتابةِ نُسخِ الأيمانِ التي يحلفُ بها)

وقد جرت العادةُ أنه إذا استقرَّ مَلِكٌ في المُلْكِ يُحلفُ له جميعُ الأُمراءِ والنوَّابِ
في المملكةِ ، وإذا استقرَّ نائِبٌ من النوَّابِ في نيايةٍ حُلفَ ذلكُ النَّائِبُ عندَ استقراره ،
وربَّما اقتضت الحالُ التحليفَ في غير هذهِ الأوقاتِ .

ثم الأيمانُ التي يُحلفُ بها على ضربين :

الضرب الأول

(الأيمانُ التي يحلفُ بها الأُمراءُ بالديارِ المصريةِ)

وقد جرت العادةُ أن تُكَّابَ ديوانِ الإنشاءِ يجتمعُ من يجتمعُ منهم بالقلعةِ ،
ويتصدَّى كُلُّ واحدٍ منهم لتَحْلِيفِ جماعةٍ من الأُمراءِ والمماليكِ السلطانيةِ وغيرهم ،
وينصبُ المصحِّفُ الشريفُ على كُرْسِيِّ أَمَامَ الحالفينِ ، ويحلفُ كُلُّ كاتبٍ من
كُتَّابِ الإنشاءِ من يُحلفُه نِجَاهَ المصحِّفِ بِالفاظِ اليمينِ المتقدمةِ الذِّكْرُ على الوجهِ الذي
يرسمُ تَحْلِيفُهُمْ عليه ؛ ويكتبُ كُلُّ واحدٍ من أولئك الكُتَّابِ أسماءَ الذين حلفهم
في ورقةٍ ويؤرِّخها ويحملها إلى ديوانِ الإنشاءِ فتخلدُ فيه .

الضرب الثاني

(الأيمان التي يحلف بها تواب السلطنة والأمراء بالممالك الشامية وما أنضم إليها)

وقد جرت العادة أنه إذا أريد تحليف نائب من تواب الممالك الخارجة عن الحضرة بالديار المصرية أو أمير من أمرائها أن تكتب نسخة يمين من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ، وتجهز إلى النائب أو الأمير الذي يقصد تحليفه فيحلف على حكاها متلفظا بالفاظها جميعها . قال في "التشيف" : وصفة ما يكتب في النسخة بعد

البسملة من يمين الورق «أقول وأنا» ثم يخلى بياضا قليلا بقدر أصبعين

لموضع كتابة الخالف اسمه ، ثم يكتب تحته من يمين الورق بهامش دقيق جدا «والله والله والله» وتكمل تيممة النسخة على ما تقدم ذكره . وتكون سطورها متلاصقة

سَطْرًا إلى سَطْرٍ إلى عند قوله «وهذه اليمين يميني وأنا» فيخلى بعد ذلك

بياضا قليلا لموضع كتابة اسم الخالف أيضا ، ثم يكتب من يمين الورق : «والنية في هذه اليمين بأسرها» إلى آخر النسخة .

قلت : وكذلك نسخ الأيمان التي تكتب ليحلف بها في الهدن التي تُفرد الأيمان

فيها عن الهدن ، يخلى فيها بياض لكتابة الاسم بعد قوله «أقول وأنا»

وبعد قوله «وهذه اليمين يميني وأنا» سواء في ذلك اليمين التي يحلف بها

السلطان أو الملك الذي تقع معه المهادنة : من ملوك الإسلام أو ملوك الكفر .

وقد جرت العادة أن يكون الورق الذي تكتب فيه نسخ الأيمان التي يحلف بها

التواب وغيرهم من الأمراء الخارجين عن الحضرة في قطع العادة . أما ما يحلف به

على الهدن فلم أقف فيه على مقدار قطع الورق . والذي يظهر أن كل يمين تكون

في قطع الورق الذي يكتب بها ذلك الملك الذي يحلف .

المقالة التاسعة

في عقود الصلح والفسوخ الواردة على ذلك، وفيها خمسة أبواب^(١)

الباب الأول

في الأمانات، وفيه فصلان

الفصل الأول

في عقد الأمان لأهل الكفر

قال في "التعريف": وهو أقوى أمور الصلح دلالة على اشتداد السلطان، إذ كان يؤمن الخائف أمناً لا عوض عنه في عاجل ولا آجل، وفيه طرفان:

الطرف الأول

(في ذكر أصله وشرطه وحكمه)

علم أن الأمان هو الأمر الأول من الأمور الثلاثة التي يرفع بها القتل عن الكفار. قال العلماء: وهو من مكاييد القتال ومصالحه وإن كان فيه ترك القتال: لأن الحاجة [داعية] إليه. والأصل فيه من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾. ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: «المؤمنون تكافأ دماؤهم، ويحبر عليهم أذنهم، وهم يد على من سواهم».

(١) كذا وقع أيضا في فهرست المؤلف ج ١ ص ٢٩ من هذا المطبوع ولكن سيد ذكر آخر المقالة بابا سادسا في الفسوخ.

وقد ذكر الفقهاء له أركاناً وشرائط وأحكاماً .

فأما أركانه ، فثلاثة :

الأول — العاقد للأمان من المسلمين . ويُعلم أنّ الأمان على ضربين : عامٌّ وخاصٌّ . فالعام هو عقده للعَدَد الذي لا يُحصَر كأهل ناحية ، ولا يصحُّ عقْدُ الأمانِ فيه إلا من الإمام أو نائبه كما في الهدنة . والخاص هو عقده للواحد أو العَدَدِ المحصور ؛ ويصحُّ من كلِّ مُسلمٍ مكلفٍ [وإن لم تكن] له أهلية القتال ، فيصح من العبد والمرأة والشَّيخِ الحرِّم والسَّفِيهِ والمُفْلِسِ ، بخلاف أمانِ الصَّبِيِّ والمجنون .

الثاني — المعقود له ، ويصحُّ عقده للواحد والعَدَدِ من ذكور الكُفَّار وإنهم .
نعم في تأمينِ المرأة عن الأسترقاق خلاف .

الثالث — صيغة العقْد . وهي كلُّ لفظٍ يُفهم الأمانَ كنايةً كان أو صريحاً ، وفي معنى ذلك الإشارةُ المُفهِمة . ويعتبر فيه قبُولُ الكافر ، فلا بد منه حتى لو ردَّ الأمان لم ينعقد ، وفيما إذا سكت خلافٌ . نعم لو دخل للسفارة بين المسلمين والكُفَّار في تبليغ رسالة ونحوها ، أو لسماع كلام الله تعالى لم يُعتبر فيه عقْدُ الأمان ، بل يكون آمناً بمجرد ذلك ، أما لو دخل لقصد التجارة بغير أمانٍ فإنه لا يكون آمناً إلا أن يقول الامام أو نائبه : من دخل تاجراً فهو آمنٌ .

وأما شرطه ، فإن لا يكون على المسلمين ضررٌ في المُستأمنِ : بأن يكون طليعةً أو جاسوساً ، فإنه يقتل ولا يُبالي بأمانه ، ويعتبر أن لا تزيد مدة الأمان ^(١)

(١) عبارة "المنهاج" ويجب أن لا تزيد مدته على أربعة أشهر "وفي قول يجوز ما لم تبلغ سنة" قال

صاحب النخفة : فان بلغت امتنع قطعاً .

على سنة بخلاف الهدنة، فقد تقدم أنها تجوز عند ضعف المسلمين إلى عشر سنين .

وأما حكمه، فإذا عقد الأمان لزم المشروط، فلو قتله مسلم وجبت الدية .
ثم هو جائز من جهة الكفار، فيجوز للكافر نبذته متى شاء، ولازم من جهة المسلمين، فلا يجوز النبذ إلا أن يتوقع من المستأمن الشر، فإذا توقع منه ذلك جاز نبذ العهد إليه ويلحق بمأمنه، وبقيته فقه الفصل مستوفى في كتب الفقه .

الطرف الثاني

(في صورة ما يكتب فيه)

والأصل ما رواه ابن إسحاق أن رفاعَةَ بن زَيْدٍ الخزاعيَّ قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هُدنة الحُدَيْبِيَّةِ ، فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غُلاماً ، وأسلم وحسُن إسلامه ؛ وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كِتَاباً إلى قومه فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا كِتَابٌ من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد : إني بعثته إلى قومه »
« عامةً ومن دخل فيهم يدعُوهم إلى الله تعالى وإلى رسوله ؛ فمن أُقبل »
« منهم ففي حِزبِ الله ورسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين » .
فلما قدم رفاعَةُ على قومه أجابوا وأسلموا .

(١) في الأصل الجذامى والتصحيح من السيرة النبوية ص ٣٣ ج ٣ وقد ضبطها بالعبارة .

ثم للكُّتاب فيه مذهبان :

المذهب الأول — أن يُفتح الأمان بلفظ : « هذا كتابُ أمانٍ » أو « هذا أمانٌ » وما أشبه ذلك ، كما أفتح النبيُّ صلى الله عليه وسلم ما كتب به لرفاعة بن زيد على ما تقدم .

وعلى ذلك كتب عمرو بن العاصِ رضی الله عنه الأمان الذى كتب به لأهل مِصرَ عند فتحها ، ونصّه بعد البسملة :

”هذا ما أعطى عمرو بن العاصِ أهلَ مِصرَ من الأمانِ على أنفسِهِمْ ومالِهِمْ وأموالِهِمْ^(١) ، وكأنفسِهِمْ وُصُلِهِمْ وبرِّهِمْ وبحرْمِهِمْ ، لا يدخلُ عليهم شئٌ من ذلك ولا يُنتَقِصُ ، ولا تُساكِنُهُمِ التُّوبَةُ . وعلى أهلِ مِصرَ أن يُعْطُوا الحِزْبَةَ إذا اجتمعوا على هذا الصُّلْحِ ، وأتته زِيادةُ نَهْرِهِمْ — نحسين ألف ألف . وعليه مَن جَنَى نُصْرَتَهُمْ ، فإن أبى أحدَهُم أن يُجيبَ رُفْعَ عنهم من الحِزْبِ بقدر [هم وذِمَّتْنا مَن أبى بَرِيَّةَ ، وإن نقَصَ نَهْرَهُم عن غايته إذا أتتهى رُفْعَ عنهم بقدر] ذلك ؛ ومن دخل في صلِحِهِمْ : من الرومِ والتُّوبَةِ فَلَهُ ما لَهُمْ وعليه ما عليهم ؛ ومن أبى وأختار الذَّهابَ فهو آمِنٌ حتى يبلغَ ما مَنَّهُ أو يخرجَ من سُلْطاننا . وعليهم ما عليهم أن لا تُنْزَلُ في كلِّ ثُلْثِ جَبايَةٍ ثُلْثٌ ما عليهم . على ما في هذا الكتابِ عهدَ اللهِ [وذِمَّتْهُ^(٢) وذِمَّةُ رسوله وذِمَّةُ الخليفةِ أميرِ المؤمنين] وذِمَّةِ المؤمنين] . وعلى التُّوبَةِ الذين استجابوا أن يُعِينُوا بكذا وكذا رأساً ، وكذا وكذا فرساً ، على أن لا يُغزَوْا ولا يُمنَعُوا من تجارةٍ صادرةٍ ولا واردةٍ .

شَهِدَ الزُّبيرُ وعبدُ اللهِ ومُحمَّدُ ابناه ، وكتبَ وردانٌ وحَضَرَ .

(١) فى العبر ص ١١٥ بقية الجزء الثانى « وذمهم » وفيه بعض التغيير من زيادة ونقص .

(٢) الزيادة من العبر ص ١١٥ بقية ج ٢ .

وعلى ذلك كتب الحافظ لدين الله أحد خلفاء الفاطميين الأمان لبهرام الأرميني ، حين صُرف من وزارته وهرب عنه إلى بلاد الأرمين ، وكتب إلى الحافظ يُظهر الطاعة ويسأل تسيير أقاربه ، فكتب له بالأمان له ولأقاربه .

فأما ما كتبه له هو فنصه بعد البسملة .

هذا أمانٌ أمر بكتبه عبد الله ووليه عبد المحيد أبو الميمون الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ، للأمر المقدم ، المؤيد ، المنصور ، عن الخلافة وشمسها ، وتاج المملكة ونظامها ، نخير الأمراء ، شيخ الدولة وعمادها ، ذى المجدين ، مصطفى أمير المؤمنين بهرام الحافظي : فإنك آمن بأمان الله تعالى ، وأمان جدنا محمد رسوله ، وأبنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليهما ؛ وأمان أمير المؤمنين ، على نفسك ومالك ، وأهلك وجميع حالك ، لا ينالك سوء ، ولا يصل إليك مكروه ، ولا تقصد باغتيال ، ولا يخرج بك عن عادة الإحسان والإنعام ، والتميز والإكرام ، وحراسة النفس ، والصون للحريم والأهل ، والرعاية في القرب والبعد ، مادمت متحيزاً إلى طاعة الدولة العلوية ، ومتصرفاً على أحكام مشايعها ، موالياً لمواليها ، ومُعادياً لمُعادياتها ، ومستمرراً على مرضاة إخلاصك . فتق بهذا الأمان وأسكن إليه ، وأطمئن إلى مضمونه ، والله بما أودعه كفيلاً وعليه شهيد ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه يتوكل وإليه يُنيب .

وأما الأمان الذي كتب لأقاربه فنصه :

هذا أمانٌ تقدم بكتبه عبد الله ووليه ، لسيل وزرقا ، وبهرام ابن أختهما ، ومن ينتمي إليهم ويتعلق بهم ، ويلتزمون أمره ممن دونهم ، ومن يمسك بسابحهم .

مضمونه : إنكم معشر الجماعة بأسركم لما قصدتم الدولة ووفدتم عليها، وتفيأتم ظلها وهاجرتُم إليها، شملكم الصنع الجميل ، وعمركم الإنعام السابغ والإحسان الخزيل ، وكنتُم بالرعاية التامة؛ والعناية الخاصة لا العناية العامة، ووفر حظكم من الواجبات المقررة لكم ، والإقطاعات الموسومة بكم ، وكنتم مع ذلك تذكرون رغبتكم في العود إلى دياركم، والرُّجوع إلى أوطانكم، وألثفاناً إلى من تركتموه من ورائكم . وقد سرتُم من الباب على قِضية المخافة، وقد أمَّنتُم أمير المؤمنين ، فأتم آمنون بأمان الله تعالى وأمان جدنا محمد رسوله وأبينا أمير المؤمنين : علي بن أبي طالب، صلى الله عليهما ، وأمان أمير المؤمنين ، على نفوسكم وأهليكم وأموالكم وما تحويه أيديكم ويجوزه ملككم، ويشتمل عليه احتياطكم ؛ لا ينالكم في شيء من ذلك مكروه، ولا سبب مخوف، ولا يمسكم سوء، ولا تخشون من ضمير ، ولا تقصدون بأذية ، ولا يغير لكم رسم، ولا تنقض لكم عادة، وأتم مستمرون في واجباتكم وإقطاعاتكم على ما عهدتموه، ولا تنقصون منها ، ولا تبخسون فيها . هذا إذا رغبتُم في الإقامة في ظلال الدولة، فإن آثرتم ما كنتم تذكرون الرغبة فيه من العودة إلى دياركم عند أنفتاح البحر، فهذا الأمان لكم إلى أن تتوجهوا مشمولين بالرعاية، ملحوظين بالعناية، ولكم الوفاء بجميع ذلك، والله لكم به وكيل وكفيل، وكفى به شهيدا .

المذهب الثاني — أن يفتح الأمان المكتتب لأهل الكفر بالتحديد، ثم يقال : « ولما كان كذا وكذا اقتضى حُسن الرأي الشريف كذا وكذا » ثم يقال : « فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يكون كذا وكذا » على نحو ما يكتب في الولايات .

وعلى ذلك كُتِبَ عن السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » أماناً لفرا كس صاحب السرب ، من ملوك النصارى بالشمال وزوجته ومن معهما من الأتباع ، عند طلبهم التمكن من زيارة القدس الشريف ، وإزالة الأعراس عنهم ، وأستصحاب العناية بهم ، إلى حين عودهم آمين على أنفسهم وأموالهم ، من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء .

ونصه بعد البسملة :

أما بعد حمد الله الذي آمنَ بمهابتنا المناهج والمسالك ، ومكَّنَ لكلماتنا المطاعة في الأقطار والآفاق والممالك ، وأعان على لساننا بدعوة الحق التي تنفي كل كُرب حاكٍ وتكفي كل كُرب حالك ، والشهادة له بالوحدانية التي تنفي المشابه والمشارك ، وتفي بالميعاد من الإصعاد على الأرائك ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أنجده ببُعوث الملا الأعلى من الملائك ، وأيده بالصون الملازم والعون المتدارك ، ووعدته أن سيبلغ ملك أمته ما بين المشرق والمغرب وأنجز له ذلك ، وعلى آله وصحبه الذين زحروا عن المهالك ، ونصحووا الله ورسوله وأولئك !!! - فإن كرمنا يرعى الوفود ، وشيئنا تدعى فتجود ، وذمنا بها لحظ الحقوق وحفظ العهود ، فيخدمنا ينجح كل مقصود ، وبنعمنا تمنح الأمانى والمنى وهما أعظم نعمتين في الوجود ؛ فليس أمل عن أبواب سماحنا بمردود ، ولا متوسل إلينا بضراعة إلا ويرجع بالمرام ويعود .

ولما كانت حضرة الملك الجليل ، المُكرم ، المبجل ، العزيز ، المُوقر ، « إستيفانوس فرا كس » : كبير الطائفة النصرانية ، جمال الأمة الصليبية ، عماد بني المعمودية ،

(١) لعله « وأعان لساننا على دعوة الحق » .

صديق المُلوك والسلاطين ، صاحب السُّرب - أطال الله بقاءه - قد شمله إقبالنا
 المعهود ، وَوَصَلَهُ إِفْضَالُنَا الَّذِي يَحْجِزُ عَنْ مِيَامِنِهِ السُّوءَ وَيُخِزُّ الوُعُودَ - أَقْبَضُوا
 حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُيَسَّرَ سَبِيلَهُ ، وَنُوفَّرَ لَهُ مِنَ الْإِكْرَامِ جَسِيمَةً كَمَا وَفَّرْنَا لغيره
 مِنَ الْمُلُوكِ مَسْوَلَةً ؛ وَأَنْ يُمَكِّنَ مِنَ الْحُضُورِ هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ
 أَتْبَاعِهِمَا إِلَى زِيَارَةِ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، وَإِزَالَةِ الْأَعْرَاضِ عَنْهُمْ ، وَإِكْرَامِهِمْ وَرِعَايَتِهِمْ ،
 وَأَسْتِصْحَابِ الْعِنَايَةِ بِهِمْ ، إِلَى أَنْ يَعُودُوا إِلَى بِلَادِهِمْ ، آمِنِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ،
 وَيُعَامَلُوا بِالْوَصِيَّةِ التَّامَّةِ ، وَيُؤَاصَلُوا بِالكَرَامَةِ وَالرَّعَايَةِ إِلَى أَنْ يَعُودُوا فِي كَنْفِ الْأَمْنِ
 وَحَرِيمِ السَّلَامَةِ ؛ وَسَبِيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهُ ، وَيَتَّبِعَ إِبْرَامَهُ ، وَلَا يَمْنَعَ
 عَنْهُمْ الْخَيْرَ فِي سَبْرِ وَلَا إِقَامَةٍ ، وَيُدْفَعَ عَنْهُمْ الْأَذَى حَيْثُ وَرَدُوا أَوْ صَدَرُوا فَلَا يَحْدَرُوا
 إِلْمَامَهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّرُ لِكُلِّ مُسْتَعِينٍ مِنْ أَبْوَابِنَا أَقْسَاطَ الْأَمْنِ وَأَقْسَامَهُ ، وَيُظْفِرُ
 عَزْمَنَا بِالْمُحَمَّدِيِّ بِالنَّصْرِ السَّرْمِدِيِّ حَتَّى يُطَوَّقَ الطَّائِعَ وَالْعَاصِيَ حُسَامَهُ . وَالْعَلَامَةُ
 الشَّرِيفَةُ أَعْلَاهُ مُجَّةٌ فِيهِ ، وَالْخَيْرُ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى :

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة التاسعة

(في كتابة الأمانات لأهل الإسلام وما يُكتب فيها، ومذاهب الكُتاب في ذلك

في القديم والحديث، وأصله ؛ وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في أصله)

إعلم أن هذا النوع فرع ألحقه الكُتاب بالنوع السابق ، وإلا فالمسلم آمن بقضية الشرع بمجرد إسلامه ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُواهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا » . وإنما جرت عادة الملوك بكتابة الأمان لكل من خاف سطوتهم ، لاسيما من خرج عن الطاعة ، وخيف استئراء الفساد باستمرار خروجه عن الطاعة خوفاً ؛ حتى صار ذلك هو أغلب ما يُكتب من دواوين الإنشاء .

وقد ورد في السنة ما يدلُّ لذلك ، وهو ما رواه أبو عبيد في "كتاب الأموال" عن أبي العلاء بن عبد الله بن الشَّخِيرِ أَنَّهُ قَالَ : كُنَّا بِالْمَرْبَدِ وَمَعَنَا مُطَرِّفٌ ، إِذْ أَتَانَا أَعْرَابِيٌّ وَمَعَهُ قِطْعَةٌ أَدِيمٌ ، فَقَالَ : أَيْكُمْ مَنْ يَقْرَأُ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، فَأَعْطَانَا الْأَدِيمَ فَإِذَا فِيهِ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِنَبِيِّ زُهَيْرِ بْنِ أَقْبَيْشٍ مِنْ عُكْلٍ . إِنَّكُمْ إِنْ شَهِدْتُمْ »

« أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ ، وَآتَيْتُمْ الزَّكَاةَ ، وَفَارَقْتُمُ الْمُشْرِكِينَ ، »

«وأعطيتم من الغنائم الخمس، وسَمَّهم النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّفِيَّ»؛
 «أَوْ قَالَ : وَصَفِيَّهٖ ، فَأَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» .

الطرف الثاني

(فيما يُكْتَبُ فِي الْأَمَانَاتِ)

وللكتاب في ذلك مذهبان :

المذهب الأول - أن يفتح الأمان بلفظ : « هذا كتاب أمانٍ » أو « هذا أمانٌ » ونحو ذلك ، على ما تقدم في الفصل السابق .

قال في «موادّ البيان» : والرسم فيه : « هذا كتاب أمانٍ ، كتبه فلان بن فلان الفلاني أمير المؤمنين أو وزيره ، لفلان بن فلان الفلاني الذي كان من حاله كذا وكذا ، فإنه قد آمنه بأمان الله تعالى وأمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمانه » .
 فإن كان عن الوزير قال : « وأمان أمير المؤمنين فلان بن فلان وأمانه ، على نفسه وماله ، وسعره ، وبشره ، وأهله ، وولده ، وحرمة ، وأشياءه ، وأتباعه ، وأصحابه ، وحاله ، وذات يده ، وأملاكه ، ورباعه ، وضياعه ، وجميع ما يخصه ويخصهم - أماناً صحيحاً ، نافذاً واجباً لازماً ، لا ينقض ولا يفسخ ولا يبدل ، ولا يتعقب بخاتلة ، ولا دهان ولا مواربة ، ولا حيلة ولا غيلة . وأعطاه على ذلك عهد الله وميثاقه وصفقة يمينه ، بنية خالصة له وجميع من ذكر معه ، وعفاه عن كل جريرة متقدمة ، وخطيئة سالفة ، إلى يوم تاريخ هذا الأمان ، وأحلّه من ذلك كله ، وأستقبله بسلامة النفس ونقاء السريرة ، وأوجب له من الرعاية ما أوجبه لأمثاله ،

من سَمَلَهُ ظِلُّهُ ، وَكَفَّتَهُ رِعَايَتُهُ ، حَاضِرًا وَغَائِبًا ، وَمَلَكَهُ مِنْ آخْتِيَارِهِ قَرِيبًا وَبَعِيدًا ، وَأَنْ لَا يُكْرِهَهُ عَلَى مَا لَا يَرِيدُهُ ، وَلَا يُلْزِمُهُ بِمَا لَا يَخْتَارُهُ .

قلت : هذا ما أصَّله صاحبُ "مواد البيان" : في كتابة الأمانات . ومقتضاه
أفتتاحُ جميع الأمانات المكتتبة عن الخليفة أو الوزير أو غيرهما بلفظ « هذا » .
وسأتي أن الأمانات قد تُفتتحُ بغير هذا الافتتاح : من الحمد وغيره ، على ما سأتى
بيانه ، ولعل هذا كان مُصطَلحَ زمانه فوقَّف عنده .

وبالجملة فالأماناتُ المكتتبة لأهل الإسلام على نوعين :

النوع الأول

(ما يُكْتَبُ عَنِ الْخُلَفَاءِ ، وَفِيهِ مَذْهَبَانِ)

المذهب الأول — طريقة صاحب "مواد البيان" المتقدمة الذكر، وهي
أن يُفتتحَ الأمانُ بلفظ « هذا » . وحينئذ فيقال : « هذا كتابُ أمانٍ كتبَهُ عبدُ اللهِ
فلانُ أبو فلانٍ أميرُ المؤمنينِ الفلانيُّ ، أعزَّ اللهُ تعالى به الدينَ ، وأدامَ له التَّمَكِينَ ،
لفلانِ الفلانيِّ ، فإنه قد آمنهُ بأمانِ اللهِ تعالى ، وأمانِ رسوله صلى اللهُ عليه وسلم
وأمانِهِ ، على نَفْسِهِ ، وَمَالِهِ ، وَشَعْرِهِ ، وَبَشِيرِهِ ، وَأَهْلِهِ ، وَوَلَدِهِ ، وَحَرَمِهِ ، وَأَشْيَاعِهِ ،
وَأَتْبَاعِهِ ، وَأَصْحَابِهِ ، وَحَالِهِ ، وَذَاتِ يَدِهِ ، وَأَمْلَاكِهِ ، وَرِبَاعِهِ ، وَضِيَاعِهِ ، وَجَمِيعِ
مَا يُحْصِيهِ وَيُحْصِيهِمْ — أمانًا صحيحًا ، نافذًا واجبًا لازمًا ، لا يُتَّقَضُ وَلَا يُفْسَخُ ،
ولا يُبدَلُ ، ولا يُتَعَقَّبُ بِمُخَاتَلَةٍ ، ولا دِهَانٍ ولا مُوَارَبَةٍ ، ولا حِيلَةٍ ولا غِيَلَةٍ ، وأعطاه
على ذلك عهدَ اللهِ وميثاقَهُ وَصَفْقَةَ يَمِينِهِ ، بِنِيَّةِ خَالِصَةٍ لَهُ وَجَمِيعِ مَنْ ذُكِرَ مَعَهُ ،
وعفا له عن كلِّ جريرةٍ متقدمةٍ ، وَخَطِيئَةٍ سالفَةٍ ، إلى يومِ تاريخِ هذا الأمانِ ،

وأحلّه من ذلك كلّهُ ، وأسْتقبله بِسلامة النَّفس ونَقَاءِ السَّريرة ، وأوجب له من الرَّعاية ما أوجب له لأمثاله : مَن شَمَلَهُ ظِلُّهُ ، وَكَفَّتَهُ رعايَتُهُ ، حاضراً وغائِباً ، ومَلِكُهُ من آخِيارِهِ قَرِيباً وبعيداً ، وأن لا يُكْرِهَهُ على ما لا يريده ، ولا يُلْزِمُهُ بما لا يَخْتارُهُ .
وغير ذلك مما يَقْتَضِيهِ الحالُ وَيَدْعُو إليه المَقامُ .

المذهب الثاني — أن يفتح الأمان بِحُطْبَةٍ مَفْتُوحَةٍ بِالْحَمْدِ . والرسم فيه أن يُسْتَفْتَحَ الأمانُ بِحُطْبَةٍ يَكْرُرُ فِيهَا الحَمْدُ مرّتين أو ثلاثاً فأكثر ، بحسب ما يَقْتَضِيهِ حالُ النِّعمةِ على من يُصَدِّرُ عنه الأمانُ في الأَسْتِظْهَارِ على من يُؤْمِنُهُ . يحمّدُ اللهُ في المَرَّةِ الأولى على آلائِهِ ، وفي الثانية على إِعْزَازِ دينِهِ ، وفي الثالثة على بَعَثَةِ نَبِيِّهِ ، وفي الرابعة على إِقامَةِ ذلك الخليفة من بَيْتِ النّبوةِ لِإِقامَةِ الدِّينِ . ويأتي مع كلِّ واحدة منها بما يناسب ذلك ، ثم يذْكَرُ الأمانُ في الأخيرة .



وهذه نُسخةُ أمانٍ من هذا النَّمِطِ ، كُتِبَ به عن بعض متقدّمي حُفَّاءِ بَنِي العَبَّاسِ بِبَغْدَادِ ، أوردَها أبو الحُسَيْنِ أحمدُ بنُ سَعِيدٍ في "كُتُبِ البِلاغة" الذي جمعه في التَّرْسلِ :

الحَمْدُ لِلّهِ المَرْجُو فَضْلُهُ ، المَخُوفِ عَدْلُهُ ، باريِ النَّسَمِ ، وَوَلِيِّ الإِحْسانِ والنِّعمِ ، السَّابِقِ في الأُمُورِ عِلْمُهُ ، النَّافِذِ فِيهَا حُكْمُهُ ، بما أَحاطَ به من مُلْكِ قُدْرَتِهِ ، وَأَنْفَذَ من عِزِّ أَمْرِ مَشِيئَتِهِ ، كُلِّ ما سِوَاهُ مَدْبُورٌ مَخْلُوقٌ وَهُوَ أَنشَأَهُ وَأَبْتَدَأَهُ ، وَقَدَّرَ غايَتَهُ ومُنتَهَاهُ .

والْحَمْدُ لِلّهِ المُعَزِّزِ لِدِينِهِ ، الحَافِظِ من حُرْمَاتِهِ ما تَرَبَّصَ المُتَرَبِّصُونَ ^(١) عن حِياطَتِهِ ، المُدْكِي من نُورِهِ ما دَابَّ المَلْحُودُونَ لِإِطْفِائِهِ حَتَّى أَعْلَاهُ وَأَظْهَرَهُ كما وَعَدَ في مُتَزَلِّ

(١) في اللسان « رجل رُبُضَةٌ ومُتَرَبِّصٌ عاجزٌ » ولعل ما هنا منه وهي في الأصل بالصاد المهملة .

فُرقانه بقوله جل ثناؤه : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ .

والحمد لله الذي بعث محمداً رحمةً للعالمين ، وحجّةً على الجاحدين ، نخم به النبيين والمرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وجعله الداعي إلى دين الحق ، والشهيد على جميع الخلق ، فأدّى إليهم ما استودع من الأمانة ، وبلغهم ما حمل من الرسالة ، فلما أنقذ الله به من التورط في الضلالة ، والتهور في العمى والجهالة ، وأوضح به المعالم والآثار ، ونهج به العدل والمنار ، اختار له ما لديه ، ونقله إلى ما أعد له في دار الخلود : من النعيم الذي لا يتقطع ولا يبديد . ثم جعله في حُمتِه وأهله وراثته بما قدّمهم من خلافته في أمته ، وقدم لهم شواهد ما اختصّهم به من الفضيلة ، وزُلفَةِ الوسيلة ، في كتابه الناطق ، على لسان نبيّه الصادق ، صلى الله عليه وسلم - منها ما أخبر به من تطهيره إياهم : ليجعلهم لما اختاره معدّناً ومحلاً ، إذ يقول جل وعز : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ . ومنها ما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من مسألته أمته المودّة ، فقد أوضح لدوي الأبواب أنهم موضعُ خيرته ، بتطهيره إياهم ، وأهلُ صفوته ، بما افترض من مودّتهم ، وولاية الأمر الذين قرن طاعتهم بطاعته .

ولم يزل الله بعظيم منّهِ وإنعامه يُدعم أركان دينه ، ويُسيّد أعلام هُدايه ، باعزاز السلطان الذي هو ظلُّه في أرضه ، وقوامُ عدله وقسطه ، والحجازُ الدائد لهم عن النّظام والتعاشم ، والحِصن الحريز عند مخوف البوائق وملمّ النوائب ؛ فليس يكيدُ ولاته المُستتقين بحق الله فيه كائد ، ولا يجحدُ ما يجب لهم من حق الطاعة جاحد ، إلا من أطوى على غشّ الأُمّة ، ومحاولة التشتيت للكلمه .

والحمد لله على ما تولى به أمير المؤمنين في البدء والعاقبة : من الإذلاء بالهجة ،
 والتأييد بالعلبة ، عند تشوه من حيز وطأة الخفض (؟) ، متبعا لكتاب الله حيث
 سلك به حكمه ، مقتفيا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أنشأت أمامه ،
 بأذلاء لله نفسه ، لا يصدده وعيد من تكبر وعتا ، ولا يوحشه خذلان من أدبر وتولى ،
 مستظرا لمن نكث عهده وغدر ببيعته وأتمس المكر به في حقه الآيات الموجبة
 في قوله : ((ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ)) . ((فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ)) .
 مكتفيا بالله ممن خذله ، مستعينا به على من نصب ، لا يستغفره ما أجلب به الشيطان
 من خيله ورجله ، وهو في أنصاره المعتصمين ، لا تستهويهم الشبهة في بصائرهم ،
 ولا تحوهم قواعد عزائمهم في ساعة العسرة من بعد ما كادت تزيغ قلوب فريق
 منهم ، فكتبهم أمير المؤمنين ، وأهدهم لعدوه ، ينتظرون إحدى الحسينين : من
 الفالج المبين ، والفوز بالشهادة والسعادة ، فليس يلقطهم عن حقهم ما يتلقون به من
 الترغيب والترهيب ، ولا يزدادون على عظيم التهاويل والأخطار إلا تقحما وإقدا ما ؛
 ممتثلين لسير إخوانهم قبلهم فيما اقتص الله عليهم من شأنهم ، إذ يقول جل وعز :
 ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا
 حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)) .

وكان بداية جند أمير المؤمنين في حربهم التقدم بالإعذار والإنذار ، والتخويف
 بالله جل وعز وأيامه ، وما هم مسئولون عنه في مقامه : من عهوده المؤكدة عليهم
 في حرمه ، وبين ركن كعبته ومقام خليله ، المعلقة في بيته ، الشاهد عليها وفوده .

فكان أول ما بصرهم الله به محجته التي لا يقطعها قاطع ، ولا يدفعها دافع ،
 ثم ما جعلهم الله عليه من التناصر والتوازر الذي فت في أعضادهم ، ورماهم به من

التَّحَاذُلُ وَالتَّوَاكُلُ ، فَكُلَّمَا تَجَمَّتْ لَهُمْ قُرُونٌ أَجْتَمَعَهَا اللَّهُ بِحُدِّ أَوْلِيَائِهِ ، وَكُلَّمَا مَرَّقَ مِنْهُمْ مَارِقٌ أَسَالَ اللَّهُ مُهْجَتَهُ ، وَأَوْرَثَهُمْ أَرْضَهُ وَدِيَارَهُ .

وَمُخْلَوِعُهُمُ الْمُبْتَدِيُّ بِمَا عَادَتْ عَلَيْهِمْ نِقْمَتُهُ وَنَكَالُهُ قَدْ أَعْلَقَ بِالرِّدَّةِ ، وَصَرَّحَتْ شَيْطَانِيَّةُ الْغَدْرِ وَالتَّنَكُّثِ ، يَرَى بِذَلِكَ الدَّلَّ فِي نَفْسِهِ وَحِزْبِهِ ، وَتَنْتَقِصُ عَلَيْهِ الْأَرْضُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا ، وَيُؤْتِي بُنْيَانَهُ مِنْ قَوَاعِدِهِ ، وَيَرُدُّ اللَّهُ جُيُوشَهُمْ مَفْضُولَةً ، وَجُنُودَهُمْ مُخَلَّاةً عَنِ مَرَكَزِهَا ، مَقْمُوعًا بِاطْلَاقِهَا . وَليْسَ مَعَ مَا نَالَهُ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ جَلٌّ وَعِزٌّ نَازِعًا عَنِ آتِهَاتِكَ مَحَارِمِهِ وَمَأْتِمِهِ ، وَلَا مُحْدَثًا عَنِ جَانِحَةِ يُحْلِئُهَا بِهِ إِحْجَامًا عَنِ التَّفَحُّمِ فِي مَلَاحِمِهِ الْمَلْبَسَةِ لَهُ فِي عَاجِلِ مَا يُرِيدُهُ وَيُؤَيِّقُهُ ، وَآجِلِ مَا يَرِضُدُّ اللَّهُ بِهِ الْمُعَانِدِينَ عَنِ سَبِيلِهِ ، النَّاكِبِينَ عَنِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - إِذْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ مُتَبَايِنَ الْأُلْفَةِ ، وَضَمَّ لَهُ مُنْتَشِرَ الْفُرْقَةِ ، عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِحَرْبِهِ وَحِزْبِهِ ، وَعَدُوَّهُ وَوَلِيَّهُ ، وَمَنْ سَعَى لَهُ أَوْ عَلَيْهِ ، أَوْ أَطَاعَ اللَّهَ أَوْ عَصَاهُ فِيهِ : مِنْ وَافٍ بِنِعْمَتِهِ ، أَوْ خَاطِرٍ بِيَالٍ وَذِمَّةٍ [جَدِيرٌ] أَنْ يَعْمَ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ كَافَّةً رِعْيَتِهِ ، وَيَتَعَطَّفَ عَلَيْهِمْ بِحُسْنِ عَائِدَتِهِ ، وَيَشْمَلَهُمْ بِمَسْوَطِ عَدْلِهِ وَكَرِيمِ عَفْوِهِ ، وَتَقْدِيمِ أَهْلِ الْأَفْكَارِ الْحَمُودَةِ ، فِي الْمَوَاطِنِ الْمَشْهُودَةِ ، بِمَا لَمْ تَزَلْ أَنْفُسُهُمْ تَشْرَبُ إِلَيْهِ ، وَأَعْيُنُهُمْ تَرْتَوِي نَحْوَهُ ، لِتُحْمَدَ عَنْهُمْ عَاقِبَةُ الطَّاعَةِ ، وَيُعَجَّلَ لَهُمُ الْوَفَاءُ بِمَا وَعَدَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ ، إِلَى مَا ذَخَرَهُ لَهُمْ مِنْ حُسْنِ الْمُثُوبَةِ وَمَزِيدِ الشُّكْرَانِ . وَأَمْرٍ لِفِلَانٍ بِكَذَابٍ ، وَلِمَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْغَنَاءِ بِكَذَابٍ ، وَأَمْنٍ الْأَسْوَدَ وَالْأَحْمَرَ ، مَا خَلَا الْمُلْحِدَ ابْنَ الرَّبِيعِ ، فَإِنَّهُ سَعَى فِي بِلَادِ اللَّهِ وَعِبَادِهِ سَعَى الْمَفْسِدِينَ ، وَالتَّمَسَّ نَقْضَ وَثَائِقِ الدِّينِ .

جَمِيعٌ مِنْ حَلِّ مَدِينَةِ السَّلَامِ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ ، غَيْرُ مُتَّبِعِينَ بِتَرَةٍ ، وَلَا مَطْلُوبِينَ بِإِحْتِةٍ ، فَلَا تَدْخُلَنَّ أَحَدًا وَحِشَّةً مِنْهُمْ لَضَعِيفَةٍ يَظُنُّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَنْطَوَاءَ عَلَيْهَا ، وَلَا

يُجَلِّدُهُ مَا عَفَا لَهُ عَنْهُ مِنْ ذَنْبِهِ عَلَى [خِلاَفٍ] مَا هُوَ مُسْتَوْجِبٌ مِنْ ثَوَابِ طَاعَتِهِ أَوْ نِكَالِ مَعْصِيَتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ يَقُولُ : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ .
 فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَلْهَمَ خَلِيفَتَكُمْ ، مِنْ إِثَابَةِ أَهْلِ السُّوَابِقِ مِنْكُمْ بِأَوْفَى سَعْيِهِمْ ، وَالتَّطَوُّلِ عَلَى عَامَّةِ جُنْدِهِ بِمَا شَمِلُوهُمُ بِرِفْقِهِ وَحَسَنَتِ عَلَيْهِمْ عَائِدَتُهُ ، وَمَا تَعَطَّفَ بِهِ عَلَى أَهْلِ التَّفْرِيطِ : مِنْ إِقَالَةِ هَقَوَاتِهِمْ وَعَثْرَاتِهِمْ ، حَتَّى صِرْتُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِخْوَانًا مُتَرَافِدِينَ ، قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ أَضْغَانَكُمْ وَنَزَعَ حَسَائِكَ صُدُورِكُمْ ، وَرَدَّ أَلْفَتَكُمْ إِلَى أَحْسَنِ مَا يَكُونُ ، وَصَرَّيْتُمْ بَيْنَ مُتَقَدِّمٍ بَغْيَاءَ ، وَمُقَمَّعٍ بِإِحْسَانٍ . فَحَافِظُوا عَلَى مَا يُرْتَبَطُ بِهِ رَاهِنُ النِّعْمَةِ ، وَيُسْتَدْعَى بِهِ حُسْنُ الْمَزِيدِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(من الأمانات التي تُكْتَبُ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، مَا يُكْتَبُ بِهِ عَنِ الْمَلُوكِ ،

وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما كان يُكْتَبُ مِنْ هَذَا النَّحْوِ فِي الزَّمَنِ السَّابِقِ ، مِمَّا كَانَ يُصَدَّرُ عَنْ وَزَرَاءِ

الْخِلاَفَاءِ وَالْمَلُوكِ الْمُتَقَلِّبِينَ عَلَى الْأَمْرِ مَعَهُمْ ، وَطَمَّ فِيهِ أَسْلُوبَانِ)

الأسلوب الأول

(أَنْ يُصَدَّرَ بِالْتِمَاسِ الْمُسْتَأْمِنِ الْأَمَانِ)

وَهَذِهِ نُسْخَةٌ أَمَانٍ مِنْ هَذَا الْأَسْلُوبِ ، كَتَبَ بِهَا أَبُو [إِسْحَاقَ بْنِ] هَلَالِ الصَّابِيِّ ، عَنْ صَمَّامِ الدَّوْلَةِ ، بِنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، بِنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، بِنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيِّ لِبَعْضِ مَنْ كَانَ مُتَخَوِّفًا مِنْهُ ، وَهُوَ :

هذا كتاب من صمصام الدولة وشمس الملة أبي كاليبجار، بن عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع، بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين - لفلان بن فلان .

إنك ذكرت رغبتك في الأنحياز إلى جملتنا، والمصير إلى حضرتنا، والسكون إلى ظلتنا، والسكنى في كنفنا، وأتمست التوثقة منا بما تطيب به نفسك، ويطمئن إليه قلبك؛ فتمبئنا ذلك منك، وأوجبنا به الحق والذمام لك، وأمنناك بأمان الله جل ثناؤه، وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم، [وأمان] أمير المؤمنين أطل الله بقاءه، وأماننا - على نفسك، وجوارحك، وشعرك، وبشرتك، وأهلك، ووالدك، ومالك، وذات يدك : أماناً صحيحاً ماضياً نافذاً، واجبا لازماً؛ ولك علينا بالوفاء به إذا صرت إلينا عهد الله وميثاقه، من غير نقض له ولا فسخ لشيء منه، ولا تأويل عليك فيه على [كل] وجه وسبب .

ثم إنا نتناولك إذا حضرت بالإحسان والإجمال، والأصطناع والإفضال، مؤفين بك على أملاك، ومجتاوزين حد ظنك وتقديرك . فأسكن إلى ذلك وثق به، وتيقن أنك محمول عليه، ومفوض إليه . ومن وقف على كتابنا هذا : من عمال الخراج والمعاون وسائر طبقات الأولياء والمتصرفين في أعمالنا، فليعمل بما فيه، وليحذر من تجاوزه أو تعديه؛ إن شاء الله تعالى .



وعلى نحو من ذلك كتب أبو إسحق الصابى، عن صمصام الدولة المقدم ذكره، الأمان لجماعة من عرب المتفق، بواسطة محمد بن المسيب، وهو :

(١) الزيادة من رسائل الصابى الخطية .

هذا كتاب منشور من صمصام الدولة، وشمس الملة، أبي كاليبجار، بن عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع، بن ركن الدولة أبي علي، مولى أمير المؤمنين لجماعة من العرب من المنتفق، الراغبين في الطاعة والداخلين فيها مع أولياء الدولة.

إن محمد بن المسيب سأل في أمركم، وذكر رغبتكم في الخدمه، والالتحياز إلى الجملة، وأتمس أمانكم على نفوسكم وأموالكم، وأهلكم وعشيرتكم، على أن تلتزموا الاستقامة، وتسلكوا سبيل السلامه، ولا تخيفوا سبيلا، ولا تسعوا في الأرض فسادا، ولا تخالفوا للسلطان وولاية أعماله أمرا، ولا تؤوا له عدوا، ولا تعادوا له وليا، ولا تحيروا أحدا خرج عن طاعته، ولا تدموا لأحد طلبه، ولا تحونوه في سر ولا جهر، ولا قول ولا عمل. فرأينا قبول ذلك منكم، وإجابة محمد إلى ما رغب فيه عنكم، وتضمنته العهدة فيما عقد من هذا الأمان لكم على شرائطه المأخوذة عليكم: في الكف عن الرعيه والسابله، وأهل السواد والحاضرة، وترك التعرض للال والدم، أو الاتهالك لدمه أو محرم، أو الارتكاب لمنكر أو مائم.

فكونوا على هذه الحدود قايمين، وللصحة والاستقامة معتقدين، ولأحدانكم ضايطين، وعلى أيدي سفهاكم آخذين؛ وأنتم مع ذلك آمنون بأمان الله جل جلاله، وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأمان مولانا أمير المؤمنين، وأماننا: على نفوسكم وأموالكم وأحوالكم، وكل داخل في هذا الأمان وشرائطه معكم: من أهلكم وعشيرتكم وأتباعكم، ومن صمته حوزتكم.

ومن قرأ هذا الكتاب من عمال الخراج والمعاون، والمتصرفين في الحمارة والسيارة وغيرهم من جميع الأسباب، فليعمل بمتضمنه، وليحمل جماعة هؤلاء القوم على موجه، إن شاء الله تعالى.

الأسلوب الثاني

(أن لا يتعرض في الأمان لآلئاس المستأمن الأمان)

وهذه نسخة أمانٍ على هذا الأسلوب ، أورده أبو الحسين بن الصابي في كتابه
 ”غرر البلاغة“ ونصه بعد البسملة :

هذا كتاب من فلان مولى أمير المؤمنين لفلان .

إننا أمناك على نفسك ومالك وولدك وحرملك ، وسائر ما تحويه يدك ، ويشتمل
 عليه ملكك ؛ بأمان الله جلَّتْ أسماؤه ، وعظمت كبريأؤه ، وأمان مجد رسوله
 صلى الله عليه وسلم ، وأماننا - أماناً صحيحاً غير معلول ، وسليماً غير مدخول ، وصادقاً
 غير مكذوب ، وخالصاً غير مشوب ؛ لا يتداخله تأويل ، ولا يتعقبه تبديل ؛ قد كفله
 القلب المحفوظ ، وقام به العهد الملحوظ - على أن تشملك الصيانة فلا يلحقك
 اعتراض معترض ، وتكنفك الحراسة فلا يطرفك اغتراض مغتمض ؛ وتعزك النصرة
 فلا ينالك كف متخطف ، ولا تمتد إليك يد متطرف ؛ بل تكون في ظل السلامة
 راتعاً ، وفي محاماة الأمانة وأدعاً ؛ وبعين المراعاة ملحوظا ، ومن كل تعقب وتبعض
 محفوظا ؛ لك بذلك عهد الله الذي لا يخفر ، وموآثيقه التي لا تنكث ؛ وذمامه الذي
 لا يرفض ، وعهده الذي لا يتقص :

المذهب الثاني

(مما يكتب به في الأمانات لأهل الإسلام - أن يفتح الأمان بلفظ : «رسم»)

كما تفتح صغار التواقيع والمراسيم ، وهي طريقة غريبة)

وهذه نسخة أمانٍ على هذا النمط ، أوردها محمد بن المكرم أحد كتّاب ديوان
 الإنشاء في الدولة المنصورية «قلاوون» في تذكرة التي سماها : «تذكرة اللبيب»

كتب بها عن المنصور قلاوون المقدم ذكره ، للتجار الذين يصلون إلى مصر من الصين والهند والسند واليمن والعراق وبلاد الروم ، من إنشاء المولى فتح الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية ، وهي :

رُسم - أعلى الله الأمر العالی - لا زال عدله يُحل الرعايا من الأمن في حصن حصين ، ويستخلص الدعاء لدولته الزاهرة [من] أهل المشارق والمغرب فلا أحد إلا وهو من المخلصين ، ويهيئ رحابها للعتفين جنة عدن من أي أبوابها شاء الناس دخولاً : من العراق من العجم من الروم من الحجاز من الهند من الصين - أنه من أراد من الصدور الأجلء الأكابرتجار وأرباب التكسب ، وأهل التسبب ، من أهل هذه الأقاليم التي عددت والتي لم تعدد ، ومن يؤثر الورود إلى ممالكها إن أقام أو تردد - النقلة إلى بلادنا الفسيحة أرجاؤها ، الظليلة أفيائها وأفناؤها ؛ فيعزم عزم من قدر الله له في ذلك الخير والخير ، ويحضر إلى بلاد لا يحتاج ساكنها إلى ميرة ولا إلى ذخيره : لأنها في الدنيا جنة عدن لمن قطن ، ومسلاة لمن تغرب عن الوطن ؛ ونزهة لا يملها بصر ، ولا تهجر للإفراط في الخصر^(١) ، والمقيم بها في ربيع دائم ، وخير ملازم ؛ ويكفيها أن من بعض أوصافها أنها شامة الله في أرضه ، وأن بركة الله حاصله في رحل من جعل الإحسان فيها من قراضه والحسنة من قرضه ؛ ومنها ما إذا أهبط إليها أمل كان له ما سأل ، إذ أصبحت دار إسلام يجنود تسبق سيوفهم العدل ؛ وقد عمر العدل أوطانها ، وكثر سكانها ؛ وآسعت أبنيتها إلى أن صارت ذات المدائن ، وأيسر المعسر فيها فلا يخشى سورة المدائن ؛ إذ المطالب بها

(١) الخصر بالتحريك البرد .

غير متعسره ، والنظرة فيها إلى ميسره ؛ وسائر الناس وجميع التجار ، لا يخشون فيها من يجوز فان العدل قد أجار .

فمن وقف على مرسومنا هذا من التجار المقيمين باليمن والهند ، والصين والسند ؛ وغيرهم ، فليأخذ الأهبة في الارتحال إليها ، والقُدوم عليها ؛ ليجد الفعال من المقال أكبر ، ويرى إحساناً يقابل في الوفاء بهذه العهود بالأكثر ؛ ويحل منها في بلدة طيبة ورب غفور ، وفي نعمة جزاؤها الشكر وهل يجازى إلا الشكور ؛ وفي سلامة في النفس والمال ، وسعادة تجل الأحوال وتمول الآمال ؛ ولهم منا كل ما يؤثرونه : من معدلة نجيب داعيها ، وتمجد عيشتهم دواعيها ، وتبقى أموالهم على مخلفيهم ، وتستخلصهم لأن يكونوا متفيئين في ظلالها وتصطفيفهم ؛ ومن أحضر معه بضائع من بهار وأصناف محضرها تجار الكارم فلا يخاف عليه في حق ، ولا يكلف أمراً يشق ، فقد أبقى لهم العدل ما شاق ورفع عنهم ما شق ؛ ومن أحضر معه منهم ممالك وجواري فله في قيمتهم ما يزيد على ما يريد ، والمساحة بما يتعوضه بهم على المعتاد في أمر من يجلبهم من البلد القريب فكيف من البعيد : لأن رغبتنا مصروفة إلى تكثير الجنود ، ومن جلب هؤلاء فقد أوجب حقاً على الجود ؛ فليستكثر من يقدّر على جلبهم ، ويعلم أن تكثير جيوش الإسلام هو الحاث على طلبهم : لأن الإسلام بهم اليوم في عزّ لوأوه المنشور ، وسلطانُه المنصور ، ومن أحضر منهم فقد أخرج من الظلمات إلى النور ؛ وذم بالكفر أمسه وحمد بالإيمان يومه ، وقاتل عن الإسلام عشيرته وقومه .

هذا مرسومنا إلى كل واقف عليه من تجار شأنهم الضرب في الأرض :
 ((يبتغون من فضل الله وآخرون يقَاتِلون في سبيل الله)) . ليقروا منه ما تيسر لهم

من حُكْمِهِ، وَيَهْتَدُونَ بِنَجْمِهِ، وَيَعْتَدُونَ بِعِلْمِهِ؛ وَيَمْتَطُونَ كَاهِلَ الْأَمَلِ الَّذِي يَجْلِبُهُمْ
عَلَى الْمُهْجَرَةِ، وَيَسُطُونَ أَيْدِيَهُمْ بِالْدُّعَاءِ لِمَنْ يَسْتَدْنِي إِلَى بِلَادِهِ الْخَلَائِقَ لِيَفُوزُوا مِنْ
إِحْسَانِهِ بِكُلِّ نَضَارَةٍ وَبِكُلِّ نَظْرَةٍ، وَيَعْتَمُونَ أَوْقَاتَ الرَّيْحِ فَإِنَّهَا قَدْ أَدَّتْ قِطَافَهَا،
وَبَعَثَتْ بِهَذِهِ الْوُعودِ الصَّادِقَةِ إِلَيْهِمْ مُخَقِّقٌ لَهُمْ حُسْنَ التَّأْمِيلِ، وَتُشِيرُ عَنْدهُمْ أَنْ
الْخَطَّ الشَّرِيفَ حَاكِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ عَلَى مَا قَالَتْهُ الْأَقْلَامُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

قلتُ : هذا المكتوبُ وإن لم يكن صريحاً أماناً فإنه في معنى الأمان، كما أشار إليه
أَبْنُ الْمُكَرَّمِ . وفيه غمرايتان : إحداهما - الافتتاح «برسم» ، والثانية - الكتابةُ به إلى
الآفاق البعيدة والأقطار النائية ، إشارةً إلى امتداد لسان قلم هذه المملكة إليهم .

الضرب الثاني

(من الأمانات التي تُكْتَبُ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ مَا عَلَيْهِ مِصْطَلَحُ زَمَانِنَا، وَهِيَ صِنْفَانِ)

الصنف الأول

(ما يُكْتَبُ مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ)

وَالنَّظَرُ فِيهِ مِنْ جِهَةِ قَطْعِ الْوَرَقِ، وَمِنْ جِهَةِ الطَّرْزِ، وَمِنْ جِهَةِ مَا يُكْتَبُ
فِي الْمَتْنِ .

فَأَمَّا قَطْعُ الْوَرَقِ فَقَدْ قَالَ فِي "التثقيف" : إِنَّ الْأَمَانَ لَا يُكْتَبُ إِلَّا فِي قَطْعِ الْعَادَةِ .

قلتُ : وَالَّذِي يَنْجِيهِ أَنْ تَكُونَ كِتَابَةُ أَمَانٍ كُلِّ أَحَدٍ فِي نَظِيرِ قَطْعِ وَرَقِ الْمَكْتَابَةِ
إِلَيْهِ . فَإِنْ كَانَ مِنْ تَكْتَبِ الْمَكْتَابَةِ إِلَيْهِ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ، كُتِبَ لَهُ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ .
وَإِنْ كَانَ فِي قَطْعِ فَوْقَ ذَلِكَ، كَتَبَ فِيهِ .

وأما الطَّرة فقد قال في "التثقيف": إنه يُكتب في أعلى الدرَج في الوَسَط الأسمُ الشَّريفُ ، كما في المكاتبات وغيرها، ثم يكتب من أول عَرْض الورقِ إلى آخره كما في سائر الطَّرر ما صورته :

« أمانٌ شريفٌ لفلان بن فلان الفُلانيّ بأن يحضُر إلى الأبواب الشريفة ، أو إلى بَلدِه أو مكانه ، أو نحو ذلك آمِنًا على نفسه وأهلِه وماله ، لا يُصيبُه سوءٌ ، ولا ينالُه ضيمٌ ، ولا يمسه أذى ، على ما شرح فيه » .

قلتُ : والعلامةُ في الأمان الأسمُ ؛ والبياضُ بعد الطَّرة على ما في المكاتبات إما وصلانٍ أو ثلاثةٌ ، بحسب ما تقتضيه رتبةُ صاحبِ الأمان ، وبحسب ما يقتضيه الحالُ : من مُداراة مَنْ يُكتب له الأمان : نخوفُ استِشراءِ شرِّه وما يُخالفُ ذلك .

وأما متنُ الأمانِ : فإنه تُكتبُ البَسْمَلَةُ في أوَّلِ الوَصْلِ الثالثِ أو الرابعِ ، بهامِشٍ من الجانبِ الأيمنِ كما في المكاتبات ، ثم يكتبُ سَطْرٌ من الأمان تحتَ البَسْمَلَةِ على سَمَّتِها ، ويخلَى موضعُ العلامةِ بياضًا كما في المكاتبات ، ثم يكتبُ السَطْرَ الثاني وما يليه على نَسَقِ المكاتبات .

قال في "التعريف" : ويجمعُ المقاصدُ في ذلك أن يُكتب بعد البَسْمَلَةِ : « هذا أمانٌ اللهُ تعالى وأمانٌ نبيِّهٍ محمَّدٍ [نبيِّ الرحمة] ^(١) صلى اللهُ عليه وسلم وأماننا الشَّريفُ ، لفلانِ بنِ فلانِ الفُلانيّ [ويذكرُ أشهرَ أسمائِه وتعريفه] ، ^(١) على نفسه وأهلِه وماله ، وجميعِ أصحابِه وأتباعِه وكلِّ ما يتعلقُ به : من قليلٍ وكثيرٍ ، وجليلٍ وحَقيرٍ - أمانًا لا يبقى معه خوفٌ ولا جَزَعٌ في أوَّلِ أمرِه ولا آخره ، ولا عاجِلِه ولا آجِلِه ، يخصُّ ويُعْمُ ، وتُصانُ به النَّفسُ والأهلُ والوَلَدُ والمالُ وكلُّ ذاتِ اليَدِ . فليحضرهُ هو

وبنوه، وأهله وذووه وأقربوه، وغلمانُه وكلُّ حاشيته، وجميع ما يملكه من دانيته وقاصيته، وليصل بهم إلينا، ويقد عليَّ حضرتنا في ذمام الله وكلاءته وضمائنه هذا الأمان، له ذمَّة الله وذمَّة رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يناله مكروه منا، ولا من أحدٍ من قبلنا، ولا يتعرض إليه بسوءٍ ولا أذى، ولا يرتق له موردٌ بقدي؛ وله منا الاحسان، والصِّفاء بالقلب واللسان؛ والرعاية التي تؤمن سربه [وشئى شربه] ^(١) ويطمئن [بها] ^(١) خاطره، وتُعرف عليه كالسحاب لا يناله إلا ماطره.

فليحضر واثقاً بالله تعالى وبهذا الأمان الشريف، وقد تلفظنا له به ليزداد وثوقاً، ولا يجد بعده سوء الظنِّ إلى قلبه طريفاً. وسبيل كلِّ واقفٍ عليه إكرامه في حال حضوره، وإجراؤه على أحسن ما عهد من أموره؛ وليكن له ولكل من يحضر معه أوفر نصيب من الاكرام، وتبلغ قصارى القصد ونهاية المرَام؛ والاعتماد على الخطِّ الشريف أعلاه.»

وذكر في "التثقيف": بصيغة أخرى أخصر من هذه، وهى:

«هذا أمان الله عزَّ وجلَّ، وأمانُ رسوله صلى الله عليه وسلم، وأماننا الشريف لفلان بن فلان الفلاني، بأن يحضر إلى الأبواب الشريفة آمناً على نفسه وأهله وماله، لا يصيبه سوء، ولا يناله ضمٌّ، ولا يمسه أذى. فليثق بالله وبهذا الأمان الشريف ويحضر إلى الأبواب الشريفة، آمناً مطمئناً، لا يصيبه سوء، ولا يناله أذى في نفس ولا مالٍ ولا أهيلٍ ولا وليدٍ. والاعتماد على الخطِّ الشريف أعلاه، والله الموفق بمنه وكرمه.»

وزاد فقال: ثم التاريخ والمستند والحسبة. ولا يكتب فيه: «إن شاء الله تعالى» لأنها تقتضى الاستثناء فيما وقع من الأمان المذكور.

(١) من "التثقيف" ص ١٦٥.

ثم قال : هذا هو الأمر المستقر من ابتداء الحال وإلى آخر وقت ، لم يكتب خلاف ذلك . غير أن القاضي شهاب الدين ذكر النسخة المذكورة بزيادات حسنة لا بأس بها ، لكنني لم أر أنه كتب بها في وقت من الأوقات . ثم قال : وهي في غاية الحسنى ، وكان الأولى أن لا يكتب إلا هي .

قلت : وقد رأيت عدة نسخ أمانات فيها زيادات ونقص عما ذكره في "التعريف" و"التتيف" . والتحقيق ما ذكره صاحب "مواد البيان" : وهو أن مقاصد الأمان تختلف باختلاف الأحوال ، والذي يضبط إنما هو صورة الأمان ، أما المقاصد فإن الكاتب يدخل في كل أمان ما يليق به مما يناسب الحال .

وهذه نسخة أمان ، كتب بها الأسد الدين ربيعة أمير مكة ، في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، من إنشاء القاضي تاج الدين بن البارباري ، وهي :

هذا أمان الله سبحانه وتعالى ، وأمان رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأماننا الشريف ، للجلوس العالى الأسدى ربيعة ابن الشريف نجم الدين محمد بن أبى ميمى : بأن يحضر إلى خدمة السنجق الشريف المجهز صعبة الجناح السيفى ايمش الناصرى ، آمناً على نفسه وماله وأهله وولده وما يتعلق به ، لا يخشى حلول سطوة قاصمه ، ولا يخاف مؤاخدة حاسمه ، ولا يتوقع خديعة ولا مكراً ، ولا يجد سوءاً ولا ضراً ، ولا يستشعر مهابة ولا وجلاً ، ولا يرهب بأساً وكيف يرهب من أحسن عملاً ؟ ، بل يحضر إلى خدمة السنجق آمناً على نفسه وماله وآله ، مطمئناً واثقاً بالله ورسوله وبهذا الأمان الشريف المؤكد الأسباب ، المبيض للوجوه الكريمة الأحساب ، وكل ما يخطر بباله أنا نؤاخذه به فهو مغفور ، والله عاقبة الأمور ،

وله من الإقبال والتأخير والتقديم ، وقد صفحنا الصَّفْحَ الحَمِيلَ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ .

فليثق بهذا الأمان الشريف ولا تذهب به الطنون ، ولا يصغ إلى الذين
لا يعلمون ؛ ولا يستشروا في هذا الأمر غير نفسه ، ولا يظن إلا خيراً فيومه عندنا ناسخ
لأمره ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم [فيما يرويه عن ربه] : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ
عَبْدِي بِي فليظن بي خيراً » .

فتمسك بعروة هذا الأمان فإنها وثقى ، وأعمل عمل من لا يضل ولا يشقى ؛ ونحن
قد أمناك فلا تخف ، ورعينا لك الطاعة والشرف ؛ عفا الله عما سلف ؛ ومن أمناه
فقد فاز ، فطب نفساً وقر عيناً فأنت أمير الحجاز .

قلت : هذا الأمان إنشاء مبتكر مطابق للواقع ، وهكذا يجب أن يكون كل أمان
يكتب .



وهذه نسخة أمان كتب بها عن السلطان الملك الظاهر « برقوق » عند محاصرته
لدمشق بعد خروجه من الكرك بعد خلعهِ من السلطنة : أمن فيها أهل دمشق خلا
الشيخ شهاب الدين بن القرشي وجر دمر الطاربي ، كتب في ليلة يسفر صباحها
عن يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام ، سنة إحدى وتسعين
وسبعمائة ، وهي :

هذا أمان الله سبحانه وتعالى ، وأمان نبيه سيدنا محمد نبي الرحمة ، وشفيع الأمة ،
وكاشف الغم ، صلى الله عليه وسلم ، وأماننا لكل واقف عليه من أهل مدينة دمشق
المحروسة : من القضاة ، والمفتين ، والفقهاء ، وطالبي العلم الشريف ، والفقراء
والمساكين ، والأمراء ، والأجناد ، والتجار ، والمتسبين ، والشيوخ ، والكهول

والشبان ، والجبار والصغار ، والدُّكور والإناث ، والخاص والعام من المسلمين
و [أهل] الذمة ، إلا جردم الطاربي ، وأحمد بن القُرشيّ - على أنفسهم ، وأموالهم ،
وأولادهم ، وأهلهم ، وحريمهم ، وأصحابهم ، وأتباعهم ، وغلمانهم ، وقبائلهم ،
وعشائرهم ، ودوابهم ، وما يملكونه من ناطق وصامت ، وكل ما يتعلق بهم : من كثير
وقليل ، وجليل وحقير . أمان لا يبق معه خوف ولا جزع ، في أول أمره ولا في آخره ،
ولا في عاجله ولا في آجله ، ولا ضر ، ولا مكر ، ولا غدر ، ولا خديعة ، يخص
ويعم ، وتصان به النفس والمال ، والولد والأهل ، وكل ذات يد .

فليحضروا ببنيهم ، وأهلهم وذويهم ، وأقربائهم ، وغلمانهم ، وحاشيتهم ، وجميع
ما يملكونه من ناطق وصامت ، ودان وقاص ، وليصلوا بهم إلينا ، وليفدوا بهم على
حضرتنا الشريفة في ذمام الله تعالى وكآلته ، وضمان هذا الأمان . لهم ذمة الله تعالى
وذمة رسوله سيدنا محمد نبي الرحمة ، صلى الله عليه وسلم - أن لا ينالهم مكروه منّا ،
ولا من أحد من قبلنا ، ولا يتعرض إليهم بسوء ولا أذى ، ولا يرتق لهم مورد بقدى ،
ولهم منّا الإحسان ، والصفاء بالقلب واللسان ، والرعاية التي نؤمن بها سربهم ، ونهني
بها سربهم ، ويطمئن بها خاطرهم ، وتزفر عليهم كالسحاب لا ينالهم إلا ما طرهم .

فليحضروا واثقين بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، وبهذا الأمان
الشريف . وقد نلطنا بهم ليزدادوا وثوقا ، ولا يجد سوء الظن بعد ذلك إلى قلوبهم
طريقا . وسبيل كل واقف عليه إكرامهم في حال حضورهم ، وإجراؤهم على أكمل
ما عهدوه من أمورهم ، وليكن لهم ولكل من يحضر معهم وما يحضر أوفر نصيب
من الإكرام ، والقبول والأحترام ، وتبليغ قصارى القصد ونهاية المرام ، والصفح
والرضا ، والعفو عما مضى ، ولتتمسكوا بعروة هذا الأمان المؤكدة الأسباب ، الفاتح

إلى الخيرات كلِّ باب؛ وليثقوا بعروته الوثقى، فإنه من تمسك بها لا يضل ولا يشق؛
وليشرحوا بالصفح عما مضى صدرا، ولا يحشوا ضميرا ولا ضرا؛ ولا يعرض كلِّ
منهم على نفسه شيئا مما جنى وأقترف، فقد عفا الله عما سلف .

ونحن نعرفهم أن هذا أماننا بعد صبرنا عليهم نيفا وأربعين يوما مع قدرتنا على
دوس ديارهم وتخريبها، وأستئصال شأفتهم، ولكنا منعنا من ذلك الكتاب العزيز
والسنة الشريفة، فإننا مستمسكون بهما، وخوفنا من الله تعالى ومن نبيه سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم واليوم الآخر ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَىَّ اللَّهُ
يَقْلِبِ سَلِيمٌ﴾ وهم يغالبون أنفسهم ويظنون أن تأخيرنا عنهم عن عجز منا .

فليتلقوا هذا الأمان الشريف بقلوبهم وقلوبهم، وليرجعوا إلى الله تعالى، وليصونوا
دماءهم وأموالهم وأولادهم، وحرمتهم وديارهم، فقد رأوا ما حلَّ بهم من نكبتهم
وبغيتهم . قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا
عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ . وقال عز من قائل: ﴿وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ
إِذَا عَاهَدُوا﴾ في معرض المدح لمن وفى بعهده: وقال جل وعلا: ﴿ثُمَّ بَغَىٰ عَلَيْهِ
لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ . وقال تبارك وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بُغِيكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ .
وقال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ . وقال النبي صلى الله
عليه وسلم: « ثلاث من كن فيه كن عليه : المكر والبغي والحديعة » . وقال عليه
السلام: « المرء مجزي بعمله » . وقال عليه السلام: « الجزءء من جنس العمل » .
وقال أهل التصوف: (الطريق تأخذ حقتها) . وقال أهل الحكمة: (الطبيعة كافية) .
وقال الشاعر :

قضى الله أن البغي يصرع أهله * وأن على الباغى تدور الدوائر!

ثم إنهم يعللون آمالهم بعسى ولعل ، ويقولون : العسكرُ المِصرى واصلٌ إليهم نَجدة لهم ، وهذا والله من أكبر حَسراتنا أن تكون هذه الإشاعة صحيحة ، وبهذا طمعت آمالنا ، وصبرنا هذه المدة الطويلة ، وتمنينا حضوره ورجوانه ، فإنه بأجمعه ممالكُ أبوابنا الشريفة ، وقد صارت الممالكُ الشريفةُ الإسلاميةُ المحروسةُ في حوزتِنا الشريفة ، ودخل أهلها تحت طاعتنا المفترضة على كلِّ مسلمٍ يؤمن بالله تعالى وبنبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وباليوم الآخر : من حاضِرٍ وبَادٍ ، وعُرْبَانٍ وَأَكْرَادٍ وتُرْكِيَانٍ ، وقاصٍ ودانٍ ؛ وهم يتحققون ذلك ويكايرون في المحسوس ويتعللون بعسى ولعل ، ويقولون : ياليت ، فيقال لهم : هيئات .

فليستدرِكوا الفارطَ قبل أن يعضوا أيديهم ندما ، وتجرى أعينهم بدلَ الدموع دما ، وهذا منا والله أمانٌ ونصيحةٌ في الدنيا والآخرة ، والله تعالى ربُّ النَّيات ، وعالمُ الخفيات ، يعلمون ذلك ويعتمدونه ؛ والله تعالى يوفقهم فيما يُبدئون به ويعيدونه ؛ والخطُ الشريفُ شرفه اللهُ تعالى وأعلاه ، وصرفه في الآفاق وأمضاه - أعلاه ، حجةً فيه .

قلت : وهذا الأمانُ أولُه مُلقًى من كلام "التعريف" وغيره ، وأخره كلامُ سوقيٍّ مبتدئٌ نازلٌ ، ليس فيه شيءٌ من صناعةِ الكلام .

(تنبیه) من غرائب الأمانات ما حكاه محمد بن المكرم في كتابه : "تذكرة اللبيب" أن رُسلَ صاحبِ اليمنِ وفدت على الأبواب السلطانية ، في الدولة المنصورية «قلاوون» في شهر رمضان ، سنة ثمانين وستمائة ، وسألو السلطان في كتب أمان لصاحب اليمن ، وأن يكتب على صدره صورة أمان له ولأولاده ، فكتب له ذلك وشملتُه علامةُ السلطان ، وعلامةُ ولده وليِّ عهده «الملك الصالح على» وأعلمهم

أَنَّ هَذَا مِمَّا لَمْ تَجْرِبْ بِهِ عَادَةً ، وَإِنَّمَا أَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ إِكْرَامًا لِمُخْذُومِهِمْ ، وَمُوَافَقَةً لِفَرَضِهِ وَأَقْتِرَاحِهِ .

الصنف الثاني

(من الأمانات الجارية عليها مُصْطَلَحُ كُتَابِ الزَّمَانِ ، مَا يُكْتَبُ

عَنْ نَوَابِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ)

وهو على نحو ما تقدّم ذكره مما يُكْتَبُ عَنْ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّهُ يُزَادُ فِيهِ : « وَأَمَانُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ » وَتُذَكَّرُ أَلْقَابُهُ الْمَعْرُوفَةُ ، ثُمَّ يُؤْتَى عَلَى بَقِيَّةِ الْأَمَانِ ، عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمَتَقَدِّمَةِ ، وَيُقَالُ فِي طَرَّتِهِ : « أَمَانُ كَرِيمٍ » . وَيُقَالُ فِي آخِرِهِ : « وَالْعَلَامَةُ الْكَرِيمَةُ » كَمَا تَقَدَّمَ فِي التَّوَاقِعِ .

وهذه نُسْخَةُ أَمَانٍ كُتِبَ بِهِ عَنْ نَائِبِ السُّلْطَنَةِ بَحَلَبَ فِي نِيَابَةِ الْأَمِيرِ قَشْتَمِرِ الْمَنْصُورِيِّ ، فِي الدَّوْلَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ « شُعْبَانُ بْنُ حُسَيْنٍ » لِبَعْضِ مَنْ أَرَادَ تَأْمِينَهُ ، وَهِيَ :

هَذَا أَمَانُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَمَانُ نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَانُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ ، الْعَالِمِ ، الْعَادِلِ ، الْمُجَاهِدِ ، الْمُرَابِطِ ، الْمُتَأَخَّرِ ، الْمُؤَيَّدِ ، الْمَالِكِ ، الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ ، نَاصِرِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، مُجِي الْعَدْلِ فِي الْعَالَمِينَ ، مُنْصِفِ الْمَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، قَامِعِ الْكُفْرَةِ وَالْمُشْرِكِينَ ، قَاهِرِ الطُّغَاةِ وَالْمُعْتَدِينَ ، مُؤَمِّنِ قُلُوبِ الْخَائِفِينَ وَالتَّائِبِينَ ، مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ ، صَاحِبِ الْقِبْلَتَيْنِ خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ ، وَارِثِ الْمُلْكِ ، سُلْطَانِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالتُّرْكِ ، مَلِكِ الْأَرْضِ ، الْحَاكِمِ فِي طَوْلِهَا وَالْعَرَضِ ، سَيِّدِ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِ ، قَسِيمِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ « شُعْبَانُ » ابْنِ الْمَلِكِ الْأَمْجِدِ بَجَالِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ « حُسَيْنٍ » ابْنِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ

المَلِكِ الناصر، ناصرِ الدُّنيا والدِّين، سلطانِ الإسلامِ والمسلمين «محمد» ابن مولانا السلطانِ الشهيدِ المَلِكِ المنصورِ «قلاوون» - خَلَدَ اللهُ مُلْكَهُ، وجعلَ الأَرْضَ بأسْرِها مَلِكَةً - إلى فلانٍ بالحضورِ إلى الطاعةِ الشريفةِ : طَيَّبَ القَلْبَ، مُنْبَسِطَ الأَمَلِ؛ أَمِنًا على نَفْسِهِ ومالِهِ وأولادِهِ، وجماعَتِهِ وأصحابِهِ ودَوَابِهِ؛ لا يَخَافُ ضَرَرًا ولا مَكْرًا، ولا حَديعةً ولا غَدْرًا؛ وله مَزِيدُ الإِكْرَامِ والأحترامِ، والرعايةِ الوافرةِ الأقسامِ، والعفوِ والرِّضا، والصفحِ عَمَّا مَضَى.

فَلْيَتَمَسَّكَ بِعُرْوَةِ هَذَا الأمانِ المُؤَكَّدِ الأسبابِ، الفاتِحِ إلى الخيراتِ كُلِّ بابٍ، وَلْيَتَّقِ بِعُرْوَتِهِ الوُثْقَى، فَإِنَّهُ من تَمَسَّكَ بِهَا لا يَضِلُّ ولا يَشُقُّ؛ وَلْيُشْرَحِ بِالصَّفْحِ عَمَّا مَضَى صَدْرًا، ولا يَخْشَ صَمِيمًا ولا ضَرًّا؛ ولا يَعْرِضُ على نَفْسِهِ شَيْئًا مِمَّا جَنَى وأَقْتَرَفَ، فقد عفا اللهُ عَمَّا سَلَفَ؛ وَالخَطُّ الكَرِيمُ أعلاه اللهُ تعالى أعلاه حِجَّةً فِيهِ.

قُلْتُ : ومما ينبغى التنبيهُ عليه في الأمانات، أنه إن احتاج الأمر في الأمان إلى الأيمان، أتى بها بحسب ما يقتضيه حال الحالف والحلوف له، على ما تقدم ذكره في المقالة الثامنة.

الباب الثاني

من المقالة التاسعة

(في الدفن)

والمراد به دفن ذنوب من يُكْتَب له حتى لم تُرَبِّدْ، وفيه فصلان :

الفصل الأول

في أصِّله وكونه مأخوذاً عن العرب

والأصل فيه ما ذكره في "التعريف" أن العرب إذا جَنَى أحدٌ منهم جنايةً، وأراد الحَجْبِيَّ عليه العَفْوَ عما وقع، فالتَّعْوِيلُ في الصَّفْحِ فيها على الدَّفْنِ. قال في "التعريف": وطريقتهم فيه أن تجتمع أكارُ قَبِيلَةٍ الذي يَدْفِنُ بحضور رجالٍ يَثِقُ بهم المدفونُ له، ويقومُ منهم رجلٌ، فيقول للحَجْبِيَّ عليه: نُريدُ منك الدَّفْنَ فلانٍ، وهو مُقَرَّبٌ بما أهاجَكَ عليه، ويُعدُّ ذنوبه التي أُخِذَ بها ولا يَبْقَى منها بَقِيَّةٌ، ويَقْرَأُ الذي يَدْفِنُ ذلك القائلِ على أن هذا جُمْلَةٌ ما نَقَمَهُ على المدفونِ له، ثم يَحْفِرُ بيده حَفِيرَةً في الأرض، ويقول: قد أَلْقَيْتُ في هذه الحَفِيرَةِ ذُنُوبَ فلانٍ التي نَقَمْتُمُها عليه، ودَفَنْتُمُها له دَفْنِي لهذه الحَفِيرَةِ، ثم يردُّ ترابَ الحَفِيرَةِ إليها حتى يَدْفِنُها بيده. قال: وهو كثيرٌ متداولٌ بين العرب، ولا يَظْمِنُ خَاطِرُ المُدْنِبِ منهم إلا به، إلا أنه لم تَجْرِ للعربِ فيه عادةٌ بكتابة، بل يُكْتَفَى بذلك الفِعْلُ بِمُحَضَّرِ كَبَّارِ الفريقين؛ ثم لو كانت دِمَاءٌ أَوْ قَتْلٌ عُقِبَتْ وَعَفَّتْ بها آثارُ الطلائبِ.

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة التاسعة

(فيما يكتب في الدفن عن الملوك)

قال في "التعريف" : صورته أن يكتب بعد البسملة : « هذا دفن لذنوب فلان ، من الآن لا تُذكر ولا يطالب بها ، ولا يُؤخذُ بسببها ؛ أقتضته المراحمُ الشريفةُ السلطانية الملكية الفلانية ، ضاعف الله تعالى حسناتها وإحسانها : وهي ما بدأ من الذنوب لفلان من الجرائم التي ارتكبها ، والعظائم التي آحقت بها ، وحصل العفو الشريف عن زللها ، وقابل الإحسان العيم بالتعمد سوء عملها ؛ وهي : كذا وكذا (وتذكر) : دفناً لم تبق معه مؤاخدة بسبب من الأسباب ، ومات به الحقد وهيل عليه التراب ؛ ولم يبق معه لمطالب بشيء منه مطمع ، ولا في إحيائه رجاء وفي غير ما وارت الأرض فاطمع ؛ تصدق بها سيدنا ومولانا السلطان الأعظم (ويذكر ألقابه وأسمه) - تقبل الله صدقته - وعفا عنها ، وقطع الرجاء باليأس منها ؛ وأبطل منها كل حق يطلب ، وصفح منها عن كل ذنب كان [به] ^(١) يستندب ؛ ودفنها تحت قدمه ، ونسيها في علم كرمه ، وخلاها نسياً منسياً لا تُذكر في خفارة ذممه ؛ وجعله بها مقيماً في أمن الله تعالى إلى أن يبعث الله تعالى خلقه ، ويتقاضى كما يشاء حقه ؛ لا يتعقب في هذا الأمان متعقب ، ولا ينتهي إلى أمده له نظر مترقب ؛ لا ينبش هذا الدفين ، ولا يُوقف له على أثر في اليوم ولا بعد حين ؛ ولا يُحشى فيه صبر مصابر ، ولا يُقال فيه :

(١) الزيادة عن "التعريف" ص ١٦٦ .

إِلَّا وَهَبَهَا كَشْيءٍ لَمْ يَكُنْ أَوْ كَنَازِحٍ بِهِ الدَّارُ أَوْ مَنْ غَيْبَتْهُ المَقَابِرُ . وَرُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ العَالِي ، المَوْلَوِيِّ ، السُّلْطَانِيِّ ، المَلِكِيِّ الفَلَانِيِّ - أَعْلَاهُ اللهُ تَعَالَى وَشَرَّفَهُ ، وَغَفَرَ بِهِ لِكُلِّ مُذْنِبٍ مَا أَسْلَفَهُ - أَنْ يُكْتَبَ لَهُ هَذَا الكِتَابُ بِمَا عُنِيَ لَهُ عَنْهُ وَحُفِرَ لَهُ وَدُفِنَ ، وَأَصْبَحَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ مُرْتَمِينَ ؛ وَدُفِنَ لَهُ فِيهِ دَفَنَ العَرَبِ ، وَقُطِعَ فِي التَّدْشُرِ لَهُ أَرَبُ كُلِّ [ذِي] أَرَبٍ ؛ وَدُرِسَ فِي القُبُورِ الدَّوَارِسَ ، وَغُيِبَ مَكَانَهُ فِيمَا طُمِرَ فِي اللَّيَالِي الدَّوَامِسِ .

وَسَبِيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَى هَذَا الكِتَابِ - وَهُوَ المِحْجَةُ عَلَى مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ ، أَوْ بَلَغَهُ خَبْرُهُ ، أَوْ سَمِعَهُ أَوْ وَضَّحَ لَهُ أَثْرَهُ - أَنْ يَتَنَاسَى هَذِهِ الوُقَائِعَ ، وَيَتَخَذَهَا فِيمَا تَضَمَّتْهُ الأَرْضُ مِنَ الوُدَائِعِ ، وَلَا يَذْكُرُ مِنْهَا إِلَّا مَا أَقْتَضَاهُ حَامِنُنَا الذِي يُؤْمِنُ مَعَهُ التَّلَفَ ، وَعَفُونَا الذِي شَمِلَ وَعَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ .

قال في "التنقيف": ولم أكن رأيت شيئاً من هذا ولا وجدته مسطوراً إلا في كتابة "التعريف". قال: والذي أعتقد أنه لم يكتب به قط، وإنما الرجل بسعة فضله وفضيلته، أراد أن يرتب هذه النسخة لاحتمال أن يؤمر بكتابة شيء من هذا المعنى، فلا يهتدي الكاتب إلى ما يكتبه. ثم قال: على أنه كرر فيها ذكر السلطان مرتين، والثالثة قال: رسم بالأمر الشريف، فهي على غير نحو من النظام المعهود والمصطلح المعروف، بحكم أن فيها أيضاً توسعاً كثيراً في العبارة والألفاظ التي تؤدي كلها معنى واحداً. قال: وكان الأولى بنا اختصار ذلك وعدم كتابته، لكننا أردنا التنبيه على ما أشار إليه، ليكون هذا الكتاب مستوعباً لجميع ما ذكر، مما يستعمل ومما لا يستعمل.

قلت : ما قاله في "التثقيف" كلامٌ ساقطٌ صادرٌ عن غير تحقيق ، فإنه لا يلزم من عدم اطلاعه على شيء كتب في هذا المعنى ولا سطر فيه أن لا يكون مسطوراً لأحد في الجملة . وماذا عسى يبلغ اطلاع المطلع فضلاً عن غيره ؟ وإن كان صاحب "التعريف" هو الذي ابتكر ذلك ، كما أشار إليه في "التثقيف" فنعمت السجية الآتية بمثل ذلك مما لم يسبق إليه . وأما إنكاره تكرير ذكر السلطان فيها ، فلا وجه له بعد انتظام الكلام وحسن ما أتى به في "التعريف" سواء كان فيه مبتكراً أو متبعاً أو منترجماً له من الأصل السابق .

وأحسن ما يكتب في ذلك في تأمين العربان : لأنه إنما أخذ عنهم ، فإذا صدر إليهم شيء يعرفونه ويحجرون على قواعدهم التي يألّفونها ، تلقوه بالقبول ، وأطمأنت إليه قلوبهم ، ووقع منهم أجل موقع ، وباللّه المستعان .

الباب الثالث

من المقالة التاسعة

(فيا يُكْتَبُ فِي عَقْدِ الدِّمَّةِ، وَمَا يَتَفَرَّعُ عَلَى ذَلِكَ؛ وَفِيهِ فَصْلَانِ)

الفصل الأول

فِي الْأَصُولِ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا هَذَا الْعَقْدُ، وَفِيهِ طَرَفَانِ

الطرف الأول

(فِي بَيَانِ رُتْبَةِ هَذَا الْعَقْدِ، وَمَعْنَاهُ، وَأَصْلِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،

وَمَا يَنْخَرِطُ فِي سِلْكِ ذَلِكَ)

أَمَّا رُتْبَتُهُ، فَإِنَّهُ دُونَ الْأَمَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِمَامِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَقْرُرُهُ بَعْوِضٌ يَأْخُذُهُ مِنْهُمْ، بِخِلَافِ الْأَمَانِ.

وَأَمَّا مَعْنَاهُ، فَقَدْ قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي «الْوَسِيطِ»: «إِنَّهُ عِبَارَةٌ عَنِ الْقِرَامِ تَقْرِيهِمْ فِي دِيَارِنَا، وَحَايَتِهِمْ، وَالذَّبِّ عَنْهُمْ بِبَدَلِ الْحِزْبِيَّةِ أَوْ الْإِسْلَامِ مِنْ جِهَتِهِمْ».

وَأَمَّا الْأَصْلُ فِيهِ: فَمِنْ الْكِتَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. فَجَعَلَ الْحِزْبِيَّةَ غَايَةً مَا يُطَلَّبُ مِنْهُمْ، وَهُوَ دَلِيلُ تَقْرِيهِمْ بِهَا.

وَمِنَ السُّنَّةِ مَا وَرَدَ «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَجَّهَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ. قَالَ: إِنَّكَ سَتَرُدُّ عَلَى قَوْمٍ مُعْظَمُهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ فَأَعْرِضْ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ،

فإن أمتنعوا فأعرض عليهم الجزية وخذ من كل حالم ديناراً ، فإن أمتنعوا فاقتلهم»
 بفعل القتل بعد الامتناع عن أداء الجزية يدل على تقريرهم بها أيضا .

وقد قرّر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصارى الشام بإيالتهم على شروطٍ أشرطوها في كتاب كتبوا به إليه ، مع زيادة زادها .

قال الإمام الحافظ جمال الدين أبو صادق محمد ، ابن الحافظ رشيد الدين
 أبي الحسين يحيى ، بن علي ، بن عبد الله القرشي في كتابه الموسوم "بالزبد المجموعه ،
 في الحكايات والأشعار والأخبار المسموعه" : أخبرنا الشيخ الفقيه أبو محمد عبد العزيز
 ابن عبد الوهاب بن إسماعيل الزهرى المالكى وغير واحد من شيوخنا إجازة ،
 قالوا : أنبأنا أبو الطاهر إسماعيل بن مكي بن إسماعيل الزهرى ، قال : أخبرنا
 أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى قراءة عليه ، قال : أخبرنا قاضى القضاة
 الدامغانى ، أخبرنا محمد ، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد النجيبى فيما قرأت
 عليه ، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن عمر بن زياد الأعرابى بمكة سنة أربعين وثلاثمائة ،
 أخبرنا محمد بن إسحق أبو العباس الصفار ، أخبرنا الربيع بن تغلب أبو الفضل ، أخبرنا
 يحيى بن عقبة بن أبي العيزار عن سفيان الثورى ، والوليد بن روح ، والسرى بن
 مصرف ، يذكرون عن طلحة بن مصرف ، عن مسروق ، عن عبد الرحمن بن غنم ،
 قال : كتبت لعمر بن الخطاب حين صالح نصارى الشام .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، من نصارى مدينة كذا وكذا »
 « إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرائعنا وأموالنا »
 « وأهل ملتنا ، وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نتحدث في مدينتنا »

«ولا فيما حولها قَلْبَةً^(١) ولا صَوْمَعَةً رَاهِبٍ، ولا يُجَدِّدَ مَا حَرَبَ مِنْهَا : دَيْرًا»
«ولا كَنِيسَةً، ولا يُخْفِي مَا كَانَ مِنْهَا فِي خِطَطِ الْمُسْلِمِينَ، ولا تَمْنَعُ كَنَائِسِنَا»
«أَنْ يَنْزِلَهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ لَيَالٍ نَطَعْمُهُمْ، ولا تُؤْوِي فِي مَنَازِلِنَا»
«ولا كَنَائِسِنَا جَاسُوسًا، ولا نَكْتُمُ غَشًّا لِلْمُسْلِمِينَ، ولا نَعْلَمُ أَوْلَادِنَا الْقُرْآنَ»
«ولا نُنْظِرُ شُرَكَاءَ، ولا نَدْعُو إِلَيْهِ أَحَدًا، ولا نَمْنَعُ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِنَا»
«الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ إِنْ أَرَادُوهُ، وَأَنْ نُوقِرَ الْمُسْلِمِينَ وَنَقُومَ لَهُمْ فِي مَجَالِسِنَا»
«إِذَا أَرَادُوا الْجُلُوسَ، ولا نَتَشَبَّهُ بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ لِبَاسِهِمْ : فِي قَلَنْسُوتِهِ»
«ولا عِمَامَةٍ ولا نَعْلَيْنِ ولا فَرْقِ شَعْرٍ، ولا نَتَكَلَّمُ بِكَلَامِهِمْ، ولا نَتَكَنَّى»
«بِكُنَاهُمْ، ولا نَرْكَبُ الشُّرُوجَ، ولا نَتَقَلَّدُ السُّيُوفَ، ولا نَتَّخِذُ شَيْئًا مِنْ»
«السِّلَاحِ، ولا نَتَّحِلُّهُ مَعْنَا، ولا نَنْقُشُ عَلَى خَوَاتِمِنَا بِالْعَرَبِيَّةِ، ولا نَبِيعُ الْخُمُورَ»
«وَأَنْ نُبْزَّ مَقَادِمَ رُءُوسِنَا، وَأَنْ نَلْزِمَ دِينَنَا حَيْثُ مَا كُنَّا، وَأَنْ نَسُدَّ زَنَايِرِنَا»
«عَلَى أَوْسَاطِنَا، وَأَنْ لَا نُظْهِرَ الصَّلِيبَ عَلَى كَنَائِسِنَا، ولا كُتُبِنَا فِي شَيْءٍ»
«مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ ولا أُسْوَاقِهِمْ، ولا نَضْرِبَ بِنِوَاقِسِنَا فِي كَنَائِسِنَا»
«إِلَّا ضَرْبًا خَفِيفًا، ولا نَرْفَعُ أَصْوَاتِنَا بِالْقِرَاءَةِ فِي كَنَائِسِنَا ولا فِي شَيْءٍ»
«مِنْ حَضْرَةِ الْمُسْلِمِينَ، ولا نَخْرُجُ سَعَائِينَ ولا بَاعُوثًا، ولا نَرْفَعُ»
«أَصْوَاتِنَا مَعَ مَوْتَانَا، ولا نُظْهِرَ النِّيرَانَ مَعَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ»

(١) القلية هي التي يقال لها القلاية . وهي من بيوت عباداتهم . والسعائين عيد لهم قبل عيدهم الكبير بأربعين . والباعوث عندهم كالاستسقاء عندنا . انظر لسان العرب .

«ولا أسواقهم، ولا نُجُورَهم بموتانا، ولا نَنَحِّدَ من الرِّقِيقِ ما يَجْرِي عليه»
 «سِهَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا نَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ» .

قال عبد الرحمن : فلما أتيتُ عُمرَ بالكتاب زاد فيه :

«ولا نَضْرِبَ أَحَدًا من المسلمين . شَرَطْنَا ذَلِكَ عَلَى أَنْفُسِنَا وَأَهْلِ
 «مِلَّتِنَا، وَقَبَلْنَا عَلَيْهِ الْأَمَانَ . فَإِنْ نَحْنُ خَالَفْنَا عَنْ شَيْءٍ مِمَّا شَرَطْنَاهُ
 «لَكُمْ وَضَمَّنَاهُ عَلَى أَنْفُسِنَا فَلَا ذِمَّةَ لَنَا، وَقَدْ حَلَّ لَكُمْ مِنَّا مَا يَحِلُّ لِأَهْلِ
 «الْمُعَانَدَةِ وَالشِّقَاقِ» .

وفي رواية له من طريقٍ أُخرى «أَنْ لَا نُحَدِّثَ فِي مَدِينَتِنَا وَلَا فِيهَا حَوْلَهَا
 «دَيْرًا وَلَا كَنِيسَةً وَلَا قَلَابَةَ وَلَا صَوْمَعَةً رَاهِبٍ» .

وفيها : — «وَأَنْ لَا تَمْنَعَ كَنَائِسِنَا أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهَا أَحَدٌ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، وَأَنْ
 «نُوسِعَ أَبْوَابَهَا لِلْمَارَّةِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ» .

وفيها : — «وَأَنْ تُنْزَلَ مِنْ مَرَّ بِنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ نُطْعِمُهُ» .

وفيها : — «وَأَنْ لَا نُظْهِرَ صَلِيبًا أَوْ نُجَسًّا فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ
 «وَأَسْوَاقِهِمْ» .

وفيها : — «وَأَنْ نُرْشِدَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا نَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ» .

قال أبو صادق المقدم ذكره : ومما ذكره أهل التاريخ أن الحائِمَ الفاطِمِيَّ
 أمر اليهود والنصارى إلا الجبارة بلبس العائم السود، وأن يحمل النصارى في أعناقهم

من الصُّلبان ما يكونُ طوله ذراعاً ووزنه خمسة أرطالٍ ؛ وأن تحملَ اليهودُ في أعناقهم قرأى الخشب على وزن صُلبان النَّصارى، وأن لا يركبوا شيئاً من المراكب المحلّاة، وأن تكون رُكبتهم من الخشب، وأن لا يستخدّموا أحداً من المسلمين، ولا يركبوا حملاً لمُكاريء مسلم، ولا سفينةً نُوتيتها مسلم؛ وأن يكونَ في أعناقِ النَّصارى - إذا دخلوا الحمام - الصُّلبان، وفي أعناقِ اليهودِ الجلاجلُ : لتمييزوا بها من المسلمين، وأفردَ حمامات اليهود والنصارى عن حمامات المسلمين ونهوا عن الاجتماع مع المسلمين في الحمامات، وخطَّ على حمامات النَّصارى صور الصُّلبان، وعلى حمامات اليهود صور القرامى .

قال : وذلك بعد الأربعائة . ثم قال : ولقد أحسن فيما فعل بهم، عفا الله عنّا وعنه، ورزقنا من ينظر في أمورنا وأمورهم بالمصلحة .

الطرف الثاني

(في ذكر ما يحتاج الكاتب إلى معرفته في عقد الذمة)

وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَحْتَاجُ الْكَاتِبُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى ثَمَانِيَةِ أُمُورٍ :

الأمر الأول - فيمن يجوز أن يتولّى عقد الذمة من المسلمين . ويختص ذلك بالإمام أو نائبه في عقدها؛ وفي آحاد الناس خلاف، والأرجح أنه لا يصح منه لأنه من الأمور الكُلية، فيحتاج إلى نظرٍ واجتهادٍ .

الأمر الثاني - معرفة من تُعقد له الذمة . ويشترط في المعقود له : التَّكْلِيفُ والذِّكُورَةُ والحُرِّيَّةُ . فلا تُعقدُ لصبيٍّ ولا مجنونٍ ولا امرأةٍ ولا عبداً، بل يكونون تبعاً، حتى لا تجب على أحدٍ منهم الجزية؛ وفيمن ليس أهلاً للقتال : كالشيخ الكبير

والزمن خلاف، والأصح صحة عقدها له . ويعتبر في المعقود له أيضا أن يكون زاعم التمسك بكتاب: كاليهودي يزعم تمسكه بالتوراة، والنصراني يزعم تمسكه بالتوراة والإنجيل جميعا، وفي التمسك بغير التوراة والإنجيل: كصحف إبراهيم وزبور داود خلاف والأصح جواز عقدها له . وكذلك المجوس، لقوله صلى الله عليه وسلم: «سئوا بهم سنة أهل الكتاب» . والسامرة إن وافقت أصولهم أصول اليهود، عقد لهم وإلا فلا . وكذلك الصابئة إن وافقت أصولهم أصول النصارى، ولا يُعقد لزيدي، ولا عبيد وثني، ولا من يعبد الملائكة والكواكب . ثم إذا كملت فيه شروط العقد فلا بد من قبوله العقد . ولو قال: قررتي بكذا فقال: قررتك صح . ولو طلبها طالب من الإمام وجبت إجابته .

الأمر الثالث — معرفة صيغة العقد: وهي ما يدل على معنى التقرير من الإمام أو نائبيه، بأن يقول: أقررتكم أو أذنت لكم في الإقامة في دارنا على أن تبدلوا كذا وكذا وتنفادوا لحكم الإسلام .

الأمر الرابع — المدة التي يُعقد عليها . ويعتبر فيها أن تكون مطلقة بأن لا يقيد بها بانتهاء، أو بما شاء المعقود له من المدة . ولا تجوز إضافة ذلك إلى مشيئة الإمام، لأن المقصود من عقدها الدوام . وقوله صلى الله عليه وسلم «أقرتكم ما أقرتكم الله» إنما ورد في المهادنة لا في عقد الدمة .

الأمر الخامس — معرفة المكان الذي يقرون فيه . وهو ما عدا الحجاز، فلا يقرون في شيء من بلاد الحجاز: وهي مكة، والمدينة، واليمامة، ومخالفها يعني قراها: كالطائف بالنسبة إلى مكة، وخيبر بالنسبة إلى المدينة، ونحو ذلك . وسواء في ذلك القرى والطرق المتخللة بينها . ويمنعون من الإقامة في بحر الحجاز، بخلاف ركوبه للسفر . وليس لهم دخول حرم مكة لإقامة ولا غيرها، إذ يقول تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا﴾

المَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا . فلو تَعَدَّى أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالْدُخُولِ وَمَاتَ وَدُفِنَ فِي الْحَرَمِ ، نُبِّشَ وَأُخْرِجَ مِنْهُ مَا لَمْ يَتَقَطَّعْ ، فَان تَقَطَّعَ تَرِكَ . وَقِيلَ : يُجْمَعُ عِظَامُهُ وَتُخْرَجُ . وَعَلَيْهِ يَدُلُّ نَصُّ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْأُمَّةِ .

الأمر السادس — معرفة ما يلزم الإمام لهم بعد عقد الذمة . إذا عقد لهم الإمام الذمة فينبغي أن يكتب أسماءهم ودينهم وحلأهم ، وينصب على كل جمع عريفاً : لمعرفة من أسلم منهم ، ومن مات ومن بلغ من صبيانهم ، ومن قدم عليهم أو سافر منهم ، وإحضارهم لأداء الجزية ، أو شكوى من تعدى الذمة عليه من المسلمين ونحو ذلك ، وهذا العريف هو المعبر عنه في زماننا بالديار المصرية بالحاشر . ثم يجب الكف عنهم بأن لا يتعرض متعرض لأنفسهم ولا أموالهم ، ويضمن ما أتلف منها ، ولا تراق محورهم إلا أن يظهورها ، ولا تئلف خنازيرهم إذا أخفوها ، ولا ينعون التردد إلى كائنهم . ولا ضمان على من دخل دار أحد منهم فأراق نحره وإن كان متعدياً بالدخول ، وأوجب أبو حنيفة عليه الضمان . ويجب ذب الكفار عنهم ماداموا في دارنا ، بخلاف ما إذا دخلوا دار الحرب .

الأمر السابع — معرفة ما يطلب منهم إذا عقد لهم الذمة . ثم المطلوب منهم ستة أشياء :

منها — الجزية : وهي المال الذي يتدولونه في مقابلة تقريرهم بدار الإسلام . قال الماوردي في "الأحكام السلطانية" : وهي مأخوذة من الجزاء : إما بمعنى أنها جزاء لتقريرهم في بلادنا ، وإما بمعنى المقابلة لهم على كفرهم .

وقد اختلف الأئمة في مقدارها : فذهب الشافعي رضي الله عنه إلى أنها مقدرة الأقل ، وأقلها دينار أو اثنا عشر درهما نقرة في كل سنة على كل حاليم ، ولا يجوز

الاقْتِصَارُ عَلَى أَقَلِّ مِنَ الدِّينَارِ؛ وَغَيْرُ مَقْدَرَةِ الْأَكْثَرِ، فَتَجُوزُ الزِّيَادَةُ عَلَى الْأَقَلِّ بِرِضَا الْمَعْقُودِ لَهُ . وَيَسْتَحِبُّ لِلْإِمَامِ الْمَأْكُوسَةُ : بِأَنْ يَزِيدَ عَلَيْهِمْ بِحَسَبِ مَا يَرَاهُ . وَنَقَلَ ابْنُ الرَّفْعَةِ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ إِذَا قُدِّرَ عَلَى الْعَقْدِ غَايَةً لَمْ يَجِزْ أَنْ يُتَقَصَّ عَنْهَا . وَيَسْتَحِبُّ أَنْ يُفَاوَتْ فِيهَا : فَيَأْخُذُ مِنَ الْفَقِيرِ دِينَارًا، وَمِنَ الْمُتَوَسِّطِ دِينَارَيْنِ، وَمِنَ الْغَنِيِّ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرٍ .

وذهب أبو حنيفة إلى تصنيفهم ثلاثة أصناف : أغنياء، يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهمًا . وأوساط، يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهمًا . وفقراء، يؤخذ منهم اثنا عشر درهمًا . فجعلها مقدرَةَ الأقل والأكثر، ومنع من اجتهاد الإمام ورأيه فيها .

وذهب مالك إلى أنه لا يتقدَّرُ أقلُّها ولا أكثرها، بل هي موكولة إلى الاجتهاد في الطرفين .

ومنها - الضيافة : فيجوز للإمام بل يستحب أن يشترط على غير الفقير منهم ضيافة من يربهم من المسلمين زيادة على الجزية ، ويعتبر ذلك مدة الإقامة ، وأن لا تزيد على ثلاثة أيام ، وكذلك يعتبر ذلك عدد الضيفان من فُرسانٍ ورجالة ، وقدر طعام كل واحدٍ وأدمه ، وقدر العليق وجنس كل منهما، وجنس المنزل .

ومنها - الاتقياء لأحكامنا، فلوترافعوا إلينا أمضينا الحكم بينهم برضا خصم واحد منهم، ونحكم بينهم بأحكام الإسلام .

ومنها - أن لا يركبوا الخيل . ولهم أن يركبوا الحمير بالأكف عَرْضًا : بأن يجعل الرَّأبُ رِجْلِيَهُ مِنْ جَانِبِ وَاحِدٍ . وَفِي الْبِغَالِ النَّفِيسَةُ خِلَافٌ : ذَهَبَ الْغَزَالِيُّ وَغَيْرُهُ إِلَى الْمَنْعِ مِنْهَا وَالرَّاجِحُ الْجَوَازُ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَتَّخِذُونَ الْجُمَّ الْمُحَلَّلَةَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .

ومنها - أن يُزَلُّوا المسلمين صَدَرَ المَجْلِسِ وَصَدَرَ الطَّرِيقِ . وإن حصل في الطَّرِيقِ ضَيْقٌ [اَلْحُؤَا] إلى أَضْيَقِهِ . وَيُمنَعُونَ من حَمْلِ السِّلَاحِ .

ومنها - التمييز عن المساميين في اللباس : بأن يَخِيْطُوا في ثِيَابِهِم الظَاهِرَةَ ما يَخَالِفُ لَوْنَهَا ، سواءً في ذلك الرجال والنساء . والأولى باليهود الأصْفَرُ ، والنصارى الأزرقُ والأَكْهَبُ (وهو المعبر عنه بالرمادي) وبالمجوسى الأسود والأحمر . ويُشَدُّ الرجالُ منهم الزنار من غير الحرير في وَسَطِهِ ، وتُشَدُّ المرأة تحت إزارها ، وقيل فوقه . ويميّزون ملابسهم عن ملابس المسلمين ، وتُغَايِرُ المرأة لون حُفْيَمَا : بأن يكون أحدهما أبيض والآخر أسود ، ونحو ذلك . ويجعل في عُنُقِهِ في الحَمَامِ جُلُجَلًا أو خَاتَمًا من حَدِيدٍ . وإن كان على رأس أحدهم شَعْرٌ أُمِرَ بِجَزِّ ناصِيَتِهِ . ويمنعون من إرسال الصِّفَاءِ كما تفعل الأشراف . ولهم لبس الحرير والعامة والطيلسان . والذي عليه عُرف زماننا في التمييز أن اليهود مطلقا تلبس العمام الصُّفْرَ ، والنصارى العمام الزُّرْقَ ، ويركبون الحمير على البراذع ، ويثني أحدهم رجله قُدَامَهُ ، وتختص السامرة بالشم لبس العمام الحمراء ، ولا يُمَيِّزُ يعتادونه الآن سوى ما قدمناه .

ومنها - أنهم لا يرفعون ما يبتونونه على [بنيان] جيرانهم من المسلمين ، ولا يساوونه به ولو كان في غاية الانخفاض ، ويمنع من ذلك وإن رضى الجار المسلم ، لأن الحق للدين دون الجار ، وله أن يرفع ما بناه بحملة منفصلة عن أبنية المسلمين . ولو اشترى بناءً عاليًا بقي على حاله ، فلو أنهم فاعاده لم يكن له الرفع على المسلم ولا المساواة .

ومنها - أنهم لا يُحَدِّثُونَ كنيسة ولا بيعة فيما أحدثه المسامون من البلاد : كالبحرَة ، والكوفة ، وبغداد ، والقاهرة ، ولا في بلد أسلم أهلها عليها : كالمدينة واليمن . فإن أحدثوا فيها شيئًا من ذلك نُقِضَ ، نعم يُتْرَكُ ما وجد منها ولم يعلم حاله :

لأحتمال اتصال العمارات به . وكذلك لا يجوز إحداث الكائس والبيع فيما فُتِحَ عنوةً ،
 ولا إبقاء القديم منها لحصول الملك بالاستيلاء . أمّا ما فُتِحَ صلحاً بخراج على أن
 تكون الرقبة لهم ، فيجوز فيها إحداث الكائس وإبقاء القديمة منها ، فإن الارض لهم .
 وإن فُتِحَتْ صلحاً على أن تكون لنا : فإن شُرِطَ إبقاء القديمة بقيت وكأنتهم
 استثنوا . ويجوز لهم إعادة المتهدمة منها ، وتطيين خارجها دون توسيعها .
 الأمر الثامن — معرفة ما ينتقض به عهدهم .

ويُنْتَقِضُ بأموٍر :

منها — قتال المسلمين بلا شبهة ، ومنع الجزية ، ومنع إجراء حكمنا عليهم ، وكذا
 الزنا بمسامة أو إصابتها بأسم نكاح ، والأطلاع على عورات المسلمين وإنهاؤها لأهل
 الحرب ، وإيواء جاسوس لهم ، وقطع الطريق ، والقتل الموجب للقصاص ، وقذف
 مسلم ، وسب نبي جهرًا ، وطعن في الإسلام أو القرآن إن شُرِطَ عليهم الانتقاض
 وإلا فلا . أما لو أظهر ببلد الإسلام الخمر أو الخنزير أو الناقوس أو معتقده في عزير
 والمسيح عليهما السلام أو جنازة لهم أو سقى مسلمًا نحرًا فإنه يُعزَّر .

الفصل الثاني

من الباب الثالث من المقالة التاسعة

(ما يكتب في مُتعلّقات أهل الذمّة [عند خروجهم] عن لوازم عقْد الذمّة)

وأعلم أنه ربّما نرجح أهل الذمّة عن لوازم عقْد الذمّة ، وأظهروا التمييز والتكبر
وعُدوّ البناء ، إلى غير ذلك مما فيه مخالفة الشروط ، فيأخذ أهل العدل : من الخلفاء
والمملوك في قمعهم والغضّ منهم وحطّ مقاديرهم ، ويكتبون بذلك كتباً وبيعنون بها
إلى الآفاق ليعمّل بمقتضاها ، غصّاً منهم وحطّاً لقدريهم ، ورفعة لدين الإسلام
وتشريفاً لقدريه ، إذ يقول تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ
لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .

وهذه نسخة كتاب كتب به عن المتوكّل على الله حين حجّ ، مِمع رجلاً يدعُو
عليه ، فهم بقتله ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما قلت ما قلت إلا وقد أيقنت بالقتل ،
فاسمع مقالتي ثم مر بقتلي ، فقال : قل ! - فشكا إليه استيالة كتاب أهل الذمّة على
المسامين في كلام طويل ، نفرج أمره بأن تلبس النصارى واليهود ثياب العسليّ ،
وأن لا يميكنوا من لبس البياض كي لا يتشبهوا بالمسامين ، وأن تكون ركبهم خشباً ،
وأن تُهدم بيعةهم المستجدة ، وأن تُطاق عليهم الجزية ، ولا يُفسح لهم في دخول
حمامات خدّمها من أهل الإسلام ، ولا يُستخدّموا مسلماً في حوائجهم لنفوسهم ،
وأفردهم بن يحاسب عليهم . وقد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" :
أن المتوكّل أول من أزمهم ذلك ، وهي :

أما بعد، فإن الله أصطفى الإسلام ديناً فشرّفه وكرّمه، وأناره ونصّره وأظهره،
 وفضّله وأكّله؛ فهو الدين الذي لا يقبل غيره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
 دِينًا فَإِنَّ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. بعث به صصيفيه وخيرته من
 خلقه: محمداً صلى الله عليه وسلم، فجعله خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد المرسلين:
 ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. وأنزل كتاباً: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. أسعد به أمته، وجعلهم خير
 أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله: ﴿وَلَوْ آمَنَ
 أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. وأهان الشرك
 وأهله، ووضعهم وصغرهم وقمعهم وخذلهم وتبرأ منهم، وضرب عليهم الذلّة والمسكنة،
 فقال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ
 وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. وأطلع على قلوبهم، وخبث سرائرهم وضمائرهم، فنبى عن أئمتناهم،
 والثقة بهم: لعداوتهم للمسلمين، وغشهم وبغضائهم، فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عُنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ
 أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾. وقال
 تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ
 أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾. وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ
 مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾.
 وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
 بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أن أناساً لا رأى لهم ولا روية يستعينون بأهل
الذمة في أفعالهم ، ويخدوهم بغانة من دون المسلمين ، ويسلطونهم على الرعية ،
فيعسفونهم ويسطون أيديهم إلى ظلمهم وغشهم والعدوان عليهم . فأعظم
أمير المؤمنين ذلك ، وأنكره وأكبره ، وتبرأ منه ، وأحب التقرب إلى الله بحسنه
والتهبى عنه ؛ ورأى أن يكتب إلى عماله على الكور والأمصار ، وولاة الثغور
والأجناد ، في ترك استعمالهم لأهل الذمة في شيء من أعمالهم وأمورهم ، والإشراك
لهم في أماناتهم ، وما قلدهم أمير المؤمنين وأستحفظهم إياه ، إذ جعل في المسلمين
الثقة في الدين ، والأمانة على إخوانهم المؤمنين ، وحسن الرعاية لما استراهم ،
والكفاية لما استكفوا ، والقيام بما حملوا بما أغنى عن الاستعانة [بأحد] من المشركين
بالله ، المكذبين برسله ، الجاحدين لآياته ، الجاحلين معه إلهاً آخر ، ولا إله إلا هو
وحده لا شريك له ، ورجا أمير المؤمنين - بما ألهه الله من ذلك ، وقذف في قلبه -
جزيل الثواب ، وكريم المآب ؛ والله يعين أمير المؤمنين على نيته على تعزيز الإسلام
وأهله ، وإذلال الشرك وحزبه .

فلتعلم هذا من رأي أمير المؤمنين ، ولا تستعن بأحد من المشركين ؛ وأنزل أهل
الذمة منازلهم التي أنزلهم الله بها . فاقراً كتاب أمير المؤمنين على أهل أعمالك وأشعة
فيهم ، ولا يعلم أمير المؤمنين أنك استعنت ولا أحد من عمالك وأعوانك بأحد
من أهل الذمة في عمل الإسلام .



وفي أيام المقتدر بالله ، في سنة خمس وتسعين ومائتين ، عزل كتاب النصارى
وعملهم ، وأمر أن لا يستعان بأحد من أهل الذمة حتى أمر بقتل ابن ياسر النصراني
عامل يونس الحاجب ، وكتب إلى عماله بما نسخته :

عَوَانِدُ اللَّهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تُوفِي عَلَى غَايَةِ رِضَاهُ وَنِهَايَةِ أَمَانِيهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُظْهِرُ عِصْيَانَهُ إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ عِظَةً لِلْأَنَامِ ، وَبَادَرَهُ بِعَاجِلِ الْأَصْطِلَامِ : ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ . فَمَنْ نَكَثَ وَطَعْنَى وَبَغَى ، وَخَالَفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَالَفَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَعَى فِي إِفْسَادِ دَوْلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَاجَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِسَطْوَتِهِ وَطَهَّرَ مِنْ رَجْسِهِ دَوْلَتَهُ ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

وَقَدْ أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَرْكِ الْأَسْتِعَانَةِ بِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، فَيُحَدِّرُ الْعِهَالَ تَجَاوُزَ أَوْامِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَوَاهِيهِ .



وَفِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ بِالْبَيْتِ الْمِصْرِيِّ ، أَمْتَدَّتْ أَيْدِي النَّصَارَى ، وَبَسَطُوا أَيْدِيهِمْ بِالْحِيَانَةِ ، وَتَفَنَّنُوا فِي أَدَى الْمُسْلِمِينَ وَإِصَالِ الْمَضْرَةِ إِلَيْهِمْ . وَأَسْتَعْمَلَ مِنْهُمْ كَاتِبٌ يَعْرِفُ بِالرَّاهِبِ ، وَلَقَّبَ بِالْأَبِ الْقَدِيسِ ، الرَّوْحَانِي النَّفِيسِ ، أَبِي الْأَبَاءِ ، وَسَيِّدِ الرُّؤَسَاءِ ، مَقْدَمَ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَسَيِّدَ الْبَتْرِكِيَّةِ ، صَفَى الرَّبِّ وَمُخْتَارَهُ ، وَثَلَاثَ عَشَرَ الْحَوَارِيِّينَ . فَصَادَرُ اللَّعِينُ عَامَّةً مِنَ الْبَيْتِ الْمِصْرِيِّ : مِنْ كَاتِبٍ وَحَاكِمٍ وَجُنْدِيٍّ وَعَامِلٍ وَتَاجِرٍ ، وَأَمْتَدَّتْ يَدُهُ إِلَى النَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ . فَخَوَّفَهُ بَعْضُ مَشَايخِ الْكُتَّابِ مِنْ خَالِقِهِ وَبَاعِيهِ وَمُحَاسِنِهِ ، وَحَدَّرَهُ مِنْ سُوءِ عَوَاقِبِ أَعْمَالِهِ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِتَرْكِ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِهَلَاكِهِ . وَكَانَ جَمَاعَةً مِنْ كُتَّابِ مِصْرٍ وَقَبِطُهَا فِي مَجْلِسِهِ ، فَقَالَ مُحَاطِبًا لَهُ وَمُسَمِّعًا لِلْجَمَاعَةِ : نَحْنُ مُلَاكُ هَذِهِ الدِّيَارِ حَرًّا وَخَرَاجًا ، مَلَكَهَا الْمُسْلِمُونَ مِنَّا ، وَتَغَلَّبُوا عَلَيْهَا وَغَضَبُوهَا ، وَأَسْتَمَلَكُوهَا مِنْ أَيْدِينَا ، فَتَحْنُ مَهْمَا فَعَلْنَا بِالْمُسْلِمِينَ فَهِيَ قُبَالَةٌ مَا فَعَلُوا بِنَا ، وَلَا يَكُونُ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى مَنْ قُتِلَ مِنْ رُؤَسَائِنَا وَمُلُوكِنَا فِي أَيَّامِ الْفُتُوحِ ، بِجَمِيعِ مَا نَأْخُذُهُ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِ

مَلُوكِهِمْ وَخُلَفَائِهِمْ حُلًّا لَنَا ، وَهُوَ بَعْضُ مَا نَسْتَحِقُّهُ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِذَا حَمَلْنَا لَهُمْ مَا لَأَ كَانَتْ
الْمِئْتَةُ لَنَا عَلَيْهِمْ ، وَأُنْشِدُ :

بِنْتُ كَرِيمٍ يَمُوتُهَا أُمَّهَا * وَأَهَا نُوهَا فِدَيْسَتُ بِالْقَدَمِ

ثُمَّ عَادُوا حَكَمُوهَا بَيْنَهُمْ * وَيَلَهُمْ مِنْ فِعْلِ مَظْلُومٍ حَكْمٌ

فاستحسن الحاضرون من النصارى والمنافقين ما سمعوه منه ، واستعادوه ، وعَضُوا
عليه بالتواجد ، حتى قيل : إنَّ الذي احتاط عليه قَلَمُ اللَّعِينِ مِنْ أَمْلَاقِ الْمَسَامِينِ
مِائَتَا أَلْفٍ وَأَثْنَانِ وَسَبْعُونَ أَلْفًا ، وَمِائَتَا دَارٍ وَحَانُوتٍ وَأَرْضٍ بِأَعْمَالِ الدَّوْلَةِ ، إِلَى أَنْ
أَعَادَهَا إِلَى أَصْحَابِهَا أَبُو عَلِيٍّ بْنِ الْأَفْضَلِ ؛ وَمِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

ثُمَّ أَنْتَبَهَ مِنْ رَقْدَتِهِ ، وَأَفَاقَ مِنْ سَكْرَتِهِ ، وَأَدْرَكَتْهُ الْحَمِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، وَالغَيْرَةُ
الْحَمْدِيَّةُ ؛ فَغَضِبَ لِلَّهِ غَضَبَةَ نَاصِرٍ لِلدِّينِ ، وَنَائِرٍ لِلْمَسَامِينِ ؛ فَالْبَسَ أَهْلَ الذَّمِّ الْغِيَارَ ،
وَأَنْزَلَهُم بِالْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُنْزَلُوا بِهَا مِنَ الذُّلِّ وَالصَّغَارِ ؛ وَأَمَرَ أَنْ لَا يُؤَلَّوْا شَيْئًا
مِنْ أَعْمَالِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ يُنْشَأَ فِي ذَلِكَ كِتَابٌ يَقِفُ عَلَيْهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ .

وهذه نسخته :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْبُودِ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ ، وَالْحَيِّبِ دَعَاءَ مَنْ يَدْعُو بِأَسْمَائِهِ ؛ الْمُنْفَرِدِ
بِالْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ ، الْمَتَّوِّحِدِ بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ
فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ؛ هَدَى الْعِبَادَ بِالْإِيمَانِ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ ، وَوَفَّقَهُمْ فِي الطَّاعَاتِ
لَمَّا هُوَ أَنْفَعُ زَادٍ فِي الْمَعَادِ ؛ وَتَفَرَّدَ بِعِلْمِ الْغُيُوبِ فَعَلِمَ مِنْ كُلِّ عَبْدٍ إِضْمَارَهُ كَمَا عَلِمَ
تَصْرِيحَهُ ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ
وَتَسْبِيحَهُ ﴾ . الَّذِي شَرَّفَ دِينَ الْإِسْلَامِ وَعَظَّمَهُ ، وَقَضَى بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ لِمَنْ اتَّخَذَهُ
وَيْمَةً ، وَفَضَّلَهُ عَلَى كُلِّ شَرِّعٍ سَبَقَهُ وَعَلَى كُلِّ دِينٍ تَقَدَّمَ بِهِ ؛ فَنَصَرَهُ وَخَدَّلَهَا ، وَأَشَادَهُ

وَأَنْحَلَهَا ، وَرَفَعَهُ وَوَضَعَهَا ، وَأَطَدَهُ وَضَعَهَا ، وَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ دِينًا سِوَاهُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، فَقَالَ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . وَشَهِدَ بِهِ بِنَفْسِهِ ، وَأَشْهَدَ بِهِ مَلَائِكَتُهُ وَأَوْلَى الْعِلْمِ الَّذِينَ هُمْ خُلَاصَةُ الْأَنَامِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ .

وَلَمَّا آرَتْضَاهُ لِعِبَادِهِ وَأَتَمَّ بِهِ نِعْمَتَهُ ، أَكَلَهُ لَهُمْ وَأَطْهَرَهُ عَلَى الدِّينِ كُكْلَهُ وَأَوْضَحَهُ لِإِضَاحًا مُبِينًا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

وَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْهُدَى وَالضَّلَالِ ، وَأَهْلِ الْبَغْيِ وَالرِّشَادِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي فَقُلْ لِلدِّينِ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمِينَ أَسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمْتُمْ فَفَقِدُوا أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

وَأَمَرَ تَعَالَى بِالثَّبَاتِ عَلَيْهِ إِلَى الْمَمَاتِ فَقَالَ وَبِقَوْلِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الدِّينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . وَهِيَ وَصِيَّةُ إِمَامِ الْخِطَفِ لِبَنِيهِ وَإِسْرَائِيلَ : ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .

وَشَهِدَ عَلَى الْخَوَارِجِيِّينَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَهُوَ الشَّاهِدُ الْأَمِينُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا أَحْسَسَ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

وأمر تعالى رسوله أن يدعو أهل الكتاب إليه ، ويُشهِدَ من تَوَلَّى منهم بأنه عليه ؛ فقال تعالى وقوله الحق المبين : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

وصلى الله على الذى رفعه بأصطفائه إلى محلّه المنيّف ، وبعثه للناس كافةً بالدين القيمّ الحنيف .

أما بعد ، فإن الله سبحانه ببالغِ حكيمته ، وبتأبُعِ نعمته ، شرفَ دينَ الإسلام وطهره من الأدناس ، وجعلَ أهله خيرَ أمةٍ أُخرجت للناس ؛ فالإسلامُ الدينُ القويمُ الذى أصطفاه الله من الأديان لنفسه ، وجعله دينَ أنبيائه ورُسُله وملائكته قدسِهِ ؛ فارتضاه وأختاره ، وجعلَ خيرَ عبادِهِ وخاصتهم هم أوليائه وأنصاره ؛ يحافظون على حدوده ويثابرون ، ويدعون إليه ويدكرون ، ويحافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ، فهم آيات ربهم يؤمنون ، وإلى مرضاته يسارعون ؛ ولئن خرج عن دينه مجاهدون ، ولعباده مجهدهم ينصحون ، وعلى طاعته مثابرون ، وعلى صلواتهم يحافظون ، وعلى ربهم يتوكلون ، وبالآخرة هم يوقنون : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

هذا وإن أمةً لله هداها إلى دينه القويم ، وجعلها - دون الأمم الجاحدة - على صراطٍ مستقيم ، تُوفى من الأمم سبعين ، هم خيرها وأكرمها على رب العالمين - حقيقةً - بأن لا نوالى من الأمم سواها ، ولا نستعين بمن حاد الله خالفه ورآقه وعبد من دونه إلهًا ، وكذب رُسُله ، وعصى أمره وأتبع غير سبيله ، واتخذ الشيطان وليًا من دُونِ اللَّهِ ؛ ومعلوم أن اليهود والنصارى مؤسومون بغضب الله ولعنته ، والشرك به والجحد

لَوْحَدَانِيَّتِهِ ؛ وقد فرض الله على عباده في جميع صلواتهم أن يسألوا هِدَايَةَ سَبِيلِ
الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ : مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَيَجَنَّبَهُمْ سَبِيلَ
الَّذِينَ أَبْغَضَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَطَرَدَهُمْ عَنْ جَنَّتِهِ ؛ فَبَاءُوا بِغَضَبِهِ وَلَعْنَتِهِ : مِنَ الْمَغضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ .

فَالْأُمَّةُ الْغَضَبِيَّةُ هُمُ الْيَهُودُ بَنَصِّ الْقُرْآنِ ، وَأُمَّةُ الضَّلَالِ هُمُ النَّصَارَى الْمُشْتَكَّةُ عِبَادُ
الصُّلْبَانِ ؛ وَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ بِأَنَّهُمْ بِالذَّلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ وَالغَضَبِ مَوْسُومُونَ ،
فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَّمَا الذَّلَّةِ أَنْ تَقْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ
وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكِنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ .

وَأَخْبَرَ بِأَنَّهُمْ بَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُفْتَرِينَ ، فَقَالَ : ﴿ نَسِئَ
مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ .

وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَعَنَهُمْ وَلَا أَصْدَقَ مِنَ اللَّهِ قَبِيلاً ، فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَوْا
الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى
أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ .

وَحَكَمَ سُبْحَانَهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حُكْمًا تَرْتِضِيهِ الْعُقُولُ ، وَيَتَلَقَّاهُ كُلُّ مُنْصِفٍ
بِالْإِذْعَانِ وَالْقَبُولِ ، فَقَالَ : ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ شُرُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ
اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا
وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ .

وأخبر عما أحلَّ بهم من العقوبة التي صاروا بها مثلاً في العالمين ، فقال تعالى :
 ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ
 بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ قَالُوا كُنَّا نَسُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ ﴾ .

ثم حكم عليهم حكماً مستمراً عليهم في الذراري والأعقاب ، على ممر السنين
 والأحقاب ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ
 يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ . فكان هذا العذاب في الدنيا
 بعض الاستحقاق : ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ . وأنهم أنجس
 الأمم قلوباً وأخبثهم طوية ، وأزادهم سجية ، وأولاهم بالعذاب الأليم ، فقال :
 ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرْ قُلُوبُهُمْ فِي الدُّنْيَا خَزَىٰ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴾ . وأنهم أمة الخيانة لله ورسوله ودينه وكتابه وعباده المؤمنين ، فقال :
 ﴿ وَلَا تَرَالِ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وأخبر عن سوء ما يسمعون ويقبلون ، وخبث ما يأكلون ويحكون ، فقال تعالى :
 ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّخْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ
 وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ
 يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

وأخبر تعالى أنه لعنهم على السنة أنبيائه ورسله بما كانوا يكسبون ، فقال :
 ﴿ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا
 عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تَرَىٰ
 كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ ﴾ .

وقطع الموالاة بين اليهود والنصارى وبين المؤمنين، وأخبر أن من تولاهم فإنه منهم في حكمه المدين، فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ .

وأخبر عن حال متولّيهم بما في قلبه من المرض المؤدى إلى فساد العقل والدين، فقال: ﴿فَتَرَىٰ آيِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَادِمِينَ﴾ .

ثم أخبر عن حبوط أعمال متولّيهم ليكون المؤمن لذلك من الحذرين، فقال: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ آيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ .

ونهى المؤمنين عن اتخاذ أعدائه أولياء، وقد كفروا بالحق الذي جاءهم من ربهم، وإنهم لا يمتنعون من سوء ينالونهم به بأيديهم وألسنتهم إذا قدرُوا عليه فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُخْرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ . إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ .

وجعل سبحانه لعباده المسلمين أسوة حسنة في إمام الحنفاء ومن معه من المؤمنين، إذ تبرأ ممن ليس على دينهم أمثالاً لأمر الله، وإيثاراً لمرضاة وما عنده،

فقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ . وتبرأ سبحانه من اتخذ الكفار أولياء من دون المؤمنين فقال : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحْذَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَلَيْسَ بِكُلِّ ذَنْبٍ عِندَ اللَّهِ الْعِصْيَانُ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ .

فمن ضروب الطاعات إهانتهم في الدنيا قبل الآخرة التي هم إليها صائرون ، ومن حقوق الله الواجبة أخذ جزية رؤسهم التي يعطونها عن يده وهم صاغرون ، ومن الأحكام الدينية أن يعتم جميع الأمة إلا من لا يجب عليه باستخراجها ، وأن يعتمد في ذلك سلوك سبيل السنة المحمدية ومنهاجها ، وأن لا يسأح بها أحد منهم ولو كان في قومه عظيماً ، وأن لا يقبل إرساله بها ولو كان فيهم زعيماً ، وأن لا يُحمّل بها على أحد من المسلمين ، ولا يؤكّل في إخراجها عنه أحداً من الموحدّين ؛ بل تؤخذ منه على وجه الدلّة والصغار ، اعزازاً للإسلام وأهله وإذلالاً لطائفة الكفار ؛ وأن تستوفى من جميعهم حقّ الاستيفاء ، وأهل خير وغيرهم في ذلك على السواء .

وأما ما ادّعاه الجبّارة من وضع الجزية عنهم بعهده من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك زور وبهتان ، وكذب ظاهر يعرفه أهل العلم والإيمان ؛ لفقّه القوم البهت وزوروه ، ووضعوه من تلقاء أنفسهم وتمقّوه ؛ وظنّوا أن ذلك يخفى على الناقدين ؛ أو يروج على علماء المسلمين ؛ ويأبى الله إلا أن يكشف محالّ المبطلين ، وإفكّ المفتريين ؛ وقد تظاهرت السنن وصحّ الخبر بأن خير فتحت عنوة ، وأوجف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون على إجلالهم عنها كما أجلي إخوانهم من أهل الكتاب ، فلما ذكروا أنهم أعرف بسقّي نخلها ومصالح أرضها ، أقرهم فيها

كالأجراء وجعل لهم نصف الأرتفاع، وكان ذلك شرطاً مبیناً، وقال: «نقركم فيها ما شئنا»، فأقر بذلك الجبايرة صاغرين، وأقاموا على هذا الشرط في الأرض عاملين، ولم يكن للقوم من الدمام والحرمه، ما يوجب إسقاط الجزية عنهم دون من عداهم من أهل الدمه، وكيف؟ وفي الكتاب المشحون بالكذب والمين، شهادة سعد ابن معاذ وكان توفي قبل ذلك بأكثر من سنتين، وشهادة معاوية بن أبي سفيان، وإثماً أسلم عام الفتح بعد خير سنة ثمان، وفي الكتاب المكذوب أنه أسقط عنهم الكلف والسخر، ولم تكن على زمان خلقائه الذين ساروا في الناس أحسن السير.

ولما ألتسعت رقة الإسلام، ودخل فيه الخاص والعام، وكان في المسلمين من يقوم بعمل الأرض وسقى النخل، أجلي عمر بن الخطاب اليهود من خيبر بل من جزيرة العرب حتى [قال]: لا أدع فيها إلا مسلماً.



وفي شهر رجب سنة سبعائة وصل إلى القاهرة المحروسة وزير صاحب المغرب حاجاً، فأجتمع بالملك الناصر «محمد بن قلاوون» ونائبه يومئذ الأمير سلا، فتحدث الوزير معه ومع الأمير بيبرس الجاشنكير في أمر اليهود والنصارى، وأنهم عندهم في غاية الذلة والهوان، وأنهم لا يمكن أحد منهم من ركوب الخيل ولا الاستخدام في الجهات الديوانية، وأنكر حال نصارى الديار المصرية ويهودها بسبب لبسهم أنغر الملايس، وركوبهم الخيل والبغال، وأستخدمهم في أجل المناصب، وتحكيمهم في رقاب المسلمين، وذكر أن عهد ذمتهم أنقضى من سنة ستمائة من الهجرة النبوية، فأثر كلامه عند أهل الدولة، لاسيما الأمير بيبرس الجاشنكير، فأمر بجمع النصارى واليهود، ورسم أن لا يُستخدم أحد منهم في الجهات السلطانية، ولا عند

الأمراء ، وأن تُغيَّرَ عمائمهم : فيلبس النصارى العائم الأزرق ، وتُشدُّ في أوساطهم الزنابير ، ويلبس اليهود العائم الصفَر ويَدَقُّوا ^(١) في البيع في إبطال ذلك فلم يقبل منهم ، وغُلِّقت الكنائس بمصر والقاهرة ، وسُمِّرت أبوابها ، ففعل بهم ذلك ، وأُزِمُوا بأن لا يركبوا إلا الحمير ، وأن يلفَّ أحدُهم إحدى رجليه إذا ركب ، وأن يقصر بنيانهم المجاور للمسلمين عن بناء المسلم . وكتب بذلك إلى جميع الأعمال ليعمل بمقتضاه ، وأسلم بسبب ذلك كثير منهم ؛ وأليس أهل الذمة بالشام : النصارى الأزرق ، واليهود الأصفر ، والسامرة الأحمر .

ثم عادوا إلى المباشرة بعد ذلك ، فانتدب السلطان الملك « الصالح صالح » ابن الملك الناصر في سنة خمس وخمسين وسبعائة لمتعمهم من ذلك ، وأزهمهم بالشروط العمريَّة ، وكتب بذلك مرسوماً شريفاً وبعث بنسخته إلى الأعمال فقُرئت على منابر الجوامع .

وهذه نسخته - صورة ما في الطرَّة :

« مرسوم شريف بأن يعتمد جميع طوائف اليهود والنصارى والسامرة : بالديار المصرية ، والبلاد الإسلامية المحروسة وأعمالها ، حكم عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لمن مضى من أهل ملتهم : وهو أن لا يُجدُّوا في البلاد الإسلامية ديراً ولا كنيسةً ولا صومعةً راهبٍ ، ولا يُجدُّوا ما تحرب منها ، ولا يؤوِّا جاسوساً ولا من فيه ريبة لأهل الإسلام ، ولا يكتُموا غشاً للمسلمين ، ولا يعاموا أولادهم القرآن ، ولا يُظهروا شركاً ، ولا يمتنعوا ذوى قرابة من الإسلام إن أرادوه ، ولا يتشبهوا بالمسلمين في لباسهم ؛ ويلبسون الغيار الأزرق والأصفر ، وتمنع نساؤهم

(١) بياض في الأصل في غير نسخة والكلام غير ملتئم ولعل الأصل « العائم الصفَر فبالنوع في السعي في إبطال ذلك » الخ .

من التَّشَبُّه بنساء المسلمين ، ولا يركبوا سَرَجًا ، ولا يتقلدوا سَيْفًا ، ولا يركبوا الخيلَ
 ولا البغالَ ، ويركبون الحميرَ بالأُكُفِ عَرَضًا ، ولا يبيعوا الخُورَ ؛ وأن يلزموا زِيَّهِمْ
 حيث كانوا ، وَيُسُدُّوا زَنَايَهُمْ غيرَ الحُرِيرِ على أوساطهم ؛ والمرأةُ البارزةُ من النصارى
 تلبسُ الإزارَ الكَنَّانَ المصبوغَ أزرقَ ، واليهوديةُ الإزارَ الأصفرَ ؛ ولا يدخلُ أحدٌ
 منهم الحمامَ إلا بعلامةٍ تُميِّزه عن المسلمين في عُقْبِهِ : من خاتمٍ حديدٍ أو رصاصٍ أو غير
 ذلك ؛ ولا يعلوا على المسلمين في البناءِ ولا يساؤوهم ، بل يكونون أدونَ منهم ؛
 ولا يضربوا بالناقوسِ إلا ضربًا خفيفًا ، ولا يرفعوا أصواتهم في تكاليفهم ، ولا يخدموا
 في دولتنا الشريفة - تَبَّتْ اللهُ قواعدها - ولا عند أحدٍ من أمرائها - أعزَّهم اللهُ
 تعالى - ولا يُلَوِّا وظيفَةً يعلو أمرهم فيها على أحدٍ من المسلمين ؛ وأن يُجَمَلَ الأمرُ
 في موارِيثِ موتاهم على حُكْمِ الشريعةِ الشريفةِ المحمَّديَّةِ ، وتوقع عليهم الحَوَاطَةُ
 الديوانيةُ أسوةً موتى المسلمين ؛ وأن لا يدخلَ نسوةُ أهلِ الذِّمَّةِ الحماماتِ مع
 المسلماتِ ، ويُجْعَلُ لهنَّ حماماتٌ تخصَّنَّ يَدْخُلْنَها ، عملاً في ذلك بما رَجَّحَهُ علماءُ
 الشَّرْعِ الشَّريفِ ، على ما شرح فيه .

ونصه بعد البسملة الشريفة .

الحمدُ لله الذى بصَّرَ سلطاننا الصَّالحَ ، باعتمادِ مَصَالِحِ الدِّينِ والدُّنْيَا ، ويسَّرَ لِرَأْسِنَا
 الرَّاجِحِ ، تَوْفِيرَ التَّوْفِيقِ إثباتًا ونفيًا ، وتَحْرِيرَ التَّحْقِيقِ أمرًا ونهيًا ؛ وقَهَرَ بأحكامِ الإسلامِ ،
 من رامَ نكثَ العَهْدِ وتَقَضَّ الذِّمَامَ ، بتعدُّى الحُدُودِ عُدْوَانًا وبغْيًا ، وجَسَرَ على اقْتِحَامِ
 ذُنُوبِ عِظَامٍ ، تُجَلُّ به في الدَّارَيْنِ عَذَابًا ونِزَايا ، وتَكْفَلُ للأُمَّةِ المحمَّديَّةِ فى الأُولَى
 والأُخْرَى بالسَّعَادَةِ السَّمَرْمُديَّةِ التى لا تُنتاهى ولا تُتَغَيَّا ، وجعلَ كلمةَ الدينِ كَفَرُوا
 السُّفلى وكَلِمَةَ اللهِ هى العُلَى .

نحمده أَنَّ أَحْسَبَ فِكْرَنَا رَشَدًا وَأَذْهَبَ بِأَمْرِنَا غَيًّا ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ جَبَرَ بِأَحْكَامِ
الْعَدْلِ لِلْإِيمَانِ وَهَنَا وَأَثَرِ لَذْوِي الْبُهْتَانِ بِالْإِنْتِقَامِ وَهَيَّا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ ، قَدْ صَدَّقَ ، خَلَقَ وَرَزَقَ وَأَنْشَأَ وَأَفْنَى وَأَمَاتَ وَأَحْيَا ،
وَتَقَدَّسَ وَتَمَجَّدَ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ ، وَأَوْجَدَ عَيْسَى بْنَ مَرْيَمَ كَمَا أَوْجَدَ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ
شَيْئًا وَجَعَلَهُ عَبْدًا صَالِحًا نَبِيًّا زَكِيًّا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَنْزَلَ
عَلَيْهِ مَعَ الرُّوحِ الْأَمِينِ قُرْآنًا وَوَحْيًا ، وَأَسْتَأْصِلُ بِهِ شَافَةَ الْكُفَّارِ وَأَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ
الْأَخْطَارِ الدَّاهِيَةِ الدَّهْيَا ، وَاتَّبَعُ مِلَّةَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي أَرَى الصِّدْقَ وَصَدَقَ الرُّؤْيَا ،
وَجَمَعَ اللَّهُ بِهِ الشَّتَاتَ فَهَدَى قُلُوبًا غُلْفًا وَأَسْمَاعًا صُمًّا وَأَبْصَارًا غُمًّا ، وَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ ،
وَأَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَنَضَحَ الْأُمَّةَ فَبُشِّرِي لِمَنْ وَفَّقَ مِنْ أُمَّتِهِ فُرُوقَ لِحِكْمَتِهِ وَعِيَا ، وَرَفَعَ
الضَّلَالََةَ ، وَرَدَّ الضَّلَالََةَ ، وَأَجْمَلَ لِلْعَهْدِ حَقْطًا وَلِلدِّمَامِ رَعِيًا ، وَنَسَخَتْ شَرِيعَتَهُ
الشَّرَائِعَ ، وَسَدَّتْ الذَّرَائِعَ ، وَشَمَخَتْ عَلَى النُّجُومِ الطُّوَالِعَ ، فَهِيَ أَسْمَى مِنْهَا رِفْعَةً
وَأَمَى عَدَدًا وَأَسْنَى هُدْيَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ فُرُوعَ الزَّهْرَاءِ الَّذِينَ عُنُوا بِقَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ أَمْرَعَ سَقِيًا ،
خُصُوصًا صَدِيقَهُ وَرَفِيقَهُ فِي الْمَمَاتِ وَفِي الْحَيَا ، وَمَنْ أَسْتَخْلَفَهُ فِي الصَّلَاةِ عَنْهُ
إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ أَحَقُّ لِرُتْبَةِ الْخِلَافَةِ بِالرُّقِيَا ، وَمَنْ فَرَّقَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ وَوَافَقَ الْفُرْقَانُ لَهُ
رَأْيَا ، وَيَسِّرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَيَّامِهِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الْفُتُوحَاتِ مَا لَا أَتَّفَقُ لغيرِهِ وَلَا تَهَيَّا ،
وَذَا الثُّورَيْنِ الَّذِي قَطَعَ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا وَأَحْيَا ، وَأَسْتَحْيَتِ مِنْهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ
لَمَّا مِنَ اللَّهِ أَسْتَحْيَا ، وَعَلَى الصَّهْرِ وَأَبْنِ الْعَمِّ الْمُجَاهِدِ الرَّاهِدِ الَّذِي طَلَّقَ ثَلَاثًا الدَّارَ
الْفَانِيَةَ الَّتِي لَيْسَ لَهَا بَقِيَا ، وَسَرَّهُ لَمَّا قَضَى عَلَى الرِّضَا نَجْبَهُ ، فَوَجَدَ الْأَجْبَةَ : مُجَدًّا
وَخَزْبَهُ ، وَحَمَدَ الْحَقَّ وَاللُّقْمَا ، وَعَلَى تَمِّمَةِ بَقِيَّةِ الْعَشْرَةِ الْأَبْرَارِ ، وَبَقِيَّةِ الْمُهَاجِرِينَ

والأنصار، رحمةٌ تُدِيمُ لمضاجعهم صَوْبَهَا الدَّارَ السُّفْيَا ، صلاةً وإِفِرَةَ الأقسامِ سَافِرِ
القَسَمَاتِ بِأَهْرَةَ الْحَيَا ، وسَلَّمَ تسليماً كثيراً .

أما بعدُ ، فأحكامُ الشَّرْعِ الشريفِ أولىُّ بوجوبِ الأتباعِ ، وذِمَامُ الدِّينِ الحَنِيفِ
يُؤَيِّدُ من عَصَى وَيُجِيرُ من أطاع ، وَحُرْمَاتُ المِلَّةِ المحمَّديَّةِ أَحَقُّ بأنْ تحفظَ فلا تُضَاعَ ؛
ومن المِهْمَاتِ التي تُصَرِّفُ إليها الهِمَّةُ ، وَيُرَهِّفُ لها حَدَّ العَزْمَةِ ، وتُقَامُ على متعدي
حُدُودِها بالانتقامِ الحَزْبِيِّ ؛ أعتبارُ أحوالِ المِلَّتَيْنِ من أهلِ الذِّمَّةِ الذين حَقَّنَ منهم
الدِّمَاءَ حُكْمَ الإسلامِ ، وسَكَّنَ عنهم الدِّهْمَاءَ ما أَلْتَمَوْهُ من الأحكامِ ، مع القيامِ بالحَزْبِيَّةِ
في كلِّ عامٍ ، وسَأَمُوا الأوامرَ الشَّرِيعَةَ المطهَّرةَ التي لولا الأتقياءُ إليها والأستسلامُ ،
لأُعْجِدَ في نُحُورِهِمْ حَدَّ الحُسَامِ . فهم تَحْتَ قَهْرِ سُلْطَانِ الإِيْمَانِ سَائِرُونَ ، ولأمرِ دِينِ
الحَقِّ الذي نَسَخَ اللهُ تَعَالَى به الأديانَ صَائِرُونَ ؛ وهم المعنِيُّونَ بقوله تَعَالَى : ﴿ قَاتِلُوا
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ
دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ .

ولَمَّا فَتَحَ اللهُ تَعَالَى بِبِرْكَةِ سَيِّدِنَا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَافْتَحَ من البلادِ ،
وَأَسْتَرْجَعَ بِأَيْدِي المَهاجِرِينَ والأَنْصَارِ من أَيْدِي الكُفَّارِ العَادِيَةِ كثيراً من الأَمْصارِ
وَأَسْتَعَادَ ؛ وَأَكْثَرَ ذَلِكَ في خِلافةِ أميرِ المُؤْمِنِينَ «عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ،
فإنها كانتَ لِلْفَتْحِ مَوَاسِمَ ، وبِالْمَنْجِ بَوَاسِمَ ؛ وتَظَافَرَتْ فيها لِلْمُسْلِمِينَ غَرَائِرُ العِزَائِمِ ،
التي أَعَادَتْ هَزَاهِرُها الكُفَّارَ يَجْرُونَ دُيُولَ الهِزَائِمِ - عَقَدَ أَمْرًاؤُهُ الفاتِحُونَ لها
بأَمْرِهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ - لِأَهْلِ الكِتَابِ عَهْدًا ، وَحَدَّثُوا لَهُمْ من الآدابِ حَدًّا
لا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَدَّى ؛ ولم تَزَلْ الخِلفاءُ بعدَ ذَلِكَ والمَمْلوكُ في جَمِيعِ بلادِ الإِسْلامِ
يُجَدِّدُونَهَا ، وبِالمَحافظةِ والمَلاحِظَةِ يَتَمَهَّدُونَهَا ؛ وَأَخْرَجَ من أَلْزَمِها أَحكامُها العَادِلَةَ ،

وَعَصَمَهُمْ بِذِمَّتِهَا الَّتِي هِيَ لَهُمْ مَا اسْتَقَامُوا بِالسَّلَامَةِ كَافِلِهِ ؛ وَالدُّنَا السُّلْطَانُ الشَّمِيدُ
 « الْمَلِكُ النَّاصِرُ » نَاصِرُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، سَقَى اللَّهُ تَعَالَى عَهْدَهُ عِيَادَ الرَّحْمَةِ ، وَلَقِيَ نَفْسَهُ
 الْخَيْرَ لِنُصْحِهِ الْأُمَّةَ ؛ فَإِنَّهُ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ - جَدَّدَ لَهُمْ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ لِبَاسَ الْغِيَارِ ،
 وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ بَأْسَ النَّكَالِ وَالْإِنْكَارِ ؛ وَعَقَدَ لَهُمْ ذِمَّةَ بَهَا الْأَعْتِبَارِ ، وَسَطَّرَ فِي الصِّحَافِ
 مِنْهَا شُرُوطًا لَهُمْ بِالْإِثْرَامِ الْإِقْرَارِ ؛ وَبِأَحْكَامِهَا أَمَكْنَهُمْ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ الْأَسْتِقْرَارَ ؛
 وَخَذَلَ الْفَيْئَتَيْنِ الْمُفْتَرِيَتَيْنِ عَمَلًا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ .

وَمَا طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ تَمَادَوْا عَلَى الْأَعْتِرَارِ ، وَتَعَادَوْا إِلَى الضَّرِّ وَالْإِضْرَارِ ؛
 وَتَدَرَّجُوا بِالتَّكْبَرِ وَالْأَسْتِجْبَارِ ، إِلَى أَنْ أَظْهَرُوا التَّرْتِينَ أَعْظَمَ إِظْهَارًا ، وَخَرَجُوا عَنْ
 الْمَعْهُودِ فِي تَحْسِينِ الزُّنَارِ وَالشُّعَارِ ، وَعَتَوْا فِي الْبِلَادِ وَالْأَمْصَارِ ، وَأَتَوْا مِنَ الْفَسَادِ
 بِأُمُورٍ لَا تُطَاقُ بِكَارٍ .

وَمَا وَصَحَ عِنْدَنَا مِنْهُمْ الْأَسْتِقْرَارَ عَلَى ذَلِكَ وَالْإِضْرَارَ ، أَنْكَرْنَا عَلَيْهِمْ أَشَدَّ إِنْكَارًا ،
 وَرَأَيْنَا أَنْ تَتَّبَعَ فِيهِمْ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَأَبَيْنَا [إِلَّا مَعَامَلَتِهِمْ]
 بِأَحْكَامِ الْمِلَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الَّتِي كَمَ لَهَا عَلَى الْمِلَّتَيْنِ الْعَيْسَوِيَّةِ وَالْمُوسَوِيَّةِ مِنْ مَنَّةٍ ، وَادَّخَرَ اللَّهُ
 تَعَالَى لَنَا هَذِهِ الْحَسَنَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ جَمَلَةِ الْفَتْوحَاتِ الَّتِي يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا لَنَا فِي الدُّنْيَا
 أَبْوَابَ السَّعَادَةِ وَفِي الْآخِرَةِ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ ؛ فَاسْتَفْتَيْنَا فِي أَمْرِهِمُ الْمَجَالِسَ الْعَالِيَةَ حُكَّامَ
 الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةَ ، وَأَقْتَدَيْنَا بِأَقْوَالِ مَذَاهِبِهِمُ الْمُحَرَّرَةَ ، الَّتِي لَنَا بِهَدْيِهَا إِلَى إِصَابَةِ
 الصَّوَابِ تَبْصُرَهُ ؛ وَعَقَدْنَا لَهُمْ مَجْلِسًا بَدَارَ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ ، وَأَلْزَمْنَاهُمْ أَحْكَامَ أَهْلِ
 الذِّمَّةِ الَّتِي بِالْإِثْرَامِ أَوْائِيهِمْ لَهَا جَرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُ هَذَا التَّكْلِيفِ ؛ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ بِالْعَهْدِ
 الَّذِي نَسُوهُ ، وَأَبْسَنَاهُمْ تَوْبَ الْهُوَانِ الَّذِي لَيْسُوا [وَ] مَا طَالَ عَلَيْهِمُ الزَّمَانُ نَزَعُوهُ
 وَلَمْ يَلْبَسُوهُ ؛ وَأَجْرَيْنَا عَلَيْهِمُ الْآنَ شُرُوطَهُ الْمَضْبُوطَةَ ، وَقَوَانِينَهُ الَّتِي هِيَ مِنَ التَّبَدِيلِ

والتَّغْيِيرُ مَحْوُطُهُ ؛ فَمَنْ جَاوَزَهَا ، فَقَدْ شَاقَّقَ الشَّرِيعَةَ الشَّرِيفَةَ وَبَارَزَهَا ؛ وَمَنْ خَالَفَهَا ، فَقَدْ عَانَدَ الْمِلَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَوَأَقَفَهَا ؛ وَمَنْ صَدَفَ عَنْ سُبُلِهَا وَتَسَكَّبَهَا ، فَقَدْ آقَرَفَ الْجَبَائِرَ وَأَرْتَكَبَهَا ؛ وَحَظَرْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ يَجْعَلَ أَحَدُهُمْ لِهَ بِالمَسْلَمِينَ شَبَهَا ، وَصَيَّرْنَا عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ الَّتِي ضَرَبَهَا اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَأَوْجَبَهَا .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى ، المولى ، السلطانى ، الملكى ، الصالحى ، الصلاحى - لا زال أمره الممثل المطاع ، وزجره به عن المآثم امتناع وأرتداع ، ورايه الصالح يريد الإصلاح ما استطاع - أن يعتمد جميع طوائف النصارى واليهود والسامرة بالديار المصرية وجميع بلاد الإسلام المحروسة وأعمالها : من سائر الأقطار والآفاق ، ما أخذ على سالفهم فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أكيد العهد وثيق الميثاق :

وهو أن لا يُجِدُّوا فى البلاد الإسلامية وأعمالها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ، ولا يُجِدُّوا فيها ما خرب منها ، ولا يمتنعوا كتابتهم التى عوهدوا عليها ، وثبتت عهدهم لديها ، أن ينزل أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم ، ولا يؤووا جاسوساً ولا من فيه ريبه لأهل الإسلام ، ولا يكتموا غشاً للمسلمين ، ولا يعلموا أولادهم القرآن ، ولا يُظهِروا شركاً ، ولا يمتنعوا ذوى قرابة من الإسلام إن أرادوه ، وإن أسلم أحد منهم لا يؤذوه ولا يساكنوه ، وأن يؤفروا المسلمين ، وأن يقوموا من مجالسهم إن أرادوا الجلوس ، وأن لا يتشبهوا بشيء من المسلمين فى لباسهم قلنسوة ولا عمامة ولا تعلين ولا فرق شعر ، بل يلبس النصارى منهم العمامة الزرقاء عشرة أذرع غير الشعرى (؟) فى دونها ، واليهودى العمامة الصفراء كذلك ؛ ويمنع نساءهم من التشبه بنساء المسلمين ولبس العمام ، ولا يتسموا بأسماء

المسلمين ، ولا يتكفونوا بكنائهم ، ولا يتلقبوا بألقابهم ، ولا يركبوا سرجاً ، ولا يتقلدوا سيفاً ، ولا يركبوا الخيل ولا البغال ، ويركبون الحمير بالأكف عرساً من غير ترزين ولا قيمة عظيمة لها ، ولا يتخذوا شيئاً من السلاح ، ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية ، ولا يبيعوا الخمر ، وأن يجزوا مقدم رؤوسهم ، وأن يلزموا زيهم حيث ما كانوا ، ويشدوا زنايهم غير الحرير على أوساطهم ، والمرأة البارزة من النصراني تلبس الإزار الكتان المصبوغ أزرق ، واليهودية الإزار المصبوغ أصفر ، ولا يدخل أحد منهم الحمام إلا بعلامة تميزه عن المسلمين في عنقه : من خاتم نحاس أو رصاص أو جرس أو غير ذلك ، ولا يستخدموا مسلياً في أعمالهم ، وتلبس المرأة البارزة منهم خفين : أحدهما أسود ، والآخر أبيض ، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ، ولا يرفعوا بناء قبورهم ، ولا يعملوا على المسلمين في البناء ، ولا يسأوهم ، ولا يتخيلوا على ذلك بحيلة ، بل يكونون أدون من ذلك ، ولا يضربوا بالناقوس إلا ضرباً خفيفاً ، ولا يرفعوا أصواتهم في كنائسهم ، ولا يخرجوا شعانين ، ولا يرفعوا أصواتهم على موتاهم ، ولا يظهرها الثيران ، ولا يشتروا مسلماً من الرقيق ولا مسلمة ، ولا من جرت عليه سهام المسلمين ، ولا من منشؤه مسلم ، ولا يهودوا ولا ينصروا رقيقاً ، ولا يجتنبون أوساط الطريق توسعةً للمسلمين ، ولا يقتنوا مسلماً عن دينه ، ولا يدلوا على عورات المسلمين . ومن زنى بمسلمة قتل ، ولا يضعوا أيديهم على أراض موت المسلمين ولا غير موت ولا مزدرع ، ولا ينسبوه لصومعة ولا كنيسة ولا دير ولا غير ذلك ، ولا يشتروا شيئاً من الحلب الرقيق ولا يوكلوا فيه ، ولا يتخيلوا عليه بحيلة . ومتى خالفوا ذلك فقد حل منهم ما يحل من أهل النفاق والمعاندة .

وكذلك رسمنا أن كل من مات من اليهود والنصارى والسامرة : الذكور والإناث منهم يحتاط عليهم من ديوان الموارث الحشرية بالديار المصرية وأعمالها وسائر

البلاد الإسلامية المحروسة ، إلى أن تُثبِتَ ورثته ما يستحقونه من ميراثه بمقتضى
 الشَّرْعِ الشريف ، وإذا أثبتوا ما يستحقونه يعطونه بمقتضاه ، ويحمل ما فضل بعد
 ذلك لبيت المال المعمور ، ومن مات منهم ولا وارث له يستوعب ، حمل موجوده
 لبيت المال المعمور ، ويحرون في الحوطة على موتاهم من دواوين المواريث ووكلاء
 بيت المال المعمور مجرى من يموت من المسلمين : لبيت أمر مواريتهم ، ويحمل
 الأمر فيها على حكم الشَّرْعِ الشريف ، عملاً بالفتاوى الشرعية المتضمنة إجراء
 مواريت موتاهم على حكم القرائض الشرعية بحكم الملة الإسلامية الحميدة : من
 إعطاء كل ذى فرض وعصبة ما يستحقه شرعاً ، من غير مخالفة ولا امتناع ،
 ولا موافقة ولا دفاع ، فإن ذلك مما يتعين أن يكون له إلى بيت المال المعمور فيه
 إرجاع ، ولتعلق حقوق المؤمنين بذلك ، ولأنه يعيد حيث تفيا إلى المسلمين
 ما يستحقه بيت المال من مال كل هالك ، ولأننا المطالبون بما يسؤل إلى ميراث
 المسلمين من ثراث أولئناك ، لتكون هذه الحسنه في صحائفنا مسطره ، وإن كانت
 الأيام قد تبادت عليها ومعرفتها نكره ، وتعادت إليها أيديهم العادية فاختلست من
 الذهب والفضة القناطير المقنطره .

ورسمنا أن لا يخدم نصراني ولا سامري ولا يهودي في دولتنا الشريفة ثبتت الله
 قواعدها ، ولا في دواوين الممالك المحروسة والأعمال ، ولا عند أحد من أمرائنا
 أعزهم الله تعالى ، ولا يباشر أحد منهم وكالة ولا أمانة ، ولا ما فيه تأمر على
 المسلمين ، بحيث لا يكون لهم كلمة يستعملون بها على أحد من المسلمين في أمر من
 الأمور ، فقد حرم الله ذلك نصاً وتأويلاً ، وضمن حكمه في الحال والاستقبال قرآناً
 وتنزيلاً ، فقال تعالى : ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ . وأوضح
 في آجتناهم لليقين علم اليقين ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ

اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾

وقد نهى الله عن مواليتهم وأضاف بسخطه كل نخزي إليهم ، فقال تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ .

وقد أذمهم الله جلَّ وعزَّ لأقترابهم وأجترائهم من كتابه العزيز في مواضع عدَّة ، فقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مَّسْوُودَةٌ ﴾ . فوجب أن لا يكونوا على الأعمال آمنه ، ولا للأموال خزنة : لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اليهود والنصارى خونه » . وقال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه : « لا تستعملوا اليهود والنصارى فإنهم أهل رشأ في دينهم ولا تحل الرشا » فباعترأهم وافتراءهم يؤمن من مكرهم وخيانتهم ما يُحْتَشَى .

ولما قدم عليه أبو موسى الأشعري من البصرة وكان عاملة بها ، دخل عليه المسجد ، وأستأذن لكتابه وكان نصرانياً ، فقال له أمير المؤمنين عمر : - ولَيْتَ ذَمِيًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ هَلَّا اتَّخَذْتَ حَنِيفِيًّا ؟ - فقال يا أمير المؤمنين : لى كَاتِبُهُ وَه دِينُهُ ، فأنكر أمير المؤمنين عليه ذلك ، وقال : لا أكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذمهم الله ، ولا أدنهم إذ أفصاهم الله . - فاتبعنا في صرفهم الكتاب والسنة والأثر ، ومنعنا عن المسلمين - بقل أيديهم عن المباشرة - الأذى والضرر ، ودفعنا عن أمير المؤمنين من سوء معاشرتهم ما ألموا له من الأذى مع شر معشر .

فليعتمد حكم هذا المرسوم ، الذى هو بالعدل والإحسان موسوم ، وليعتمد فى صحائف المثوبات ليستقر ويستمر ويدوم ، وليسع ذكره فى المالك ، وليدع أمره فى المسالك ، وعلى حكام المسلمين - أيدهم الله تعالى - وقضاتهم ، ومتصرفيهم

وولاتهم ؛ أن يُوقَعُوا بمن تَعَدَّى هذه الحدود ، من النصارى واليهود ، ويردَعُوا
بسيِّفِ الشَّرْعِ كُلِّ جَهُولٍ من أهلِ الجُودِ ، وَيُحَلُّوا العَذَابَ بمن حَمَلَهُ العُقُوقُ على
حَلِّ العُقُودِ ، وَيَذَلُّوا رِقَابَ الكَافِرِينَ بِالإِذْعَانِ لآسْتِخْرَاجِ الحُقُوقِ وَإِخْرَاجِ
الأَضْغَانِ وَالْحُقُودِ .

وقد رَسَمْنَا بأن يُجَلَّ الأَمْرُ في هذا المَرْسُومِ الشَّرِيفِ على حُكْمِ مَا أَلْتَمَسَ في المَرْسُومِ
الشَّرِيفِ الشَّهِيدِيُّ النَّاصِرِيُّ المُنْتَقِمُ ، المَكْتَتَبُ في رَجَبِ سَنَةِ سَبْعِمِائَةٍ ، المُنْتَضِعِ
لِلشَّهَادَةِ على بَطْرِكِي النِّصَارِيِّ اليَعَاقِبَةِ ، وَالْمَلِكِيَّةِ ، وَرَئِيسِ اليَهُودِ بِالتَّحْرِيمِ وَإِيقَاعِ
الكَلِمَةِ على من خَالَفَ هَذَا الشَّرْطَ المَشْرُوطَ وَالْحَدَّ المَحْدُودَ ، وَأَن لا يَحْلُوا مَا أَنبَرَمَ
من مُحْكَمِ العُقُودِ ، فيَحِلُّ عَلَيْهِمُ عَذَابٌ غيرُ مُرَدُّودٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُعِينُ سُلْطَانَ الحَقِّ على
مَا يَرْجِعُ بِنَفْعِ الخَلْقِ وَيَعُودُ ، وَيَزِينُ بِصَالِحِ المُؤْمِنِينَ مُلْكَ الإِسْلَامِ وَمَمْلَكَةَ الوُجُودِ ،
وَيُهَيِّئُ بِبَآئِسِهِ أَعْدَاءَ الدِّينِ ، الَّذِينَ لَهُمُ عَنِ السَّبِيلِ المُبِينِ ، صُدُوفٌ وَصُدُودٌ ، وَيَسَلِّكُ بِهِ
شِرْعَةَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَمِنْهَاجَهُ : من إِمَاتَةِ البِسْطِيعِ وَإِحْيَاءِ السُّنَنِ وَإِدَامَةِ الصُّوْنِ
وَإِقَامَةِ الحُدُودِ ، وَيُهْلِكُ بِسَطْوَتِهِ الكَافِرِينَ كَمَا هَلَكَ بِدَعْوَةِ صَالِحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ نَمُودُ . وَالْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ أَعْلَاهُ حُجَّةٌ فِيهِ .

تم الجزء الثالث عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الرابع عشر

وأته الباب الرابع من المقالة التاسعة

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين
وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه
وحسبنا الله ونعم الوكيل

(المطبعة الاميرية ١٦٩٣/١٩١٨/٣٠٠٠)

تَارِيخُ الْبَيْتِ السُّنِّيِّ

صَبْحُ الْأَسَدِ
٢٠١٦
١٤١٧

الجزء الثالث عشر

طبع
بالمطبعة الاميرية بالقاهرة

سنة ١٣٣٧ هـ
٢٠١٨ م

فهرس

الجزء الثالث عشر

من كتاب صبح الأعشى للقائشندى

المقالة السادسة

صفحة

- فيما يكتب في الوصايا الدينية، والمساحات، والاطلاقات السلطانية
والطرخانيات؛ وتحويل السنين والتذاكر، وفيها أربعة أبواب ٢
- الباب الأول** - في الوصايا الدينية، وفيه فصلان ٢
- الفصل الأول** - فيما لقدماء الكتاب من ذلك ٢
- » **الثاني** - فيما يكتب من ذلك في زماننا، وهو على ضربين ١١
- الضرب الأول** - ما يكتب عن الأبواب السلطانية ١٢
- » **الثاني** - ما يكتب عن نواب السلطنة بالممالك ١٣
- الباب الثاني** - فيما يكتب في المساحات والاطلاقات،
وفيه فصلان ٢٣
- الفصل الأول** - فيما يكتب في المساحات، وهي على ضربين ... ٢٣
- الضرب الأول** - ما يكتب من الأبواب السلطانية، وهو على مرتبتين ٢٣
- المرتبة الأولى** - المساحات العظام ٢٣
- » **الثانية** - من المساحات أن تكتب في قطع العادة الخ ... ٣٨
- الضرب الثاني** - ما يكتب عن نواب السلطنة بالممالك الشامية ٣٩
- الفصل الثاني** - فيما يكتب من الاطلاقات، وفيه طرفان ... ٤١
- الطرف الأول** - فيما يكتب عن الأبواب السلطانية، وهو على
ثلاث مراتب ٤١
- المرتبة الأولى** - ما يكتب في قطع الثلث مفتوحاً بـ «الحمد لله» ... ٤١
- » **الثانية** - ما يفتح بـ «أما بعد حمد الله» ٤٤
- » **الثالثة** - مما يكتب به في الاطلاقات أن يكتب في قطع
العادة مفتوحاً بـ «رسم بالأمر الشريف» ٤٦

- صفحة
- الباب الثالث - في الطرخانيات، وفيه فصلان ٤٨
- الفصل الأول - في طرخانيات أرباب السيوف، وهي على ثلاث مراتب (لم يذكر إلا مرتبتين) ٤٨
- المرتبة الأولى - أن يفتح المرسوم المكتتب في ذلك بـ«الحمد لله» ... ٤٨
- » الثانية - أن يفتح مرسوم الطرخانيات بـ«أما بعد» ... ٥١
- الفصل الثاني - فيما يكتب في طرخانيات أرباب الأقلام ... ٥٢
- الباب الرابع - فيما يكتب في التوفيق بين السنين الشمسية والقمرية المعبر عنه في زماننا بتحويل السنين وما يكتب في التذاكر، وفيه فصلان ... ٥٤
- الفصل الأول - فيما يكتب في التوفيق بين السنين، وفيه طرفان ... ٥٤
- الطرف الأول - في بيان أصل ذلك ٥٤
- » الثاني - في صورة ما يكتب في تحويل السنين، وهو على نوعين (لم يذكر إلا نوعاً واحداً) ٦٣
- النوع الأول - ما كان يكتب في ذلك عن الخلفاء، وفيه مذهبان ٦٣
- المذهب الأول - أن يفتح ما يكتب بـ«أما بعد» ٦٣
- » الثاني - مما كان يكتب عن الخلفاء في تحويل السنين أن يفتح ما يكتب بلفظ «من فلان أمير المؤمنين إلى أهل الدولة» ونحو ذلك، وفيه ضربان ... ٧١
- الضرب الأول - ما كان يكتب في الدولة الأيوبية ٧١
- » الثاني - ما يكتب به في زماننا ٧٤

صفحة

- الفصل الثاني - فيما يكتب في التذاكر [وفيه ثلاثة أضرب]
 (ولم يذكر الضرب الأول) ٧٩
 الضرب الثاني - ما كان يكتب لتوابع السلطنة بالديار المصرية
 عند سفر السلطان عن الديار المصرية ٩١
 » الثالث - ما كان يكتب لتوابع القلاع وولاتها : إما عند
 استقرار النائب بها وإما في خلال نيابته ٩٩

المقالة السابعة

- في الاقطاعات والقطائع ، وفيها بابان ١٠٤
الباب الأول - في ذكر مقدمات الاقطاعات ، وفيه فصلان ... ١٠٤
الفصل الأول - في ذكر مقدمات تتعلق بالاقطاعات ،
 وفيه ثلاثة أطراف ١٠٤
الطرف الأول - في بيان معنى الاقطاعات وأصلها في الشرع ... ١٠٤
 » الثاني - في بيان أول من وضع ديوان الجيش وكيفية
 ترتيب منازل الجند فيه والمساواة والمفاضلة
 في الاعطاء ١٠٦
 » الثالث - في بيان من يستحق إثباته في الديوان وكيفية
 ترتيبهم فيه ١١٠
الفصل الثاني - في بيان حكم الاقطاع ، وهو على ضربين ... ١١٣
الضرب الأول - إقطاع التملك ١١٣
 » الثاني - إقطاع الاستغلال ١١٥
الباب الثاني - فيما يكتب في الاقطاعات في القديم والحديث ،
 وفيه فصلان ١١٨

- صفحة
- الفصل الأول - في أصل ذلك ١١٨
- » الثاني - في صورة ما يكتب في الاقطاعات، وفيه طرفان ١٢٣
- الطرف الأول - فيما كان يكتب من ذلك في الزمن القديم،
وهو على ضربين ١٢٣
- الضرب الأول - ما كان يكتب عن الخلفاء، ولهم فيه طريقتان ١٢٣
- الطريقة الأولى - طريقة كتاب الخلفاء العباسيين ببغداد ١٢٣
- » الثانية - ما كان يكتب في الاقطاعات عن الخلفاء
الفاطميين بالديار المصرية ١٣١
- الضرب الثاني - مما كان يكتب في الاقطاعات في الزمن المتقدم
ما كان يكتب عن ملوك الشرق القاسمين على
خلفاء بني العباس، وفيه طريقتان ١٣٩
- الطريقة الأولى - أن يكتب في الابتداء « هذا كتاب » كما كان
يكتب عن خلفاء بني العباس في ذلك ١٣٩
- » الثانية - ما كان يكتب عن الملوك الأيوبية بالديار
المصرية، ولهم فيه أساليب ١٤٤
- الأسلوب الأول - أن يفتح التوقيع المكتتب بالاقطاع بخطبة
مفتحة بـ « الحمد لله » ١٤٤
- » الثاني - أن يفتح التوقيع بلفظ « أما بعد فان كذا » ... ١٤٨
- » الثالث - أن يفتح التوقيع بما فيه معنى الشجاعة والقتال،
وما في معنى ذلك ١٥٠
- الطرف الثاني - ما يكتب في الاقطاعات في زماننا، وهو على
ضربين ١٥٣

- الضرب الأول — ما يكتب قبل أن ينقل إلى ديوان الإنشاء ،
 وفيه جملتان ١٥٣
- الجملة الأولى — في ابتداء ما يكتب في ذلك من ديوان الجيش ١٥٣
- » الثانية — في صورة ما يكتب في المربعة الجيشية ... ١٥٤
- الضرب الثاني — فيما يكتب في الاقطاعات من ديوان الإنشاء ،
 وفيه خمس جمل ١٥٧
- الجملة الأولى — في ذكر اسم ما يكتب في الاقطاعات من ديوان
 الإنشاء ١٥٧
- » الثانية — في بيان أصناف المناشير، وما يخص كل صنف
 منها من مقادير قطع الورق ١٥٨
- » الثالثة — في بيان صورة ما يكتب في المناشير في الطرة والمتمن ١٥٩
- » الرابعة — في الطغرى التي تكون بين الطرة المكتتبة في أعلى
 المنشور وبين البسمة ١٦٢
- » الخامسة — في ذكر طرف من نسخ المناشير التي تكتب
 في الاقطاعات في زماننا، وهي على ثلاثة أنواع ١٦٧
- النوع الأول — ما يفتح بـ«الحمد لله» وهو على ثلاثة أضرب ... ١٦٧
- الضرب الأول — مناشير أولاد الملوك ١٦٧
- » الثاني — » الأمراء مقدمى الألوفا ١٦٩
- » الثالث — » أمراء الطبليخاناه ١٨٤
- النوع الثاني — من المناشير ما يفتح بـ«أما بعد» وهو على ضربين ١٩٠
- الضرب الأول — في مناشير العشرات كائنا ذلك الأمير من كان ... ١٩٠
- » الثاني — » أولاد الأمراء ١٩٣
- النوع الثالث — من المناشير ما يفتح بـ«يخرج الأمر الشريف» ١٩٨

المقالة الثامنة

صفحة	في الأيمان ، وفيها بابان	٢٠٠
	الباب الأول - في أصول يتعين على الكاتب معرفتها قبل الخوض	
٢٠٠	في الأيمان ، وفيه فصلان	٢٠٠
٢٠٠	الفصل الأول - فيما يقع به القسم ، وفيه طرفان	٢٠٠
	الطرف الأول - في الأقسام التي أقسم بها الله تعالى في كتابه	
٢٠٠	العزير...	٢٠٠
٢٠٣	» الثاني - في الأقسام التي تقسم بها الخلق ، وهي على ضربين	٢٠٣
٢٠٣	الضرب الأول - ما كان يُقسم به في الجاهلية	٢٠٣
٢٠٥	» الثاني - الأقسام الشرعية	٢٠٥
	الفصل الثاني - في بيان معنى اليمين الغموس ولغو اليمين والتحذير	
	من الحنث والوقوع في اليمين الغموس ،	
٢٠٨	وفيه طرفان	٢٠٨
٢٠٨	الطرف الأول - في بيان معنى اليمين الغموس ولغو اليمين	٢٠٨
٢٠٩	» الثاني - في التحذير من الوقوع في يمين الغموس	٢٠٩
٢١١	الباب الثاني - في نسخ الأيمان الملوكية ، وفيه فصلان	٢١١
	الفصل الأول - في نسخ الأيمان المتعلقة بالخلفاء ، وهي	
٢١١	على نوعين	٢١١
	النوع الأول - في الأيمان التي يُحلف بها على بيعة الخليفة	
٢١١	عند مبايعته	٢١١
	» الثاني - الأيمان التي يحلف بها الخلفاء (ووقع مهوًا :	
٢١٦	الضرب الثاني الخ)	٢١٦

صفحة

- الفصل الثاني - في نسخ الأيمان المتعلقة بالملوك، وفيه خمسة
 مهايع (لم يذكر المهيع الخامس) ٢١٦
- المهيع الأول - في بيان الأيمان التي يُحَلَّف بها المسلمون،
 وهي على نوعين ٢١٦
- النوع الأول - أيمان أهل السنة... .. ٢١٦
- » الثاني - أيمان أهل البدع، وهم ثلاث طوائف ... ٢٢٢
- الطائفة الأولى - الخوارج ٢٢٢
- » الثانية - الشيعة، وهم خمس فرق ٢٢٦
- الفرقة الأولى - الزيدية ٢٢٧
- » الثانية - الإمامية ٢٢٩
- » الثالثة - الاسماعيلية ٢٣٥
- » الرابعة - الدرزية ٢٤٨
- » الخامسة - النصيرية ٢٤٩
- الطائفة الثالثة - القادرية ٢٥١
- المهيع الثاني - في الأيمان التي يُحَلَّف بها أهل الكفر،
 وهم على ضربين ٢٥٣
- الضرب الأول - من زعم منهم التمسك بشريعة نبي من الأنبياء،
 وهم أصحاب ثلاث ملل ٢٥٣
- الملة الأولى - اليهود، وهم طائفتان ٢٥٣
- الطائفة الأولى - المتفق على يهوديتهم، وهم القراؤون ... ٢٥٦
- » الثانية - من اليهود السامرة... .. ٢٦٨

صفحة

- الملة الثانية - النصرانية (ووقع سهواً : الفرقة الثالثة الخ)
 وهم ثلاث فرق ٢٧١
- الفرقة الأولى - الملكانية ٢٧٦
- » الثانية - اليعقوبية ٢٧٨
- » الثالثة - النسطورية ٢٨٠
- الملة الثالثة - المجوسية ، وهم ثلاث فرق ٢٩٢
- الفرقة الأولى - الكيوسمرية ٢٩٢
- » الثانية - الثنوية ٢٩٢
- » الثالثة - الزرادشتية ٢٩٣
- المهييع الثالث - في الأيمان التي يُحلف بها الحكماء ، وهم على
 ثلاثة أصناف ٢٩٨
- الصنف الأول - البراهمة ٢٩٨
- » الثاني - حكماء العرب ٢٩٩
- » الثالث - حكماء الروم ، وهم على ضربين ٢٩٩
- الضرب الأول - القدماء منهم ٢٩٩
- » الثاني - المتأخرون منهم ، وهم أصحاب أرسطاطاليس ٢٩٩
- المهييع الرابع - في بيان المحلوف عليه ، وما يقع على العموم ،
 وما يختص به كل واحد من أرباب الوظائف
 مما يناسب وظيفته ٣٠٧
- » الخامس - في صورة كتابة نسخ الأيمان التي يُحلف بها ،
 وهي على ضربين ٣١٩
- الضرب الأول - الأيمان التي يُحلف بها الأمراء في الديار
 المصرية ٣١٩
- » الثاني - الأيمان التي يُحلف بها نواب السلطنة والأمراء
 بالممالك الشامية ، وما أنضم إليها ٣٢٠

المقالة التاسعة

- صفحة
- ٣٢١ في عقود الصلح والفسوخ الواردة على ذلك، وفيها خمسة أبواب
- ٣٢١ الباب الأول - في الأمانات، وفيه فصلان
- ٣٢١ الفصل الأول - في عقد الأمان لأهل الكفر، وفيه طرفان
- ٣٢١ الطرف الأول - في ذكر أصله وشرطه وحكمه
- ٣٢٣ » الثاني - في صورة ما يكتب فيه
- ٣٢٩ الفصل الثاني - في كتابة الأمانات لأهل الإسلام، وفيه طرفان
- ٣٢٩ الطرف الأول - في أصله
- ٣٣٠ » الثاني - فيما يكتب في الأمانات، وفيه مذهبان
- المذهب الأول - أن يفتح الأمان بلفظ: «هذا كتاب أمان الخ»
- ٣٣٠ وهو على نوعين
- ٣٣١ النوع الأول - ما يكتب عن الخلفاء، وفيه مذهبان
- ٣٣١ المذهب الأول - أن يفتح الأمان بلفظ: «هذا»
- ٣٣٢ » الثاني - أن يفتح الأمان بخطبة مفتوحة بالحمد
- ٣٣٦ النوع الثاني - ما يكتب به عن الملوك، وهو على ضربين
- الضرب الأول - ما يكتب من هذا النمط مما كان يصدر عن وزراء الخلفاء والملوك المتغلبين على الأمر معهم،
- ٣٣٦ ولهم فيه أسلوبان
- ٣٣٦ الأسلوب الأول - أن يصدر بالتماس المستأمن الأمان
- » الثاني - لا يتعرض في الأمان لالتماس المستأمن
- ٣٣٩ الأمان

صفحة

- المذهب الثاني — مما يكتب به في الأمانات لأهل الإسلام
 أن يفتح الأمان بلفظ: «رسم» ٣٣٩
- الضرب الثاني — من الأمانات التي تكتب لأهل الإسلام ما عليه
 مصطلح زماننا، وهي صنفان ٣٤٢
- الصنف الأول — ما يكتب من الأبواب السلطانية ٣٤٢
- » الثاني — من الأمانات الجاري عليها مصطلح كتاب
 الزمان — ما يكتب عن نواب الممالك الشامية... ٣٥٠
- الباب الثاني** — من المقالة التاسعة في الدفن (دفن الذنوب)،
 وفيه فصلان ٣٥٢
- الفصل الأول** — في أصله وكونه مأخوذاً عن العرب ٣٥٢
- » الثاني — فيما يكتب في الدفن عن الملوك ٣٥٣
- الباب الثالث** — فيما يكتب في عقد الذمة، وفيه فصلان ٣٥٦
- الفصل الأول** — في الأصول التي يرجع إليها هذا العقد،
 وفيه طرفان ٣٥٦
- الطرف الأول** — في بيان رتبة هذا العقد، ومعناه وأصله من
 الكتاب والسنة ٣٥٦
- » الثاني — في ذكر ما يحتاج الكاتب إلى معرفته في عقد الذمة ٣٦٠
- الفصل الثاني** — ما يكتب في متعلقات أهل الذمة عند خروجهم
 عن لوازم عقد الذمة ٣٦٦

(تم فهرس الجزء الثالث عشر من كتاب صبح الأعشى)